

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن تيمية المجلد الأول

ترجمة حياته

حبيب طاهر الشمرى

مراجعة: جعفر البياتى



## إهداه

إلى سادة الورى

- محمد ﷺ سيد الأنبياء والرسل.
  - علي عليه السلام نفس رسول الله وسيد العرب.
  - فاطمة عليها السلام بنت رسول الله سيدة نساء العالمين.
  - الحسن والحسين عليهم السلام سبطي رسول الله سيدي شباب أهل الجنة.
  - الكوثر الطيب الطاهر الذي حبّ الله إياه سيدي يا رسول الله، لتسري السيادة فيه حتى يخرج مهديكم فيقطع قرن الشيطان.
- والسلام عليكم سادتي؛ راجياً شفاعتكم لي ولوالدي فننهل من حوضكم.

## مقدمة

(وَمَنْ يَعْشُ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيَضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ \* وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
وَيَحْسَسُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) <sup>(١)</sup>.

(وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) <sup>(٢)</sup>.

(وَمَنِ التَّائِسُ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَكْدَ الْخَصَامُ \*  
وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ

(١) الزخرف: ٣٧ - ٣٦.

(٢) النساء: ٣٨.

\* وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتْقِنَ اللَّهَ أَخْدَتْهُ الْعَرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيُّسَ الْمَهَادُ )<sup>(١)</sup>.

شهد القرن المجري السابع وقائع عظام عصفت بالعالم الإسلامي وغير الإسلامي؛ فقد ظهرت قوة متغطرسة تلك هي (المغول) التي دككت ممالك ودَوَّحت أخرى فركعت تحطب ودَها، وكانت حاضرة الدولة العباسية ببغداد لا تخسد على ما هي عليه، فمثلها مثل بيت العنكبوت، إذ القصر الحاكم يبور بالفساد والعنف وبؤرة موبوءة بالدسائس والمؤامرات بين أفراد الأسرة الحاكمة! وللمرأة يد طولى في تحريك وتشويير الأمور؛ وللننصر الأجنبي دور في إفساد الراعي والرعية؛ منه أم الحاكم وزوجته ونساء الله والغناء، وبعض قادة الجيش ... وقد ذكروا أن هولاكو أمر بأن يُفرز جميع النساء اللواتي باشرهن المستعصم وبُنُوه، فُعْلِنَ عن غيرهن فكُن سبعمائة امرأة أخرى معهن ألف وثلاثمائة وصيف وخامدم!

كانت أخبار المغول وتمديداً لهم تترى على بغداد، والمستعصم سادر في ملذاته غافل عن الطلب الذي أرسله إليه هولاكو يأمره فيه أن يرسل إليه مجانيق ليديك بها بغداد!! وفي كل نوبة لم يكن للمستعصم من يمحضه النصح والرأي في معالجة المغول إلا الوزير ابن العلقمي، فيتبادر رحال السوء ممن حسد ابن العلقمي حظوظه عند المستعصم مما يزالون به حتى يستنزلوه، وهكذا حتى وقعت النوبة ودخل المغول بغداد وكان الذي كان.

---

(١) البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦.

زامَنْ عاصفة المغول فتنة أعظم وأشدّ انبعثت من داخل الكيان الإسلامي؛ فإنَّ الفاتح لم يمضِ عليه حين حتَّى ضعف وانحني أثره وبغداد ضمَدت جراحها ولو بعد حين؛ إلَّا أنَّ حالَ ضَرُع شيطان قد حمل لواء فنته لنشر أفائه وبدع خالف بها القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وجماع مذاهب المسلمين؛ وما زالت فنته تتمَّ ظلامها وضلالها حتَّى يومنا متَّحدة من أرض الزلازل والفتَن حيث يطلع منها قرن الشيطان (نجد) مأوى لها في حركة تكفيرية إرهابية وهابية تيميه؛ فلا عدم الشيطان أبداً!! صاحب الفتنة تلك: ابن تيميه، واسمُه أحمد، وتيميه هي الجد الرابع! التي إليها ينتهي كلَّ أخوانه وأعمامه؟! وهذه واحدة من عقده التي سنعرض لها.

من عقيدة ابن تيميه هذا القول بتشبيه الله وتحسيمه ورؤيته في الدنيا وأنَّه على عرشه بذاته، وأنَّه يتحرك ويتنقل ويصعد وينزل ويتكلّم بحرف وصوت، وأنَّه خلق آدم عليه السلام على صورته. ولأمرٍ سيَّتضح أنَّكر خلود جهنَّم! وأنَّ جهنَّم لا يسكت زفيرها حتَّى يضع الرحمن ساقه فيها!! هاجم الأشعرية، والمعتزلة، والصوفية ...، واحتضنَّ أهل بيته النبي ﷺ وشيعتهم، بالقسط الأوفر خصوصاً في كتابه (منهج السنة) سباباً مقدعاً وكذباً لا حدَّ لوصفه، وأنَّكر كلَّ فضيلة لأهل البيت عليهم السلام وفضل عليهم بني أميَّة والخوارج والتواصِب!!!

والذي أثار عليه حفيظة الأمة الإسلامية بشامها ومصرها: أنَّ ابن تيميه هذا، نال من رسول الله ﷺ؛ فقد أفتى بتحريم شدِّ الرحال لزيارة قبر رسول الله ﷺ وزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام، والأولياء، وجعل السفر إليهم سفر معصية! فاعتقل

و طيف به في سكك دمشق مضروباً بالدرة، ثم عُقد له مجلس قضاء وحبس بقلعة دمشق ثلاثة مرات في كلّ مرّة يعلن توبته وبرأته من عقيدته! فيخرج فيعود لفتنته (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا)، ليعود إلى السجن بحكم القضاة للمذاهب الثلاث: الشافعى والمالكى والحنفى؛ وهكذا في المرة الثالثة إذ انضم إليهم القاضى الحنبلي. وأماماً التّهم الموجّهة لابن تيمية فهي: الفسق، الزندقة، الكفر، التفاق...؛ وفي المرة الثالثة من سجنه لم يتبرأ من عقيدته ومات عليها في سجن دمشق سنة ٧٢٨ هـ؛ ليحمل راية عقيدته رجال أوفياه له منهم: ابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقى، الذى أشرب في نفسه الولع والإكثار لابن تيمية وتعشّق آراءه وفتاوه فنانه العقاب وسُجن مرات عدّة ولكنّه نجا ليشتّع أستاذه ويعاهده على أن يكون القيم الوفي على إحياء عقيدته وآرائه. ومنهم تلميذه ابن عبد الهادى الذى تجاوز الحدود فلم يكتفى بإظهار الحماس لعقيدة ابن تيمية في ذات الله تعالى، ورسوله ﷺ، وإنما شنّ الغارة الشديدة على علماء وقضاة المذاهب الإسلامية الذين عارضوا شيخه وأصدروا أحكامهم العادلة بحقه.

ومن تلامذته يوسف المزري (ت ٧٤٢ هـ) السلفى، كان معجباً في أول أمره بابن تيمية؛ ثم لما تبيّن له حاله وخُبِث طويته، ابتعد عنه حتّى أنه لم يترجم له في موسوعته (تمذيب الكمال في أسماء الرجال). وتلميذ آخر كان مسحوراً بابن تيمية، لا يخرج عن قول يقوله! ذلك هو الذهبي الحنبلي؛ فلما انكشف حال ابن تيمية؛ باعده وكتب إليه كتاباً طويلاً ينصحه على ترك سفاسفه التي أدّت إلى إضعاف الأمة الإسلامية... ويأسف على الأيام التي أمضها معه!

عصم الله أمتنا الإسلامية من مضلالات الهوى ومردّيات الفتن وقطع قرن

الشيطان المنبعث من أرض البقات الكاذبة: مسيلمة الكذاب، وسجاح التميميين النجديين، وقد ضمّ مسيلمة نبّوة سجاح إلى نبوّته في ليلة! وقطام وكحيلة.. من تميم قوم ابن عبد الوهاب النجدي التميميّ الخارجيّ الثالث الذي انتهت إليه راية ضلاله الخارجي الثاني: ابن تميمه.

تأخر إسلام نجد حتّى العام التاسع وجاء وفُد تميم يظهرون إسلامهم وفيهم وفي قبائل نجدية أخرى نزلت سورة الحجرات، وأيات من سورة (المنافقون)؛ ولم يستقم إسلامهم، وظهر فيهم رجال ونساء من تميم ادعوا النبّوة وشكّلوا خطراً على الإسلام؛ ومن نجد من تميم رهط ابن عبد الوهاب كان الخارجيّ الأوّل ذو الخويصرة التميميّ الذي خرج على رسول الله ﷺ، وحذّر منه النبيّ إذ قال: (يخرج من ضئضي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...)، وقد عقدنا باباً ذكرنا فيه رؤوس الخوارج ومحتمليهم نساءً ورجالاً نادراً من هو غير تميميّ نجديّ!، وما خارجة يومنا إلاّ أبناء نجد وأتباع أعراب نجد حاملي لواء الضلال التميميّ؛ وهم يغفون عن الكافر ويقتلون المسلمين كأسلافهم. هذه هي فتنة ابن تميمه وأفراخ السامرة، وليس فيهم ثمة مغوليّ. (والذي حبَّ لآيُّهُجُّ إِلَّا تَكِيداً) <sup>(١)</sup>.

وكان مجمع البحوث الإسلامية قد رأى أنّ من الأوجه أن يقدّم هذا الكتاب في ثلاث مجلّدات، تيسيراً لتناوله ومراجعته، وبياناً لموضعه المتعددة التي يصعب تناولها أو جمعها تحت عنوان واحد.

---

(١) الأعراف: ٥٨.

λ

## تمهيد

لم تحملني أحکام فُضاه المذاهب الإسلامية الأربعه التي أدانت ابن تیمیه بالفسق، والکفر، والزنقة، والتفاق..؛ وتعزیره والتشهیر به مکشوف الرأس على بغلة في سکك دمشق محدرين من آباعه، ونال الحنابلة بسببه أَدَى كثیراً وحبس منهم خلق واحتفى آخرون؛ وسجنه ثلثاً ثم موته في السجن.

ولا انفصال أشد تلامذته وأقرانه انهاراً به، وفضم الغری معه.

ولا الحملة ضده والتي صارت إجماعاً لم ينقطع من يومه حتى يومنا، لم يشدّ في ذلك مذهب من المذاهب وقد أثبت جدولأً بأسماء العلماء والمشايخ والأساتذة مِنْ تكلّموا في هذا الشأن. كل ذلك لم يكن هو الدافع عن الكتابة عن الرجل وإن كان مثيراً للانتباھ والتساؤل: علام هذه الصاحبة؟! فلنبحث بموضوعية.

قرأ ابن تیمیه بأقلام رؤاد، ورجعت إلى المتصفین، ثم عولت على كتبه التي هي بخطه مثل: العقيدة الحموية، والتفسير الكبير، والفتاوی الكبیر، وبيان موافقة صريح العقول لصحيح المنقول، والعقيدة الواسطية، والتوصیل والوسیلة؛

وضممتُ إليها ما وجدته في مصنّفات تلميذه الوفيّين: ابن عبد المادي (ت ٧٤٤ هـ) وابن القيم الجوزيّة (ت ٧٥١ هـ)؛ فوجدتُ المول ما رأيت وسمعت! رجل أبیض بض لم تصبه من سمرة العرب شيء، شعره أسود فاحم يصل شحمة أذنيه، تجاوز السنتين من عمره وهو في كل نشاطه، ولم يتحمّل أعباء الزواج والذرّة بعد! يجاجج في الله تعالى وصفاته.. وتعتريه حدة غير معهودة لدى أهل الكلام! وقد أوقف كتبه تلك على ما ذكرنا من عقیدته في تشبيه الله وتحسیمه ... وكل ما ذكرنا من الحوادث وصفات النّصّ التي هي صفات المخلوقات، تعالى ربّنا الواحد الأحد عن كل ذلك.

وقأت ابن تيمية في عقیدته بالنبي ﷺ؛ في كتابه: قاعدة حليلة في التوسل والوسيلة، وكتاب الزيارة؛ فوجدتَه يمنع من الشفاعة والتوجّه برسول الله ﷺ بعد موته، وناضل النّضال الشديد في تحريم زيارة قبر النبي ﷺ وقبر الخليل عليهما السلام وقور الأولياء واعتبر ذلك سفر معصية. هذا في عقیدته في المرسل تعالي، والرسول ﷺ . وأما في أهل بيته رسول الله وعترته؛ الثقل الثاني بعد القرآن الكريم وبهم غلب النبي نصارى بُحران يوم المباهلة، فكانوا معجزة النبي يومئذ وعلى نفسه وفاطمة نساءه والحسين وأبناءه وبهم أنزل الله تعالي آية التطهير، وفرض سبحانه مودّتهم ...

فقد وجدت ابن تيمية ناصبياً خارجيّاً، وكتابه (منهاج السنّة) بأجزاءه الأربع من القطع الكبير يبدأ وينتهي بالخطّ من أهل بيته النبي وتکذيب فضائلهم وخصائصهم، استكمالاً منه لمنهجه: المرسل، والرسول، وآل الرسول.

تبّع ابن تيمية نسبياً منقطعاً ينتهي إلى امرأة (تيمية)؛ فكانت هذه عقدته النفسية الأولى. وأثر البيئة في تكوينه الفكري (حران) مهد الصابئة، والنصرانية، وانتهى إلى قرها أحد الخوارج الذي سلما من معركة النهروان وتسلل هناك، واحتضنت حران مروان الحمار حتى قُتل وغلب على أهلها حبت الأمويين، قبيلته المجهولة؛ عقدة أخرى، التقلبات السياسية في عصره: هجوم المغول وفار أسرته إلى دمشق التي أكثر أهلها آنذاك هوام مع بني أمية، رجل تحاوز السنتين ولم يتزوج على ما ذكرنا؛ عقدة أخرى، طموحه في الإمامة الكبرى! فلم ينلها و Ashton غيره ونالوا مناصب القضاء والدرس، ونال هو التكفير والتعزير والسجن، ورأى شيئاً لأن يخرج من السماء أهون عليه من أن يراه، ذلك هو عالم الشيعة (المطهر الحلي) الذي وفقه الله تعالى لأن يؤثر على حفيد السلطان المغولي (خدا بنده) فاعتنق هذا مذهب أهل البيت؛ ولذلك قصة ناتي عليها. فاستشاط ابن تيمية وانتفخ سحره وتخلّى عن مهاجمته الفرق الإسلامية، ولو مهادنةً وخطب ودّ لظمه أكّم سيكونون له عوناً مع الشيطان؛ فخاب ظنه وزاد في إداناته، فاستدعي ومحقق وألزم بالاتفاق لستقيسه من مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام هذا في الدنيا، وفي الآخرة (هَا أَئْنُمْ هُؤُلَاءِ جَادَلُوكُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا<sup>(١)</sup>.

هادن ابن تيمية الأشعري بعد أن كان هدفاً لناره، فلعله بذلك يرضي فرق السنة، وراح يهملاً بسب الشيعة وعلمهم (الحلي) وأهل البيت عليهما السلام ظناً منه أكّم

---

(١) النساء: ١٠٩.

أئمّة الشيعة وليسوا قرآنًا يتلى في المحاريب، فإذا حذفت تلك الآيات كانت ردًّا على الله تعالى ورسوله! وكتب الحنابلة والمالكية والحنفية والشافعية مشحونة بفضائل أهل البيت، مضافةً إلى كتب التصانيف والسنن والسير والتاريخ.

بدأ ابن تيمية كتاب (منهاج السنة) بشتمة العالمة الحلي فقال: وإن من سمى نفسه بالمطهر هو أولى أن يسمى بالمنجس...، وإن كتابه الذي سماه (منهاج الكرامة) هو أولى أن يسمى بـ(منهاج الندامة)! ثم راح يسفّي يكذب كل فضيلة لأهل البيت عليهما الله بهجة حادة لا دليل له في كل ذلك إلا أن يقول: هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم! وإجماع أهل الحديث؛ ثم لا يذكر واحدًا من أولئك العلماء، والإجماع! ثم يلوذ بال المسلمين السنة، فيقول: هذا مخالف لقول أهل السنة والجماعة؛ وقصده من ذلك استغفال السذج ليحسبوه مسلماً من أهل السنة وأن قوله قولهم! فمن هم أهل السنة بمصطلحه المعروف، هل هم الخوارج والنواصب؟ أم المذاهب الإسلامية: الشافعية والحنفية، والمالكية، والحنبلية؛ الذين قامت قيامتهم على ابن تيمية الله ورسوله وأوليائه...؟! ولم يقل من السنة ممن عاصر العالمة (الحلي) أو جاء بعده كلمة نافيةٌ مما قالها ابن تيمية فيه، إنما كان محل احترام وإعجاب وتبجيل.

ومن منهاجي في البحث أتيت اخترت لهذا الكتاب هذا العنوان (نقد منهاج ابن تيمية)، للمجلد الثاني (ابن تيمية، نقد منهاجه) فكلمة (منهاج) لو قلبت صارت (جهنم) إزاء كتاب ابن تيمية (منهاجاً السنة) الذي هو في حقيقته منهاج البدعة والضلالة والتاتسيبة العميماء...! ولذا كان الأصل في البحث هو نقض النقض ورد

مفتيات ابن تيمية في منهاجه. وقد عولت في هذا المدخل واعتمدت القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل أبداً، ثم تناولت كتب السيرة ممن عاش أصحابها القرن الأول وتوفوا منتصف القرن الثاني المجري، أو أوائل القرن الثالث المجري، وكتب الصحاح للبخاري ومسلم والترمذى، والمسانيد للطیالسی (ت ٢٠٤ هـ) وأحمد (ت ٢٤١ هـ) وأبي يعلى (ت ٣٠٧ هـ) والمسند الحمیدی (ت ٢١٩ هـ) ومسند أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) وتاريخ البخاري، وتفسير القرآن لابن وهب (١٣٥ - ١٩٧ هـ) وتاريخ خليفة (ت ٢٤٠ هـ) والمغازي للواقدي (٢٠٧ هـ) والموقیات للزیر بن بکار (ت ٢٥٦ هـ) والمعرفة والتاريخ للفسوی (ت ٢٧٧ هـ) والمصنف لابن أبي شییه (ت ٢٣٥ هـ) والمصنف لابن أبي شییه (ت ٢٣٥ هـ) والمصنف لعبد الرزاق (ت ٢١١ هـ) وتفسیر القرآن العزیز، له، وتفسیر سفیان الثوری (ت ١٦١ هـ) وتفسیر مقاتل (٨٠ - ١٥٠ هـ) وكتاب الفضائل لأحمد بن حنبل، وأنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، وأسباب النزول للواحدی (ت ٤٦٨ هـ) وأحكام القرآن للحصاص (ت ٣٧٠ هـ) والاستیعاب لابن عبد البر المالکی (ت ٤٦٣ هـ) وأسد الغابة لابن الأثیر الشافعی (ت ٦٣٠ هـ) والإصابة لابن حجر الشافعی (ت ٨٥٢ هـ) والأغانی لأبي الفرج الإصفهانی (ت ٣٥٦ هـ) والإمامۃ والسياسة لابن فتنیة (ت ٢٧٠ هـ) والبحر الخیط في تفسیر القرآن لمحمد بن يوسف أبو حیان الأندلسی (ت ٧٤٥ هـ) وتاريخ بغداد للخطیب البغدادی (ت ٤٦٣ هـ)، وسنن ابن ماجحة وسنن التّسائی (ت ٣٠٣ هـ)، والسنن الکبری للبیهقی (ت ٤٥٨ هـ)، وخصائص أمیر المؤمنین للنسائی، والطبقات الکبری لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، وتاريخ الیعقوبی (القرن

الثالث المجري)، وتاريخ ابن معين (ت ٢٣٣ هـ)، ومروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (ت ٤٠٥ هـ)، ومشكل الآثار للطحاوي الحنفي (ت ٣٢١ هـ)، ومصايح السنة للبغوي الشافعى (ت ٥١٦ هـ)، ومعالم التنزيل للفراء الشافعى (ت ٥١٦ هـ)، ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى، والمعجم الكبير، والصغرى، كلاهما للطبرانى السلفى (ت ٣٦٠ هـ)، وتاريخ الطبرى، وتفسيره، وتدكرة الخواص لسبط ابن الجوزى، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمّة لابن الصبّاغ المالكى، وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحسكائى الحنفى (ت ٤٩٠ هـ)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، تاريخ الإسلام للذهبي الحنبلي، وسير أعلام النبلاء، له، والغير في خبر من غير، له، وجمهرة النسب لابن الكلبى (ت ٢٠٤ هـ)، وشفاء السقام في زيارة خير الأنام لشيخ الإسلام تقى الدين السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ)، ودفع الشبه عن الرسول والرسالة للإمام تقى الدين الحصيني الدمشقى (٧٥٢ - ٨٢٩ هـ)، والسيف الصقيل: كتبه السبكي ردًا على ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيميه؛ والكتابة عن الأبناء تبقى واحدة لوحدة الأصل والبني في العقيدة والأفكار والسبكي في سيفه شن حملةً على ابن القيم في عقيدته في التجسيم...، وما يتفرّع منها من كفرياتُ أستاذه ابن تيميه، وللكوثري حاشية مع كل جملة ذكرها السبكي في أصل كتابه، ثم الحق الكتاب بخاتمة مشكورة تلك هي رسالة الذهبي الذي تيقظ لنفسه فطلق أفكارُ أستاذه ابن تيميه ثم بعث إليه تلك الرسالة الذهبية الطويلة يأسف فيها على أيام أمضاها مع هذا الرجل ويحدّره عاقبة أمره ... أثبّتناها في فصل أصحاب الردود.

هذا بعضٌ من مصادرنا التي آتينا في منهجنا أن نحاكم ابن تيمية وقد انتهى إلى رب لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض، نسأله تعالى أن يعامله بعدله إنه عزيز ذو اقتدار؛ إلا أنّ رأينا أنّ الوظيفة الشرعية تستعينا أن نضع يد القارئ الكريم تمهيداً وقبل اللوج في أصل البحث على كشف قناع المفترى العنيد فهل وجدت أخي الغيور فيما ذكرت لك مصدرًا شيعياً؟ وستجد ضعف العدد هذا بل ويزيد بكثير، ممن تصدّى لابن تيمية، أو أثبتت فضائل وخصائص أهل البيت عليهم السلام، التي أنكرها ابن تيمية في منهاج ضلاله.

بعد المقدمة والتمهيد حان أن ندرس ابن تيمية، فكان:

**الم geld الأول:** حياته؛ أسرته تنتهي إلى امرأة، تيمية مجهولة؟ منحدرها القبلي مجهول؟ بيته: حزان، منشبك الصباة واليهودية والأموية والخارجية والتصرانية، إلى دمشق أموية الموى. عصره السياسي: ظهر أقوى موجة عصفت بالممالك، ففررت أسرته إلى دمشق. نزاعه مع الفرق الإسلامية. مع ابن عريبي. عقيدته في تشبيه الله تعالى وبتجسيمه وأنه محل الحوادث ...، منهجه في التفسير. عقيدته في التوسل بالنبي عليه السلام وزيارة قبور الأنبياء والأولياء. قصة تشيع خدابنده.

ابن تيمية في مجلس القضاة. نهاية المطاف في السجن الثالث.

**الم geld الثاني:** تتبع فيه عشرات ابن تيمية وسقطاته وسبابه بحقّ أهل بيته الولي وشيعتهم في كتابه (*منهاج السنّة*) فوجده رجلاً أشاح عن القرآن وجهه، وأسع هُنّاث تركاضه، فقد أوعكه رجال القرن المجري الأول بما بعد يُخبتون

للقرآن والسنّة في شأن البيت العلوّي العلوّي لم يشاركهم بذلك خارجي ولا أموي، فوجده ينكر وذرعه إجماع أهل المعرفة بالعلم ...، وأهل الحديث، وأهل السنّنة؛ وبعد الرجوع إلى المصادر رأى ربت على الخمسين أو السبعين أو أكثر!

مسألة أخرى في منهاجه: وهو ينكر، فإنه يُطيل بما لا طائل فيه، ثم يفرّغ في الإنكار تفريعات لا معنى لها إظهاراً منه للسذاج أنه كثير العلم.

وهو إذ يرى مصيره الذي هو صائر إليه، إلا أنه العnad الإبلسي! تجده ينسى أو يتناهى فيذكر المطلب في أكثر من موضع وأكثر من جزء من أجزائه الأربعة.

المحلّ الثالث: أصحاب الردود: جمعت فيه جمّاً من علماء وأساتذة وفقهاء المسلمين بمختلف مذاهبهم من عاصروا ابن تيمية وحتى يومنا من رد على الرجل زيادة في الحجّة.  
والله ولي التوفيق

## تعريف بـ (ابن تيمية) ٦٦١ - ٧٢٨ هـ

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن الحضر بن تيمية الحزاوي، ثم الدمشقي،  
الحنبيّ.<sup>(١)</sup>

وأختلفت بعض المصادر في عدد أجداده انتهاءً إلى تيمية؛ فاتفقت جميعها على عدم تعدد  
تيمية، وما ذكرناه من نسبة مأخوذ من كتابه (منهاج السنة) وكتابه الآخر (علم الحديث) و  
(تاريخ ابن الوردي) وكتاب تلميذه الوفي: ابن عبد

(١) منهاج السنة، لابن تيمية ١: ٤١، وعلم الحديث، له ٤١، والعقود الدرية في مناقب ابن تيمية، لابن عبد الهادي ٩،  
وتاريخ ابن الوردي ٢: ٢٧٥، وتدكرة الحفاظ، للذهبي ٤: ١٤٩٦، والواي بالوفيات، للصفدي ٧: ٢٩٦٤/١٥،  
والبداية والنهاية، لابن كثير ١٣ و ١٤ عدّة مواضع وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٦: ٨٠، والنجم الزاهرة في  
ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي ٩: ٢٧١، والمنهل الصافي ن له، ١: ٣٥٨، وعقد الجuman، لبدر الدين العيني ٢  
و ٣ عدّة مواضع، ودائرة المعارف الإسلامية ١: ١٠٩، وتاريخ ابن خلدون ٥: ٤٧٤، والبدر الطالع، للشوکانی ١:  
٤٠/٦٣، وابن تيمية حياته وعصره، لحمد أبي زهرة.

المادي (العقود الدرسية).

في حين ذكرت بعض المصادر له خمسة، وأخرى سبعة، فيما ذكرت أخرى لصاحب الترجمة ثلاثة أجداد وكلّها تنتهي عند (تيميه)، فالأسرة جمِيعاً إخواناً وأعماماً، تُعرف بأسرة ابن تيميه.

استباق الأحداث: كان علينا أن نتكلّم عن تاريخ مولد صاحب الترجمة، وببيته، وتعريف بأمه ونسبها وقبيلتها ... على ما جرى عليه المترجمون؛ إلا أنّ أمراً استوقفنا متسائلين: علام انتهت سلسلة نسب هذا الرجل الذي أحدث ضجة وصار أمّة رغمقيمة عليه وعلى أتباعه من الحنابلة، وما سمعته من التشنيع به والتشهير، وتكفيره وتفسيقه وزندقته والتعزير، ومותו بالسجن؛ فنفّخ الشيطان بعقيدته وآرائه من أرض الزلازل والفتن (نجد) فعاد ابن تيميه في حركة وهابية!

إنّ استباق الأحداث في المنهج فرض نفسه: من هو هذا (الجد) الذي تنتهي إليه هذه الأسرة (تيميه) ذكر هو أمّي، ما حظّه من الخير ومنزلته الاجتماعية، هل كان مثل حفيده صاحب الترجمة (أحمد بن عبد الحليم) شيخ الإسلام - كذا، والإمام المطلّق؟!

الجواب: إنّ تيميه، امرأة.

ملاحظة جديرة بالتحقيق: ليس في تاريخ العرب ولا النّصارى أن تنتهي أسرة واسعة إلى امرأة، وجعل الإسلام النّسب للأباء، ولم أجد ملّة جعلت النّسب للأمهات إلا: اليهود.

منزلتها العلمية: كانت واعظة<sup>(١)</sup>.

### تسمية تَيِّمِيه

وقع اختلاف قليل في المناسبة التي بها سُمِّيت (تَيِّمِيه)، حتّى من قبل بعض الأسرة!

قال ابن خلّakan في ترجمته لـمحمد بن الخضر الحراّي: (محمد بن الخضر ... المعروف بابن تَيِّمِيه الحراّي، الخطيب الواقظ الخنبائي).

قديم بغداد وسمع الحديث بها من شهادة بنت الإبرّي، وابن البطّي، وصنف في مذهب الإمام أحمد. وكانت إليه الخطابة بحران، وأهلها من بعده.

ولد سنة اثنين وأربعين وخمسمائة، بمدينة حران. وتوفي بها سنة إحدى وعشرين وستمائة.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في حقّه: كان ضئيناً (أي حسوداً) بحران، متى نبغ فيها أحد

لا يزال وراءه حتّى يخرجها منها ويبعده عنها!

قال: وذكره أبو البركات ابن المستوفى في (تاريخ إربل) فقال: ورد إربل حاجًا في سنة أربع وستمائة فسألته عن اسم تَيِّمِيه، ما معناه؟ فقال: حجّ أبي أو جدّي، أنا أشكّ أيهما، قال:

وكانت امرأته حاملاً، فلماً كان بتَيِّماء، رأى جنّيرية قد خرجت من خباء، فلماً رجع إلى حران وجد امرأته قد وضعت جارية، فلماً رفعوها إليه قال: يا تَيِّمِيه، يا تَيِّمِيه، يعني أَنَّها تشبه التي رآها

بتَيِّماء، فسُمِّي بها، أو

---

(١) المصادر جمِيعاً، ولم ترد.

كلاماً هذا معناه.

قال ابن خلّكان تعقيباً على ذلك، ويَمِيَّاء، بُلْيِدَة في بادية تَبُوك إذا خرج الإنسان من خَيْر إليها تكون على متصف طرق الشام، ويَمِيَّاه منسوبة إلى هذه البُلْيِدَة، وكان ينبغي أن تكون يَمِاوىَة، لأنَّ النسبة إلى يَمِيَّاء يَمِاوى، لكنه هكذا قال واشتهر كما قال<sup>(١)</sup>!

### وقفة تأمل

إنَّ صفات الخير، وصفات الشر تُتَوارث كما تُتَوارث الصفات الْخَلْقِيَّة (البدنية) ولذا دعا رسول الله ﷺ وندب إلى التحرّي في اختيار الزوج والزوجة من حيث صلاح دينهما لسريان ذلك إلى ذرتهما، قوله ﷺ في أنَّ الحال أحد الصحيعين، إشارة لما يتَّصل من صفات سيئة أو حميدة إلى الذُّرُّية.

وهذا هو الحد الأعلى (ما قبل الحد المرأة المجهولة: يَمِيَّاه!) حظه من العلم أن يأخذ الحديث من امرأة مجهولة لم أحد لها ترجمة (شهدة بنت الإبري)، قد كان حسوداً (ضنينا) ما أن يبلغ أحد بحُرَّان حتى يكون وارءاً حتى يخرجها منها...؛ فورث هذه الصفة الإبليسية صاحب ترجمتنا أحمد بن يَمِاوىَه! ونجد غيره من إخوته أحسن صفتة أنه (أقل شرّ).

---

(١) وفيات الأعيان، لابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) ٤: ٣٨٦ - ٣٨٨ - الترجمة ٦٥٧، والوافي بالوفيات ٣: ٣٧، والعقود الذرية ١٤.

## عُودٌ عَلَى تَيْمِيَّه

إن قول جد صاحب الترجمة: (حج أبي أو جدي، أنا أشك أيهما ...) أقول: ونحن أكثر شگاً؛ فقد قلنا أن النسب للآباء لا للأمهات، أمّا أن يننسب فردٌ ولمناسبةٍ إلى أمّه فليس بوجهٍ كما قلنا كما الأمر في الانتساب لسيدة نساء العالمين فاطمة الطاهرة بنص القرآن الكريم ابنة سيد الرسل ﷺ، وكفى بذلك محتداً وفخراً، وسلسلة النسب العلوية أعلى من أن تطاله يد آثم.

إذن: تَيْمِيَّه، أمَّ مَنْ؟! أمُّ الحضر، أو محمد بن الحضر؟!

وَثُمَّ مسأله جديرة بالنظر:

إن الرجل إذا سمى ابنته أو ابنته، كثي به أو بها: أبو فلان، أبو فلانة، أمّا أن يُسمى بمولوده فأمر لم نسمع به حتّى بحُمُّر هذه الأسرة الحرّانية.

وتحتطف هذه الرواية في شيء: فقد ذكرت مصادر أخرى أن تلك الجبورية كان اسمها (تَيْمِيَّه). وذكروا القصة السالفة في تسميتها وفيها: (فرأى هناك اسمها تَيْمِيَّه، ثم رجع فوجد امرأته ولدت بنتاً فسمّاها تَيْمِيَّه) <sup>(١)</sup>.

ونختتم ترجمة تَيْمِيَّه التي بقيت مجهلة الحال، ولم يترجم لها المزيي السلفي كما ترجم لغيرها من النساء، بل وترجم لمن سماهن المجهولات! ولا ابن خلّكان ...، فنختتم ذلك ببيت شعر من قصيدة لابن الوردي يرثي بها صاحب

---

(١) ابن تَيْمِيَّه، حياته وعصره، محمد أبي زهرة ١٧.

الترجمة:

بنو تَيْمَيَّهُ كَانُوا فِي سَبَانِيَا نَجُومُ الْعِلْمِ أَدْرَكُهَا اغْبَاطٌ<sup>(١)</sup>

والدُّتُّهُ

هي سِتَّ الْبَنَّام بنت عبدوس الحرازية، توفيت بدمشق سنة ٧١٦ هـ، ولدت تسعة بنين ولم يُرزق بنتاً<sup>(٢)</sup>، عُرف منهم غير (صاحب الترجمة): بدر الدين أبو القاسم أخو الشيخ ابن تَيْمَيَّهُ، كان فقيهاً ساكناً قليلاً الشَّرَّ! توفى سنة ٧١٧ هـ<sup>(٣)</sup>.

وعبد الله بن عبد الحليم بن تَيْمَيَّهُ الحرازية الحنبليّ، وهو أصغر سنًا من أخيه أحمد. توفى سنة ٧٢٧ هـ<sup>(٤)</sup>.

وأخوه زين الدين عبد الرحمن وهو الذي تولى الصلاة على أخيه أحمد بن تَيْمَيَّهُ عند وفاته<sup>(٥)</sup>.

### تعليق

كما ظهر لنا مجهولية حده الأعلى (تَيْمَيَّهُ)، فإن المتصادر لم يسعفنا بوميض نورٍ ختدي فيه إلى شيء عن أمّ صاحب الترجمة سوى:

(١) تاريخ ابن الوردي ٢٧٦ : ٢.

(٢) نفسه ٢٥٦ .

(٣) نفسه ٢٥٧ .

(٤) نفسه ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٥) العقود الدينية، مصدر سابق ٣٧١ .

سِتّ النَّعْمَ بنت عبدوس الحَرَائِيَّةُ. ومن خلال التسمية تجدها هجينًا وليس عربيةً.  
ذكر شيخ الأزهر محمد أبو زهرة في هذا المقام، قال: (ولم يذكر المؤرخون شيئاً عن أمه. ولا  
قبيلها، وهي في الغالب ليست عربية) <sup>(٦)</sup>.

#### قبيلته

وللأسباب المتقدمة وغيرها، صار منحدره القبلي مجهولاً وعرضة للتكلبات. فإن أحداً من  
ترجم له، حتى من عاصره منهم وتلامذته ومحبوه بتعصب كالذهبي، وابن عبد الهادي، والصفدي،  
وابن الوردي، وابن كثير؛ لم ينسبوه إلى قبيلة عربية أو أعرابية، كردية أو غير ذلك؟!  
وهكذا فعلوا في ترجمة كل واحد من آبائه؛ فلم نجد في تراجمهم جميماً، وفي تراجم أعمامه إلا:  
فلان بن فلان تَيَّمِيَّهُ الْحَرَائِيُّ الْحَنْبَلِيُّ.

ولشيخ الأزهر أبو زهرة تعقيب على ذلك، قال:

(لم يذكر المؤرخون الذين قرأتم لهم القبيل الذي تنتهي إليه أسرة ابن تَيَّمِيَّهُ. فلم يذكروا له نسبة  
إلا أنه الحَرَائِيُّ فنسبوه إلى بلده حَرَانَ موطن أسرته الأولى، ولم ينسبوه إلى قبيلة من قبائل العرب،  
وإن هذا يشير إلى أنه لم يكن عربياً، أو لم يعرف أنه عربي منسوب إلى قبيلة من القبائل العربية،  
ولذلك نستطيع أن نفهم أو أن نعلم عملاً ظنناً أنه لم يكن عربياً، ولعله كان كردياً، وهم قوم ذوو

---

(٦) ابن تَيَّمِيَّهُ، حياته وعصره، محمد أبي زهرة ١٩.

همة وبأسٍ شديد، وفي أخلاقهم حدة، وإن تلك الصفات كانت واضحة جلية فيه ...<sup>(٦)</sup>.

## خلامة

فكمَا سُمِّيَتِ الْجَارِيَةُ بِاسْمِ (تَيْمَاءَ) الْمَوْضِعِ الَّذِي مَرَّ بِهِ أَبٌ أَوْ جَدٌ صَاحِبُ التَّرْجِمَةِ؛ وَالشَّكُّ لِيُسْ مَنَّا وَإِنَّمَا مِنَ الْجَدِّ الْأَعْلَى مَا قَبْلَ تَيْمِيَّهِ عَلَى مَا قَرَأْتَ! إِلَيْهَا تُسْبَّتُ الْعَشِيرَةُ؛ فَكَذَلِكَ صَاحِبُ التَّرْجِمَةِ يُسْبَّ إِلَى مَوْضِعِيهِمَا: (تَيْمَاءَ) وَالثَّانِي (حَرَّانَ).

فَهُوَ: تَيْمَاوِي حَرَّانِي، نَزِيلُ دَمْشَقٍ. وَكَذَلِكَ حَالُ أَتَبَاعِهِ، بِالْتَّبَعَةِ، إِلَّا دَمْشَقٌ بِالنِّسْبَةِ لِخَارِجَةِ عَصْرِنَا فَهُمْ تَيْمَاوِيونَ بَجْدِيَّونَ تَمِيمِيَّونَ وَهَابِيَّونَ.

## صفاته البدنية

رجل أبيض أعين ربيعة بين الرجال أسود الشعر يصل شعر رأسه إلى شحمة أذنه، جهوري الصوت، تأخذه حدة ورعدة عند الجدال ولم تغير النوايب على شدّتها وقد بلغ من العمر سبعاً وستين سنة حين وفاته سنة (٧٢٨ هـ) إذ ولد سنة (٦٦١ هـ) إلّا شعراتٍ في لحيته، بعيد ما بين المنكبين قوي الساعد.

مع صفات الجمال البدنية التي ذكرها ابن الوردي تلميذه؛ فقد ذكر أنه لم يتزوج ولا تسرى!  
ولما كان له من العلوم إلّا شيء قليل، وكان أخوه يقوم

---

(٦) ابن تيميه، لأبي زهرة، مصدر سابق ١٨.

بمصالحه ...، والله لو لا تعرّضه للسلف لزاحمهم بالمناكب <sup>(١)</sup>.

يُسأَلُ القارئُ وَأَنَا مَعِهِ عَنِ السَّرِّ؛ وَحِيَاةُ أَحْمَدَ بْنَ تَيْمِيَّهِ كُلُّهَا أَغَازَ وَمَبْهَمَاتٍ مِنْذُ شَرَعْنَا بِالْبَحْثِ وَمَا يَأْتِيُ أَكْثَرَ! يُسَأَلُ: هَذَا الَّذِي اتَّخَذَهُ أَعْرَابٌ بَجْدَ الْوَهَابِيَّونَ مُثْلَمَا اتَّخَذُوا أَسْلَافَهُ مَعَاوِيَةً وَبِزِيدٍ، وَقَطَامٌ وَكَحِيلَةٌ وَغَيْرُهُمَا مِنْ مُجْتَهَدَاتِ الْخَوارِجِ التَّجَهِيدِيَّاتِ التَّمَيِّمَاتِ قَدْوَهُ، حَتَّى رَفَعَ رَايَةَ النَّصْبِ الْخَارِجِيَّةِ سَلْفَهُمُ الَّذِي أَنْسَاهُمْ ذَكْرَ الرَّحْمَانِ، فَعَبَدوهُ إِذْ جَسَدَهُ وَقَاسَهُ لَهُمْ بِنَفْسِهِ ...، فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يُعَبَّدَ وَيُطَاعَ مِنْ هُبْلٍ وَإِسَافٍ؛ وَقَدْ أَفْتَاهُمْ بِحُرْمَةِ زِيَارَةِ الْقَبُورِ؛ فَخَرَّبُوهَا! وَسَيَّأَتِيَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يَخْشُونَ أَحَدًا فَيُخَرِّبُوا قَبْرَ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي سُبَاتٍ!.

وَالسُّؤَالُ: رَجُلٌ فِي الْعَدَدِ السَّابِعِ مِنْ عُمْرِهِ، لَا عِيبٌ فِي بَدْنِهِ أَبْيَضٌ، أَعْيُنٌ (أَيْ وَاسِعَ الْعَيْنِ)، رِبْعَةٌ وَهُوَ بَيْنَ الطُّولِ وَالْقُصْرِ، شَعْرُهُ مُسْتَرْسَلٌ أَسْوَدٌ، فَمَاذَا تَرِيدُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ؟! أَمْ هُنَاكَ سَبَبٌ بَدِينٌ خَفِيٌّ لَا نَعْلَمُهُ وَيَعْلَمُهُ هُوَ فِي خَافَّ مِنْ عَاقِبَةِ الزَّوْجِ؟ أَوْ أَنَّ السَّبَبَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْوَرْدَيِّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ كَلَّاً عَلَى أَخِيهِ، فَهُوَ الَّذِي يَقُومُ بِمَصالِحِهِ وَيُوْفِرُ لَهُ عِيشَةً، فَيَمَا هُوَ مُنْشَغَلٌ بِالْخُصُومَاتِ مَعَ الْأَطْرَافِ جَمِيعًا إِلَّا الْيَهُودُ وَالشَّيْطَانُ. وَمَنْ هَذَا دَأْبُهُ فَهُوَ فِي حُوفَّ مِنْ عَالَةِ الْزَوْجَةِ وَالذَّرِّيَّةِ إِنْ كَانَ لَهُ الْإِمْكَانُ عَلَىِ الْإِنْجَابِ.

---

(١) تَارِيخُ ابْنِ الْوَرْدَيِّ ٢٧٩ : ٢.

فَابْنُ تَيْمِيَّهِ قَلِيلُ الْعِلْمِ بِإِقْرَارِ تَلَمِيذهِ؛ وَهُوَ غَيْرُ سُنِّيٍّ إِذَا يَأْخُذُ بِرَأْيِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ الْمُعْرُوفَةِ وَإِنَّمَا يَقْوِمُ لِدِيهِ الدَّلِيلُ، وَهُوَ عَلَوْ وَخَصْمُ لِلْأَشْعُرِيِّ رَأْسَ السَّنَّةِ وَبِرَا مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالصَّوْفَيَّةِ وَيُكَفَّرُ الشِّيَعَةَ ثُمَّ يَتَعَرَّضُ لِلْسَّلْفِ!!

ثم إن ابن الوردي كان جريعاً فلم تمنعه حنبليته ولا تلمذته التي بقي عليها ووده لابن تيبيه أن يقرر أن أستاذه كان قليل العلم!

ولعل البعض يعذر ابن تيمية وهو يسلك هذا المنهج الذي كانت فيه حياته، فلو كان غيره لمنهجه لاشتكاك العقد والعاهات التي ذكرناها وتأثيرها في نفسه، ثم بيته، وعامل الوراثة والتقلبات السياسية والأجواء الدينية في عصره ... فلنر.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تلاقحت حَرَّان<sup>(١)</sup>، ودمشق في تكوين شخصية ابن تيمية، خَلَّ سَنِين قَلِيلَة قَلْقَةً أَمْضَاهَا بمصر بعد أن جاوز الخامسة والأربعين، ثُمَّ عاد إلى دمشق.

ففي حَرَانَ وُلدَ، وَهِيَ مُوْطَنٌ لِآبَائِهِ الْأَوَّلِ وَمِنْهَا تَحَوَّلُ إِلَى دَمْشَقَ. وَفِي حَرَانَ أَمْضَى سِنِّهِ السِّبْعَ الْأَوَّلَ، وَفِي مَثْلِ هَذَا الْعُمُرِ يَكُونُ ابْنُ آدَمَ أَكْثَرَ اسْتَعْدَادًا لِلتَّلْقِيِّ وَالتَّأْثِيرِ بِمَحِيطِهِ وَأَفْكَارِ عَصْرِهِ. وَتَأْسِيسًا عَلَى ذَلِكَ أَولَتُ التَّرِيَةُ الْحَدِيثَةَ هَذِهِ الْمَرْجَلَةَ مِنَ الْعُمُرِ عَنْيَةً فَائِقَةً وَأَوْصَتَ بِتَهْيَةِ الْجُوَّ الْأَمْثَلِ لِلطَّفَلِ خَلَالَهَا ذَلِكَ أَنَّ تَأْثِيرَ الْبَيْعَةِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ مِنْ تَأْثِيرِ عَامِلِ الْوَرَاثَةِ الَّتِي مَعَ خَطْرِهَا فَإِنَّمَا غَيْرَ مَرْتَبَةِ بَسْرٍ مَعِينَةً.

وأعطى الإسلام عناته بهذه المرحلة إذ قسم عمر الإنسان إلى مراحل فرّك على هذه المرحلة من وجب حسن التربية والعناية لأنّها الأساس لما

(١) شمال سوريا، وهي ضمن الأراضي التركية الآن.

بعدها. وكان العرب قبل الإسلام يختارون ملوكهم مرضعات من الباذنة، ولا يستردونهم حتى يبلغوا السادسة من العمر. فكيف كانت ملامح موطن ابن تيمية، حَرَّان؟

حرَّان موطن الصابئة والصابئين من أقدم عصور الإسلام. ويزعم الصابئون أنَّ ماني الشَّنويَّ من أهل حرَّان، قال بالاثنين: أي أصلين للملحوقات هما النور والظلمة، أو الخير والشرّ، فضارع قول المحسوس. ووضع أناجيل وتسمى مسيحًا فضارع قول النصارى، وقتل ساپور على الزندقة.

ولهم قول أنَّ دَيْصان الرَّنديق هو من أهل حرَّان، وقد ولد من زناً، وُجِدَ منبودًا على نهر دَيْصان، فسُمِّيَ به.

ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخامسة المتحيَّرة ببيوت أشرافها، والمحيَّرة: زُحل والمُشتري والمريخ والزهرة وعطارد، وبظاهر حرَّان مكان يحجُّونه، ويقولون: إنَّ أهرام مصر أحدها قبر شيش بن آدم، والآخر قبر إدريس وهو خنزير، والآخر قبر صابئ بن إدريس الذي ينتسبون إليه ويعظِّمون يوم دخول الشمس الحمل فيتربَّون ويتهدرون فيه<sup>(٦)</sup>.

وذكر المسعوديَّ، قال: وقد حكى رجل من ملكية النصارى من أهل حرَّان

(٦) تاريخ ابن الوردي ١: ٦٩ - ٧٠، ومعجم البلدان، ليافوت الحموي ٢: ٢٣٥، ومروج الذهب، للمسعودي ١: ٣٥، وختصر كتاب البلدان، لابن الفقيه: ١٢٦، ورحلة ابن جُبَير، لابن جُبَير الأندلسي ٢٢٠، وصبح الأعشى، للقلقشندى ٤: ٣١٩، والبداية والنهاية، لابن كثیر ج ١٢ و ١٣ وموضع متعدد، وخطط المقريزي ٢٢١، وعقيدة الشيعة: دوایت م. روندلسین ١٧٥.

يُعرف بالحارث بن سباط عن الحرّانيين أشياء ذكرها من قرابين يقرّبونها من الحيوان ودحنن للكوكب يبحرون بها وغير ذلك<sup>(١)</sup> ...

قال المسعودي: والذي بقي من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت - وهو سنة اثنين وثلاثمائة - بيت لهم بمدينة حَرَان في باب الرِّقة، وهو هيكل آزر وابنه إبراهيم ...، ولابن عيشون الحرّاني القاضي - وكان ذا فَهِم معرفة، وتوفي بعد الثلاثمائة - قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرّانيين المعروفين بالصوابة، وذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الأربع المتخذة لأنواع صور الأصنام التي جعلت مثلاً للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك الأشخاص العلوية، وأسرار هذه الأصنام، وكيفية إيرادهم لأطفالهم إلى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الأصنام، وما يُحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة إلى الصفرة وغيرها لما يسمعون من ظهور أنواع صبيانهم من الاستحالة إلى الأصنام والأشخاص، بحيل قد اخْذت ومنافيخ قد عملت: تقف السدانة من وراء جُذُر فتتكلّم بأنواع من الكلام، فتجري الأصوات في تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ إلى تلك الصور الجففة والأصنام المشخصة، فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قدم الزمان، فيصطادون به العقول، وُتسترق بها الرقاب، ويُقام بها المثلك والممالك، وممّا ذُكر في هذه القصيدة قوله:

إِنَّ نَفَسَهُ يَسِّرُ الْعَجَائِبَ      بِيَتٍ لَهُمْ فِي سَرَدَابٍ

---

(١) مروج الذهب ٢: ٢٣٧.

## ٌبُعد فيـه الكواكب أـصنامـهم خـلف غـائب<sup>(١)</sup>

في مثل هذه البيئة التي وصفنا عاش ابن تيمية سنته السبع الأولى التي قلنا إنها أخطر مرحلة في حياة الإنسان لسرعة تأثيره بمحیطه الاجتماعي وتلقّيه لما يسمع ويُشاهد.

ومهما بلغ الإنسان من العمر، وارتقي في سلم المعرفة؛ تبقى خواطر تلك المرحلة تداعب ذهنه وتحبط على نفسه ورثما أثرت في سلوكه وإن بلغ المحرم! وبقدر الحالة النفسية للصبي، يكون الجذب والطرد للمحيط الاجتماعي في تكوينه.

وقال المسعودي أيضاً في الطياع البشريّة:

«إن النسل لابد له من تحصيص قوته بشيء يميزه ويبينه من سواه، فصار الجفاء والغلظ في الرّوم وأصحاب الجبال، والأكثر من أهل الشام وأوياس مصر، وللؤم في الحنر وأهل حزان من ديار بكر، والشمع بفارس، وللؤم في الطعام بأصفهان، وصار تفرطه الرحيلين وفطس الأنوف في السودان، والطرب في الزنج خاصة»<sup>(٢)</sup>.

وأضاف: «وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الأشخاص

العلوية والأجسام السماوية»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه . ١٤٧

(٣) مروج الذهب : ٢ : ١٤٧

إنّ ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من احتماله في أنّ أصل ابن تيمية كردياً، لما عُرف عن الأكراد وهم رجال الجبال من الشدة والصلابة والحدّة؛ وهذه الصفة الأخيرة كانت واضحة في ابن تيمية، إذ تعزّيه رعدة شديدة تُخرجه عن الصواب فلا يجعله يعرف ماذا يريد أن يقول ويناقض نفسه في المجلس الواحد مرات كثيرة فكّلما أشّكل عليه وألزم الحجّة قال: ما أردتُ هذا إِنّما أردتُ كذا، ثم يذكر قولًا آخر، وهكذا. ولا غرابة فقد قال تلميذه المخلص - وقد ذكرنا قوله سابقاً -

قال: «لا كان له من العلوم إِلَّا شيءٌ قليل».

وأمّا اللّؤم: فقد وجدنا حَدَّ ابن تيمية الثالث، وفي قول الرابع! يذكر قصة تسمية «تيمية» الوعظة، التي انتمت للأُسرة كلّها إليها وبها عُرِفت، فإنّ هذا الحَدَّ الخطيب الوعاظ الحنبلي تلميذ شهدبة بنت الإبريري «لم نجد لها ترجمة»؛ قال عنه سبط ابن الجوزي: كان ضئيناً (أي حسوداً) فإذا قيل: إنّ أُسرته حنبليّة، فذلك غير شافع في تحصين ولدهم المتمرّد! لما فيه من طباع الحدّة والعناد، ولم تكن أُسرة علم بقدر ما هي أُسرة وعظ في أحسن الأحوال، مع مجاهيل كثيرة ذكرناها وشرّ في أحدهم لا يُطاق وشرّ قليل في آخر، وذكر خامل في آخرين فهي أُسرة لا ضابط لها أن تُنسى ولديها وتحصّنه من تلك المزالق. فانطبع بطابعهم من حيث التقلّب في المواقف والأقوال حتّى قال له القاضي المالكي في محاكمة: يا ابن تيمية! أنت مثل العصافور كلّما أردتُ أن أمسكك فررت من عُصْنٍ إلى غصنٍ.

وأثّرت تلك المرحلة من عمر ابن تيمية في نسج أفكاره ومعتقداته بعد، من تشبيهه وتجسيمه لذات الله تعالى وأنّ له حرفاً وصوتاً وأعضاءً مثل الإنسان ...،

تعالى الله ربنا عن ذلك علواً كبيراً، وعامل ابن تيمية وأتباعه بعدله.

### ابن تيمية خارجي، الجزيرة تستضيف الخوارج

في وقعة النهروان بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام والخوارج، لم يفلت من الخوارج وعددهم أربعة آلاف، إلاّ بضعة نفر.

قال ابن أعثم: فهرب منهم رحلان إلى خراسان إلى أرض سجستان وفيها نسلهما إلى الساعة، وصار رحلان إلى بلاد اليمن فيها نسلهما إلى الساعة، ورحلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يُقال له: سوق التوريخ، وإلى شاطئ الفرات فهناك نسلهما إلى الساعة، وصار رجلٌ إلى تل مؤون<sup>(٤)</sup>.

ابن أعثم (ت ٣١٤ هـ) ذكر لنا أنَّ الخوارج الذين فلتو من النهروان قد انتهى منهم ثلاثة إلى الجزيرة؛ واحدٌ منهم حطَّ رحاله على مشارف حِرَان. وإنَّ الخوارج أولئك كان نسلهم موجود إلى أيام المؤلِّف (ابن أعثم) ولا توجد قرينة على انفراطهم، وعلى عكس ذلك فتلك الخوارج الإباضية في أيَّامنا هذه، وتلك خارجة بَجْدُ، وذاك الممَّهَد لهم بالتمكين والذي يطلق عليه العلماء والمفكرون: الخارجي الثاني: لأنَّ سلفه «ذو الخويصرة التيممي النجدي» خرج على رسول الله عليهما السلام، وخرج هو على عليٍّ أمير المؤمنين عليهما السلام.

(٤) الفتوح، لابن أعثم (ت ٣١٠ هـ) ٤: ١٣٢ - ١٣٣. وفي معجم البلدان ٢: ٤٥، تل مؤون بلد قدم بين رأس عين وسُرُوج. وفي ٣: ١٤ رأس عين مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حِرَان ونصيبين، وفي ٥: ٢٢١، سُرُوج: بلدة قريبة من حِرَان من ديار مصر.

## وقفة قصيرة

مضي الكلام عن أثر البيئة البالغ في تكوين الشخصية وبلورة أفكارها، وهنا يبرز عامل آخر ذاك هو عامل الوراثة الذي أولاه الإسلامعناية كبيرة؛ والأحاديث كثيرة في تحير الزوجة الصالحة والتحذير من الانخداع بالمرأة الحسناء في مبتد سوء، وأن الحال أحد الضجيعين!

أقول: تعاضدت البيئة المضطربة «حران» وهي تدور بالفتى والديانات المنحرفة، وكونها محطة الفاحشين والغراوة وعشّ الأمويّين، مع الاحتمال الوارد أن يكون في دماء الأسرة أصول خارجية، وابن تيميه يكاد أن يصرّح بذلك!

هذا هو كتابه «منهاج السنة» بجزائه الأربع، بمناسبة ومن غير مناسبة مشحون بذكر الخوارج فيصفهم أئمّهم أهل دين وعبادة وصدق وأئمّهم على الحق، فيما الشيعة أهل باطل في كل ما يقولون...، وليته يقف عند هذا! إنما حمله الذي فيه إلى أن قال في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أنه منافق، وكافر، وطالب رئاسة وحكم وقتل من أجل ذلك...؛ كل ذلك يقوله ويلقيه على ألسنة الخوارج، وينفي أن تكون لأمير المؤمنين عليه السلام فضيلة خاصة في القرآن الكريم ولا يوجد نص في كتاب الله يثبت إسلام علي عليه السلام -؛ مع دفاع شديد عن بنى أمية: سفيانهم وعاوينهم، ناقصهم ووليدهم، أدعىائهم - وهم كثُر! -، وخلفائهم؛ حتى وصل الأمر به أن يُفصح عن خارجيته فيحتاج بتواتر إسلام وجهاد معاوية ويزيد وحكام بنى أمية وبني العباس، وأي شبهة تذكر فيهم ففي علي أعظم!! واللافت للنظر أن ابن تيميه يُكتَشَر من ذكر الخوارج ويُرَفَع من شأنهم أكثر من ذكره لبني أمية، ثم يستقلّ

بالكلام على طريقته المعهودة التي أخرجته عن المذاهب الأربعة المعروفة في العقيدة والفقه والأصول؛ فسمّاه أتباعه لذلك بشيخ الإسلام؛ وسمّاه من درس سيرته بالخارجي الثاني تميّزاً له كما قلنا عن الخارجي الأول الذي خرج على رسول الله ﷺ: ذو الحویصرا التميمي؛ وخرج ابن تيمية على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب علیه السلام؛ وأطلقوا على خارجة بجُدّ أتباع ابن عبد الوهاب التميمي الذي أحيا سنة سلفيه: ذي الحویصرا التميمي، وابن تيمية الحرازي، الخارجي الثالث، وذلك لوحدة الأفكار وأنّها نسيج واحد.

حان أن نذكر نصوصاً في ابن تيمية، توكيداً لما وصلنا إليه من نتيجة بشأن خارجيته، من كتابه (منهج السنة البوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وهامشه كتابه: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول).

### لفت نظر

تحوّلت أُسرة ابن تيمية تحمل مشئومها أحمد صاحب الترجمة من حَرَانَ الَّتِي بقت على ولائها لبني أمية، ولأجل هذا الولاء الشديد أخذها مروان الحمار عاصمةً دون دمشق وقتل بها على أيدي العباسيين، فلما كان الغزو المغولي تحولت الأُسرة إلى دمشق مقل حكم بني أمية وعاصمتهم، وهناك تدرّج وتعلّم بعض المعارف. وعلى أيّ حال ففي هذه الأجواء كتب مؤلفاته، فكان فيها مزدوج الشخصيّة! كيف لا وهو يفتح عينه على بيئة تمور بالأفكار الفاسدة تلك هي حَرَانَ التي فتحها أبو عبيدة، وسلبها بني أمية. ومن حَرَانَ إلى الشام التي

صارت في حِيز بني أميّة أيّام أبي بكر تمهيداً، وفي عهد عمر ترسيحاً إذ ضمَ إلى معاوية جميع الشام وكان يُسمّيه كِسْرَى الْعَرَبِ، وفي عهد عثمان توسيعاً إذ ضمَ إليه مصر وأقاليمٌ أخرى، وكانت سياسة معاوية وحاشيته وخَلْفَه هي حِجب أهل الشام عن معرفة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، بل أفلحوا أن يجعلوا من أكثر أهلها نواصِب؛ فابنُ تَيْمَيَّه بما عُرِفَ منه من الناصبَيَّةِ فهو يلوذ بحمى بني أميّة وأتباعهم فبنتصر للشجرة الملعونة تشفياً من الشجرة المباركة.

أَمَا أَنْ يُقَالُ: إِنَّ الْخَوَارِجَ قاتلُوا بَنِي أُمَّةٍ عَلَى طُولِ التَّارِيخِ، وَبَدَأُوا بَيْنَ هَنْدٍ فَفَلَقُوا إِسْتَهُ؛ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ قاتلُوا بَنِي الْعَبَّاسِ وَغَيْرَهُمْ، وَابْنُ تَيْمَيَّه يُدْفَعُ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، إِلَّا أَنَّ عَدُوَّهُ «عَلَيِّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام» أَشْغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَاهَدَ قَرِيبَهُ أَنْ يَمُوتَ خَارِجاً عَلَى عَلَيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام!

وقد عقدتُ فصلاً مستقلاً عن الْخَوَارِجِ ضمن هذا الكتاب اقتضته الضَّرورةُ. ولنذكر بعض أقوال ابن تَيْمَيَّه الدالة على خارجيّته، عامله الله بعده: قال الْخَارِجِيُّ ابن تَيْمَيَّه: «إِنَّ أَبَا بَكْرَ وَعَمِّرَ كَانَ بُعْدُهُمَا عَنْ شُبَهَةِ طَلَبِ الرِّئَاسَةِ وَالْمَالِ أَشَدُّ مِنْ بُعْدِ عَلَيِّ عَنْ ذَلِكَ. وَشُبَهَةُ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ ذَمَّوْا عَلَيْهِ وَعَثَمَانَ وَكَفَرُوهُمَا أَقْرَبُ مِنْ شُبَهَةِ الرَّافِضَةِ الَّذِينَ ذَمَّوْا أَبَا بَكْرَ وَعَمِّرَ وَكَفَرُوهُمَا»<sup>(١)</sup>.  
أَيُّ رِعِيدَدَ ابن تَيْمَيَّه؟! فهو يصاول بآوراق وأسماء سرعان ما يولي شيطانه القرىن لائِه لم يُحسن التسديد وحلّت بساحتِه قراءة التعاوين واللعنات لكتلة الظُّنُون أَنَّه صار مطية الشيطان!

---

(١) منهاج السنة ١: ١٦٣.

انظر قوله: «إِنَّ أَبَابَكْرَ وَعُمَرَ كَانَا بُعْدُهُمَا عَنْ شُبُهَةِ طَلَبِ الرِّئَاسَةِ وَالْمَالِ أَشَدُّ مِنْ بُعْدِ عَلَيِّ عَنْ ذَلِكَ».

فهؤلاء خلفاء راشدون ومن العشرة المبشرة بالجنة؛ أيليق الكلام عنهم بمثل هذا الكلام؟! ثم دقيق في كلامه تجده متهمًا للصديق والفاروق في طلب الرئاسة والمال؛ فهو لم ينفي عنهم ذلك من قبيل: لم يثبت، لم يسعيا، لم يعرضوا لها، لم يتهاكلكا عليها، لم يقاتلا من أجلها، لم يعارضوا من هو أحق بها، لقد جعلاها شوري بين أهل الحال والعقد، ونظرًا في القرآن والسنة ... وأمّا كلام ابن تيمية في البعد والقرب، إنما هي من أساليبه في خداع العامة، وإلا فالمعنى واحد: عليٰ وأبوبكر وعمر، كُلُّهُمْ طالبوا رئاسة ومال وإن تفاوتت النسبة بينهم فيما زعم!

ثم ما بال الخارجي ابن تيمية في سورة غضبه الشيطانية ينال من عثمان فيكفره على ألسنة الخوارج؟! ولو وسعه لزعم أنّ الخوارج قد كفروا العشرة «المذكورين في حديث المبشرة بالجنة» ولذكر كثيراً غيرهم. وهو إذ يشنّ غاراته الخائبة على فتي الإسلام، نفس رسول الله، أوّلهم إسلاماً وآخرهم عهداً باليٰ، أحد التقلين وأبو السبطين فارس بدر وأحد وخمير وحُكَّين زوج البتول الطّاهرة بأمر الله تعالى، الأذن الوعاعية، القلب الطاهر، سيد العرب، خير البرية بعد رسول الله، حُبُّ إيمان وبغضه نفاق، ولـ المسلمين بحكم التنزيل والتتوسيج يوم الغدير، ولـ ولاد الكعبة، ما سجد لغير الله عزّ وجلّ حتّى مضى شهيداً محتسباً ... أقول: إذ يشنّ غاراته الخائبة ضائع النسب آباء وأمّا، كلاً على أخيه قليل العلم بشهادة

محبّيه، فلم يسلم من لسانه صوفيٌ ولا مالكيٌ ولا شافعيٌ ولا حنفيٌ؛ وبخراً على ذات الله تعالى فحقوق والزم الحجّة فأظهر التوبة، ثم عاد، فعاد إلى السجن وهكذا ثلثاً ليتهي إلى الملائكة.

أقول: إنّه في مرات كثيرة إذ يطعن بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام يقرن به عثمان بن عفان فيكفرهما على لسان الخوارج، وفي موضع آخر يدافع عنبني أمية حاكمين وأتباعاً، مهما قصرت بهم المهم وسفلت بهم العزائم واشتبكت عقد نقص النسب وسوء السيرة من ظلم وتحاوز الحدود ومعاقرة الخمور ومقارفة الزنا؛ فكما ذكرنا سابقاً أنه يعيش في كنفبني أمية وكتب مؤلفاته هناك فكان لابد أن يحابي ويدفع حتى عن السقط منبني أمية إن وجد، إرضاء لهم وتائراً بالبيئة التي عاشها في حرّان ودمشق، وخلطاً للأمور وتقليلها.

وهل عثمان إلاّ أمانياً، فلم الإصرار على تكفيره على لسان أسلافه الخوارج وإنّ أظنّ قوياً أنه إنّما يعني بهم: عائشة أم المؤمنين التي كانت أول من نادى بکفر عثمان وتحرض على قتله، وتبعها على ذلك طلحة والزبير بعد أن بايعا أميراً للمؤمنين عليهما السلام فنكثا البيعة ...

أما الباعث على تنفير غضب عائشة على عثمان حتى بلغ بها الأمر أن تنتبه بالكفر وتدعوه إلى قتله، ذلك أنّ عثمان أخر بعض أرزاقها عنها إلى وقت من الأوقات، فغضبت ثم قالت: يا عثمان، أكلت أمانتك وضيقت - وضيّعت - رعيتك وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك؛ لا سقاك الله الماء من فوقك

وَحَرَمَكَ الْبَرْكَةَ مِنْ تَحْتِكَ! أَمَا وَاللَّهُ لَوْلَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَمْشِي إِلَيْكَ قَوْمٌ ثِيَابٍ<sup>(١)</sup> وَبَصَائِرٍ يَذْجُوكَ كَمَا يُذْبِحُ الْجَمْلَ! (تَمْهِيد لِوَقْعَةِ الْجَمْلِ!)، فَقَالَ لَهَا عُثْمَانُ: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلنَّاسِ كَفَرُوا امْرَأً لَوْجَ وَامْرَأً لَوْطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادَتِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقَيْلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيَّنَ) <sup>(٢)</sup> فَكَانَتْ تَحْرِضُ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ جَهْدِهَا وَطَاقَتْهَا وَتَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا قَمِيصُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَبْلُلْ وَبَلِيتْ سَتَّتِهِ، اقْتَلُوهُ نَعْثَلًا، قُتِلَ اللَّهُ نَعْثَلًا!<sup>(٣)</sup> وَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فِي مُجَرَّبَاتِ الْأَمْرُورِ مَنَاسِبَاتٍ لِلِّإِيقَاعِ بِعُثْمَانَ، مِنْ ذَلِكَ: شَكْوِيَّ أَهْلِ مَصْرٍ مِنْ عَامِلِ عُثْمَانَ عَلَيْهِمْ: ابْنَ أَبِي سَرْحٍ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ»؛ وَهُوَ أَخُو عُثْمَانَ مِنْ الرَّضَاْعَةِ<sup>(٤)</sup> وَيَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَاهَدَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَمْرَائِهِ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ فَلَا يَقْاتَلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ عَاهَدَ فِي نَفْرَةِ سَعَاهِمَ، أَمْرَ بِقتْلِهِمْ وَإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ، وَإِنَّمَا أَمْرَ بِقتْلِهِ لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَارْتَدَّ مُشْرِكًا رَاجِعًا إِلَى قُرَيْشٍ. فَلَمَّا كَانَ الْفَتْحُ فَرَّ إِلَى عُثْمَانَ، فَغَيَّبَهُ حَتَّى أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنَّ النَّاسَ، فَاسْتَأْتَ مِنْ لَهُ، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَمَّ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ عُثْمَانَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ صَمَّ لِيَقُومُ إِلَيْهِ بِعَضُّكُمْ فَيَضْرِبُ

(١) هَكُذا فِي الْمَصْدَرِ، وَلِعَلَّ الصَّحِيفَةِ: ذَوَبَّاتٍ.

(٢) التَّحْرِيمُ: ١٠، الْفَتْحُ، لَابْنِ أَعْمَشٍ ٢: ٢٢٤.

(٣) أَسْنَابُ الْأَشْرَافِ: ٦: ٢٠٩. (وَتَعَذَّلَ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ بِمَصْرِ، وَقَيْلٌ هُوَ اسْمُ رَجُلٍ طَوِيلِ الْلُّحْيَةِ بِالْمَدِينَةِ كَانَتْ عَائِشَةُ تُشَبَّهُ بِهِ عُثْمَانَ بْنَ عَقَانَ!).

(٤) السِّيَرَةُ النَّبُوَّيَّةُ، لَابْنِ هَشَامٍ ٤: ٥٢، وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٧: ٣٤٤.

عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلاً أو مأْتَ إِلَيَّ يا رسول الله؟ قال: إِنَّ النَّبِيَّ لَا يُقْتَلُ بِالإِشَارَةِ

(١)

ووُجِدَتْ فُرْصَةً أُخْرَى فِي تَسْعِيرِ الْحَرْبِ عَلَى عُثْمَانَ وَقْتَلَهُ، إِذَا لَمْ يُجْبِرْ عُثْمَانَ الْحَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ  
بْنِ عُقْبَةَ؛ وَمَنْ قَصَّتْهُ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ أَخَو عُثْمَانَ لِأَمْهِ، فَلَمَّا انتَهَتِ الْحَاكِمِيَّةُ إِلَى  
عُثْمَانَ عَزْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصِ عنِ الْكُوفَةِ، وَأَبْدَلَهُ بِالْوَلِيدِ الْفَاسِقِ، وَذَلِكَ: «أَنَّ النَّبِيَّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَهَ الْوَلِيدَ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِيقِ فَجَاءَ فَقَالَ: إِنَّمَا مَنْعَلُ الصَّدَقَةِ، فَنَزَلَ فِيهِ: (إِنَّ  
جَاءَكُمْ فَاسِقٌ) (٢٠٢) فَبَيَّنُوا الْآيَةَ. وَنَرَجَعَ أَخْبَارُ الْوَلِيدِ هَذَا، مِنْ صَلَاتِهِ سَكَرَانًا...، إِلَى مَنَادِمَتِهِ  
نَصْرَانِيًّا فِي الْمَسْجِدِ وَإِطْعَامِهِ الْخَنَزِيرِ وَالْخَمْرِ...، فَأَقَامَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْحَدُّ!

إِلَّا أَنَّ عَائِشَةَ مَضَتْ بِالنَّدَاءِ: إِنَّ عُثْمَانَ أَبْطَلَ الْحَدُودَ وَتَوَعَّدَ الشَّهُودَ.

ثُمَّ إِنَّ عَائِشَةَ أَغْلَظَتْ لِعْنَانَ وَأَغْلَظَتْ لَهَا وَقَالَ: وَمَا أَنْتِ وَهَذَا؟! إِنَّمَا أُمْرِتُ أَنْ تَقْرِئِي فِي بَيْتِكَ.  
فَقَالَ قَوْمٌ مُثْلَ قَوْلِهِ وَقَالَ آخَرُونَ: وَمَنْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهَا؟! فَاضْطَرَبُوا بِالنَّعَالِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ قَتْلٍ  
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤).

وَلَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى عُثْمَانَ قَرْبَتْ عَائِشَةَ رَاحْلَتِهَا وَعَزَّمَتْ عَلَى الْحِجَّةِ

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٤: ٥٢.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) تفسير مقاتل ٣: ٢٥٩، والسيرة النبوية، لابن هشام ٣: ٣٠٩، والمغازي، للواقدي ٣: ٩٨٠، وتفسير عبد الرزاق  
٣: ٢٢٠، وتفسير ابن زمین ٢: ٣٣٦، وأنساب الأشراف ٦: ١٤٤، وأسباب النزول، للواحدی ٢٦١، وتفسير ابن  
حرير ٢٦/١٢٤.

(٤) أنساب الأشراف ٦: ١٤٤.

فجاءها مروان بن الحكم فقال لها: لو أقمتِ فلعلَّ الله يدفع بك عن هذا الرجل! فقالت: قد قررتُ ركابي وأوجبتُ الحجَّ على نفسي، ووالله لا أفعل، فجعل مروان يتمثل شعراً:

وَحَرَقَ قَيْسَ عَلَيِ الْبَلَاءِ حَتَّىٰ إِذَا اضْطَرَمَتْ أَجْذَمَا

قالت: قد فهمت ما قلت يا مروان. فقال مروان: قد بيَّنْتُ لكِ ما في نفسكِ. فقالت: هو ذاك. ثم قال: يا مروان، ودَدْتُ والله أَنَّهُ في غِرَارةٍ من غَرَائِيرِ هَذِهِ وَأَنِّي طُوقْتُ حَمْلَهُ حَتَّىٰ أُقْيِهِ في الْبَحْرِ!

ومر عبد الله بن عباس بعائشة فقالت: يا ابن عباس، إنَّ الله قد آتاك عقلاً وفهمًا وبياناً، فإنما عليك أن ترد الناس عن هذا الطاغية!

وضربت عائشة صوب مكة وكلها أمل أن الفتنة تنتهي بالبيعة لابن عمها طلحه بن عبيد الله التيمي أشدّهم على عثمان ولذا لم يطلب مروان شأره لعثمان غيره!

وأما شركاء عائشة في ثورتها على عثمان، وهو ما يعنيه الخارجي ابن تيميه فهم: طلحه بن عبيد الله التيمي، ابن عم أبي بكر زوج ابنته أم كلثوم. وكانت عائشة بنت طلحه عند عبد الله بن الرحمن بن أبي بكر، وقد خلف عليها مصعب بن الزبير بن العوام.

والزبير بن العوام، كان صهر أبي بكر، زوجته أسماء بنت أبي بكر، وولده

(١) وفي طبقات ابن سعد ٥: ٢٧: حتى إذا استعرت أحذما.

(٢) أنساب الأشراف ٦: ١٩٣ - ١٩٢، والفتح ٢: ٢٢٥ - ٢٢٦.

منها عبد الله بن الزبير. ثم طلقها الزبير.

ولم يكن للزبير وطلحة شأن أيام عمر وكان يتنقصهما! فيصف الزبير بأنه يدافع من أجل الدرهم، وينعت طلحة بالبأو، أي: الفحْر والرَّفُو، من ذلك حواره لابن عباس:

قال ابن عباس: طرَقَني عمر بن الخطاب بعد هدأة الليل. فقال: اخْرُج بنا نحرس نواحي المدينة!

فخرج علي عنقه درْتَه، حتَّى أتي بقِيع الغرقد<sup>(١)</sup>، فاستلقى علي ظهره وجعل يضرب أحصَ قدميه وتأوه صعداً، فقلت له: ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ فقال: أمرُ الله يا ابن عباس.

قلت: إن شئت أخبرتك بما في نفسك! قال: غص غواص، إن كنت تقول فشحسن.

قلت: ذكرت هذا الأمر وإلي من تصيره. قال: صدقت.

فقلت له: أين أنت عن عبد الرحمن بن عوف؟ فقال: ذاك رجل ممسك - أي: بخيل محب للمال - وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعطٍ من غير سرف ومانع في غير إقتصار<sup>(٢)</sup>.

فقلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: ذاك مؤمن ضعيف<sup>(٣)</sup>.

(١) بقِيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة. (معجم البلدان ٤: ١٩٤).

(٢) في شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته.

(٣) في شرح نهج البلاغة: صاحب سلاح ومقتب، أي: جماعة الخيل.

فقلت: طلحة بن عبيد الله؟ قال: ذاك رجل ينال للشرف - أى: السُّمعة والشهرة -  
واللديح، يعطي ماله حتى يصل إلى مال غيره، وفيه بأو وكبر (١).

قلت: فالزبير بن العوام، فهو فارس الإسلام؟! قال: ذاك يوم إنسان ويوم شيطان! إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة إلى الظهر حتى تفوته الصلاة <sup>(٤)</sup>.

فقلت: عثمان بن عفان؟ قال: إن ولی حمل بنی أبي معیط، وبنی أمیة على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولكن فعل لتسیرنّ العرب إليه حیٰ تقتله في بيته .<sup>(٤)</sup>

ثم سكت. قال: أمضها يا ابن عباس، أتري صاحبكم (يعني علياً) لها موضع؟! فقلت: إن يبتعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرباته وعلمه؟ قال: هو والله كما ذكرت، ولو ولهم نتنهم علي منهج الطريق فأخذ المحجة الواضحة، إلا أن فيه خصالاً: الدعاية في المجلس، استبداد الرأي، والتبكير للناس مع حداثة السن!

قلت: هلاً استحدثتم سنّه يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبد وَدَ، وقد كعم <sup>(٤)</sup> عنه الأبطال،  
وتأنّرت عنه الشيوخ؟! ويوم بدرٍ إذ كان يُقطّ الأبطال قطّاً! ولا

(١) في شرح نهج البلاغة: قال: ذو الباو، وباصبعه المقطوعة.

(٢) في شرح نهج البلاغة: قال: سكس لقس - أي سيئ الخلق - يلاطم في التقيع في صاع من بُر.

(٣) في شرح نجح البلاغة: قال: أَوْدٌ! ثلاثاً. والله لئن ولها ليحملنّ بني معيط على رقاب الناس، ثم لتهضّئ إلّي العرب.

(٤) كعم: جبن.

سبقتهموه بالإسلام.

فقال: إليك عني يا ابن عباس، إنّ علياً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكن فريشاً لا تحتمله!

ولكن ولهم ليأخذنّهم بمّر الحق لا يجدون عنه رخصة، ولكن فعل لينكشّ بيعته ثم ليتحارُّنَ<sup>(٦)</sup>.

وكان الأمر كما قال، إذ حين أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين علي عليهما السلام وكان أول من بايده طلحة والزبير، ثم نكثا البيعة وخرجوا على أمير المؤمنين بقيادة عائشة، فقتلا مع خارجة الناكثين يوم الجمل.

### ملاحظة جديرة بالاهتمام

من خلال الكلام بين عمر وابن عباس، وجدنا الخليفة لم يثبت من مجموع الستة أشخاص المذكورين إلاّ أمير المؤمنين علي عليهما السلام فقد أقرّ له بالسابقة إلى الإسلام وبالعلم وأنه أحق الناس بالخلافة.

أما الآخرين فذكرهم بما مرّ بنا من عبودهم ومثالبهم ولم يذكر لأحدٍ منهم فضيلة واحدة ومع هذا وذاك عين الأشخاص الستة المذكورين للشوري من أجل اختيار الخليفة من بعده، وفي حال الاختلاف ينظر إلى صفت عبد الرحمن بن عوف فيأخذ برأيه.

وعلى رغم اختيار ابن عوف عثمان بن عفان، وأنه قد أثرى إثراءً لا مثيل له في حاكمية عثمان، إلا أن ذلك لم يمنعه من الإنكار على عثمان والتأليب

---

(٦) تاريخ العقوبي ٢: ١٥٨ - ١٥٩، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢: ٥١.

عليه، وكان قد حَلَّفَ إِلَّا يُكَلِّمُ عثمان أبداً. وذكر عثمان عند عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبد الرحمن: عاجلوه قبل أن يتمادي في ملكه! فبلغ ذلك عثمان، فبعث إلى بئر كان يسكنى منها نعم عبد الرحمن بن عوف فمنعه إياها. وأوصى عبد الرحمن بن عوف أن لا يصلّي عليه عثمان، فصلّى عليه الزبير، أو سعد بن أبي وقاص<sup>(١)</sup>.  
 فحال عبد الرحمن بن عوف، حال عائشة وطلحة والزبير ... في خروجهم على عثمان وتکفیرهم إیاهم، وبهم اقتدى الخارجی ابن تیمیه.

### موقف طلحة والزبير من عثمان

ذكرنا أن طلحة والزبير لم يكن لهم شأن أيام عمر وكان ينتقصهما، ثم من عليهمما أن جعلهما في الشورى! وبعد عمر طمعاً كاذباً بالكوفة والبصرة، إلا أن عثمان خَيَّبَ آمالهما، إذ كان عبد الله بن عامر بن كُثير الأموي، عامله على البصرة، وعلى الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط<sup>(٢)</sup>، فلما شakah أهل الكوفة (ذكرنا بعض خبره) استبدل به سعيد بن العاص، فلما ولأه عثمان قال: «ويل للأشراف متى! وقال: إنما السواد بستان لقريش، فأخرجه أهلها عنها، وولأه معاوية المدينة ولأه الموسى»<sup>(٣)</sup>.

(١) أنساب الأشراف ٦: ١٧٠ - ١٧١.

(٢) أسر عقبة بن أبي معيط يوم بدر ثم قتله رسول الله ﷺ صبراً (المصادر جيما).

(٣) أنساب الأشراف ٦: ٤٨.

وكان عمرو بن العاص على مصر أيام عمر بن الخطاب وفترة من أيام عثمان ثم عزله عنها، واستعمل عليها أخاه من الرضاعة ابن أبي سرح - كما أسلفنا - مما أثار حفيظة ابن التابعية، فراح يوري زناد الفتنة على عثمان، وهو القائل: «أنا أبو عبد الله! إني إذا حككت قرحة نكاثها. وقد قال له عثمان وهو بالمدينة: يا ابن التابعية، إنك لم من تولب على الطّاغي! لأن عزلك عن مصر، فخرج إلى فلسطين»<sup>(١)</sup> غير أنّ ابن التابعية مضى في عزمه في التأليب على عثمان. وعلى الرغم من إثراء طلحة والزبير عبد الرحمن بن عوف وغيرهم أيام عثمان إثراً فاحشاً لم يكن لأحدهم من قبل عشر معاشر ما ملك أيّامه!<sup>(٢)</sup> إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من الخروج على عثمان ومعارضته أشدّ المعارضة وقد ذكرنا ما كان من عبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص؛ وبعضاً من مواقف عائشة وسنعود إليها.

إنّ الذي أثار طلحة والزبير كما ذكرنا هو عدم استحابة عثمان لمطمعهما في الإمارة والولاية «فقام طلحة مع عائشة وكلم عثمان بكلام شديد»<sup>(٣)</sup> وذلك حين جاءته الوفود تشکوا عمّاله. «وسلم - أي عثمان - على جماعة فيهم طلحة فلم يرددوا عليه فقال: يا

(١) نفسه: ٦: ١٩٣.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في طبقات ابن سعد (الجزء الثالث: تراجم عثمان وطلحة والزبير وابن عوف وسعد بن أبي وقاص)، وأنساب الأشراف ٦: ١٣٦ فما بعد، ومروج الذهب ٢: ٣٣٢ فما بعد.

(٣) أنساب الأشراف ٦: ١٩٥.

طلحة ما كنتُ أرى أني أعيش إلى أن أسلم عليك فلا تردد على السلام»<sup>(١)</sup>. وجاء الزبير إلى عثمان فقال له: إنّ في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ويأخذونك بالحق فاخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبي، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال: يا زبير! ما أرى أحداً يأخذ بحق ولا يمنع من ظلم، ودخل ومضى الزبير إلى منزله<sup>(٢)</sup>.

رأيت! كيف كان أمر الخواري - كذا! - من عثمان: كذب عليه، والكذب في الإسلام أعظم الذنوب الكبائر! وإنّه خدع عثمان لفتاك به وقتله.

إنّ الناس المذكورين الذين كانوا لعثمان بالمرصاد: فيهم طلحة، عن ابن سيرين قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة<sup>(٣)</sup>.

وحين اشتدّ الأمر على عثمان كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر<sup>(٤)</sup>.

لم يكن موقف الغدر من (الخواري) جديداً ولا أخيراً!!، فمن قبل، وقبل أن ينكث بيته لابن حاله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فقد ذكر الطبراني (عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: لما قتل الناس عثمان وباعوا عليهما، جاء عليّ إلى الزبير فاستأذن عليه فأعلمته به، فسلّم السيف ووضعه تحت فراشه! ثم قال: أئذن له فأذنت له، فدخل فسلم على الزبير وهو واقف

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه . ٢٠١.

(٤) نفسه . ٢٢٥

بنحوه ثم خرج، فقال الزبير: لقد دخل المرأة ما أقصاه! قُم في مقامه فانظر: فهل ترى من السيف شيئاً، فقمت في مقامه فرأيت دُبابة السيف فأخبرته فقال: ذاك أَعْجَلَ الرَّجُلَ<sup>(١)</sup>.

لقد كان الزبير من العزم على قتل ابن خاله أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ وقد بايعه آنفًا، فما الذي يُرجى منه بعد؟!

وقال أبو مخنف وغيره: حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يدخل عليه، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرِّم ويُلْبِي ويخرج فيأتي مكّه فلا يُقدَّم عليه، فبلغهم قوله فقالوا: والله لئن خرج لا فارقناه حتّى يحكم الله بيننا وبينه، واشتَدَّ عليه طلحة بن عبيد الله في الحصار، ومنع من أن يُدخل إليه الماء حتّى غضب عليّ بن أبي طالب من ذلك، فأدخلت عليه روايا الماء!<sup>(٢)</sup>

### ثلاثة من أهل الشورى

«أشرف عثمان على الناس فسلام عليهم فرددوا سلاماً ضعيفاً، فقال: أفيكم طلحة؟ قال: نعم ها أنا ذا، فقال عثمان: سبحان الله! ما كنتم أظنتم أن أسلماً على جماعة أنت فيهم ولا ترد على السلام، ثم قال: أهاهنا سعد بن أبي وقاص؟ أهاهنا الزبير بن العوام؟ فقالوا: نعم نحن هاهنا، فقل ما تشاء: فراح ينشدهم الله

(١) تاريخ الطبرى: ٣: ٤٥٤.

(٢) تاريخ الطبرى: ٣: ١٨٨.

ويذكّرهم بمناقبه وأنه لا يجوز لهم قتله، ثمّ سمع صوتاً يهدّد بقتله»<sup>(١)</sup>.

ثلاثة من أركان الشورى: طلحة، والزبير، وسعد، على رأس المهاجرين لعثمان وقد منعوا الماء عنه وهددوا بقتله. ومن قبلهم رابعهم عبد الرحمن بن عوف. وخامس أركان الشورى عثمان وهو المحسور في داره تنتظر أمّت المؤمنين عائشة خبر مقتله، بعد أن نادت: اقتلوا نعشلاً فقد كفر. ولم يمنع الحجّ ولا التوادج في البيت الحرام من أن تقع بعثمان فكانت تقول: «إني أرى عثمان سيشوم قومه كما شأم أبوسفيان قومه يوم بدر»<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء هم الخوارج الذين أولع بذكرهم المخارجي ابن تيمية وقال في مواطن كثيرة من منهاج ضلاله أنّهم يكفرون عثمان بن عفان.

### موقف أمير المؤمنين عليٰ عليه السلام

بقي واحد من أهل الشورى ذاك هو أمير المؤمنين عليٰ بن أبي طالب عليهما السلام، وإن كنّا قد ذكرنا له خبراً من غيرته الهاشمية العلوية، لما شدّدوا الحصار على عثمان ومنع طلحة أن يدخل الماء إليه، فأدخل أبو الحسن عليه روايا الماء رغم من رغم! ولم يجد له خبراً واحداً في المهاجرين له ... وبعد فتنة مروان التي كانت الشرارة التي أضرمت اللهب والتي كاد أمير المؤمنين عليهما السلام أن يطفئها، «فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء، فأشرف على الناس فقال: أفيكم عليٌ؟

(١) الفتوح ٢١٩:٢ - ٢٢٠، ومروج الذهب ٢:٣٤٤.

(٢) أنساب الأشراف ٦:٢١٢ - ٢١٣.

فقالوا: لا، قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا، فسكت (ولم يسأل عن طلحة والزبير لعلمه بحالهما) ثم قال: ألا أحدٌ يبلغ فيسوقينا ماء؟ بلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرِب مملوقة ماء فما كادت تصل إليه، وخرج بسببها عدّة من مواليبني هاشم وبني أميّة حتّى وصلت. وبلغ علياً أنّ القوم يريدون قتل عثمان فقال: إنما أردنا قتل مروان، فأماماً قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين: اذهبوا بسيفيكمما حتّى تقوموا على باب عثمان فلا تدعوا أحداً يصل إلىه، وبعث عدّة من أصحاب النبي عليهما السلام أبناءهم ليمنعوا الناس من الدخول إليه ويسائلوه إخراج مروان! ورمي الناس عثمان بالسهام حتّى خُضب الحسن بالدماء على بابه، وشُجّق قبر مولى عليٍّ، وأصاب مروان سهم وهو في الدار»<sup>(١)</sup>.

إنّ مطلب الناس هو نفسه مطلب أمير المؤمنين علي عليهما السلام وهو: إخراج مروان الذي كان يقلب الأمور على عثمان. ولم يكن عند عثمان أحد يُسدي له الصيحة ويتحقق به إلاّ علياً عليهما السلام لذا: «لما عَلِمَ بِنَزْوَلِ الثَّوَارِ بِذِي حَشْبٍ<sup>(٢)</sup>، بَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ، فَأَحْضَرَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ وَيَضْمَنْ إِلَيْهِمْ عَنْهُ كُلَّ مَا يَرِيدُونَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْحُسْنِ السَّتِيرَةِ، فَسَارَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ حَطْبٌ طَوِيلٌ، فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا أَرَادَ وَانْصَرَفُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ إِذَا غَلَامٌ عُثْمَانُ مُقْبَلٌ مِنْ قَبْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَرَرُوهُ فَأَفَقَرَ وَأَظَهَرَ كِتَابًا إِلَى ابْنِ أَبِي سَرْحٍ صَاحِبِ مَصْرٍ وَفِيهِ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ الْجَيْشُ فَاقْطِعْ يَدَ فَلَانَ وَاقْتَلَ

(١) أنساب الأشراف ٦: ١٨٥.

(٢) حشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢: ٣٧٢).

فلاناً وافعل بفلان كذا ...»<sup>(١)</sup> وعلم القوم أن الكتاب بخط مروان، فرجعوا إلى المدينة. من هنا يستتبّن أن مروان ركن من أركان قتلة عثمان من لون آخر. فعائشة وطلحة والزبير من أشد المؤلّفين عليه، ومروان يلعب بعثمان ويقلب الموقف ويضيّع جهود أمير المؤمنين عليه في إطفاء الفتنة.

«عكرمة عن ابن عباس قال: لما حُصر عثمان الحصر الآخر فلقىهم عليّ بذي خشب فرد عنه، وقد كان والله عليه له صاحب صدق، حتّى أغدر نفس عليّ عليه، جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه على عليّ فيتحمل ويقولون لو شاء ما كلمك أحد، وذلك أن عليّاً كان يكلّمه وينصحه ويعمل على في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان: هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمّه، فما ظُلِّك بما غاب عنك منه؟»<sup>(٢)</sup>.

بحده الأساليب ذبح مروان وبنو أميّة عثمان وكانوا بذلك شركاء الخوارج الأشداء عائشة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وموافق أضعف من هؤلاء لسعد بن أبي وقاص.

## نفاق طلحة!

البلاذري: حدّثني إسحاق الفروي حدّثنا عبد الله بن إدريس حدّثنا يحيى

---

(١) أنساب الأشراف ٦: ٢١١. ومرجع الذهب ٢: ٣٤٤. وعن ابن سيرين قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي أشد على عثمان من طلحة (نفس المصدر ٢٠١).

(٢) تاريخ الطبرى ٣: ٤٣٣ - ٤٣٤.

ابن سعيد قال: كان طلحة استولى على أمر الناس في الحصار، فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إلى عليٍّ بهذا البيت:

إن كنتُ مأكولاً فكن أنتَ أكيلٌ و إلا فـأدركني ولما أُمْرِقَ

وقال هشام ابن الكلبي: هذا البيت للمُمْرَق العبدِي واسمه شأس بن نمار ابن الأسود بن حزيل، وبه سمى المُمْرَق<sup>(١)</sup>.

وقال أبو مخنف: صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يوم النحر وعثمان مخصوص، فبعث إليه عثمان ببيت المُمْرَق. ففرق عليٌّ الناس عن طلحة؛ فلما رأى طلحة ذلك دخل على عثمان فاعتذر! فقال له عثمان: يا ابن الحضرمية أليتْ علَيِّ النَّاسَ وَدْعُوكُمْ إِلَى قتلي حَتَّى إِذَا فاتَكَ مَا تَرِيدُ جَئْتَ مُعْتَذِرًا، لا قبل اللهِ مَنْ قَبْلَ عَذْرَكَ<sup>(٢)</sup>.

إِنَّا بَحْدَهُ: أَنَّ الْخَارِجَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَثَمَانَ هُمْ أَهْلُ الشَّوْرِيِّ وَعَلَيِّ خَارِجٌ عَنْ دَائِرَتِهِمْ وَنَاصِرٌ لِعَثَمَانَ الَّذِي أَرَادَ الْخِلَافَةَ لَهُ فَفَوَّتُ الْفَرْصَةَ عَلَيْ طَلْحَةَ وَجَعَلَهَا لِعَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا.

إِذْنَ كَيْفَ قَرَنَ الْخَارِجِيَّ ابْنَ تَيمِيهِ تَكْفِيرَ مَنْ خَرَجَ عَلَى عَثَمَانَ بِتَكْفِيرِهِمْ عَلَيْهِمَا، وَهُمْ حَتَّى سَاعَةِ قُتْلَهُ - أَيُّ عَثَمَانَ - لَمْ يَذْكُرُوهُ عَلَيْهِ بَسْوَءَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَمْتَهُمْ عَثَمَانَ بْنَ عَفَّانَ؛ فَلَمَّا رَأَوُا الْأَمْرَ قَدْ صَرَفَهُ عَثَمَانَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا وَأَنَّ الْوَفُودَ وَالْأَقْطَارَ لَا تَعْدُلُ بِهِ سُوَاهُ وَلَذَا سَارَعَ طَلْحَةُ وَالْزَيْرُ إِلَى إِظْهَارِ الْبَيْعَةِ!

(١) أنساب الأشراف، مصدر سابق ١٩٦.

(٢) نفسه.

## البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام

قتل عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين بعد حصار دام تسعًا وأربعين يوماً، وبوبع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام في الليلة التي قُتل فيها عثمان وقيل في صبيحتها. «وكان طلحة والزبير قد أخذنا مفتاح بيت المال، فبعث علي من أخذ مفاتيح بيت المال»<sup>(١)</sup>. وأقبل الناس إلى علي بن أبي طالب فقالوا: يا أبا الحسن، إنه قد قُتل هذا الرجل ولا بد للناس من إمام، وليس لهذا الأمر أحد سواك فهلم، فبایع الناس حتى يُدفن هذا الرجل، فقال علي: لا حاجة لي في البيعة، التمسووا لهذا الأمر غيري، فإني أرى أمراً له وجوه لا تقوم له القلوب ... فعليكم بطلحة والزبير! قالوا: فانطلق معنا إلى طلحة والزبير، فقال علي: أفعل ذلك.

ثم خرج من منزله مع القوم حتى صار إلى دار طلحة فقال: يا أبا محمد إن الناس قد اجتمعوا إلي في البيعة، وأنت أنا فلا حاجة لي فيها، فابسط يدك حتى يبايعك الناس، فقال طلحة: يا أبا الحسن، أنت أولى بهذا الأمر وأحق به مي لفضلك وقرباتك وسابقتك، فقال له علي: إني أحاف إن بايعني الناس واستقاموا على بياعتي أن يكون منك أمر من الأمور! فقال طلحة: مهلاً يا أبا الحسن، فلا والله لا يأتيك مي شيء

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٨

تكرهه أبداً. قال عليٌ: فالله تبارك وتعالى عليك راعٍ وكفيل! فقال طلحة: يا أبا الحسن، نعم.  
قال عليٌ: فقم بنا إذن إلى الزبير بن العوام، فأقبل معه طلحة إلى الزبير فكلمه عليٌ بما كلم به  
طلحة؛ فرد عليه الزبير شيئاً بكلام طلحة، وعاقده وعاهده أنه لا يغدر به ولا يحبس بيته. فرجع  
عليٌ إلى المسجد واجتمع الناس فيهم نفرٌ من الأنصار منهم أبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن  
رافع، ومالك بن العجلان، وحزيمة بن ثابت، والحجاج بن عمرو بن غزية، وأبو أيوب، فكلموا  
الناس فقال الكوفيون والمصريون: فإننا قد قبلنا منكم فأشيراوا علينا، فإنكم أهل السابقة، وقد  
سمّاكم الله أنصاراً فأمرنا بأمركم. فقالت الأنصار: قد عرفتم فضل عليٍ بن أبي طالب وسابقته  
وقرابته ومنزلته من رسول الله ﷺ مع علمه بحالكم وحرامكم و حاجتكم إليه من بين الصحابة،  
ولن يألكم نصحاً، ولو علمنا مكان أحد هو أفضل منه وأجمل لهذا الأمر وأولى به منه لدعوناكم  
إليه. فقال الناس كلامهم بكلمة واحدة: رضينا به طائرين غير كارهين. فقال لهم عليٌ: أخبروني عن  
قولكم هذا، أحقُّ واجب من الله عليكم أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟ قالوا: بل هو واجب  
أوجبه الله عزّ وجلّ لك علينا، فقال عليٌ: فانصرعوا يومكم هذا إلى غدٍ، فلما كان غد أقبل الناس  
إلى المسجد، وجاء عليٌ ابن أبي طالب، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنّ  
الأمر أمركم فاختاروا لأنفسكم من أحببتم وأنا سامع مطيع لكم!  
فصاح الناس من كل ناحية وقالوا: نحن على ما كتنا عليه بالأمس، فابسط

يُدك حَتَّى يَأْيُّوك النَّاسُ، فَسَكَّتَ عَلَيْهِ. وَقَامَ طَلْحَةُ إِلَى عَلَيِّ فَبَاعَهُ وَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى يَدِ عَلَيِّ، وَكَانَ بِهِ شَلْلٌ مِنْ ضَرْبَةِ أَصَابَتْهُ يَوْمَ أَحَدٍ، فَلَمَّا وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى يَدِ عَلَيِّ قَالَ قُبَيْصَةُ بْنُ جَابِرٍ: إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! أَوْلَى يَدٍ وَقَعَتْ عَلَى كَفِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَدُ شَلَّاءً، لَا وَاللَّهُ لَا يَتَمَّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبْدًا. ثُمَّ وَثَبَ الزَّيْرُ فَبَاعَهُ، وَبَاعَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ <sup>(١)</sup>.

وَفِي الْبَصْرَةِ، أَخْذَ جَارِيُّهُ بْنَ قَدَامَةَ السَّعْدِيِّ الْبَيْعَةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيِّ<sup>(٢)</sup>، وَكَانَ بَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَالْيَأْمَانِ لِعُثْمَانَ، فَفَرَّ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ.

وَفِي الْكُوفَةِ، بَاعَ هَاشِمُ بْنَ عَتَّبَةَ الْمَرْقَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيِّ<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ: هَذِهِ يَمِينِي وَشَمَالِي لِعَلَيِّ؛ وَكَانَ فِيهَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَعَدَ يَتَبَطَّطُ أَهْلَ الْكُوفَةِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! فَعَزَّلَهُ.

وَفِي الْمَدَائِنِ، بَاعَ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاضْعَافَ يَدِهِ الْيَمَنِيِّ وَحَتَّى النَّاسُ عَلَى بَيْعِتِهِ وَنَصْرَتِهِ وَقَالَ: لَا أُبَايِعُ بَعْدَهُ لَأَحَدٍ مِنْ قَرِيشٍ... وَقَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا فَلِيَأْتِ عَلَيَّ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الشَّامِ كَانَ مَعاوِيَةُ وَالْيَأْمَانِ لِعُثْمَانَ وَمَنْ قَبْلَهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَظَاهَرَ الْخَلَافَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْعَ الْيَأْمَانِ مِنْ دُخُولِ الشَّامِ.

فَالْأَقْطَارُ الْإِسْلَامِيَّةُ بَاعَتْ عَلَيَّ<sup>(٥)</sup> مِنْ غَيْرِ سِيفٍ وَلَا سَفَكٍ دَمٍ كَمَا زَعَمَ ابْنُ

(١) المَعَارِفُ، لِابْنِ قَبِيْبَةِ ٢٠٨ - ٢٠٩، وَأَسْنَابُ الْأَشْرَافِ ٣: ١٤ - ١٦، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٣: ٤٥٧ - ٤٥٨، وَالْفَتوْحُ ٢: ٢٤٣ - ٢٤٦، وَمَرْوِجُ الْذَّهَبِ ٢: ٣٥٧.

(٢) أَسْنَابُ الْأَشْرَافِ ٣: ١٧.

تيميه! كما سنواتيك، وأنّ أمير المؤمنين قاتل من أجل الخلافة وأرق الدماء البريئة وأنه كان متهمالكاً عليها حتّى قُتل ولم يتمتّع بها بخلاف مَن سبق إذ كانت خلافتهم إجماعاً ورضيَ ولم يُرُق فيها دماء!

فنحن لم نجد في بيعة أمير المؤمنين عليٰ عليهما السلام مخالفه لوصيته عليهما السلام حينما طلب أن يقدموا له ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده فاعتراض معترض وكان اللعنة حتى طردهم رسول الله عليهما السلام إلا علياً فإنه لم يقدم بين يدي الله ورسوله، متأدباً بأدب القرآن الكريم، ولا رفع صوته فوق صوت النبي، ممثلاً أمراً لله سبحانه وتعالى، ولذا بقي عليٰ عليهما السلام في حلقه. ولذا لم يغادر النبي عليهما السلام فلقد تربى في حضنه وليداً وكان أول طعام دخل حوفه هو ريق رسول الله فهنيئاً لأبي الحسن زوج البنتول، وكان للنبي مثل الظل للشيء لا يزايله ... وبقي مع النبي يمرّضه ورأس النبي بين سحر عليٰ ونحره حتّى فاضت روحه الطاهرة في كفّ عليٰ، وهو الذي تولى غسله ودفنه ليلاً والقوم يصطرون عن من أجل الخلافة وسلّت السيوف! وصُرِع سعد بن عبادة سيد الخرج، ودُسِس بالأقدام، وكان عمر يقول: اقتلوا سعداً، قتله الله!

وانقضّ الاجتماع عن بيعة أبي بكر مع تخلف ومعارضة شديدة من بعض الأنصار وامتناع أمير المؤمنين في عدد من بني هاشم ولزومهم بيت الصديقة فاطمة الزهراء عليهما السلام، وانجفلت كثير من القبائل عن قبول خلافة أبي بكر فمنعه صدقاتها. كما رجع بعض عمال رسول الله صلى الله عليه وآله عن أعمالهم ورفضوا أن يعملوا لأبي بكر، ولما سألهم أبو بكر: لم رجعتم عن أعمالكم؟ قالوا: لا نعمل لأحد بعد

رسول الله، وكان ميلهم إلى بنى هاشم.

و يوم الجمعة وأبوبكر على المنبر تصدّى له اثنا عشر من أصحاب النبي ف حاجوه منكرين عليه وهم: سلمان المحمدي، وأبوزر الغفاري، والمقداد الكندي، وعمّار بن ياسر، وبُريدة الأسلمي، وأبي بن كعب، وخزيمة ذوالشهادتين، ومالك بن التيهان، وسهل بن خنيف وأحوه عثمان بن خنيف، وأبو أيوب الأنباري، وخالد بن سعيد بن العاص.

وكانت قبائل أسد، وفراة تقول: لا والله لا نبايع أبا الفَصِيل<sup>(١)</sup> أبداً، يعني بذلك أبا بكر<sup>(٢)</sup>.

ولما رأى أبو بكر أن جل القبائل قد أقامت على الإسلام إلا أنها منعت الزكوة، عزم على محاربتها، فقال أصحاب رسول الله لأبي بكر: أقبل منهم. فقال: «لو منعوني عقالاً مما أعطوا رسول الله لقاتلتهم». وعن يحيى بن سعيد أن أبي بكر قال: «لو منعوني عقالاً أو حبلاً لقاتلتهم». ثم إن أبي بكر خرج من المدينة للنصف من جهادي الآخرة سنة إحدى عشرة إلى ذي القصّة وهناك أمر خالد بن الوليد على الجيش وأمره أن يقاتل من عارضه أشدّ القتال، ثم لم يترك أحداً قدر عليه إلا أحرقه بالنار إحراقاً، وأن يسيي الذراري والنساء ويأخذ الأموال، و عملاً بما أمر به أبوبكر جمع خالد أسرى بنى سليم فجعلهم في حظائر

(١) الفَصِيل: ولد الناقة أو البقرة، إذا فُصل عن أمه.

(٢) تاريخ الطريقي ٢: ٤٨٥، والفتح، لابن أعثم ١: ١٤.

ثم أضرم عليهم النار <sup>(١)</sup>.

إنّ فعل خالد هذا يختلف عن فعله مع أسرى بني أسد وفيهم عيينة بن حصن الذي أقرّ على نفسه أمّا أبي بكر أنه كان منافقاً لم يؤمن قطّ. ومع ذلك عفا أبو بكر عنه وعن أسرى بني أسد. و أمّا طليحة الأنصاري، وكان قد ادعى النبوة! وقاتل خالداً، فلما حلّت به المزحة فرّ إلى الشّام، ثمّ خرج إلى مكّة متّهماً، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة، فقال: ما أصنع به! خلّوا عنه فقد هداه للإسلام، ثمّ أتى فيما بعد فباع عمر بن الخطاب <sup>(٢)</sup>.

### مقتل مالك بن نويرة

ثُمَّ أمر مرقع! ذلك أنّ خالد وعملاً بدمستور الخليفة، لما توسط البطاح من أرض تميم وكان بها مالك بن نويرة، وكان رسول الله ﷺ استعمله على بعض صدقات تميم. فلما توفي رسول الله، منع مالك الرّحمة، حاله في ذلك حال القبائل الأخرى التي امتنعت عن دفع الرّحمة لأبي بكر، فازداد أبو بكر عليه حّقاً وغيظاً، وأمّا خالد بن الوليد فإنه حلف وعاهد الله عزّ وجلّ لمن قدر عليه ليقتلنّه وليجعلنّ رأسه أثقيّة للقدور! فوّقعت سرية من تلك السرايا التي بشّها خالد على مالك ومعه امرأته، وكان فيها مسحة من جمال، فأخذوه أسيراً وأخذوا معه

---

(١) تاريخ خليفة ٦٧.

(٢) تاريخ خليفة ٦٤ - ٦٧، وتاريخ الطبرى ٤٥٦ - ٤٩٤، والفتح، لابن أعشن ١ - ١٩.

امرأته، وكلَّ من كان معه من بنى عمِّه، فأتوا به إلى خالد فأمر بضرب أعناق بنى عمِّه بَدِيَاً<sup>(١)</sup>.  
 فقال القوم: إنا مسلمون، فعلى ماذا تأمر بقتلنا؟! قال خالد: والله لأقتلنكم! فوثب أبو قَتَادَة<sup>(٢)</sup>  
 إلى خالد فقال: أشهد أَنْكَ لا سبِيلَ لك عليهم. قال خالد: وكيف ذلك؟ قال: لأنِّي كنتُ في  
 السرية التي قد وافتهم، فلما نظروا إلينا قالوا: من أين أنتم؟ قلنا: نحن المسلمون، فقالوا: ونحن  
 المسلمين، ثمَّ أذنَا وصَلَّينا فصلَّوا معنا، فقال خالد: صدقتَ يا أبو قَتَادَة، إنْ كانوا صَلَّوا معَكُمْ فقد  
 منعوا الزَّكَاةَ الَّتِي تجُبُ عَلَيْهِمْ وَلَا بدَّ مِنْ قَتْلِهِمْ!  
 فقدَّمُوهُمْ فضرَبَ أعناقَهُمْ عن آخرهم. وعاهدَ أبو قَتَادَةَ أَنَّهُ لا يشهدُ معَ خالدَ بنَ الوليد  
 مشهداً أبداً بعدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

ثمَّ قَدِمَ خالدَ مالِكَ بْنَ رُؤيَا لِيُضْرِبَ عَنْقَهُ، فَقَالَ مالِكُ: أُنْتَ الَّذِي أَنْتَلَنِي وَأَنَا مُسْلِمٌ أَصْلَى إِلَى الْقَبْلَةِ؟  
 فَقَالَ خالدُ: لَوْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَلَا أَمْرَتَ قَوْمَكَ بِمَنْعِهَا. وَاللَّهُ مَا نَلَتْ مَا فِي مَثَابِكَ  
 حَتَّى أُقْتَلَكَ! فَالْتَّفَتَ مالِكٌ إِلَى امْرَأَتِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: يَا خالدُ بِمَذْهِهِ قَتَلَنِي!  
 فَقَالَ خالدُ: بَلَ اللَّهُ قَتَلَكَ بِرْجُوعِكَ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَجَفْلُكَ لِإِلَيْلِ الصَّدَقَةِ، وَأَمْرُكَ لِقَوْمِكَ  
 بِحَبْسِ مَا يَجُبُ عَلَيْهِمْ مِنْ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ. ثُمَّ قَدِمَهُ خالدٌ فضرَبَ

(١) بَدِيَاً: أي ابتداءً من غير سؤال أو إقامة برهان على وجوب قتلهم!

(٢) اسمه الحارث بن رعيي، وقيل العمآن بن رعيي، بدربي. وقيل بل شهد أحداً وما بعدها، وشهاده مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهده. (أنساب الأشراف ٣: ٣٥، ومروج الذهب ٢: ٣٦٠، وأسد الغابة ٦: ٢٥٠).

عنقه صبراً وتنزوج امرأته ودخل بها .<sup>(٦)</sup>

نجد في خبر مالك أن الخليفة حنق على مالك خاصّة من بين مانعي الزكاة وأنّ خالد قد عاهم الله تعالى أن يجعل رأس مالك وقوداً للقider! ومالك لم يكن محارباً ولم يُرق دماً كما هو شأن طليحة الذي تنبأ لقومه ومنع الزكاة وقتل المسلمين، وعبيدة الذي ارتدّ ومنع الزكاة وأراق دماء المسلمين فحمله خالد وقومه إلى الخليفة فعفا عنهم. وأمّا مالك وأصحابه فقد شهد لهم أبو قتادة بالإسلام والصلوة وأن لا سبيل لخالد لقتلهم فتعلّل بالرّكّة، وهي الذريعة التي تمسّكوا بها في حرب تلك القبائل. ولقد كان مالك من الفطنة والبديهة أن علم سرّ إصرار خالد على قتلها أن قال له: يا خالد، بهذه قتلتني، أي بزوجته! وفعلاً كان، إذ دخل خالد بأمرأة مالك في ليلة قتلها وهذا ما أنكره عمر عليه: «... فلما بلغ عمر بن الخطّاب تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثّر وقال: عدوُ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته! وأقبل خالد قافلاً حتّى دخل المسجد وعليه قباءً معتّجراً بعمامة له قد غرز في عمamatه أسهّمَا، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهّمَ من رأسه فحطّمها ثم قال: أرئاء قتلت امرأة مسلماً ثم تزوت على امرأته؟! والله لأرجمنك بأحجارك، وخالد لا يكلّمه ولا يظن إلا أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه حتّى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخباره الخبر واعتذر إليه فعذرها أبو بكر، وبجاوز عنه ما كان في حربه تلك! فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد فقال: هلّم إلى يا ابن أمّ

---

(١) الفتوح : ٢٠ - ٢٣ .

شملة! فعرف عمر أنّ أبي بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه ودخل بيته»<sup>(١)</sup>.

وفي تاريخ خليفة: «فقال أبو بكر: هل يزيد خالد أن يكون تأول فأخطئ؟»<sup>(٢)</sup> وذكر خليفة أيضاً: «أن أبي قتادة قدم على أبي بكر فأخبره بقتل مالك وأصحابه فجزع من ذلك جزعاً شديداً! وودى مالك بن نويرة وردد السبي والمال»<sup>(٣)</sup>. فلو كان مالك مرتداً أو ممن يستحق القتل لما جزع عليه الخليفة وليس له أن يؤذّي عنه الدية، ولما شهد له عمر بالإسلام ومن قبل عمر أبو قتادة ثم هو عامل رسول الله ﷺ . ويقى موضوع دخول خالد بزوجة الصحابي مالك من غير عدّة أمراً محيراً، وليس بأغرب منه إلّا قول الخليفة: هل يزيد خالد على أن يكون تأول فأخطئ! وبعد كل ذلك فقد مضى مالك بن نويرة شهيداً.

تعقيب: إنّ دستور الخليفة في عدم التفريق بين الإسلام والرّكّاه وإن الممتنع عن دفع الزّكاة إليه يُقتل، يدفع مقوله الرّدّة عن الإسلام! إلّا ما كان من البعض مثل أسد وقد ذكرنا خبرهم. وأيضاً بنو حنيفة الذين اتبّعوا مُسیلمة الحنفي التّميمي وصاحبته سجاح التّميميّة، وكلاهما ادعى النّبوة فقاتلهم خالد، وقتل مُسیلمة وأصحابه وأسر مجّاعة وصاحب سارية وقد ادعيا أنّهما اتبّعا مُسیلمة خوفاً على الأنفس والأموال والأولاد؛ فقال له خالد: فاعترل أنت وصاحبك

---

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) تاريخ خليفة ٦٨.

(٣) نفسه.

ناحيةً من هؤلاء الكفار. ثم قدم خالد بقية القوم فضرب أعناقهم صبراً، ثم أطلق مجاعة وسارية. تعقيب: إن خالد قتل أسرى بني سليم وحرّقهم، وقتل قوم مالك ابن نويرة غدراً وهم يصلون ثم قتل مالك بننوية صاحب رسول الله ﷺ وزنا على زوجته. إلا أنه كما ذكرنا عفا عن عبيدة الذي أقر على نفسه بالردة فحمله وقومه إلى الخليفة الذي من عليهم وأطلق سراحهم.

زواج خالد من ابنة مجاعة: وخطب خالد إلى مجاعة ابنته فروجها إياه، ودخل بها خالد هنا لك بأرض اليمامة، فكان خالد يرفع من مجالس أعمام هذه الجارية على المهاجرين والأنصار، فكتب حسان بن ثابت إلى أبي بكر بذلك، فأقبل أبو بكر على عمر فقال: يا أبا حفص، ما ترى إلى خالد بن الوليد وحرصه على الزواج وقلة اكتراه بمَن قُتل من المسلمين؟ فقال عمر: أما والله لا يزال يأتيها من قبل خالد في كل حين ما تضيق به الصدور. ثم كتب أبو بكر إليه: أما بعد يا ابن الوليد، فإنك فارغ القلب حسن العزاء عن المسلمين، إذ قد اعتكفت على النساء وبفناء بيتك دمُ ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد، منهم سبعمائة رجل من حملة القرآن إن لم يخدعك مجاعة عن رأيك أن صالحك صلح مكر وقد أمكن الله منهم، وإنما لشبيهة بفعلك الأول بمالك بن نويرة، فسواء لك ولأفعالك هذه القبيحة التي شانتك في بني مخزوم! ولما نظر خالد في الكتاب قال هذا عمل الأئمَّة، يعني عمر بن الخطاب بعث وخالد بن الوليد وفداً من

بني حنيفة إلى أبي بكر<sup>(١)</sup>.

إذ الخليفة يشهد بظلمة مالك وما جرى من فعل شنيع إذ جعل خالد رأس مالك وقوداً يطبح عليه قدره! ودخل بزوجته ليلة قتله! ومن قُتل مع مالك مضوا على ما مضى عليه مالك فأين الردة ولماذا سفك الدماء الذي أنكره ابن تيمية؟ فإذا ذكر الرّكّاه، فنعم، ذلك أن القبائل لم تر مشروعية ما جرى في السقيفة، فإذا وجب قتالهم وسفك دمائهم؛ وجب سفك دماء الآثني عشر من الصحابة الذين تصدىوا للخليفة وعارضوه وحاججوه، وقتل بنى هاشم وأمير المؤمنين علياً عليهما السلام إذ قاطعوا واعتزلوا ...، وجرت فعلاً فيما بعد أفعال ولكن لا بعنوان الردة.

وخلال إذ شمل عفوه عيّنة وقومه ولم يسع مالكاً وقومه وزرا على أمراته فإنّ عفوه شمل مجتمعه وخطب ابنته فتزوجها ورفع مجالس أعمامها على مجالس الأنصار والمهاجرين، والخليفة قبّح عمله إلا أنه لم ينتزعه من قيادة الجيوش.

### بين دستورين

قرأنا دستور الخليفة الذي أصدره إلى خالد بن الوليد في قتاله للممتنعين عن بيعته أشدّ القتال وحرق من يقدر عليه وأن يسبى الذاري والنساء ويأخذ

---

(١) تاريخ خليفة ٦٩ - ٧٢، وتاريخ الطبرى ٢: ٥١٩ - ٤٤، والفتح ١: ٢٣ - ٥٠٤، وفتح البلدان، للبلاذري .٩٧ - ١٠٠.

الأموال.

## دستور عليّ بن أبي طالب في القتال

كان مبدأ أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل أن أمر أصحابه: أن يصافوهم ولا يبدأوهم بقتل ولا يرمونهم بسهم ولا يضرهم بسيفٍ ولا يطعنونهم برمح، وأن لا يجهزوا على جريح ولا يُمشلوا بقتيل، ولا يدخلوا داراً بغير إذن، ولا يشتموا أحداً ولا يلحقوا مُدبراً ولا يهيجوا امرأة، ولا يأخذوا إلا ما في عسكرهم، ولا يكشفوا عورة، ولا يهتكوا ستراً<sup>(١)</sup>.

وبعد الواقعة نادى أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تبعوا مُولياً ولا تجهزوا على جريح ولا تنتبهوا مالاً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلى بابه فهو آمن»<sup>(٢)</sup>.

## تسفير عائشة إلى المدينة

بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة، فدخل عليها بغير إذنه، واجتذب وсадة فجلس عليها، فقالت له: يا ابن عباس: أخطأت السنة المأمور بها دخلت علينا بغير إذنا، وجلست على رحلنا بغير أمرنا! فقال لها: لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله عليه السلام ما دخلنا إلا بإذنك وما جلسنا على رحلك إلا بأمرك وإن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة والتأهّب للخروج إلى المدينة، فقالت: أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى

(١) تاريخ الطبراني ٣: ٥٤٥، وأنساب الأشراف ٦: ١٣٦، ومرج الذهب ٢: ٣٣٢.

(٢) نفس المصادر السابقة.

إلى أمير المؤمنين فخبره بامتناعها، فرده إليها وقال: إنّ أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعني، فأنعدمت وأجابت إلى الخروج.

ووجهها أمير المؤمنين وأتها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى ولده وفتیان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان، فلما بصرت به النسوان صاحن في وجهه وقلن: يا قاتل الأحبة! فقال: لو كنت قاتل الأحبة لقتل من في هذا البيت، وأشار إلى بيته من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر بن كُرْبَلَةِ وغيرهم. فسألته عائشة أن يؤمّن ابن اختها عبد الله بن الزبير، فأمّنه وأمّن مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أميّة وأمّن الناس جميعاً. وخرجت عائشة من البصرة وقد بعث معها أمير المؤمنين أخاه عبد الرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأةً من ذوات الدين من عبد القيس وهدان وغيرهما، أليسهم العائمون وقد لدھن السيف وقال لها: لا تعلمن عائشة أنك نسوة، وتلئمن كأنك رجال وكأنك اللاطى تلين خدمتها وحملها. فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيت مسيرك؟ قالت: كنت بخير والله، لقد أعطى عليّ بن أبي طالب فأكثر، ولكنه بعث معه رجالاً أنكروا لهم، فعرفها النسوة أمرهم فقالت: ما ازدت والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً<sup>(٦)</sup> فأمير المؤمنين عليّ عليه السلام لم يقاتل من أجل الخلافة ولم يسفك دماء المسلمين لأجلها كما زعم الخارجى ابن تيمية، إنما خرج عليه الذين خرجوا

---

(٦) المصادر السابقة.

على عثمان وانضم إليهم بنو أمية لا قبولاً بزعامتهم وإنما جمعهم بغض على أمير المؤمنين علياً؛ وإلا فإن مروان كان في منزل عثمان وطلحة والزبير من أشد المهاجرين لعثمان، وعائشة تكفر عثمان وتحرض على قتله؛ فلما قُتل عثمان رفعت عقيرتها أن عثمان قُتل مظلوماً وأن علياً بن أبي طالب هو الذي قتله وذهبت إلى مكة حيث اجتمع إليها عدد من بنى أمية قد فروا بعد مقتل عثمان، منهم مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة و... وخرجوا جميعاً والتحق بهم طلحه والزبير وعبد الله بن الزبير، وفعلوا أفعالاً شنيعة حين اجتمعوا بالبصرة تذكّرنا بإخوانهم الذين اقتضوا أثر خوارج الجمل فخرجوا يوم صيف ثم توالت راية الخوارج حتى انتهت إلى ابن تيمية أشدّهم على الرحمن عتيّاً! فتلقيفها من بعده أعراب يجد الوهابيون.

إن الذي وقع من هؤلاء الخوارج: أن قتلوا واحداً وسبعين رجلاً لأئمّهم حاججوهم فحجّوهم ابتداءً من السقيفة إلى الشورى ثم قتل عثمان فيبيعة أمير المؤمنين علياً، ونكثهم البيعة وخرجوهم بغير حق، فما كان جواب أتباع البعير إلا السيف! فقتلواهم<sup>(٦)</sup>. فماذا يقول الخارجي ابن تيمية؟!

مفارة: لما سار القوم إلى البصرة تقودهم عائشة، حتى إذا بلغت بعض مياه بنى عامر نَبَحْت عليها الكلاب، فقالت: ما اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق لحملها: الحَوَاب. فتذكّرت قول رسول الله عليه السلام: «كأني بأمرأةٍ من نسائي تتبع لي كلاب الحَوَاب، فاتّقِي اللهَ أَنْ تكوني أنت يا حُمِيراء» فقالت: رُدّوني...، فقال

(٦) تاريخ الطبرى ٣: ٤٨٦، وأنساب الأشراف ٣: ٢٨.

الزبير: بِاللَّهِ مَا هَذَا الْحَوَابُ...، وَأَقْسَمَ طَلْحَةً كَذَلِكَ، وَشَهَدَ خَمْسُونَ رَجُلًا مِّنْ كَانَ مَعَهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ شَهادَةٍ زُورٍ فِي الإِسْلَامِ! <sup>(١)</sup>

نعم يا ابن تيميه: قَتَلُوا عُثْمَانَ، هُمُ الْخَارِجُونَ عَلَى عَلِيٍّ <sup>ع</sup> يَقْتَلُونَ الْأَبْرَياءَ لَا لِذَنْبٍ إِلَّا لِأَنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَيْهِمُ الْبَرهَانَ وَالْبَيِّنَةَ فِي خَطَأِهِمْ وَهُمْ لَا وَرَعَ لَهُمْ فَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ وَيَشْهُدُوا شَهادَةَ الرَّوْرِ، وَهُمْ وَأَنْتَ مَعَهُمْ بِهَذِهِ الصَّفَاتِ كَيْفَ صَرَّتُمْ خَيْرَ الْبَرِّيَّةِ! وَنَفِيتَ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ قَدْ نَزَّلَتْ فِي عَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ <sup>ع</sup>؟! وَكَانَ مِنْ عَمَلِ أُولَئِكَ الْخَوارِجِ: أَنْ قَاتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ حُبَيْفَ وَالِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى وَالْجَرْحُ ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصُّلْحِ...، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْلَّيَالِ يَبَيِّنُوا عُثْمَانَ بْنَ حُبَيْفَ وَهُوَ يُصْلَى بِالنَّاسِ الْعَشَاءَ الْآخِرَةَ، فَأَسَرُوهُ وَأُمِرَتْ عَائِشَةُ بِقُتْلِهِ! ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَرْجَعُوهُ وَخَافُوا عَلَى مُخَلَّفِيهِمْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَخْيَهِ سَهْلَ بْنَ حُبَيْفَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَاكْتَفَوْا بِضَرِبهِ وَحَلَقُوا رَأْسَهُ وَنَفَوْا لِحِيَتِهِ وَأَشْفَارَ عَيْنِيهِ، ثُمَّ حُبْسُوهُ. وَأَجْهَزُوهُ عَلَى خَرْبَانَ بَيْتِ الْمَالِ فَقُتِلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا غَيْرَ مِنْ جَرْحٍ، وَخَمْسُونَ مِنَ السَّبْعِينِ ضُرِبُتْ أَعْنَاقُهُمْ صَبِرًا مِنْ بَعْدِ الْأَسْرِ <sup>(٢)</sup>.

وَفِي وَقْعَةِ أُخْرَى قَاتَلُوا سَبْعينَ آخْرِينَ وَتَدَافَعُ الزَّبِيرُ وَطَلْحَةُ الصَّلَاةِ! <sup>(٣)</sup>

(١) مِرْوِجُ الْذَّهَبِ: ٣٥٨، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ: ٤٧٥، وَالفَتوْحُ: ٢٨٨، وَأَنْسَابُ الْأَشْرَافِ: ٣٤، وَالْمَعيَّارُ وَالْمَوازِنَةُ، لِإِسْكَانِيٍّ: ٥٥، وَالْمَصْنَفُ، لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: ٧، ٣٧٧٤/٥٣٨.

(٢) أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ: ٣٦ - ٢٨، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ: ٣٤٩٦ - ٤٩١، وَالفَتوْحُ: ٢٨٩ - ٢٩٠، وَمِرْوِجُ الْذَّهَبِ: ٣٥٨.

(٣) الْمَصَادِرُ السَّابِقَةُ.

وعن عوف الأعرابي قال: جاء رجل فناشد الزبير فقال: أَعْهَدْ إِلَيْكُمَا رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا فِي مَسِيرِكُمَا؟ فقال الزبير: لا، ولكن بَأْغَنَا أَنْ عَنْكُمْ دِرَاهِمَ فَجَهَنَّمَ نَشَارِكُمْ فِيهَا <sup>(١)</sup>.

ولقد صدق مقوله عمر بن الخطاب في الزبير لمعرفته بحالته النفسية السيئة لما سأله ابن عباس على ما مرّ بنا في تصوير الأمر بعده فلما ذكر الزبير، قال ذاك يوم إنسان ويوم شيطان، إن كان لـيـكـاـدـيـحـ عـلـىـ المـكـيـلـةـ منـ بـكـرـةـ إـلـىـ ظـهـرـ حـتـىـ تـفـوـتـهـ الصـلـاـةـ!ـ فـهـمـ لـاـ دـيـنـ هـمـ،ـ قـتـلـواـ وـخـرـجـواـ عـلـىـ خـلـيـفـهـمـ بـعـدـ اـخـتـيـارـ وـضـيـقـواـ عـلـىـ الـحـصـارـ وـكـفـرـوـهـ وـمـنـعـوهـ الـمـاءـ لـوـ لـاـ عـلـىـ <sup>عليـلـاـ</sup> وـبـنـيـ هـاشـمـ وـبـعـضـاـ مـنـ الـأـنـصـارـ،ـ وـبـعـدـ قـتـلـهـ وـجـدـواـ أـنـفـسـهـمـ فـرـادـيـ حـيـارـيـ فـالـأـقـطـارـ جـمـيـعـاـ لـعـلـيـ أـمـيـرـالـمـؤـمـنـينـ فـأـظـهـرـواـ غـيـرـ مـاـ يـطـنـبـونـ فـحـاـقـ هـمـ مـاـ يـمـكـرـونـ!ـ إـذـ خـرـجـواـ عـلـىـ إـلـامـ الـمـفـرـضـ الطـاعـةـ،ـ وـكـانـواـ فـيـ طـرـيقـهـمـ قـطـاعـ طـرـقـ قـتـلـةـ غـاصـبـيـ درـاهـمـ وـسـالـيـ بـيـتـ أـموـالـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـمـعـ كـلـ ذـلـكـ فـإـنـهـمـ لـمـ يـكـفـرـواـ أـمـيـرـالـمـؤـمـنـينـ عـلـيـلـاـ لـمـ يـكـفـرـهـمـ أـمـيـرـالـمـؤـمـنـينـ عـلـيـلـاـ،ـ وـحـتـىـ الـخـارـجـةـ الـتـيـ خـرـجـتـ عـلـيـهـ يـوـمـ صـيـقـيـنـ وـاجـتـمـعـتـ بـالـنـهـرـوـانـ إـنـمـاـ رـفـضـتـ التـحـكـيمـ فـلـمـ تـكـفـرـ أـمـيـرـالـمـؤـمـنـينـ عـلـيـلـاـ لـمـ يـكـفـرـهـاـ أـمـيـرـالـمـؤـمـنـينـ،ـ وـقـدـ اـسـتـأـمـنـ إـلـيـهـ مـنـهـمـ ثـمـانـيـةـ آـلـافـ بـعـدـ أـنـ حـاجـجـهـمـ!ـ وـبـقـيـ الـآـخـرـونـ عـلـىـ شـعـارـهـمـ فـيـ رـفـضـ التـحـكـيمـ:ـ لـاـ حـكـمـ إـلـاـ اللـهـ!ـ وـلـوـ لـاـ أـنـهـمـ قـدـ عـاثـواـ فـيـ السـبـيلـ فـقـتـلـواـ الصـابـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ خـبـاتـ بـنـ الـأـرـثـ،ـ وـبـقـرـواـ بـطـنـ اـمـرـأـتـهـ وـهـيـ حـاـمـلـ مـقـرـبـ،ـ فـيـمـاـ عـفـواـ عـنـ نـصـرـانـيـ لـأـنـهـ فـيـ دـمـةـ نـبـيـهـمـ كـمـاـ يـزـعـمـونـ!

---

(١) المصطفى، لابن أبي شيبة ٧: ٥٤٤، ٣٧٧٥، وأنساب الأشراف ٣: ٦٢، وتاريخ الطبرى ٣: ٩١.

- وأخافوا السبيل، فطالبهم بالقتلة فصاحوا جيئاً: كننا قتلناه! كما قتلوا ثلات نسوة، وقتلوا أم سنان الصيداوية <sup>(١)</sup>.

مع ذلك كله لم يبدأهم بقتال وإنما ناظرهم كما ذكرنا فحجّهم واستأمن منهم ثمانية آلاف. وطلب من أصحابه أن لا يبدأهم بقتال حتى يبدأهم الخوارج، فرماهم الخوارج فقال أمير المؤمنين عليهما السلام: كفوا، فكرروا عليه القول ثلاثة وهو يأمرهم بالكفّ، حتى أتي برجل متشحّطاً بدمه، فقال عليهما السلام: الله أكبر، الآن حلّ قتالهم، احملوا على القوم ... <sup>(٢)</sup>.

إن الخوارج الذين خرجوا على عثمان؛ نعم كفروه، وكان أمير المؤمنين عليّ وبنوه ومجموعة من بني هاشم وبعض من الأنصار في نصرة عثمان. وأمام الخوارج الذين رفضوا التحكيم يوم صفين، فمضوا على وجههم راضين تحكيم الرجال - بزعمهم - وهم الذين حملوا أمير المؤمنين عليهما السلام على قبول حيلة ابن النابغة في حمل المصاحف والدعوة إلى التحكيم على ما هو معروف فلما جرى التحكيم خرج هؤلاء مطالبين برفضه! ولم يفه أحد منهم بتکفير أمير المؤمنين عليهما السلام، ولو جرى شيء من ذلك لما رجع منهم (ثمانية آلاف) وهم يصيرون: التوبة! التوبة، يا أمير المؤمنين. وبذا حقنوا دماءهم وصاروا مع عليّ

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ١٢٢، وأنساب الأشرف ٢: ٣٦٧ - ٣٦٨، والفتح ٤: ١٩٨، والطبراني ٤: ٦١، وشرح نجح البلاغة ٢: ٢٨٢.

(٢) تاريخ خليفة ١٤٩، وأنساب الأشرف ٣: ١٤٩، ومروج الذهب ٢: ٤٠٤ - ٤٠٦، والفتح ١٢٩ - ١٣٣، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٣.

وشيّعه خير البريّة؛ فيما بقي على حربه شرّ البريّة، الذين أخبر أمير المؤمنين عليهما السلام أنّه لا ينجو منهم إلّا أقلّ من عشرة<sup>(٤)</sup>، انتهى أحدهم إلى قرب حرّان فنسّله فيها<sup>(٥)</sup> لم ينقطع، وهي المدينة التي ولد فيها ابن تيمية وترعرع بها.

الخوارج في السنة

أخرج ابن ماجة في سنته قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسحاق الأزرق عن الأعمش، عن ابن أبي أوفى؛ قال: قال رسول الله ﷺ «الخوارج كِلَابُ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.  
وبسنده عن أبي أمامة: شُرُّ قتلى قتلوا تحت أدم السماء، وخَيْرٌ قتيلٌ من قتلوا، كِلَابُ أهل النار. قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كُفَّاراً. قلت: يا أبا أمامة! هذا شيءٌ تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وَعُبِيدَ اللَّهُ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سُوَيْدَ بْنِ عَفْلَةَ، عَنْ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي أَخْرِ الزَّمَانِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِزُ تِرَاقيْهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمَيْةِ، قَاتِلُهُمْ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» .<sup>(٤)</sup>

(١) الفتوح ٤ : ١٢٠، والكامل، للمبرد ٥٤٣.

(٢) الفتوح ٤: ٢٦٩ - ٢٧٥ .

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٦١/١٧٣.

(٤) نفسه : ٦٢ / ١٧٦

(٥) مسند أحمد ١: ١٥٦، وخصائص أمير المؤمنين عليه، للنسائي ١٤٥ / ١٧٨.

ونظير الذي قبله، عن الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ ، إلا أنّ آخراً: «فَإِنَّمَا أَدْرَكْتُمُوهُمْ فَاقْتَلُوهُمْ، فَإِنَّمَا أَجْرًا لِمَنْ قُتِلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وبسنده عَالِ عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أَمْتَى قَوْمٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيهِمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمَيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شُرُّ الْحَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وكل ذلك منفي عن شيعة علي وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومتتحقق في الخارج الأول، فابن تيمية، فنابة عصتنا، والحكم عَدْلٌ.

وأخرج النسائي، قال: أخبرنا علي بن المنذر قال: أخبرنا عاصم بن كلبي عن أبيه، قال: كنت عند علي عَلَيْهِ السَّلَامُ جالساً، إذ دخل رجل عليه ثياب السفر، وعلى يكلم الناس ويكلمونه، فقال: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أتكلم؟ فلم يلتفت إليه وشغله ما فيه، فجلس إلى رجل قال له: ما عندك؟ قال: كنت معتمراً، فلقيت عائشة فقالت: هؤلاء القوم الذين خرجوا في أرضكم يُسمون حروبية؟ قلت: خرحا في موضع يُسمى حروباء، فقالت: طُوبى لِمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ، لو شاء ابن أبي طالب لأخبركم خبرهم، فجئت أسأله عن خبرهم، فلما فرغ علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ ، قال: أين المستاذن؟ فقص عليه كما قصت عليه؛ قال: إني دخلت على رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) صحيح البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، وصحیح مسلم (٧: ١٦٧ - ١٦٨)، ومسند أحمد (٨١/١، ١١٣، ١٣١)، والفضائل، له ١١٩٨/٤، وسنن أبي داود/٤٧٦٧، ومسند أبي يعلى (٢٢٦/١).

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٧٤.

وليس عنده غير عائشة، فقال لي: كيف أنت يا علي وقو كذا وكذا؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ثم أشار بيده، فقال: قوم يخرجون من المشرق يقرأون القرآن، لا يتجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل مخدج<sup>(١)</sup>، كأن يده ثدي حبشيّة، أنسدكم بالله أخبرتكم أنه فيهم؟ قالوا: نعم. فجتنوني وأخبرتني أنه ليس فيهم، فحلفت لكم بالله أنه فيهم، ثم أتيتكم به كما نعث لكم؟ قالوا: نعم، صدق الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

وبسندين عن أبي سعيد الحذري، عن النبي ﷺ، أنه ذكر أناساً يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شرُّ الخلق، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، وأنتم قتلتموهن يا أهل العراق<sup>(٣)</sup>.

نكتفي بهذا القدر مما جاء في السنة الشريفة بشأن ابن تيمية وسلفه الخوارج، فهم كلاب النار، وهم شرُّ قتلى، ومن الكفر هربوا وفيه وقعوا، وقاتلهم حق واجب على كل مسلم، لا حظ لهم من الدين وإن علت أصواتهم بقراءة القرآن كما هو حال الوهابيين لأنهم قطاع طرق قتلة سفاكوا دماء المسلمين فهم شرُّ الخلق والخليقة، فمعاذ الله ترك الإسلام ومتابعة الخوارج!

(١) مخدج: أي ناقص اليد.

(٢) خصائص أمير المؤمنين علي، للنسائي . ١٧٨/١٤٥

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٦٩ ، والخصائص، للنسائي (١٤٠/١٦٨).

## إمام الخوارج وشيخها

حق لأتباع ابن تيمية إطلاق تسميات (الإمام المطلّق) و (شيخ الإسلام) على قائد مسيرتهم الذي سوّغ لهم كلّ منكر، ولما كانوا نواصيًّا فقد وجدوا ضالتهم فيه، فهو أكذب من مسيلمة وإن كان كلّ واحد منهمما في أمر. ولعلنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا أنّ مسيلمة أقلّ خطراً فهو أدعى النبوة من غير معجزة وهذا كافٍ في إثاء أمره! ثم قتله الله تعالى على أيدي جند الإسلام وانحى أثره.

أما ابن تيمية ففتنته قد امتدّت على مدى سبعة قرون، سيق كما ذكرنا ونذكر مفصلاً في موضوعه مرات ثلاث إلى المحاكم ثم إلى السجون بقلعة دمشق يرافقه تلميذه ابن قيم الجوزية، وحكمته: فاسق، زنديق، كافر؛ أمضاه القاضي المالكي والشافعي والحنفي وأخيراً الحنبلي. وتاب كاذباً! إذ أفرج عنه فعاد إلى السجن وهكذا حتّى خرج في الثالثة جسداً بلا روح!  
إنّ مسيلمة لم يتكلّم في ذات الله، فيما خاض ابن تيمية في هذا الأمر مما سنعرض له في عقيدته، ولذا حقوقه وألزم في ذلك. وهذه المسألة من الإرث الجاهلي لأعراب جزيرة العرب عكف عليها ابن عبد الوهاب وتابعه أعراب يجحدون ويذبحون من خالفهم.

والمسألة الأخرى التي تصدر بها هذا الخارجى: ابن تيمية، وست النعم! فصار إمام الخوارج المطلّق وشيخ الإسلام بغضّه الذي لم يُعرف في تاريخ الخوارج! فما من فضيلة لأهل البيت عليهم السلام إلا وأنكرها أشدّ الإنكار ودليله دائمًا إنّ هذا كذب بالإجماع، أو موضوع باتفاق أهل المعرفة بالمنقولات من غير أن

يذكر شيئاً من ذلك. ثم يفرّع على ذلك فيجعل تلك الفضيلة خاصة بالنواصب والخوارج! ونذكر مثلاً من ذلك، ثم نذكر بعض الموارد إدراجاً - وهي كثيرة للغاية - التي يذكر فيها الخوارج ليتبيّن القارئ على صحة ما وصلنا إليه من خارجية ابن تيمية: قال ابن تيمية: قال الرافضي: البرهان الثالث والثلاثون (أي في إمامية أمير المؤمنين علي عليهما السلام) قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُحْسِنُونَ)**<sup>(١)</sup>. روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تأتي أنت وشيعتك يوم القيمة راضين مرضيّين ويأتي خصومك غضاباً مُقْحِمِين ...<sup>(٢)</sup>.

قال الخارجي ابن تيمية: إن هذا معارضٌ ممَّن يقول: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم النّواصب كالخوارج، ويقولون: إنَّ مَنْ تولَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌ فَلَا يَدْخُلُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...<sup>(٣)</sup>.

تعليق: لا يسعني أن أنتقل إلى بقية أقواله في الخوارج من تعليق سريع: من هذا الذي نسب إليه ابن التيمية القول؟ هل هو من أهل العلم بالمتقولات والمعرفة والحديث على عادته المنتظمة إذا أنكر حديثاً؟ أم أنه تركه لبديهة البلاء من أتباعه الذين يستبطئون دوافعه كلامه ويتبعون منكره؟! وأمّا نحن فقد تيقّنا أنه في كلّ موطن يقول فيه هذه الأقوال فإنما يقصد نفسه لا غير! ثم متى

(١) البيّنة: ٧.

(٢) منهاج السنة ٤: ٧٠.

(٣) منهاج السنة ٤: ١٢٧.

صار كلامُ النارِ، الذين هربوا من الكفر وفيه وقعوا، كما أخرج ابن ماجة عن أبي أمامة، وقوله قد ذكرناه «قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً».

ويوم النهروان، تقدم إلى أمير المؤمنين عليه السلام حبيب بن عاصم الأزدي فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء الذين نقاتلهم أكفارٌ هم، فقال عليه السلام: من الكفر هربوا وفيه وقعا<sup>(١)</sup>.  
إن الحكم على الخوارج بالكفر إنما لأنهم كانوا يكفرون أهل الإيمان مثل الصحابي عبد الله بن خبّاب والنسوة اللائي ذكرناهن وقتلهم في وقت كانوا يعفون عن الذمّي ...

هؤلاء الذين قاتلهم حقّ على كل مسلم منهم شرّ الخلق والخلائق خرجوا من الدين ثم لا يعودون فيه ...، وأن أولى الطائفتين بالحقّ وهم أهل العراق مع أمير المؤمنين عليه عليه السلام، يتولّون قتالهم كما أنبأ به رسول الله عليه السلام فكان كما قال. وبعد ذلك كله وغيره: يكون ابن تيمية وأسلافه الخوارج هم خيرُ البرية، وأمير المؤمنين عليه عليه السلام مرتدًا! وشيعته شرُّ البرية!

### ابن تيمية يُصرّح بخارجيته

ذكرنا شيئاً من البراهين على خارجيّة ابن تيمية، من ذلك بعض أقواله التي يتحدّث أسلافه الخوارج، ويذمّ أمير المؤمنين عليه عليه وسلم ويكتفّه، ونذكر هنا بعض أقواله التي تقطع وبجزم بخارجيته أخذناها من منهاج ضلاله «منهاج السنة» من

---

(١) الفتوح ٤: ١٢٧.

غير أن نعلق عليها وإنما أكتفينا بوضع خطٍ على ما لزم ووجب: قال الخارجي ابن تيمية: إنَّ علياً لم ينزعه المخالفون، بل القادحون في عليٍ طوائف متعددة وهم أفضل من القادحين في أبي بكر وعمر وعثمان والقادحون فيه أفضل من الغلاة فيه فإنَّ الخوارج متتفقون على كفره وهم عند المسلمين كلهم خيرٌ من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته، بل هم والذين قاتلوا من الصحابة (طلحة والزبير عبد الله بن الزبير ومروان ومعاوية والضحاك ...) والتابعين خيرٌ عند جماهير المسلمين من الراضة الثانية عشرية الذين اعتقدوا إماماً معصوماً.

والخوارج المكثرون لعليٍ يوالون أبا بكر وعمر ويترضّون عنهم، والرواياتية الذين ينسبون علياً إلى الظلم ويقولون إنه لم يكن خليفة، يوالون أبا بكر وعمر ...، فكيف يقال: إنَّ علياً نزعه المافق والمخالف بخلاف الحلفاء الثلاثة؟ ومن المعلوم أن المنزهين لهؤلاء أعظم وأكثر وأفضل وأن القادحين في عليٍ حتى بالكفر والفسق والعصيان طوائف معروفة وهم أعلم من الراضة وأدين والراضة عاجزون معهم علماً ويداً فلا يمكن الراضة أن تقيم عليهم حجّة تقطعهم بها ولا كانوا منصورين عليهم في القتال (في الجمل، وصفين، والنهروان؟!)، والذين قدحوا في عليٍ وجعلوه كافراً وظالماً، ليس فيهم طائفة معروفة بالردة عن الإسلام ...، فمن يُكفر علياً ويُلعن من الخوارج (ليس فيهم من لعنه وإنما برأوا منه وبرأ منهم!) وممّن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبني مروان وغيرهم فإنَّ هؤلاء كانوا مقرّين بالإسلام وشرائعه يقيّمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت العتيق ويحرّمون ما حرم الله ورسوله ...،

فالمتذمرون لعثمان القادحون في عليٍّ أعظم وأدين وأفضل من المتذمرين لعليٍّ القادحين في عثمان<sup>(١)</sup>.

قال: إن الرافضي لا يمكنه أن يثبت إيمان عليٍّ وعدالته وأنه من أهل الجنة فضلاً عن إمامته إن لم يثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان وإن فمتي أراد إثبات ذلك لعليٍّ وحده لم تساعدني الأدلة.

فإذا قالت الخوارج الذين يكفرون عليه<sup>(٢)</sup> أو النواصب الذين يفسقونه أنه كان ظالماً للدنيا وأنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألواناً من المسلمين حتى عجز عن

انفراده بالأمر فهذا الكلام إن كان فاسداً، ففساد كلام الرافضي في أبي بكر وعمر أعظم<sup>(٣)</sup> ...

قال: إذا قالت لهم الخوارج وغيرهم ممن تُكفَّر أو تُعسَّف له لا نُسلِّم أنه كان مؤمناً بل كان كافراً...، لم يكن لهم دليل على إيمانه! وعلمه إلا وذاك الدليل على أبي بكر وعمر وعثمان أدل. فإن احتجوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده، فقد تواتر ذلك عن هؤلاء بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وبني العباس وصلاتهم وصيامهم وجهادهم للكفار. فإن أدعوا في واحد من هؤلاء التفاق أمكن الخارجي أن يدعى التفاق (أي في عليٍّ عليه السلام)، وأنه سعى في قتل

---

(١) منهاج السنة: ٣: ٣.

(٢) نعتذر من القارئ الكريم أن نذكره بما تقدم من القول أن الخوارج لم تكفر عليه<sup>(٤)</sup> عليه السلام، وإنما الكلمات القارضة هذه هي لابن تيمية وإنما الذكر اسم واحد من أولئك!

(٣) منهاج السنة: ١: ١٦٢.

ال الخليفة الثالث! وأوقد الفتنة حتى غلا في قتل أصحاب محمد وأئمته ( أصحاب الجمل الذي خرجوا عليه) بعضاً له - أي للنبي! - وعداؤه وأنه كان مباطناً للمنافقين الذين أدعوا فيه الإلهية والنبوية؛ وكان يُظهر خلاف ما يُيطن لأنّ دينه التقى! فلما أحرقهم بالنار أظهر إنكار ذلك وإنّ فكان في الباطن معهم، ولهذا كانت الباطنية من أتباعه وعندهم سرّه وهم يقلون عنه الباطن الذي ينتحلونه

(١) ...

قال: إن إخباره (أي النبي ﷺ) أنّ علياً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله حق وفيه رد على النّواصب! لكن الرافضة الذين يقولون أنّ الصحابة ارتدوا بعد موته لا يمكنهم الاستدلال بهذا لأنّ الخوارج تقول لهم هو من ارتد أيضاً (٢).

قال: والخوارج أعقل وأصدق وأتبع للحق من الرافضة، فإنهم صادقون لا يكذبون أهل دين ظاهراً وباطناً، وأما الرافضة فالجهل والموى والكذب غالب عليهم وكثير من أئمتهم وعامتهم زنادقة ملاحدة (٣) ...

قال: لم تكفر الصحابة الخوارج مع تكفيরهم - أي تكفير الخوارج - لعثمان

---

(١) منهاج السنة :١٦٣.

ما جاء به الأفّاك الأشر، ستكلّم عليه في موضعه، ولكن: متى كفر علي ليتقل إلى إيمان؟! كل سجد لصم وبasher رذيلة، وعلى من رحم فاطمة بنت أسد إلى رحم الكعبة ومن ثم إلى حضن النبي ليطعمه ريقه، وما قيل كرم الله وجهه إلا لعلي عليه لتكريم وجهه عن السجود للأصنام.

(٢) نفسه :٩٨.

(٣) نفسه .٧٠.

وعليّ ومن والاهم واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم <sup>(١)</sup>.

قال: قوله عليه السلام: «لأعطيت الرّاية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» قال: فتطاولنا، فقال: ادعوا لي علياً فأتاه وبه رد فبصق في عينيه ودفع الرّاية إليه ففتح الله على يديه «أنكر مسألة الفتح أشد الإنكار في كلامه عن فتح خير وقد تكلّمنا عنه في محله» هذا الحديث أصح ما يحتاج به على النّواصب الذين يتبرّأون منه ولا يتولّونه ولا يحبّونه بل قد يكفرونّه أو يفسّقونه بالخوارج؛ فإنّ النبي شهد له بأنه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، لكن هذا الاحتجاج لا يتمّ على قول الرافضة الذين يجعلون التّصوّص الدالّة على فضائل الصحابة كانت قبل رحّمهم فإنّ الخوارج تقول في علي مثل ذلك. <sup>(٢)</sup>

نكتفي بهذا المقدار من أقوال ابن تيمية التي دافع باطلًا بما عن الخوارج تارةً، وأخرى، وهي الأكثر: شنّ غارة النّصب على لسان الخوارج وهم أطهر منه وأفضل! كلمة إنصاف بحقّ الخوارج: إنّ الخوارج على ما هم عليه وما جاء فيهم من النّكير ونعتهم بكلاب النار، ووجوب قتلهم...؛ إلاّ أنّنا وجدناهم لما ناظرهم أمير المؤمنين علي عليه السلام فإنّ ثانية آلاف من حوارج الكوفة قد أقرّوا بخطيئتهم وأعلنوا التوبة واعتزلوا أصحابهم ...

وأمام الذين ظهروا فيما بعد فقد اقتدوا بآثار سلفهم: فهم يرون أنّ عثمان قد أثار الفتنة باستيلائه على أموال بيت المسلمين وإيوائه الطريد «الحاكم» وتسلیطه

---

(١) نفسه: ٣: ٢٣.

(٢) منهاج السنة: ٣: ١.

آل بنى مُعيط رقاب المسلمين، وأمّا أمير المؤمنين عليٰ عَلَيْهِ الْكَفَافُ؛ فكلامهم فيه كلام سلفهم أيضاً من تحكيم الرجال من غير أن يرجع عن ذلك إلاّ أنه إمام عدل مرضي لم يظهر منه كفر - كما زعم ابن تيمية وألقاه على ألسنتهم -، وإن طلحة والزبير بايعا علياً عَلَيْهِ الْكَفَافُ ثم نكثا البيعة وأخرجا عائشة تقاتل؛ وهما «طلحة والزبير» كانوا أشد الناس على عثمان. هذا هو رأي الخوارج.

ولنسمع ابن عبد ربه الأندلسبي ماذا يذكر في الذي ذكرناه وفي الذي قال: هم - أي الخوارج - وابن الزبير: فبلغهم خروج مسلم بن عقبة إلى المدينة وقتلها أهل حرة، وأنه مُقبل إلى مكة<sup>(٤)</sup>، فقالوا: علينا أن نمنع حرم الله وفتحن ابن الزبير،

(٤) إن الخوارج الذين أكثر الناصريين الخارجيين الشتاد عنهم! ابن تيمية، ووصفهم بالصدق؛ فهم كذلك، على خلاف ابن تيمية إلا في مسألة البراءة مَنْ لم يتبعهم على رأيهم؛ ولذا لم يكونوا مثل الخارجيين الناصريين الذي غلبت عليه بيعة تمرور بعائد الصابحة واليهود والتصارى وأموية لم تنزع ثياب الجاهليّة ولها أحقادها على الرسول عَلَيْهِ الْكَفَافُ والوصي عَلَيْهِ الْكَفَافُ وأهل بيته عَلَيْهِ الْكَفَافُ ولذا جاؤوا يمنعون حرم الله من أرباش أهل الشام الذين بعثهم الناقص ابن معاوية بعد أن أوقع بأهل المدينة وتوجه جيشه صوب البيت الحرام إذ عاد به عبد الله بن الزبير.

أمّا ابن تيمية فهو ينتصر لبني أمية قاطبة: أبوسفيان الذي يقول عنه سيد قريش في الجاهليّة وقائد حروبها ضد رسول الله! ويتكلّم عن إيمان معاوية ويزيد وصلاتهم وصيامهم وجهادهم ومحاجتهم، على ما ذكرنا، ويتقدّم أمير المؤمنين علياً عَلَيْهِ الْكَفَافُ ويثبت إيمانه ويصفه بالتفاق؛ ويفضّل أتباع بنى أمية على أتباع أهل البيت؛ إلا أن الخوارج على تقديره تماماً! ولذلك حمل الحسين عَلَيْهِ الْكَفَافُ سبب مقتله وبّاً يزيد من ذلك؛ وكذلك حمل أهل المدينة سبب ما حدث في وقعة الحرة، وحمل ابن الزبير ما وقع للحرم المكي! وليس هنا محلّ إعطاء الأمور المذكورة حقّها وستفرد لها باباً نتكلّم فيه عن بنى أمية في ضوء منهج ابن تيمية وما خلّف. إلا أن المناسب =

= القول موجزاً: أنَّ يزيد حكم ثالث سنتين وستة أشهر، اشتُهِرَ عنه معاقرة الخمور والفحور والجماع بين الأخرين واللهم مع القيام حتَّى تفوتَه الصلوات! والظلم والخذل قدأ سماته: قُبِيسَ لبسه الذهب كان يجلسه معه على منبر المسلمين يلاعنه

...

ارتكب يزيد خلال سنوات حُكمه الثلاث، ثلاث جرائم عظمى، برأ منه أعني العتاة أنْ يعيشه في بعضها على ما سترى، وسارع الخوارج لدفعه عن الجريمة الثالثة، وأطبق المؤرخون: سَلَغِيونَ وَغَيْرُهُمْ مَا فِيهِمْ تلامذة ابن تيمية، مثل: ابن الوردي الذي بقى ملزماً له حتَّى هلك الأستاذ في حبسه؛ والسلفي المزيي الذي فارق أستاذه لما ظهرت له حقائقه وفساد عقيدته حتَّى أنه لم يترجم له في موسوعته (تحذيب الكمال) حتَّى ضمن المجهولين والمهملين ومنهم تلميذه الذهبي الحنبلي وقد فارقه كذلك، وأيضاً ابن كثير الحنبلي. ذكرنا هؤلاء لأنَّهم من أئمَّة السلف وتلامذة مباشرة لابن تيمية الذي برأ ساحة يزيد من جرائمه الثلاث! ففي السنة الأولى من حكمه المشئوم قتل سبط رسول الله عليه السلام ورياحاته سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته وأصحابه الكرام وجرى لعياله من الأسر ما هو معلوم...؛ وفي السنة الثانية أوقع بأهل المدينة المقدمة هتك حرمة مدينة رسول الله عليه السلام وأوكل مهمته إلى الطاغية ابن مرحانة (عبد الله ابن الدعي زيد بن سُميَّة) فقد كتب إليه: أنْ أغُرْ ابن الزبير، فقال: لا أجمعهما للفاسق أبداً! أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وأغزو البيت. (تاريخ الطري ٤ : ٣٧١).

تبينت كلمة الأبناء وتناقضت! فالأول الذي حطَّ رحال نسبه عند تيمية، قد توفي سنة (٧٢٨هـ). وأما ابن زيد ثمَّ ابن سُميَّة، فهو ابن القرن المجري الأول وهو الذي أوكل إليه ابن ميسون قتل الحسين وأهل بيته عليهما السلام وصحابته الكرام؛ فهو أعرُفُ بحاله ولذا رفض أوامره مع اعتراضه بجرعته في قتل ابن بنت رسول الله عليه السلام... ووصف يزيد بالفسق، وكلَّ ذلك ينفيه ابن تيمية وحلفه. ولنا ردًّا على أحد متأخرِيهم إذ كتب (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) ونشرته وزارة المعارف بالملكة العربية السعودية، نفي فيه ما أثبتته التاريخ من القرون الأولى، وأقرَّها أئمَّة السلف منهم من ذكرنا آنفاً للوشيعة بينهم وبين ابن تيمية.

فإن كان على رأينا تابعناه، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرّفوه أنفسهم وما قدّموا له، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم أهل الشام ومسلم بن عقبة، فدافعواه

= ولما رفض قاتل الحسين عليه السلام طاعة الناقص كتب هذا إلى عمرو بن سعيد بأمره فرفض ...، عند ذلك بعث إلى مسلم بن عقبة فقبل المهمة وقد أجمع المؤرخون على تسميتها: مسرف، و مجرم، والشيخ الضال ...، فقال: وتجهني إليهم، فو الله لا دعن أسفلاها أعلاها، يعني مدينة رسول الله عليه السلام (تاريخ اليعقوبي ٢٥٠: ٢) وكان دستور يزيد لمسلم وأهل الشام هو إباحة المدينة ثلاثة أيام ... وكان مسرف يسمى مدينة رسول الله (تنبأ) وقد سماها رسول الله: (طيبة). (مروج الذهب ٦٩: ٣).

حرق الكعبة: توجه الجيش الشامي صوب البيت الحرام وطال حصار ابن الزبير حتى السنة الثالثة من حكم الطاغية يزيد، وكان ابن الزبير يسمى نفسه العائد بالبيت. وقبل وصول أهل الشام إلى بيت الله وهم الذين سمّتهم الرعاية الأموية: الأبدال؛ أي يُبدل الله بهم ويختارهم من دون غيرهم ليتصدر بهم لدينه على طول التاريخ فلا يخرج إلى غيرهم! ولذا جُنِّدت ألف امرأة من غير زوج وافتُضلت ألف بُكْر لما دخلوا حرم رسول الله عليه السلام (البداية والنهاية ٨: ٢٢٠ - ٢٢١، تاريخ الخلفاء ٢٣٣)، وغير ذلك من الفضائح التي سُوَدَت وجه بني أمية وابن تيمية.

هلاك الطاغية: قبل وصول الأبدال مكة احتضر مسرف، وامتثالاً لأوامر مولاه ولّى على الجيش الحصين بن نمير الشكوني وقال له: يا برذعة الحمار! إذا قدمت مكة فلا يكون عملك إلا الوقاف ثم الثغاف ثم الانصراف، وهلك ... (تاريخ اليعقوبي). وتوجه أهل الشام نحو مكة، وجاء بجدة الحنفي في أنساب من الخوارج يمنعون البيت الحرام (من الأبدال!). حاصر الحصين البيت الحرام أربعاء وستين يوماً ورموا البيت بالحجارة بالأحجار والنفط ... فاحتراق وانهدمت أركان الكعبة والأبدال يرتجون جذلين ... نرمي بما أعادوا هذا المسجد! (الإمامية والسياسة ٢: ٩، تاريخ الطبرى ٣: ٣٨٣، تاريخ اليعقوبي ٢٥٢، مروج الذهب ٣: ٧٢، البداية والنهاية ٨: ٢٢٥).  
إذ برأ يزيد من تلك الشنائع، وبدأ على منهج ضلاله خارجة عصرنا!!!).

إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية، ولم يتبعوا ابن الزبير، ثم تناظروا فيها، فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده، فإن قدم أبا بكر وعمر وبرا من عثمان وعلي، وكفر أباه وطلحة بايعناه، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يُجذبنا علينا. فدخلوا على ابن الزبير وهو مُبتدَل<sup>(١)</sup> وأصحابه متفرقون عنه، فقالوا له: إن جئناك لتُخبرنا رأيك، فإن كنت على صواب بايعناك، وإن كنت على خلاف دعوانا إلى الحق؛ ما تقول في الشيختين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان الذي حمى الحمى<sup>(٢)</sup>، وأوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه، وأوطأ آل بيي مُعيط رقاب الناس وآثراهم بغيء المسلمين؛ وفي الذي بعده الذي حكم الرجال في دين الله وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم؛ وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا علياً، وهو إمام عادل مرضي لم يظهر منه كفر، نكثا بيته وأخرجها عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يُفْرِنَ<sup>(٣)</sup> في بيتهن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة، فإن أنت قبلت كل ما نقول، لك الزلفى عند الله، والنصر على أيدينا إن شاء الله، ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبى، خذلك وانتصر منك بأيدينا<sup>(٤)</sup>.

(١) مُبتدَل: غير مختار ومصنون.

(٢) حمى الحمى: يريدون أنه خالف قول رسول الله ﷺ: (لا حمى إلا الله ورسوله) أي: لا يحمى للخيال التي تُرصد للجهاد والإبل التي يُحمل عليها في سبيل الله.

(٣) يُفْرِنَ: يجلسن في بيتهن ولا يخرجن.

(٤) العقد الفريد: ٢٣٥.

و قبل أن نسمع جواب ابن الزبير أشد الناس بعضاً لأمير المؤمنين عليٰ عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ ، تخلّى ذلك أوضاع ما تخلّى باستماتته في حرب الجملة . أقول: إنّ الخوارج الذين كذب عليهم الخارجي الناصبي ابن تيمية، في قولهم أنّ الخوارج قد كفروا علياً وعثمان! وجدناهم هنا مثلما استنتجنا وأسفتنا النصوص من قبل أئمّة كفروا طلحة والزبير؛ وقد نكثا يعتهم لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ وأخرجا عائشة تقاتل، وليس هذا شأنهما؛ وذكروا مثالب عثمان من غير تكفير مثلما أثبتوا ذلك لطلحة والزبير ولذلك طالبوا ابن الزبير أن يعلن توبيته لأنّه طرف فاعل وهو وأبوه وطلحة وغيرهم ممّن حلفوا بالله لعائشة بشأن ماء الحوّاب كذباً، فكانت أول شهادة زور في الإسلام، ولذا طالبوا بالتوبيه لينصروه . وأمّا بشأن أمير المؤمنين عليٰ عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ فهو عندهم إمام عادل مرضي لم يظهر منه كفر، إلاّ أئمّة بقوا على الشّبهة التي وقع فيها سلفهم وهي تحكيم الرجال!

[ جواب ابن الزبير ] فقال ابن الزبير: إن الله أمر ولوه العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعنى العاتين بأرق من هذا القول؛ قال موسى وأخيه صلى الله عليهما: (إذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَلَغَ \* قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَسِنًا لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَعْلَمُ) <sup>(١)</sup> . وقال رسول الله: (لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى). فنهى عن سب أبي جهل من أهل عِكرمة ابنته، وأبو جهل عدو الله ورسوله، والمقيم على الشرك والجحود في محاربة رسول الله قبل الهجرة والخابط له بعدها، وكفى بالشرك ذنباً؛ وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذي سمّيتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا: أتيراً من الظالمين؟ فإن

---

(١) طه: ٤٣، ٤٤.

كانا منهم دخلا في غمار الناس <sup>(١)</sup>، وإن لم يكونوا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبـه، وأنتم تعلمون أن الله عز وجل قال للمؤمن: (إِنَّ جَاهَدَكُمْ عَلَى أَنْ تُشْرِكُوا مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعُوهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) <sup>(٢)</sup> وقال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) <sup>(٣)</sup>. وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده، وليس يقنعكم إلا التوفيق والتصريح، ولعمري إن ذلك أحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه. فروحوا إلى من عشيّتكم عنده أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى <sup>(٤)</sup>.

### خطبة ابن الزبير فيهم

فلما كان العشي راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبس سلاحـه، فلما رأى ذلك نجدة <sup>(٥)</sup>، قال: هذا خروج منابذ <sup>(٦)</sup> لكم. فجلس على رفع من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلـى على نبيـه، ثم ذكر أبيا بـكر وعمر أحسن ذـكري، ثم ذـكر في السنين الأوائل من خلافـته؛ ثم وصلـهـن بالسنـين التي أنكروا سيرـته فيها فجعلـها كالمـاضـية، وأخـبر أنه آوى الحـكم بن أبي العاص بإذـن رـسـول الله، وذكر الحـيمـى

(١) غـمار الناس: جـهـلـهـمـ.

(٢) لـقـمان: ١٥.

(٣) الـبـقرـة: ٨٣.

(٤) الـعـقـدـ الفـرـيدـ: ٢ - ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٥) نـجـدةـ بنـ عـاصـمـ الـحنـفيـ الـخـارـجيـ.

(٦) منابـذـ: منـاجـزـ وـمعـارـضـ وـمـعـدـ لـحـربـ.

وما كان فيه من الصلاح! وأنّ القوم استعتبروه من أمرٍ ما كان له أن يفعلها أولاً مصيباً ثم اعتبهم بعد ذلك محسناً...، وراح يذكر ما كان من أمور عثمان مثل كتابة الكتاب باسمه في قتل فلان وفلان وقطع يد فلان وفلان...، مما مرّ تفصيله سابقاً؛ ودافع عن أبيه وصاحبـه طلحة وعائشة؛ فانصرفوا عنه<sup>(١)</sup>.

### كتاب ابن الأزرق إلى ابن الزبير

وكتب بعد ذلك نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره: أما بعد، فإني أحذرك من الله: يوم تجده كل نفسٍ ما عملت من خيرٍ مُحضرًا وما عملت من سوءٍ تؤدي لـه لو أنّ بيها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، فاتق الله ربكم ولا تتولَّ الظالمين، فإنّ الله يقول: (وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) <sup>(٢)</sup> وقال: (لَا يَتَخَدَّدُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْ إِيَّاهُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ) <sup>(٣)</sup>، وقد حضرت عثمان يوم قتل. فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولكنّ كان قاتلوه مهتدٰين، وإنّهم لمهددون، لقد كفر من تولاه ونصره ولقد علمت أنّ أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل، وأنت تتولّ أباك وطلحة وعثمان، فكيف ولأيّه قاتلٌ متعمّدٌ ومقتول في دين واحد؟ ولقد ولي عليّ فنفي الشبهات، وأقام الحدود، وأجرى

(١) العقد الفريد . ٢٣٧.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) آل عمران: ٢٨.

الأحكام بجاريها، وأعطي الأمور حقّها فيما عليه وله، فباعه أبوك وطلحة، ثمّ خلعا بيته ظالمين له، وإنّ القول فيك وفيهما للكما قال ابن عباس (رحمه الله): إن يكُن عَلِيٌّ في وقت معصيتكِ ومحاربتكِ له كان مؤمناً لقد كفترت بقتل المؤمنين وأئمّة العدل، ولكنّ كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائراً لقد بؤتم بغضّ من الله لفرازكم من الزحف، ولقد كنت له عدوّاً، ولسيرته عائباً، فكيف توليته بعد موته؟!<sup>(٦)</sup>

### عليّ عليه عليه في وصف الخارجيّ: ابن الأزرق؛ والخارجيّ ابن تيمية

أيُّ كذاب أشر، أي شانع أبتر، أي...؟! ظلم الخوارج بما وزر! هلا رحم نفسه فكان في الشمانية آلاف خارجي ممّن أعلنوا التوبة فرجعوا إلى أمير المؤمنين علي عليه عليه، هلا كان خارجيّاً فلا يقول إلاّ حقاً ويختبئ الكذب! ولو صدق فهو العجب! دعنا منه وقد ذكرنا كثيراً من منهاج ضلاله وما يصف به أمير المؤمنين علي عليه عليه، ولنوازن بين منطقه ومنطق الخارجيّ ابن الأزرق، مرّ بنا:

فكمَا ذكرنا أن طلحه والزبير قتلة عثمان، وذكره ابن الأزرق والخوارج قد قاتلوا عليه عليه إلاّ أئمّهم ينطّقون بحقّه:

لقد أقام الحدود التي أبطلها غيره، وطهّر الشريعة من كلّ شبهة طارئة واجتهد قبال الشرع! وأجرى الأحكام المعطلة وأنصف الأمور إن كانت له أو عليه فهو ميزانٌ عدٍ لا عُيْق فيه، ولم يذكر في كتابه أنّه سفك الدماء وقتل

(٦) العقد الفريد . ٢٣٨

الألف من أجل الرياسة كما قال المخارجي الثاني ابن تيمية!  
 وإذا شهدت الخوارج بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وأنكرها الضلال ابن تيمية؛ فإن النواصب الذين ألقوا ما في نفسه على ألسنتهم كما فعل مع الخوارج، ومن أولئك معاوية وبطانته بحدتهم يقرّون لأمير المؤمنين علي عليه السلام بفضائله وهم القاسطون الذين أخبر رسول الله عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين علي عليه السلام يقاتلهم بعد قتاله للناكثين ثمَّ أخيراً المارقين، صدق رسول الله عليه السلام إذ كان الأمر كما قال.

### معاوية يدحض دعوى باطلة بحق علي عليه السلام

حدّث الزبير بن بكار، عن رجاله قال: دخل محقق بن أبي حقن الصبي على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين جئتكم من عند ألم العرب، وأدخل العرب وأعيا العرب وأجبن العرب! قال: ومن هو يا أخابني تيم؟ قال: علي بن أبي طالب. قال معاوية: اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخوكم العراقي، فابتدروه أيّهم ينزل عنده ويُكرمه. فلما تصدّع الناس عنه قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه فقال له: ويحك يا جاهل، كيف يكون ألم العرب وأبواه أبو طالب وجده عبد المطلب وامرأته فاطمة بنت رسول الله [عليه السلام] .<sup>(٤)</sup>

(٤) هذه هي أعظم عقد (ذوي العاهات) بعد الإمامة والولاية والسابقة والمنزلة الخاصة (حديث المنزلة) ...؛ فإنَّ معاوية قد قاتل علياً أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين، وسن سنة لعنه عقب الصلاة، إلا أنه مثل الخوارج مع ترجيح لكتلة هؤلاء عليه! لم يكفر علياً مثلما فعل الخوارج، ونطق بفضائل علي عليه السلام في حين كفره وفتنته ونعته بالنفاق ابن تيمية ففان الأولين والآخرين ١ في هذه المعاناة: (عقدة النقص) وقد مضى الكلام في عقدة نسبه من طرف أمه وأبيه، مع انغراس صفة =

وأئن يكون أبخل العرب؟ فو الله لو كان بيtan؛ بيـتـ تـبـ وـيـتـ تـبـ، لأنـدـ تـبـهـ قـبـلـ بيـتـهـ.  
 وأئن يكون أجبن العرب؟! فـوـ اللهـ ماـ التـفـتـ فـتـانـ قـطـ إـلـاـ كـانـ فـارـسـهـمـ غـيـرـ مـدـافـعـ!  
 وأئن يكون أعيا العرب! فـوـ اللهـ ماـ سـنـ الـبـلاـغـةـ لـقـرـيـشـ غـيـرـ! وـلـمـ قـامـتـ أـمـ مـحـقـنـ عـنـهـ أـلـمـثـ  
 وـأـبـخـلـ وـأـجـبـنـ وـأـعـيـاـ لـبـظـرـ أـمـهـ. فـوـ اللهـ لـوـ لـاـ مـاـ تـعـلـمـ لـضـرـبـ الذـيـ فـيـهـ عـيـنـاـكـ. فـإـيـاـكـ عـلـيـكـ لـعـنـهـ اللهـ  
 وـالـعـودـةـ إـلـىـ مـثـلـ ذـلـكـ!

قال: والله أنت أظلم مني، على أي شيء قاتلته وهذا محله؟!

قال: على خاتمي هذا، حتى يجوز به أمري.

قال: فحسبيك ذلك عوضاً من سخط الله وأليم عذابه <sup>(١)</sup>.

= الحسد فيه وفي عائلته ومحبته، وأثر البيئة في حرمان الشام والتزوح الخارجية التي يحملها بين جنبيه، كل ذلك وغيره أدخله في معركة وحرب كلامية كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً؛ بل صاحبنا من بعد ضعفٍ أنكاثاً!! بدأ حربه الكلامية مع (الله عزوجل) فأراده وأخزاه فطيف به ثلث مرات مشهراً به على بغلة بالملقب حاسر الرأس مضروباً بالذرة ومنادياً عليه أنَّ من يعتقد عقيدته يُسجن فخاف الخاتمة واحتفلوا وجرت لهم بسيبه محن ...

(١) كشف العُمة، للأربلي، من أعلان القرن السابع ٤٤:٢، وكشف اليقين، للعلامة الحلبي ٤٧٤ - ٤٧٥.

وفي الأنبار الطوال ٢٦٠ (محققين ثعلبة)؛ وفي الطبراني ٦:٢٦٤، والإكمال، لابن ماكولا ٧:١٦٤، وتاريخ دمشق ٥٧:٩٨ - ٩٩: مخفر بن ثعلبة - بالفاء - بنقطة واحدة؛ وفي جمهرة نسب قريش، لمصعب ٤٤١: مخفر - من غير شدة - .

صحيح أنّ ابن تَمِيمَيْه أثَرَتْ بَيْتَهُ فِيهِ، سُوَاءً فِي حَرَانَ أَمْ فِي دَمْشَقَ مَعَ مَدَارَاتِهِ لِلْبَيْتَةِ الَّتِي شَبَّ فِيهَا وَأَمْضَى فِيهَا أَطْوَلَ سَنِّيَّ عُمْرِهِ بَعْدَ أَنْ فَرَّتْ أَسْرَتِهِ الْخَبْلِيَّةِ النَّشَأَةَ الْأُمُوَّيَّةَ الْمُوَى مِنْ حَرَانَ عَلَى إِثْرِ الْغُزْرَوِ الْمُغْوِلِيِّ، فَاسْتَوْطَنَتْ دَمْشَقَ وَاصْطَبَغَتْ بِلْبُوسِهَا وَهِيَ مَهِيَّةً بَدْأًا لِذَلِكَ؛ وَكَمَا ذَكَرْنَا فِيْ إِنَّ ابْنَ الْأُسْرَةِ تَلْكَ كَتَبَ مَؤْفَفَاتِهِ فِي تَلْكَ الْأَحْوَاءِ.

فَذَكَرَ بْنِي أُمِيَّةَ وَأَشْيَاعِهِمْ مُفْضَلًا إِيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ طَبَّالًا وَأَشْيَاعِهِمْ، مَتَّبِعًا مِنْهُجًا إِسْقَاطِيًّا حَمَّلَ أُوزَارَ أَوْلَئِكَ عَلَى الشَّجَرَةِ الْمَبَارَكَةِ وَشَيْعَتْهُمْ. وَالْإِشْكَالُ عَلَيْهِ، وَمَا أَكْثَرُهُ إِذْ تَعَاضَدَتْ بَيْتَهُ حَرَانَ مَعَ مَا نَعْقَدُهُ مِنْ إِرْثِهِ الْخَارِجِيِّ، فَفَضَّلَ الْخَوَارِجَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَشَيْعَتْهُمْ، وَكَذَبَ عَلَى الْخَوَارِجَ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَنْكَارِهِمْ وَنَسْبِ إِلَيْهِمْ مَا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ هُوَ مِنَ الشَّتَائِمِ الْوَقْحَةِ الَّتِي تَبْلُغُ حَدَّ الْكُفُرِ بِحَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ طَبَّالًا...؛ فَكَذَلِكَ الْإِشْكَالُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِيَّهِ الْمُضْطَرَّةِ الَّتِي كَانَ لَبَيْتِهِ حَرَانَ، وَقَدْ احْتَمَلَنَا أَنَّ أَصْحَابَ تَلْكَ السَّرَادِيبِ الْمُظْلَمَةِ مِنَ الصَّابَائِهِ كَيْفَ يَصْطَادُونَ الْأَطْفَالَ بِحِيلِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَعَهُمْ أَفْاعِيلَ تَؤَثِّرُ فِي نَفْوِهِمْ وَتَرِكُهُمْ عَقِيدَيًا، وَشَيْوَعُ الْعَقِيْدَةِ الْيَهُودِيَّةِ هُنَاكَ تَرَكَ آثَارَهَا فِي ذَهْنِهِ وَظَهَرَتْ فِيْمَا بَعْدِ فِي مَا كَتَبَ فِي عَقِيْدَتِهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَشْبِيهِ وَتَجْسِيمِ، وَغَيْرِهَا مِنْ صَفَاتِ الْمَخْلُوقِينِ.

أَقُولُ: تَعَاضَدَتْ تَلْكَ الْعَوَامِلُ لِيَشْحُنْ مَنْهَاجَ ضِلَالِهِ بِتَعْظِيمِ بَنِي أُمِيَّةَ وَأَشْيَاعِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَشَيْعَتِهِمْ، وَذَكَرْنَا مَا فَعَلَهُ مَعَ الْخَوَارِجِ، فَوَجَدْنَاهُمْ يَعْظِمُونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ بِشَأنِهِ إِمامٌ حَقٌّ عَادِلٌ مَرْضِيٌّ لَمْ يَظْهُرْ مِنْهُ كُفُرٌ؛

وإنما خالفوا منهج ابن تيمية! الذي مارس الإسقاط فجعل من الفاعل بريء: عائشة وطلحة والزبير ومروان ...، وبعد أن تمت صفقتهم الخاسرة في قتل عثمان الذي كان خير ناصر له: أمير المؤمنين علي عليهما السلام وبنيه وبنو هاشم وآل النبي من أبناء الصحابة، فيما كان معاوية منشغلًا بيده التي لا تشبع بعد دعوة النبي عليهما السلام وملاذه ومتربأً حصاد الحوادث، فما له ولابن عمّه عثمان، فإن سلم، فيدُه قد بسطها عثمان أوسع مما ولاه عمر «الشام» وإنما ضم إليه مصر وأقاليم أخرى، مر تفصيل ذلك. وإن قُتل، فأقل ما يبيده الشام التي عُرف أهلها أكْمَم يعطون الطاعة من غير جدال

...

بعد تلك الصفقة توجه القتلة صوب البصرة فكانت وقعة الجمل، وفيها قُتل أحد أصحاب رسول الله عليهما السلام ذلك هو: طلحة، أول من بايع علياً عليهما السلام ثم نکث، وكان هو والزبير أشد الناس على عثمان، فلما رأى مروان أن المزينة حلّت بهم سرّد سهماً نحو طلحة فقتله وقال: لا أطلب ثأري بدم عثمان بعد اليوم أحداً!

هؤلاء هم الصحابة الذين كفّرهم الخوارج على ما مرّ بنا، ووصفوا علياً عليهما السلام بنفيه الشبهات وإقامة الحدود وإعطاء الأمور حقّها ...

وكما ذكرنا للخوارج أقوالاً ومواقف تنقض مزاعم ابن تيمية وتظهر ناصبيته المُعوقة النبي وأهل بيته عليهما السلام أجمعين، وقد ذكرنا نموذجاً من أوجوبة معاوية الذي قاتل علياً؛ وكيف تصدّى لمن جاء يتنتّصه وقد علم أنما هو منافق يُصانع؛ فقلب معاوية المعادلة تماماً.

ومن أقوال معاوية في حق أبي الحسن علي عليهما السلام:

ذكر ابن عساكر، قال: قال معاوية: ما زُمِيتُ في مُصَمَّمٍ مثل أبي الحسن عليٍّ بن أبي طالب <sup>(١)</sup>.  
قطط.

هذا وهو معاوية! فهو إذ يقرّ لأمير المؤمنين بالشدة في الأمور والشجاعة ويصفه بالأسد؛ فإنه كنّاه أولاً ثم سماه باسمه الصريح. فهلاً التفت ابن تيمية إلى غلواء نفسه وقرينه هذا الذي لا يفارقه ثمة لحظة يزيده سوءاً إلى سوء وبغيضة إلى بغيضة في حق عليٍّ وأهل البيت وشيعتهم و يجعلهم معدن كلّ مفسدة ورذيلة. والملتقي عند حكيم عدل و حينها يخسر المبطلون.

وذكر ابن عساكر أنّ أبا مسلم الخوارج جاء ومعه ناس إلى معاوية فقالوا له: أنت تنزع عليناً أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله، إنّي لأعلمُ أنّ علياً أفضليّ معي، وإنّه لأحق بالامر معي، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتل مظلوماً وأنا ابن عمّه؟ وإنّما أطلب بدم عثمان فقولوا له فليدفع إلى قتلة عثمان، وأسلّم له <sup>(٢)</sup>.

من نافلة القول كما يقولون ومن غير الاستغراب: فإن معاوية أقرّ أنّ علياً <sup>عليه السلام</sup> أفضليّ منه مثلما أقرت الخوارج بفضله <sup>عليه السلام</sup>؛ وسلم بأنّ علياً أحق بالأمر منه؛ وبذا بطلت مقوله الجانبي على نفسه المنتصر لغيره وغيره يرفضه: ابن تيمية: بأنّ علياً قاتل على الرئاسة وأراق الدماء من أجلها ...، وبتجاهل إصرار القوم على بيته ورفضه <sup>عليه السلام</sup> لذلك حتى يُوبع إجماعاً طوعياً لا سقيفياً ولا شهراً لسيف ولا قتلاً عاماً للقبائل الممتنعة عن البيعة فحبست زكاتها فسمّيت ردة عن الإسلام

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥: ٤٠.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٣٢.

وجرى ما ذكرناه؛ وكما بُويع طوعيةً وبإلحاح من أولئك التّنفّر الذين أخذ عليهم عهد الله وميثاقه! لمعرفته بدخول نفوسهم وكانوا أول من بايده البيعة العامة في المسجد...؛ فإن الأقاليم قد بايعت له من غير سيف ولا مبعوث منه عليه إلّا إليهم إلّا معاوية فقد أظهر التمرّد وشقّ عصا الطّاعة وخرج على الجماعة...، ونکث أولئك التّنفّر فكان الذي كان يوم الحمل، ثم صفين من قِبَل معاوية، فالخوارج فأمّا الخوارج فقد مضوا على شبهتهم في مسألة التحكيم مع إقرار أمير المؤمنين عليه عليه بالفضل والعدل وإنّه مع الحق! وأمّا معاوية فقد ذكرنا مثلين له وسنذكر أكثر وقد وجدناه رغم ناصبيّته، وحسد أميّة الموروث لبني هاشم، فإن ذلك كله لم يمنعه أن يقرّ أنّ علياً عليه أفضّل منه وأحق بالأمر منه. إلّا أنّه تلمس لنفسه المعاذير مثلما فعلت الخوارج!

وكانت عائشة كَلَّما ذكرت مسیرها في وقعة الجمل بكت حَقَّ تَبَلَّ خمارها<sup>(١)</sup>.

وكانت إذا قرأت الآية: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنْ) <sup>(٢)</sup>، تبكي نادمةً على مسیرها يوم الجمل حتى تبلّ خمارها<sup>(٣)</sup>.

وستلّت عائشة عن أمير المؤمنين عليه بن أبي طالب عليه، فقالت: وما

(١) طبقات ابن سعد ٨:٨١، تفسير القرطبي ٤:١٤، ١٨٠، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٩:٢٠٠.

(٢) الأحزاب ك ٣٣.

(٣) تاريخ بغداد ٩:١٨٤، تاريخ دمشق ٣٤:٢٢٠، المناقب، للخوارزمي ١٨٢، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢:

عَسَيْتُ أَنْ أَقُولُ فِيهِ، وَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَدْ جَمَعَ شَمْتَهُ عَلَى عَلَيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسِنِ وَالْحَسِينِ وَقَالَ: «هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ أَذْهَبُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَرُهُمْ تَطْهِيرًا». قِيلَ لَهَا: فَكِيفَ سِرْتِ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَنَا نَادِمَةٌ! وَكَانَ ذَلِكَ قَدْرًا مَقْدُورًا<sup>(١)</sup>.

### عائشة تبكي قتالها علياً

وَمِنْ جَنْسِ كَلَامِهَا السَّالِفُ لِمَا سَأَلَهَا جَمِيعُ بْنُ عُمَيرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: حَدَّثَنِي عَنْ عَلَيِّ. فَقَالَتْ: تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلٍ سَالَتْ نَفْسُ رَسُولِ اللَّهِ فِي يَدِهِ، وَوَلَيَّ غَسْلَهُ وَتَغْمِيَضَهُ وَإِدْخَالِهِ قَبْرَهُ<sup>(٢)</sup>! قُلْتُ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكِ؟ فَأَرْسَلَتْ حَمَارَهَا عَلَى وَجْهِهَا وَبَكَتْ، وَقَالَتْ: أَمْرٌ كَانَ قُضِيَ عَلَيَّ<sup>(٣)</sup>.

إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ قاتَلَتْ عَلَيَّاً عَلَيَّاً إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ نَطَقَ بِفَضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ عَلَيَّاً وَخَصَائِصِهِ حَالَهَا حَالُ الْخَوَارِجِ وَمَعَاوِيَةِ وَكُلُّ يَلْتَمِسُ لِنَفْسِهِ عَذْرًا؛ فَعُذْرَ عَائِشَةَ أَنَّ قَتَالَهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّاً كَانَ بِتَقْدِيرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا وَقَضَاءَ، حَاشَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

(١) المحسن والمساوية، للبيهقي ٢٩٨. ويبدو أنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَرَتْهُ! فَهِيَ تَظَهُرُ النَّدَمَ عَلَى مَا فَعَلَتْهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ثُمَّ تَرَدَّ الفَعْلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ!

(٢) وهذا مَا يُطْلِلُ مَا تُسْبِبُ إِلَيْهَا: مَتَى أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ ماتَ بَيْنَ سَحْرِيْ وَنَحْرِيْ؟ وَالْعَرْضُ مِنْهُ إِبطَالُ الْوَصِيَّةِ لِلْوَصِيِّ عَلَيَّ عَلَيَّاً. فَعَلَيَّ مَشْغُولٌ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَرَسُولِ اللَّهِ يَنْاجِيْهُ حَتَّى ماتَ بَيْنَ سَحْرِهِ وَنَحْرِهِ بَعِيدًا عَنِ السَّقِيقَةِ.

(٣) المحسن والمساوية، للبيهقي ٢٩٨.

إلاّ أنّ ذلك لم يمنعها من النطق بفضائله، بل وكلّما ذكرت مسيرة المشؤوم يوم الجمل أو  
قرأت الآية القرآنية التي تأمر نساء النبي ﷺ أن يغرن في بيوتهن، حتى تبكي ندماً ...

عطا، قال: سألت عائشة عن عليٍّ فقالت: ذاك خيرُ البشر لا يشك فيـه إلاّ كافر<sup>(٦)</sup>.

هذه الفرق الثلاث التي قاتلت أمير المؤمنين عليه السلام كلّها تطـقـ بفضله وعدلـه وأنـه خـيرـ البشر

...

ومع كلـ هذا فإنـ ابنـ تـيمـيـه لم تـطـاوـعـه نـفـسـه إـلاـ أنـ يـنـاـفـقـ ويـكـذـبـ علىـ الآـخـرـينـ فـيـلـقـيـ عـلـىـ  
أـسـتـهـمـ ماـ هـمـ مـنـهـ أـبـرـاءـ كـبـرـاءـةـ الـذـئـبـ مـنـ دـمـ يـوـسـفـ بـنـ يـعقوـبـ، وـيـتـجـاـوزـ الـحـدـ هـذـاـ!ـ فـيـكـيلـ  
الـسـيـابـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـىـلـهـ .ـ

فـلاـ كـانـ مـعـ الـخـوارـجـ، وـإـنـ كـانـ خـارـجـيـاـ أـصـالـهـ، وـلـاـ كـانـ مـعـ الـنـواـصـبـ الـقـاسـطـينـ وـإـنـ كـانـ  
قـاسـطـاـ وـلـلـنـواـصـبـ إـمامـاـ يـحـتـذـىـ مـنـذـ نـقـ وـحـىـ السـاعـةـ وـلـاـ نـدـريـ مـتـىـ تـمـتـدـ يـدـ الـمـشـيـةـ الـإـلـهـيـةـ المـقـدرـةـ  
لـنـطـهـرـ الـأـرـضـ مـنـ الصـمـ الـبـكـمـ الـعـمـيـ مـخـالـفـيـ الـقـرـآنـ؛ـ وـأـمـدـ وـمـالـكـ وـالـشـافـعـيـ وـالـحـنـفـيـ؛ـ عـاـكـفـينـ  
عـلـىـ سـلـلـ «ـتـيـمـيـهـ، وـسـيـتـ النـعـمـ»ـ بـحـسـمـيـنـ مـشـبـهـيـنـ لـذـاتـ اللهـ تـعـالـىـ، قدـ اـسـتـحـوـذـواـ عـلـىـ الـحـرـمـيـنـ  
الـشـرـيفـيـنـ:ـ بـيـتـ اللهـ الـحـرـامـ، وـمـسـجـدـ النـبـيـ عـلـىـلـهـ،ـ يـعـاقـبـونـ مـنـ يـقـتـرـبـ مـنـ مـرـقـدـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـىـلـهـ  
لـلـتـبـرـكـ وـيـرـفـعـونـ أـصـوـاـتـهـمـ التـكـرـةـ:ـ لـاـ تـشـرـكـ؛ـ مـقـتـدـيـنـ يـأـمـامـهـمـ الـذـيـ عـلـمـهـ ذـلـكـ وـأـفـتـيـ بـحـرـمـةـ زـيـارـةـ  
قـبـرـ الرـسـوـلـ وـجـعـلـهـ بـدـعـةـ وـشـرـكـاـ،ـ فـتـلـقـفـهـاـ الـبـدـوـيـ الـسـجـدـيـ

---

(١) كـفـاـيـةـ الطـالـبـ ٢٤٦ـ .ـ

الأعرابي ابن عبد الوهاب الذي ظهر مع ظهور الإنجليز في الجزيرة العربية وعمل بتلك البدعة والفتوى ونشر عقائد ابن تيمية وهاجم أتباعه المراقد الشريفة في العراق وما زالوا يفعلون وسنأتي على ذكر فتاوى متأخرين وأفعالهم الشنيعة في هذا الحقل.

أقول: ولا كان مع أم المؤمنين عائشة التي قادت الناكثين فلما وضعت الحرب أوزارها، جهزها أمير المؤمنين عليه السلام، فلما وصلت المدينة قيل لها: كيف كان مسيرك؟ قالت: لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر، ولكنه بعث معه رجالاً أنكرتهم، فعرفها النسوة أمرهن فقالت: ما ازدلت والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً.<sup>(١)</sup>

وللسنة الذين حاول فاشلاً أن يُثيرهم على إخوانهم شيعة أهل بيته النبي عليه السلام، ففضحه الله تعالى وحكمه قضاة المذاهب السنية بالأحكام التي ذكرناها: فاسق، زنديق، منافق، كافر، وشهروا به وسجنه ثلاث مرات مات في الثالثة في السجن ...

إن الذين حكموا على ابن تيمية هذه الأحكام قد شغفهم حب آل البيت، وكان هذا الحب ديناً يدينون الله عزوجل به ويتقرّبون به إليه سبحانه ويعتقدون أن الصلاة عليهم من الواجبات التي لا تتم صلاتها إلا بها.

ذكر الفخر الرازبي في تفسيره، قال: إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك يجعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير

---

(١) أنساب الأشرف ٣: ٥١، تاريخ الطبرى ٣: ٥٤٨، الأعيار الطواف ١٥٢، مروج الذهب ٢: ٣٧٢.

الآل؛ فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد عليهم السلام واحب. وقال: إن أهل بيته ساوروه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي السلام...»<sup>(١)</sup>.

فقول الفخر: «وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل» يعني لو دخل فيها ذكر غيرهم - أياً كان - بطلت الصلاة، وكان ذكر غيرهم حاله حال أي من المبطلات! ولا تستقيم الصلاة إلا بالشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولمحمد عليه السلام بالعبودية لله سبحانه وأنه نبي الله، ثم تعظيمه بالصلاحة عليه وعلى آله.

وفي الصواعق المحرقة، قال ابن حجر: قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَا لَأَتَكُتْهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) <sup>(٢)</sup>، إن النبي عليه السلام، قرن الصلاة على آله بالصلاحة عليه؛ لما سُئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه. وقال: وهذا دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاحة على أهل بيته وبقية آله مُراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآل عقب نزول هذه الآية ولم يجأبوا بما ذكر، فلما أجيروا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنه عليهم السلام أقامهم في ذلك مقام نفسه؛ لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم، ومن ثم لما دخل من مر في الكساء قال: «اللهم إكْمِمْ مِنِي وَأَنَا مِنْهُمْ، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على وعليهم» وقضية استجابة هذا الدعاء: إن الله صلى عليهم معه، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاته عليهم معه. ويروى: «لَا تُصَلِّو عَلَيَّ الصلاة البتراء» فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللهم صل

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي ٢٧: ٢٦٦.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

على محمد، وَمُسْكُون! بل قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ». وقد نُقل عن الإمام الشافعي قوله:

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حَبُّكُمْ  
فَرِضْتُ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلْتُهُ  
كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ  
مَنْ لَمْ يُصْلِلْ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ  
قَالَ: فَيُحْتَمَلُ لَا صَلَاةَ لَهُ صَحِيحَةً، فَيَكُونُ موافِقاً لِقولِهِ بوجوب الصَّلَاةِ عَلَى الْآلِ، وَيُحْتَمَلُ  
لَا صَلَاةَ كَامِلَةً، فَيُوَافِقُ أَظْهَرَ قَوْلِهِ <sup>(١)</sup>.

قال أخرج الدارقطني والبيهقي حديث «من صلى صلاةً ولم يصل فيها علىٰ وعلىٰ أهل بيته لم تقبل منه». وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رحمه الله: إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة عليه عليه السلام. <sup>(٢)</sup>

وفي الشفا للقاضي عياض المالكي، عن ابن مسعود، عين الحديث السابق الذي ذكره ابن حجر في الصواعق صفحة ١٣٩. <sup>(٣)</sup>

وفي شرح الشفا للقاضي الخفاجي الحنفي، [عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب]: «الدعاء والصلاحة معلق بين السماء والأرض، لا يصعد منه إلى الله شيء حتى يصل إلى الله عليه عليه السلام، وعلى آل محمد». <sup>(٤)</sup>

وقيل للإمام الشافعي إنّ أَنْاساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر

(١) الصواعق المحرقة ٨٧.

(٢) نفسه ١٣٩.

(٣) الشفا، للقاضي عياض ٣: ٥٠٥.

(٤) شرح الشفا، للقاضي الخفاجي ٣: ٥٠٦.

لأهل البيت؛ فإذا رأوا أحداً يذكر شيئاً من ذلك قالوا: تجاوزوا عن هذا فهو راضٍ! فأنشأ الشافعي رحمة الله تعالى يقول:

إذا في مجلسِ نذكر عليهَا  
فهذا من حديثِ الرافضية!  
يقال: تجاوزوا يا قومُ هذا  
برئْسِهِ إلى المهيمنِ من أنسٍ  
يَرَوْنَ الرَّفْضَ حَبَّ الْأَطْمِيَةِ  
فالشافعي لا يجد حرجاً أن يرمي بهمة الرفض ومشابعة أهل البيت عليهم السلام ويراً من أعدائهم  
وشانائهم. وله أيضاً

قالوا: ترفضت؟ قلت: كلاً  
لكن توليت - غير شاكٌ  
إن كان حبُّ الوليِّ رفضاً  
ما الرفض ديني ولا اعتقادِي  
خير إمامٍ وخير هادي  
فإنْ لَئِنِي أرْفَضُ العِبَادِ  
وله أيضاً شعر يفيض حباً لهم عليهم السلام ومكافحة من أولئك الذين يقفون معاير في صراطهم  
المستقيم، ويهتف معلناً بأنه راضٍ:

يا راكباً قفْ بالمحصَّبِ منِّي  
سَحراً إذ فاضَ الحجيجُ إلى مِنِي  
إن كان رضاً حبُّ آلِ محمدٍ  
واهْتَفْ بساكنِ خيفها والناهضِ  
فَيَضَا كُمْلَتِمَ الفراتِ الفائضِ  
(٢) فَلَيَشْهَدَ الشَّقَالَنِ أَنِّي راضٍ!

(١) نور الأ بصار، للشبلنجي ٢٣٢.

(٢) نور الأ بصار، للشبلنجي ٢٣٢.

(٣) نفسه ٢٣٢.

ومن شعر ابن العربي في أهل البيت عليه السلام:

رأيُتُ ولائيَ آلَ طَهِ فريضَةً

فَمَا طَلَبَ المَعْوَثَ أَجْرًا عَلَى الْمَهْدِيِّ

وله أيضاً:

فَلَا تَعْدِلْ بِأَهْلِ الْبَيْتِ خَلْقًا

فَعُظُّهُمْ مِنْ إِنْسَانٍ خُسْرٌ<sup>(١)</sup>

هذه هي أقوال لعلماء المذاهب التي يلوذ بها ابن تيمية، وست النعم نفاقاً منه في حال شن الغارة على خصومه: ابتداءً من الله تعالى علواً كبيراً، ومروراً بالرسول الكريم عليه السلام، وأهل بيته بيت العصمة عليه السلام؛ وحجته التي يصلو بها ويحجوا هو قوله: هذا قول أهل السنة والجماعة ...، فإذا رجعنا إليهم وجدناهم على خلافه تماماً ولذا نجد أنفسنا مضطرين إلى إعادة القول والتذكير بأهم شدّدوا عليه النكير وعاقبوه ويدّعوا به سكك دمشق على بغلة بالملقب مضروباً بالدرة وحبسوه ثلاث مرات بالأحكام التي مرّ ذكرها: التفاق والزندة والفسق والكفر؛ فماذا أبقى لإبليس؟! وفي كلّ نوبة يعلن التوبة فيخرج ثمّ يرجع لأنّ الذي فيه لا يفارقه فيحرّكه ويثير الفتنة من جديد ليرجع إلى مستراحه «السجن» وهكذا حتّى هلك في الثالثة في سجنه.

وزيادةً في إغاثة التيماوين نذكر ما جاء في الإصابة، قال: إنْ كُدَيْرٌ

---

(١) الصواعق المحرقة . ١٠١ .

(٢) نفسه .

الضّيّ كان يُصلّى ويقول: اللّهم صلّى على النّبِيِّ والوَصِيِّ. <sup>(١)</sup> وذكر الميتمي نقاً عن الطبراني، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلَّ دُعَاء مُحْجُوب حَتَّى يُصْلَى عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ» <sup>(٢)</sup>.

وفي ذخائر العُقُبَيِّ، عن جابر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَوْ صَلَّيْتُ صَلَةً لَمْ أُصْلِلْ فِيهَا عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ مَا رَأَيْتُ أَكْثَرَهُ ثَقِيلًا» <sup>(٣)</sup>. وفي تفسير قوله تعالى: (قُلْ لَاَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا  
الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) <sup>(٤)</sup>.

قال نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بمحاش  
تفسير الطبراني في آية المودة: كفى شرفًا لآل رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وفخرًا ختم التشهد بذكرهم،  
والصلاحة عليهم في كل صلاة. <sup>(٥)</sup>

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل  
محمد أمان من العذاب» <sup>(٦)</sup>.

قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: معرفتهم هي معرفة مكانتهم من النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وإذا  
عْرَفْتُمْ بِذَلِكَ عَرَفْتُمْ وُجُوبَ حَقِّهِمْ وَحُرْمَتْهُمْ بِسَبِيلِهِ <sup>(٧)</sup>.

(١) الإصابة: ٣: ٧٣٨٦/٢٨٩.

(٢) مجمع الزوائد: ٣: ٢٨٩.

(٣) ذخائر العُقُبَيِّ: ١٩.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥: ٥١٩.

(٦) الشفا: ٣١.

(٧) نفسه.

بعد كلّ هذا: أتَيْقَبِلُ مِنْ أَبْنَى تَيْمِيْهِ صَلَاةً، إِنْ كَانَ مِنَ الْمُصَلِّيْنَ! وَهُلْ لَا يَحْجُبُ دُعَائِهِ بُعْضُهُ وَنَاصِبِيْتُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِ الْطَّاهِرِيْنَ وَشَيْعَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ حَالٌ يَتَامَاهُ فِي كُلِّ قَرْنٍ حَتَّى عَصْرَنَا، فَمَا قُطِعَ قَرْنٌ حَتَّى ظَهَرَ آخِرٌ؛ فَهَلْ مَعَهُ وَمَعَ أَيْتَامِهِ الَّذِينَ أَضَلَّهُمْ جَوَازُ عَلَى الصِّرَاطِ وَبِرَاءَةُ النَّارِ وَأَمَانٌ مِّنَ الْعَذَابِ؟!

كَلَامُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي قَوْلِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَا قَسِيْمُ النَّارِ»: قَالَ الْقَاضِي أَبْنُ أَبِي يَعْلَى الْحَنْفِيِّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُنْصُورَ يَقُولُ: كَمَا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِي أَنَّ عَلَيَّاً قَالَ: أَنَا قَسِيْمُ النَّارِ؟ فَقَالَ أَحْمَدٌ: وَمَا تَنْكِرُونَ مِنْ ذَلِكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ رَوَيْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُغْضِبُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»؟ قَلَنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُ؟ قَلَنَا: فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: وَأَيْنَ الْمُنَافِقُ؟ قَلَنَا: فِي النَّارِ، قَالَ: فَعَلَيْكَ قَسِيْمُ النَّارِ.<sup>(١)</sup>  
فَأَحْرَمُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْأَحْزَمَةِ النَّاسِفَةِ وَأَمَاقِمُكُمْ إِمَامَكُمْ أَبْنَى تَيْمِيْهِ لِعَلَّكُمْ تَسْفَوْنَ أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ أَخْوَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَوَصَيْهِ عَلَيْكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى النَّارِ.  
وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «مَا كَمَا نَعْرَفُ الْمُنَافِقِيْنَ إِلَّا بِتَكْذِيْبِهِمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالتَّخَلُّفُ عَنْهُ

(١) طبقات الخنابلة، للقاضي ابن أبي يعلى ١: ٣٢٠.

الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب»<sup>(٦)</sup>. هذا الحديث وله شواهد نذكرها أنكره ابن تيمية في منهج ضلاله، وعلة ذلك واضحة فهو إمام الناصبة، ما من فضيلة أو خصوصية لأمير المؤمنين عليهما السلام إلا وأنكرها، وإذا وجد نفسه ملزماً بذكرها عمد إلى قطع بعض ألفاظها وقال: هذه الزيادة لم تصحّ من غير أن يقيم برهاناً على قوله أو أنه يصرف اللفظ إلى معنى غير المعنى الذي وضع له ويؤوله تأويلاً بعيداً.

وما يدرينا زيادةً على ما تقدم في سبب إنكاره الحديث هو الحكم الصادر بحقه أنه منافق لقوله: أَنْ عَلَيَا [عليهما السلام] صغيراً لا يدري ما يقول، وإسلام الصغير لا يُقبل منه! فمارس وحسب منهجه إسقاط ما في نفسه على أمير المؤمنين عليهما السلام، فظهر نفاقه بغضه لعلي عليهما السلام. وعن أبي سعيد الخدري قال: «ما كنّا نعرف منافقي هذه الأمة إلا ببعضهم علينا»<sup>(٧)</sup>. وأبو الزبير عن حابر بن عبد الله الأنصاري ولوحظه نفس حديث أبي سعيد<sup>(٨)</sup>.

وفي المصنّف لابن أبي شيبة ٦٤/٥٠٥ - فضائل علي - حدثنا خلف ابن خليفة عن أبي هارون قال: كت مع ابن عمر جالساً إذ جاءه نافع بن الأزرق

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٣٩.

(٢) سنن الترمذى - في المناقب ح ٣٨٠٠ - ، و تاريخ الإسلام، للذهبي ٣: ٤٣٤.

(٣) الاستيعاب ٣: ٤٦ و ٤٧، وتاريخ الإسلام ٣: ٦٣٤، وختصر تاريخ دمشق. ثمة ملاحظة فمفارقة بين قول ابن الأزرق هنا وبين احتجاجه على ابن الزبير إذ وصف الإمام علي عليهما السلام بأجمل الأوصاف على ما مرّ بنا! فلعلّ هذا بعد استعراض ابن الأزرق الناس للقتل؟!

- أحد رؤوس الخوارج - فقال: والله إني لأبغض عليّاً! قال: فرفع ابن عمر رأسه فقال: أبغضك الله، تبغض رحلاً سابقة من سوابقه خيراً من الدنيا وما فيها.

وفي صحيح مسلم، بسنده عن زر بن حبيش قال: قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ التسمة إنّه لعهد النبي الأمي إلى أن لا يُحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»<sup>(١)</sup>. وبنفس السنّد والمعنى في سنن ابن ماجة<sup>(٢)</sup>.

وهذه بعض المصادر التي ذكرت حديث حبّ عليّ وأنّ إيمانه، وأنّ بغضه نفاق: مسنّد الحميدي ح ٥٨، وأنساب الأشراف ١: ٣٨٣، ومسنّد أبي يعلى ٢٥١/١: ٢٩١، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ح ١٠٠ و ١٠٢، وصحيحة ابن حبان ٣٦٧/١٥: ٦٩٢٤ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ١٨٠، وشرح السنة للبغوي ٤/١٤: ٣٩٠٩، وحلية الأولياء ٤: ١٨٥، وجامع الزوائد ٩: ١٣٣.

خلاصة: العجب من ابن تيمية، ثم ابن سنت النعم، أن يُذكر حديث: حبّ علي عليه السلام إيمان، وبغضه نفاق، وأسانيده الحديث لا مطعن فيها وهي تنتهي بأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وأبي ذر.

والحكم في النقل للعلماء المتقدّمين عهداً لا للجهلة المتأخرين زمناً، فأفترض عن أصحاب الصحاح والمسانيد والسّنن والتاريخ صحفاً وتمسّك بصاحب عاهات لا يفقه ما يقول أطلّ بقزنه بعد أولئك بمئات السنين؟! إن الفاصلة الزمنية بين ابن تيمية وبين الحميدي الذي ذكر الحديث في

مسنّده

---

(١) صحيح مسلم ٢: ٦٤.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٤٢ ح ١١٤.

لا تزيد على (٤٩٦) سنة، فقد توفي الحميدي سنة (٢١٩) وتوفي ابن تيمية سنة (٧٢٨)، ولكننا مدینون للحميدي أكثر من ابن تيمية لتقدم الحميدي فهو ابن العقد الأول للقرن الثالث المجري قد سمع من الأوائل وسبق ابن تيمية بخمسة قرون إلا أربع سنين. هذا من الناحية الزمنية؛ وأمّا السيرة: فلم يجد في سيرة الحميدي إلا الحميد فأصبح مسنده أحد المصادر التي يرجع إليها، فيما عرفت من سلوك وعقيدة الثاني وما انتهى إليه أمره.

وما قلناه عن الحميدي، نقوله عن بقية مشيخة السلف: فهذا ابن أبي شيبة أبو بكر، عَلِمَ لا ينحطّه مشايخ الصحاح والمسانيد والسنن ... فقد أكثروا عنه واعتبروه حجّة، وهو وإن كان متأخّراً عن الحميدي، إلا أنه أيضاً توفي في النصف الأول من القرن الثالث المجري، فقد كانت سنة وفاته (٢٣٥ هـ) وقد ذكر الحديث كما ذكرنا. فكم تكون الفاصلة الزمنية بينه وبين الخارجي الثاني ابن تيمية، بل كم تكون بينه وبين خارجة عصرنا؟

إِنَّمَا تصل اثنى عشر قرناً وهم ينفحون ببوق إمامهم الذي عكفوا عليه من دون أصحاب الصحاح والتصانيف والمسانيد ...، ولو بُعث ابن تيمية وُنشر من قبره لا ندري ما يصنع هؤلاء ومن قبل كانت نبوة سجاح التميمي النجدية، ونبوة مسليمة التميمي النجدية الكذاب الذي اشتري نبوة سجاح بنكاح مشيه! واتبعهم من أسلافكم أكثر أهل بند وشكّلوا خطراً على الإسلام حتّى قتل الله مسليمة، وارتدى طليحة وارتدى معه قبائل كثيرة ثمّ فر إلى الشام؛ فأئتم ينطبق عليكم قول الخوارج: تتبعون الرجال على أسمائهم فما قولكم وقول إمامكم ابن

تَيِّمِيهِ فِي أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؟ هُلْ عَاصِرُتُوهُ، أَمْ عَاصِرَهُ إِمَامُكُمْ وَمَا الَّذِي خَلَصْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ القَوْلِ وَهُوَ يَذَكُّرُ كَثِيرًا مِنْ فَضَائِلِ أَمْيَرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْهَا حَدِيثُ حَبَّهُ وَبَعْضُهُ وَأَنَّهُ عَالَمُ الْإِيمَانِ وَالَّذِي كَذَّبَهُ إِمَامُكُمْ فَكَذَّبَتُمُوهُ وَبِذَكْرِهِمْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ إِمامَ الْخَنَابَلَةِ، وَتَرَعَمُونَ أَنَّكُمْ سَلَفِيُّونَ!

إِنَّ أَحْمَدَ تَوَفَّى سَنَةً (٤١٤هـ) أَيْ قَبْلَ وَفَاتِهِ أَبْنَتَيْمِيهِ بـ (٤٨٧هـ)، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ مُثْلُ الْفَالِصَلَةِ بَيْنَ أَبْنَيْ شَيْبَةِ وَبَيْنَكُمْ. وَلِعَلَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا لَنَا وَلَأَحْمَدَ فَلَقَدْ صَبَّا فَصَارَ رَافِضِيًّا! أَوْ الْقَوْلُ مَا قَالَهُ أَبْنُ سِتِّ النِّعَمِ وَمَا قَوْلُكُمْ بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ وَصَاحِبِهِ الْمُتَوَفِّ سَنَةً (٢٦١هـ) فَهُوَ أَبْنُ النَّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْثَالِثِ الْمُحْرَمِيِّ وَفَاهُ وَسَابِقُ عَلَيْهِ أَبْنَتَيْمِيهِ مُثْلُ أَحْمَدَ وَأَمْمَا صَاحِبَ الصَّحِيحِ مُسْلِمٌ وَهُوَ مِنْ ذَكْرِ الْحَدِيثِ، فَلَمْ يَتَأْخَرْ وَفَاهُ عَنْ أَحْمَدَ، فَقَدْ تَوَفَّى سَنَةً (٢٦١هـ)؛ وَتَأْخَرَ عَنْهُمْ أَبْنُ مَاجَةَ وَالْتَّرمِذِيِّ وَالْبَلَادِزِيِّ وَقَدْ ذَكَرُوا الْحَدِيثَ وَهُمْ جَمِيعًا تَوَفَّوْا فِي النَّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْثَالِثِ الْمُحْرَمِيِّ. فَلَقَدْ تَوَفَّى أَبْنُ مَاجَةَ سَنَةً (٢٧٥هـ) وَالْتَّرمِذِيِّ سَنَةً (٢٧٩هـ) وَمُثْلُهُ الْبَلَادِزِيُّ. وَأَمْمَا الْذَّهَبِيُّ الْخَنْبَلِيُّ وَهُوَ مِنْ ذَكْرِ الْحَدِيثِ فَهُوَ مُتَأْخَرٌ إِذْ تَوَفَّى سَنَةً (٧٤٨هـ) وَهُوَ حَجَّةٌ عَلَيْكُمْ لِأَنَّهُ تَلَمِيذُ أَبْنَتَيْمِيهِ لِسَنِينِ طَوِيلَةٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ حَالِهِ وَمِنْ عَقِيْدَتِهِ ابْتَعدَ عَنْهُ وَنَدَمَ عَلَى السَّنَوَاتِ الَّتِي أَمْضَاهَا مَعَهُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ رسَالَةً طَوِيلَةً يَؤْبَّلُهُ وَيَعْتَبُهُ وَقَدْ أَثْبَتَنَا هَا ضَمْنَ فَصْلُ أَصْحَابِ الرَّدُودِ عَلَى أَبْنَتَيْمِيهِ.

لَقَدْ اسْتَوْجَبَ أَبْنَتَيْمِيهِ وَمَنْ وَالَّهُ الْحَكْمُ بِالْتَّنَاقُلِ لِبَعْضِهِ لِأَمْيَرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِنَفِيَهُ فَضَائِلَهُ وَخَصَائِصَهُ بِكُلِّ عَنَادٍ وَذَهَبَتْ بِهِ

وَقَاتِهِ إِلَى الْقَوْلِ: أَنَّ الرَّافِضِيَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُثْبِتَ إِيمَانَ عَلَيْهِ وَعِدَالَتَهُ وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَرَمَاهُ  
بِالنَّفَاقِ وَأَنَّهُ أَوْقَدَ نَارَ الْفَتْنَةِ فِي قَتْلِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ [انظرَ مِنْ غَيْرِ تَسْمِيَتِهِ بِالنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ !!!] [١]  
بُغْضًا لَهُ [أَيْ لِلنَّبِيِّ ﷺ !] وَأَنَّهُ كَانَ مِبَاطِنًا لِلمنافِقِينَ ... وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا مَرَ ذَكْرُهُ.  
وَكَذَلِكَ اسْتَوْجَبَ وَأَتَبَاعَهُ الْحُكْمُ بِالنَّفَاقِ بِمَوْجَبِ الْقَرْرَارِ الَّذِي أَصْدَرَهُ قَضَاءُ الْمَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ  
الْمَالِكِيَّةِ وَالْخَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالَّتِي انْضَمَ إِلَيْهَا أَخْرِيًّا الْقَاضِيُّ الْخَنْبَلِيُّ؛ فَصَارَ الْحُكْمُ إِجْمَاعًا، وَلَمْ يُرْفَعْ  
فَهُوَ ماضٍ فِيهِ وَفِي مَنْ اعْتَقَدَ عِقِيدَتَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَفِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِ الْكَرَامِ  
وَالْأُولَيَاءِ وَمَسَأَةِ الْزِيَارَةِ وَمَجْمُوعِ أَفْكَارِهِ الَّتِي أَحْيَاها الْوَهَابِيَّونَ الْإِرْهَابِيَّونَ مَنْ لَا يَخَافُ الْمَعَادَ،  
عَاملُهُمُ اللَّهُ بَعْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

### الإسلام يبسّط سلطانه على حَرَانَ

دَخَلَتْ حَرَانَ ظَلَلَ الْإِسْلَامُ أَيَّامَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رض) <sup>(١)</sup>، عَلَى يَدِ الصَّحَابِيِّ: «عِيَاضُ بْنُ  
عَئِمٍ بْنِ أَبِي شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَةِ بْنِ هَلَالِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ ضَبَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ، أَسْلَمَ قَبْلَ الْحَدِيبِيَّةِ  
وَشَهَدَ الْحَدِيبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» <sup>(٢)</sup>.

(١) المصادر جميعاً.

(٢) النّسب، لابن سلام، ٢٢٠، والمحبّر، لابن حبيب، ٤٣٢، وطبقات ابن سعد: ٧، ٣٩٨، وختصر تاريخ دمشق: ٢٠، ٦٠. وذكره خليفة بن حيّاط وشكّك في انتسابه إلى (عئيم). وقال: فتح عامة الجزيرة. وذكره ابن الكلبي في جمهرة النسب ولم يترجم له.

وأختلف في سنة وأسلوب فتح حَرَّان وما والاهما من أرض الجزيرة. فقد ذكر خليفة في تاريخه في أحداث سنة «ثمان عشرة» قال:

«قال ابن إسحاق: وفي سنة ثمان عشرة فتح الرُّها<sup>(١)</sup>، وحدّثني حاتم بن مسلم أنّ أباً موسى الأشعري افتح الرُّها وسمّي سط<sup>(٢)</sup> صلحاً وما والاهما عنوةً.

قال: وكان أبو عبيدة بن الجراح وجّه عياض بن غنم الفهري<sup>(٣)</sup> إلى الجزيرة، فوافق أباً موسى بعد فتح هذه المدائن، فمضى ومضى معه أبو موسى، فافتتحا حَرَّان ونصيبين<sup>(٤)</sup> وطوائف الجزيرة عنوةً<sup>(٥)</sup>; ويقال: وجّه أبو عبيدة خالد بن الوليد

---

زاد ابن حبيب: (أم الحكم) بنت أبي سفيان، كانت عند عياض بن غنم بن شداد الفهري، ولحقت بالمشاركين. (المختصر)  
(٤٣٢)

(١) الرُّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام؛ بينهما ستة فراسخ (انظر معجم البلدان ٢: ١٠٦). وظلت تعرف بهذا الاسم إلى وقت انتقالها إلى أيدي الترك العثمانيين فصارت تُعرف باسم (أورف)؛ قيل: إنّ هذا الاسم تحريف (الرُّها) العربي. (انظر بلدان الخلافة الشرقية ١٣٥). وموقعها اليوم في الجنوب الشرقي من تركية على بضعة أميال من سوريا.

(٢) سُمّي سط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غرب الفرات (انظر معجم البلدان ٢: ٢٥٨) وموقعها اليوم إلى الشمال الغربي من الرُّها.

(٣) ذكر ابن عساكر: وقيل: كان عياضُ ابنَ امرأةِ أبي عبيدةَ بنِ الجراح. (مختصر تاريخ دمشق ٢٠: ٦٦).

(٤) نصيبين: من بلاد الجزيرة، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ (معجم البلدان ٥: ٢٨٨)، وبلدان الخلافة الشرقية ١٢٤، وموقعها اليوم إلى الجنوب الشرقي من تركية، وهي معدودة من أراضيها ومحاذية للحدود السورية شمال القامشلي).

(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠ هـ) .٩٦

إلى الجزيرة، فوافق أباً موسى قد افتح الرُّؤْها وسميساط فوجّه خالد أباً موسى وعياضاً إلى حَرَان  
فصالحا أهلها<sup>(١)</sup>. ثمّ مضى خالد إلى نصيبين فافتتحها. ثمّ رجع إلى آمد<sup>(٢)</sup> فافتتحها صلحاً، وما  
بينهما عنوةً. وحُدّثت أنّ عياض كتب لهم كتاباً وهو عندهم اليوم يُسمّى باسم عياض<sup>(٣)</sup>.  
الطبرى: وفي تاريخ الطبرى ذكر روایتين في فتح حَرَان، وافق في إحداها خليفة بن خيّاط،  
فجعل فتحها سنة ثمان عشرة، وأنّ الفتح كان على يد عياض ابن عَنْمٍ؛ وخالفه في الأخرى -  
والتي لم يذكرها خليفة، فجعلها في السنة التاسعة عشر ولم يقل على يد من! وإن كانت القرائن  
ترجّح حملها على يد عياض.

قال الطبرى في أحداث سنة ثمان عشرة:

وزعم الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) أن الرقة والرهاء وحران، فُتحت في هذه السنة على يدي عياض  
بن عَنْمٍ، وأن عين الوردة<sup>(٤)</sup> فُتحت فيها على يدي عمر بن سعد<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه.

(٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر، بلد حصن قديم على نهر دجلة ... (معجم البلدان ١: ٥٦) تقع اليوم في الجنوب الشرقي من تركية وتسمى ديار بكر (بلدان الخلافة الشرقية ١٤٠).

(٣) تاريخ خليفة ٩٦.

(٤) عين الوردة: وهي رأس العين، من مدن الجزيرة، وهي محاذية للحدود السورية التركية وإلى الشمال الشرقي من الرقة.  
فيها كانت الوعرة المشهورة بين التوابين الأحرار الذين خرجوا للأخذ بشار دم الحسين عليهما من بنى أمية. (معجم البلدان ٥: ٢٨٨، وبلدان الخلافة الشرقية ١٢٥).

(٥) تاريخ الطبرى ٣: ١٩٤.

## رواية الطبرى الثانية

قال: قال ابن اسحاق: كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة <sup>(١)</sup>.

ابن عساكر محدث الشام يروي خبر فتح الجزيرة:

قال ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): وفي سنة تسع عشرة كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص، أن أبعث جنداً إلى الجزيرة وأمّر عليهم أحد ثلاثة: خالد بن عُرفة، أو هاشم بن عبدة، أو عياض بن عَنْمٌ؛ فلما انتهى إلى سعد كتابٌ عمر قال: ما أخْرِ أمير المؤمنين عياضاً إِلَّا أَنْ لَهُ فِيهِ هُوَ أَنْ أَوْلِيهِ، وَأَنَا مُولِيهِ. فبعثه وبعث معه أبا موسى وابنه عمر بن سعد، وهو غلامٌ حدث السنّ، وعثمان بن أبي العاص ابن بشر التّقفي في سنة تسع عشرة؛ فخرج عياض إلى الجزيرة فنزل بجنده على الرّها، ثمّ بعث أبا موسى إلى نصبيين ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل رداءً للناس، وسار بنفسه إلى دارا فافتتحها، وافتتح أبو موسى نصبيين، وذلك في سنة تسع عشرة، ثمّ وجه عثمان بن أبي العاص أرمينيّة الرابعة، فكان عندها شيء من قتال...، ثم صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزيرة.

ولما وجه أبو عبيدة عياض بن عنْمٍ إلى الجزيرة يقال إنه وجه خالد بن الوليد إلى الجزيرة، فوافق أبا موسى قد افتتح الرّها وسمّي ساط... ثم ذكر عين الخبر الذي في الطبرى <sup>(٢)</sup>.

(١) نفسه.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦٣:٢٠ - ٦٤:٢٠.

إنّ قصدنا ممّا ذكر وما سندكر سواء من بيته الأسرية مجهولة المعالم إلى شخصه علماً فيه أكثر من سؤال وآخر لافت للنظر إلى ضياع منحدره القبلي الذي منع التاريخ من الكتابة فيه كما منع الأوائل من كتابة الحديث النبوى الشريف! في حين كان كتابته حاربة في حياة النبي ﷺ ، إلى تربته البيئية وما اشتبت علىها الأزمان وضررتها الفئن بأجرانها فورث خلاصه ضلامها وباء ببواقي فتنها.

وإذا كانت حارة حَرَان والبوابة التي يبدأ بها كلّ فاتح إلى حَرَان، (الرُّهْم) كلّهم نصارى وفيها كنيسة عظمى ...، فحران وقد علمنا أنها موطن الصابئة والصابئين منذ أقدم عصورهم. وكما ذكرنا تلك المبهمات في شأن ابن تيميه، فقد وجدنا اختلافاً في الأمير: أبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص ...؛ الفتح عنوة أو صلحًا. والقيادة وفي بعضها خالد ابن عرفة عوضاً من خالد بن الوليد ...، إلا أن المجمع عليه أن ذلك كان أيام عمر بن الخطاب. وحتى سنة الفتح حرى فيها اختلاف بين سنة ثمان عشرة وتسع عشرة. هذا شيء من تاريخ حَرَان.

وسندكر شيئاً من تاريخها زيادةً في البيان، مع ما ذكرناه سابقاً لإعطاء صورةً أوضح عنها.

### **النفوذ الأموي في الشام وانطباط الجزيرة بأثر ذلك**

بدأ النفوذ الأموي يمدّ جذوره في بلاد الشام والأصقاع المجاورة صدر

الإسلام، وتحديداً أيام أبي بكر الذي كان عهده تمهيداً، وعصر عمر ثبيتاً وتركيزاً، وعهد عثمان توسيعاً ...

ففي سنة اثنى عشرة جهـر أبوبكر الجيوش إلى الشام، فبعث عمرو بن العاصي قبل فلسطين، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشـربيل ابن حـسنة على البلقاء من علـاء الشـام .<sup>(١)</sup>

ذكر الطبرـي: وحدـثني عمر بن شـبة بإسناده قال: ثم وجـه أبوبـكر الجنـود إلـى الشـام أولـ سنة ثـلاثـ عشرـة، وأولـ لـوـاء عـقـدـه لـوـاء خـالـدـ بنـ سـعـيدـ بنـ العـاصـيـ ثمـ عـزـلـهـ قـبـلـ أنـ يـسـيرـهـ! وـوـليـ يـزـيدـ بنـ أبيـ سـفـيانـ، فـكـانـ أـوـلـ الـأـمـرـاءـ الـذـينـ خـرـجـواـ إـلـىـ الشـامـ، وـكـانـ سـبـبـ عـزـلـ أـبـيـ بـكـرـ خـالـدـ بنـ سـعـيدـ، فـيـمـاـ ذـكـرـ اـبـنـ إـسـحـاقـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ أـنـ خـالـدـ بـنـ سـعـيدـ حـيـنـ قـدـمـ مـنـ الـيـمـنـ بـعـدـ وـفـاةـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـبـلـهـ، تـرـصـ بـيـعـتـهـ شـهـرـيـنـ يـقـوـلـ: قـدـ أـمـرـيـ رـسـوـلـ اللـهـ ثـمـ لـمـ يـعـزـلـنـيـ حـتـىـ قـبـضـهـ اللـهـ؛ وـقـدـ لـقـيـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ وـعـثـمـانـ بـنـ عـقـانـ فـقـالـ: يـاـ بـنـيـ عـبـدـ مـنـافـ لـقـدـ طـبـتـ نـفـسـاـ عـنـ أـمـرـكـمـ يـلـيـهـ غـيـرـكـمـ! فـأـمـاـ أـبـوـبـكرـ فـلـمـ يـعـفـلـهـ عـلـيـهـ وـأـمـاـ عـمـرـ فـاضـطـعـنـهـ عـلـيـهـ ثـمـ بـعـثـ أـبـوـبـكرـ الجنـودـ إـلـىـ الشـامـ وـكـانـ أـوـلـ مـنـ اـسـتـعـمـلـ عـلـىـ رـبـعـ مـنـهـ خـالـدـ بـنـ سـعـيدـ فـأـخـذـ عـمـرـ يـقـوـلـ: أـتـؤـمـرـهـ وـقـدـ صـنـعـ ماـ صـنـعـ وـقـالـ مـاـ قـالـ فـلـمـ يـزـلـ أـبـيـ بـكـرـ حـتـىـ عـزـلـهـ وـأـمـرـ يـزـيدـ بـنـ أـبـيـ سـفـيانـ .<sup>(٢)</sup>

وـخـالـدـ قـلـمـ الـإـسـلـامـ أـسـلـمـ بـمـكـةـ مـنـ كـبـارـ الصـحـابـةـ بـالـإـسـلـامـ. وـقـدـ ذـكـرـ

---

(١) تاريخ الطبرـي: ٢: ٥٨٦.

(٢) نفسه: ٢: ٥٨٦.

أبو اليقظان وغيره أنَّ خالد بن سعيد أسلم قبل أبي بكر، وذلك لرؤيا رآها <sup>(١)</sup>.

وكان يكتب لرسول الله ﷺ في حاجاته <sup>(٢)</sup> ...، وقد بعثه رسول الله ﷺ عاملاً على صدقات اليمن، وأخاه عمراً على تيماء وخيبر، وأخاهما أبا ناناً على البحرين، فلما توفي رسول الله رجعوا عن أعمالهم فقال لهم أبو بكر: ما لكم رجعتم؟ فقال خالد: لا نعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، فخرجوا إلى الشام فقتلوا جميعاً <sup>(٣)</sup>.

وقد امتنع خالد بن سعيد وأخوه عمرو وأباه عن بيعة أبي بكر، إذ كان هواهم في بني هاشم وكانوا يرون أنَّ الإمامة لعليٍّ بن أبي طالب، ولم يبايعوا أبا بكر حتى بايعه بنو هاشم، وهذا الذي أُوغر قلب عمر بن الخطاب عليهم ...

وخلال بن سعيد أحد الأئمَّة عشر الذين أنكروا على أبي بكر وحاججوه في يوم الجمعة وهو على المنبر، وهم: سلمان الفارسي، وأبوزر الغفاري، والمقداد الكندي، وعممار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين، وأبو أيوب الأنباري ...

لم تقدَّ استرجاع الرأية من عزيمة خالد وإيمانه وجهاده؛ فلما بعث أبو بكر الجنود إلى الشام عقد لخالد وجاء باللواء إلى بيته! فكلَّم عمر أبا بكر وقال: أتولى خالداً وهو القائل ما قال؟! فلم يزل به حتى أرسل أبا أروى الدُّوسِيَّ فقال:

(١) كتاب الفتاوى، لابن حبان ١:٣٠١، والمستدرك على الصحيحين ٣:٢٧٨، والإصابة ٤٠٦:١، والموفقيات، للزبير بن بكار: هو وأخوه عمرو أول من أسلم من قريش وأسلمت مع خالد زوجته.

(٢) الوزراء والكتاب، للجمشياري ١٢.

(٣) الموفقيات: ٣٣٣، والمستدرك على الصحيحين ٣:٢٧٨، والاستيعاب ١:٤٠١، وأسد الغابة ٢:٢٧٨.

إنَّ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ يَقُولُ لَكُمْ: ارْدِدُ إِلَيْنَا لَوْءَنَا، فَأُخْرِجُهُ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَرَّتْنَا وَلَا يَتَكَبَّرُ  
وَلَا سَاءَنَا عَزْلُكُمْ وَإِنَّ الْمُتَلِيمَ لَغَيْرُكُمْ. فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى دَخُلَ أَبُوبَكَرَ عَلَىٰ خَالِدٍ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ  
وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ أَلَّا يَذْكُرَ عَمْرَ بْحَرْفَ! <sup>(١)</sup>

ثُمَّ إِنَّ أَبَابَكَرَ كَتَبَ إِلَىٰ خَالِدٍ بْنَ الْوَلِيدِ فِي الْعَرَاقِ أَنْ يَعْجَلْ فِي مَدِّ جَيُوشِ الشَّامِ، وَقَدْ عَارَضَهُ  
عَمْرُ وَقَبْحُ فَعْلَتِهِ بِمَالِكَ بْنِ نُوَيْرَةِ وَهُوَ مُسْلِمٌ إِذْ قُتِلَهُ خَالِدٌ وَدَخَلَ بِزَوْجِهِ لَيْلَةَ مَقْتَلِهِ! فَقَالَ أَبُوبَكَرُ:  
إِنَّ خَالِدًا تَأَوَّلَ فَأَخْطُأُ! فَقَالَ: أَعْزَلَهُ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَغْمَدُ سِيفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ!! <sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ مَفَارِقَاتِ خَالِدٍ وَهُوَ يَخْوضُ حَرُوبَ الشَّامِ وَلِمَا بَلَغَهُ وَفَاتَهُ أَبِيهِ بَكَرُ وَاسْتَخْلَافُ ابْنِ خَالِدٍ  
عَمْرٌ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى عَلَىٰ أَبِيهِ بَكَرًا الْمَوْتَ وَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَمْرٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
وَلَّ عمرَ وَكَانَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ أَبِيهِ بَكَرًا، ثُمَّ أَزْمَنَ حُبَّهُ! <sup>(٣)</sup>  
خَرَجَ أَبُوبَكَرَ يَشْيَعُ قَوَادِهِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا وَفِيهِمْ يَزِيدُ بْنَ أَبِي سَفِيَّانَ وَيَحْمَلُ رَأْيَهُ أَخْوَهُ مَعَاوِيَةَ بْنَ  
أَبِي سَفِيَّانَ.

### وَقْعَةُ أَجْنَادِينَ

كَانَتْ وَقْعَةُ أَجْنَادِينَ - وَيَقَالُ بَكْسِرُ الدَّالِ - سَنةُ ثَلَاثِ عَشَرَةَ، ذَلِكَ أَنَّ أَبَا

(١) طبقات ابن سعد ٤: ٩٧، المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٧٩، وختصر تاريخ دمشق ٧: ٣٤٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١: ١٣٦.

(٣) تاريخ الطبراني ٢: ٥٩٨.

بكر بعث عمرو بن العاص قبْل فلسطين؛ ويزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح، وشُرحبيل بن حسنة وأمرهم أن يسلكوا على البَلْقاء، وهي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى. وكتب أبوبكر إلى خالد بن الوليد، فسار إلى الشام فأغار على غستان بمَرج راهط فقتل وسبي. ثم ساروا جميعاً قبْل فلسطين، فالتقوا بـأجنادين بين الرَّملة وبين بيت جبريل، والأمراء كلّ على جنده، ويقال: إنّ عمرو بن العاص كان عليهم جميعاً. وكان الروم زهاء مائة ألف فهزموا شرّ هزيمة وقتل قائهم. وبعدها ثُوّي أبوبكر<sup>(٦)</sup>.

### وقعة مرج الصَّفَر

بعد وقعة أجنادين بعشرين يوماً، كانت وقعة مرج الصَّفَر. ومرج الصَّفَر خارج دمشق في جنوبها قرب قرية شقحب، حيث اجتمعت فيها الروم اجتماعاً عظيماً وأمدّهم هرقل بمَددٍ بعد مَددٍ، فلقيهم المسلمون وهو متوجّهون إلى دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء وطحنت بهم الطاحونة، وخرج من المسلمين زهاء أربعة آلاف. وقتل خالد بن سعيد بن العاص، وقاتلت يومئذٍ امرأة

---

(٦) تاريخ خليفة ٧٩ - ٨٠، وفتح البلدان ١٢٠ - ١٢١، والفتح ١: ١٤٧ - ١٣٢، وختصر تاريخ دمشق ١: ٢٠١.

حال فقتل سبعة نفر. وولت الروم منهزمين إلى دمشق وبيت المقدس <sup>(١)</sup>.

## يوم فِحْل

كانت وقعة فِحْل من الأُردن، لليلتين بقيتا من ذي الحجّة بعد خلافة عمر بخمسة أشهر <sup>(٢)</sup>. وأمير الناس يومئذ أبو عبيدة عامر بن الجراح، وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وإمرة الأمراء وعزل خالد بن الوليد عن ذلك، ويقال: إنّ ولايته أنتهت في الحرب والناس محاصرون دمشق فكتمها خالداً أيامًا؛ لأنّ خالداً كان أمير الناس في الحرب ... وكان سبب هذه الواقعة أنّ هرقل لما صار إلى أنطاكية استنفر الروم (أهل الجزيرة) وبعث إليهم رحلاً من خاصّته وثقاته في نفسه فلقوا المسلمين بِفِحْل من الأُردن، فقاتلواهم أشدّ القتال وأبرحه حتّى أظهرهم الله عليهم، وقتل بطريقهم، وزهاء عشرة آلاف معه، وتفرق الباقون في مدن الشام ولحق بعض بحرقان. وتحصن أهل (فِحْل)، فحاصرهم المسلمون حتّى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤوسهم والخروج عن أرضهم، فأمنوهم على أنفسهم وأموالهم وأن لا يُقدم حيطاً لهم. وتولّ عقد ذلك أبو عبيدة بن الجراح، ويقال:

---

(١) تاريخ خليفة، ٨٠، والفتح ١: ١٥٠، وفتح البلدان ١٢٥، وتاريخ الطبرى ٣: ٩٦، وختصر تاريخ دمشق ١: ٢٠١. وقد خالف البلاذري في تاريخ الواقعة فقال: أول المحرم سنة أربع عشرة. أما الطبرى فذكرها في أحداث سنة خمس عشرة.

(٢) فتح البلدان ١٢٢.

تولاه شُرحبيل بن حسنة<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا أنّ الواقعة كانت سنة ثلاط عشرة، إلا أنّ هناك رواية عن ابن الكلبي يقول أنّ وقعة «فُحْل» كانت يوم السبت لشماں بقين من ذي الحجّة سنة أربع عشرة<sup>(٢)</sup>. وعن ابن إسحاق قال: صالح أبو عبيدة في رجب.<sup>(٣)</sup>

### وقعة اليرموك

كانت وقعة اليرموك من أشدّ الوقائع التي شهدتها الشام. كانت الواقعة يوم الإثنين لخمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة. واليرموك نهر من أنهار الأردن.

بعد استيلاء المسلمين على مدينة حمص، نزل بملك الروم هم شديد، فجمع للمسلمين جمعاً لم يُرَ مثله، فقد قيل إنّ عدد الروم ومن والاهم كانوا ثلاثة ألف، وقيل أربعين ألف فارس وراجل وأئمّا المسلمين فلم يزد عددهم على خمسة وأربعين ألفاً. ونزل الروم على نهر اليرموك وعليهم وزير الملك يقال له «ماهان» من أهل فارس تنصر وانضمّ إلى الروم. وكان مع الروم حبّلة بن الأبيّهم الغستانيّ في مستعرية الشام من لثم وجذام وغيرهم.

ولما بلغ المسلمين ما جمع لهم هرقل من الجموع ردّوا على أهل حمص ما

(١) تاريخ خليفة، ٨٠، وفتح البلدان، ١٢٢، والفتح ١٨٩ : ١ - ١٩٥.

(٢) تاريخ خليفة، ٨٥.

(٣) نفسه.

كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم احب إلينا مما كنّا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل مع عاملكم. ونخض اليهود، فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب وتحمد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها. وعيّي الجمعان صفوهما، وجعل أبو عبيدة النساء ومعهن الأطفال والصغار على التلّ وقال لهنّ: خذن بأيديكُنْ أعمدة السيف وأعمدة البيوت والفساطيط، واجمعن الحجارة بين أيديكُنْ، وحرّضن المؤمنين على قتال المشركين. ووقف أبو عبيدة في القلب تحت رايته، وكان على الدراجة شرجبيل بن حسنة، وعلى الميمنة يزيد بن أبي سفيان، وعلى جناح الميسرة قيس بن هبيرة المرادي. ثم خرج معاذ بن جبلة ففعل مثله. وكان قد انفرد من عظماء الروم وفرسانهم ثلاثة ألفاً، حفروا لهم حفائر ونزلوا فيها وشدّوا خيلهم بالسلاسل، واقترب كلّ عشرة في سلسلة وحلقوها بعيسى ومريم والصليب ان لا ينهزموا أو يقتلو العرب عن آخرهم.

والتحم الجيشان في معركة قلّ نظيرها، فقتل «جريجس» أمير من أمراء الروم، قتلته أبو عبيدة بن الحراح. فلما رأى «ماهان» أنّ جرجيس قد قُتل، برع بنفسه فقتل اثنين من المسلمين ثمّ برع إليه مالك بن الحارث النّخعي فضربه فلما أحس بحرارة الضربة ولم تكن قاتلة ولّى منهاماً. ثمّ حمل الأمراء بمن معهم بالتكبير والتهليل والكشفت الروم منهزمة وأخذهم السيف من ورائهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقع في الأسر أعداد هائلة وغرق منهم في الماء أُمم لا تُحصى

وغنم المسلمين غنائم كثيرة. فلما أصبحوا لم يجدوا من الروم أحداً، وأراد أبو عبيدة أن يُحصي عدد القتلى من الروم فلم يقدر أن يحصي ذلك إلا بالقصب، فجعل على كل ألف قصبة، وعد القصب فكان عدد القتلى مائة ألف وخمسة آلاف، وأسرعوا أربعين ألفاً. وقتل من المسلمين أربعة آلاف ونيف. وانبعث المسلمين في الجبال والأودية يطلبون الروم حتى أدركوا ماهان في أربعين ألف فارس متوجّهاً إلى حمص، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتلوا ماهان.

ولما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك هرب من أنطاكية إلى قسطنطينية، فلما جاوز الدرب قال:

عليك يا سوريه السلام ونعم البلد هذا للعدو، يعني أرض الشام لكترة مراعيها<sup>(١)</sup>.

## فتح دمشق

سنة أربع عشرة، سار أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد فأحاطوا بدمشق. قال خليفة بستده: صالحهم أبو عبيدة على أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤوسهم على أن لا يُنعوا من أعيادهم ولا يُهدم شيء من كنائسهم. صالح على ذلك أهل المدينة، وأخذ سائر الأرض عنوة<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ خليفة ٨٩، وفتح البلدان: ١٤٠ - ١٤٣، والفتح ١: ٢١٨ - ٢٧١، وتاريخ الطبرى ٥٩٠ - ٦٢٨، وختصر تاريخ دمشق ٢١٢: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) تاريخ خليفة ٨٤.

قال: قال ابن الكلبي: كان الصلح يوم الأحد للنصف من رجب سنة أربع عشرة، صالحهم أبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

وراح أبو عبيدة يثـ البعوث لفتح الشـامات، فافتتح شـرجيل بن حـسنة الأـردن كلـها عنـوةً ما خـلا طـبرـة فإنـ أهـلها صالحـوه وذـلك بأـمرـ أبي عـبيـدة، وذـلك سـنة خـمس عـشرـة. وفيـها بـعـثـ أبو عـبيـدة خـالـدـ بن الـولـيدـ فـغلـبـ عـلـى أـرضـ الـبـاقـاعـ وـصالـحـهـ أـهـلـ بـعلـبـكـ وـكتـبـ لـهـ كـتابـاـ. صالحـهمـ عـلـى أـنصـافـ مـناـزـلـهـمـ وـكـائـسـهـمـ وـوـضـعـ الـخـارـجـ.

ثمـ خـرجـ أبوـ عـبيـدةـ يـرـيدـ حـمـصـ، وـقـدـمـ خـالـدـ أـمـامـهـ فـقاـتـلـوهـ قـتـالـاـ شـدـيـداـ، ثـمـ هـزـمـتـ الرـومـ حـتـىـ دـخـلـواـ مـديـتـهـمـ، فـحـصـرـهـمـ فـسـأـلـوهـ الـصلـحـ عـلـىـ أـمـوـالـهـمـ وـأـنـفـسـهـمـ وـكـائـسـهـمـ وـعـلـىـ أـرـضـ حـمـصـ عـلـىـ مـائـةـ أـلـفـ دـيـنـارـ وـسـبـعـينـ أـلـفـ دـيـنـارـ.

وـحدـثـيـ عبدـ اللهـ بنـ مـغـيرـةـ عـنـ أـيـهـ قـالـ: صالحـهمـ أبوـ عـبيـدةـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ عـلـىـ مـاـ صالحـهمـ عـلـيـهـ أـهـلـ دـمـشـقـ وـأـنـذـ سـائـرـ مـدـائـنـهـمـ عـنـوـةـ<sup>(٢)</sup>.

وـبـعـثـ أبوـ عـبيـدةـ بـعـدـ حـمـصـ خـالـدـ بنـ الـولـيدـ إـلـىـ «ـقـتـسـرـينـ»ـ فـرـحـفـ إـلـيـهـ الرـومـ وـعـلـيـهـ «ـمـيـنـاسـ»ـ وـهـوـ رـأـسـ الرـومـ وـأـعـظـمـهـمـ بـعـدـ هـرـقـلـ، فـالـتـقـواـ بـالـحـاضـرـ<sup>(٣)</sup>ـ، فـقـتـلـ مـيـنـاسـ وـمـنـ مـعـهـ مـقـتـلـةـ عـظـيمـةـ لـمـ يـقـتـلـوـ مـثـلـهـ. فـأـمـّـاـ الرـومـ فـمـاتـواـ عـلـىـ دـمـهـ حـتـىـ لـمـ

(١) نفسه، ٨٥، وختصر تاريخ دمشق ١: ٢٠٢.

(٢) تاريخ خليفة، ٨٨، وختصر تاريخ دمشق ١: ٢١١.

(٣) تاريخ خليفة، مصدر سابق، وتاريخ الطبرى ٣: ٩٨.

(٤) الحاضر: قريب من حلب يجمع أصنافاً من العرب. (معجم البلدان ٢: ٢٠٦).

يبق منهم أحد! وأمّا أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد فعقد لهم على إخراج المدينة فأخرّها<sup>(١)</sup>.  
وذكر خليفة أنّ أبا عبيدة بعث عمرو بن العاصي بعد فراغه من اليموك إلى قنسرين، فصالح  
أهل حلب ومنبع وأنطاكية، وافتتح سائر أرض قنسرين عنوةً.  
وذلك سنة ست عشرة<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ثمان عشرة وجه أبو عبيدة البعوث إلى الجزيرة، ففتحت حَرَان ونصيبين وطوابق الجزيرة  
والرُّهَى وسُمِّيَّاط ...؛ وقد ذكرنا تفصيل ذلك في أول الفصل هذا لانتساب ابن تيميه إلى تلك  
الديار، ومن ثم إلى حَرَان، وقد اتّبعنا البحث إلى تتبع مواطن نشأته فكان بعد حَرَان: الشَّام؛ وثمّة  
موطن لا بدّ من الحديث عنه لأنّ ابن تيميه أمضى فيه بعضًا من عمره وتأنّر بأحداثه، ذلك هو  
مصر.

## فتح مصر

سنة عشرين كتب عمر إلى عمرو بن العاصي أن سر إلى مصر، فسار وبعث عمر الزبير بن العوّام وئسر بن أبي أرطاة وعمير الجمحي مَدَدًا لعمرو، ففتحوا مصر والإسكندرية عنوةً بعد قتال  
شديد<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبرى ٣: ٩٨، وتاريخ ابن الوردي ١: ١٣٧، قال: سنة خمس عشرة. وتاريخ خليفة ١: ١٣٧ وقال: سنة ست عشرة.

(٢) تاريخ خليفة ٩٣.

(٣) تاريخ خليفة ١٠٠ - ١٠١، وفتح البلدان ٢١٤ - ٢٢٥، وتاريخ الطبرى ٣: ١٩٥ - ١٩٩، وتاريخ ابن الوردي ١: ١٤١.

ولاة عمر: توفيّ عمر بن الخطاب وواليه على مصر هو عمرو بن العاص وعلى الشام جميعاً معاوية بن أبي سفيان!؛ وكان على الجزيرة عياض بن غنم الذي بعثه أبو عبيدة ففتحها، على ما ذكرنا، فلما توفيّ صارت الجزيرة تابعة لمعاوية وخلفه<sup>(١)</sup> ... ولما انتهى الأمر إلى عثمان بن عفان جعل ولادة الأنصار الإسلامية جميعاً من بني أمية وأل مروان مما أدى إلى ثورة الأقاليم الإسلامية انتهت بقتل عثمان.

### ال الخليفة يعزي أبي سفيان

ذكر البلاذري: «ولما توفيّ يزيد بن أبي سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليه ما كان يتولاه فشكر أبوسفيان ذلك له وقال: وصيّلك يا أمير المؤمنين رحم!<sup>(٢)</sup>». وفي تاريخ ابن عساكر: «وعزى عمر أبي سفيان بابنه يزيد، فقال له أبوسفيان: من جعلت على عمله؟ قال: جعلت أخاه معاوية؛ وابناك مصلحان، ولا يحلى لنا أن نزع مصلحاً!<sup>(٣)</sup>». ويبدو أن الخليفة كان مفتئتاً بمعاوية: «كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب»<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ خليفة ١١٢، وتاريخ الطبرى ٣: ٣٠٣، وختصر تاريخ دمشق ٢٥: ١٧.

(٢) فتوح البلدان ١٤٦.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٥: ٢٥.

(٤) أنساب الأشراف ٥: ١٥٥، وختصر تاريخ دمشق ٢٥: ١٩.

وكان عمر قول: تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعونَ معاوية! <sup>(٦)</sup>.  
ولأجل العلاقة الخاصة بين الخليفة والبيت الأموي وتعيينه ليزيد بن أبي سفيان أرقى المناصب  
وهي ولاية عموم الشام وإلحاق الجزيرة بها، وتعزيته أبا سفيان الذي ما صحّ منه إسلام! بوفاة ابنه  
يزيد، وتعويضه بأدھي خلف لسلف مع كيل المديح له وما أعقبه من سيرة عثمان بن عقان على  
خطى أسلافه وتعديي الحدود، فما من قطر إلاً <sup>واليه أموي</sup> مرواني طزيد ...، مما طبع تلك الأقطار  
البعيدة عن نور الرسالة ووجود الأمثال من الصحابة، طبعها بطابع الهوى الأموي الذي عمل على  
طرح كتاب الله تعالى للبيع في الأسواق! ومنع من تدوين الحديث بأمرٍ من معاوية، فخضع لفتوى  
السلطان الفاسق حتى أنّ كثيراً منهم لا يعرف من هو علىٰ بن أبي طالب!

## ال الخليفة يتوعّد الشورى بمعاوية:

ولمعرفة عمر بحقيقة معاوية وأهل الشام فإنه كان يهديد الآخرين بهم قال محمد الشام ابن عساكر:

وعن عمر قال لـ إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةِ بَعْدِي، فَإِنْ فَعَلْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَعَاوِيَةَ بِالشَّامِ وَسَتَعْلَمُونَ إِذَا  
وَكَلَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ كَيْفَ يَسْتَبِّرُهَا دُونَكُمْ<sup>(٤)</sup>.  
وَيَأْخُذُنَا الْعَجَبُ! فَالْخَلِيفَةُ يَتَوَعَّدُ الصَّحَابَةَ فِي مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥:١٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ٢٥. وپستبرها: پتفرد بھا.

يذكّرنا بالذى كان في السقيفة ولكن هذه المرة قد أناب مكانه معاوية الطليق اللصيق وأعلى كعبه على كبار الصحابة ليتفرد بالخلافة؛ وهذا هو التمهيد والتمكين لنفوذ حكم بنى أمية، فإذا جاء عثمان بسط سلطانهم في كلّ مكان!

ومن قول عمر لأهل الشّوري: إن اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام، وبعده عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً إلّا سابقتكم<sup>(١)</sup>.

عجب لهذا المنطق! متى صار الطليق المتقلب في المثالب وممّن سنّ لذوي العاهات مبدأهم، فكان ابن تيميه فاردهم! وابن عبد الوهاب حاديهم والشيطان سائقهم!!

أقول: متى صار ابن هند؛ وهذا ما يُعرف به أكثر مما يُعرف بابن أبي سفيان، شعرًا وأدبًا، على ألسنة محبيه ومناوئيه، بل وعلى لسانه هو وسنورد الشواهد المثاث على ذلك مع قصة فيه؛ متى صار الذي أدخل الله تعالى الإسلام بيت أبي سفيان رغم أنه مع الفتح لم يكن ملكة وما صحّ لأبي سفيان وبقي ملعوناً وبنيه على لسان رسول الله ﷺ، وإن صحّ في حقّ معاوية من شيء من الفضائل، فضيلة واحدة هي قوله النبيّ معاوية: «لا أأشبع الله بطنه»<sup>(٢)</sup>، سلطان يخيف به الخليفة

(١) نفسه، وعبد بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، عامل عمر على اليمن. (تاريخ خليفة ٥٤، وطبقاته ١١٠).

(٢) الاستيعاب ٣: ٤٠١، وأسد الغابة ٥: ٢١٠، وتنكرة الخواص ١٨٢، وأنساب الأشراف ٥: ١٣٤ - ١٣٣، ووفيات الأعيان ١: ٥٩ (ترجمة النسائي).

الصحابة الأوائل ومنهم المبشرة بالجنة؟ وهل سلطانه مستمد من دار الخلافة الشرعية ومركزها  
مدينة رسول الله ﷺ ، إن شاء الخليفة فيها أقره وإن شاء بدله؟!

وفي أهل الشورى علي بن أبي طالب أخو رسول الله ونفسه في آية المباهلة، وأبو سبطيه الحسن والحسين أبناء رسول الله، أيضاً في آية المباهلة، وزوج بضعته التي هي نساء النبي؛ كذلك في آية المباهلة، وهو مطهرون بصربيح القرآن الكريم، وعلى من النبي متنزلة هارون من موسى؛ وهارون أخو موسى، وعلى أخو رسول الله بالمؤاخاة التي صنعا النبي، وعلى هتف الوحي باسمه وبسالته إذ جُنْ غيره ففرّ من ملاقا العدو فيما تقدم أبو الحسين يفلق الهايم ويشرط الأبدان، ويوم الأحزاب بُحّ صوت ابن عبد ودّ ولم يكن محاوباً إلاّ عليّ، وهل غير علي مثل ابن عبد ود؟ فلم يمهله فارس التقوى سليل الشجرة الهاشمية المباركة أن ضربه ضربة فلقت البيضة والمغفر وألقت نصفيه جنبيه فهو ميزان عدل لا عين فيه.

ولم يكن غير علي يصلاح لت bliغ براءة، ولم يفتر يوم خَيْرٍ مثلاً فعل غيره إذ فرّوا يُجَنِّنُ أحدهم الآخر! فقال رسول الله ﷺ : «لَا تُعْطِي الرِّبَّاً غَدَّاً رَجَلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَرَازٌ غَيْرُ فَرَارٍ». وكان أمير المؤمنين علي أَزْمَد العين فلما كان الغد دعا به رسول الله فوضع من ريقه على عينه فشفاها، ثمّ أعطاه الرِّبَّا فأخذها أبو الحسين ومضى يهربون حتّى ركزواها في أطم من آطام اليهود فاطلع يهودي من فوق الحصن وسألها من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: عَلَوْتُمْ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ! ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ خَيْرٌ: مَرْحَبٌ،

فضريه أبو الحسنين ضربةً قدّت البيضة والمغفر وغضت بين الأضراس وهوى مرحباً ميّتاً ثم إنّ  
عليّاً عاجل باب حصنٍ من حصونهم حتّى قلعه والمخذله ترساً يدافع به عن نفسه ثم جعله جسراً إذ  
وضعه على ظهره وعبر عليه المسلمين فكان الفتح على يديه، وليس من مفخرة تبرّ فداء عليٌّ  
لرسول الله إذ بات على فراشه متلقعاً بغطائه ليلة هجرته عليه السلام وقد أحاطت قريش بدار النبي  
للفتك به، ولقد فرض الله تعالى ولاية عليٍّ وجعلها متفرعةً من ولايته سبحانه وتعالى ولولاية رسوله  
عليه السلام [المائدة/ ٥٦] وقد أخذ له النبيّ البيعة يوم غدير خم، في حجّة الوداع وعمر حاضر فيها.  
وأقما السبق إلى الإسلام؛ فعمر هو الخامس وأربعون ممّن دخل الإسلام وعلىي أول من أسلم،  
والعجب من عمر يتوعّد أهل الشورى بمعاوية الذي قال فيه النبيّ إذا رأيتم معاوية على منبره  
فاقتلوه، وأنّ معاوية لا يرى لهم إلا السابقة وعدا ذلك فلا فضيلة لهم فله أن يفعل بهم الأفاعيل  
غير جيوش أهل الشام!! ولا ندري حقاً صدر هذا عن عمر، فیتعرض عليه حينها أنه وطأ الأمر  
لمعاوية وناصب علياً وحسده فأنكر حقل فضائله العلّوية؟! وهل الشجرة الملعونة في القرآن ابتداءً  
من الجذر «أمّية» تصغير «أمة» القبطي المتبنّى للصيق مروراً بزندقة قريش - محازاً، وإنّ فهم  
أقباط - وفتساقهم وزناهم من ذوي الريات رجالاً ونساءً، والمستهزئين برسول الله والمحلين عليه  
الحرب وقاده الأحزاب؛ وجّد الأسرة صخر والسهل خير من الصخر، وهو ابن حرب والسلم  
أفضل من الحرب، جدّته حمامه، اسمه خُلُوٌّ لعاھِ من ذوات الريات، وصخر نكح صلة الحدّ  
(هند) فأنجحت معاوية وفيه قصة ولذلك لما جاءت آكلة

الأكباد «هند» تباعي النبي ﷺ، قال فيما شرط على قبول يعنهنّ: على أن لا يزنين، فقالت هند: وهل تزني الحَرَّة؟ فبسم رسول الله ﷺ ونظر إلى عمر؛ وفي جروه يزيد، بل للناقص قصّة كذلك إذ لم يجدها بكرًا كما ذكرت بعض المصادر ...، بيت تذكر جيفته الأنوف، كفر صريح ونفاق عجيب وزندقة معرقة وضياع أنساب وتبنيّ أبناء الرّثا وعدوان على بيت الله الحرام وهتك حرمتها وهدم الكعبة وحرقها وإباحة المدينة المنورة ثلاثة أيام قتلاً ذريعاً لم ينج منه حتّى طفل رضيع أخذه أحد الأبدال - كذا - جنديّ شاميّ من حصن أمّه فضرب به الحائط فتناثر دماغه، وحجلت ألف امرأة من غير زوج ... كل ذلك وغيره مما سندكره في محله واحدة من مفاسد ناقص بن معاوية الخمير ملاعب القردة الجامع بين الأخرين، حكم ثلاث سنوات في الأولى قتل سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله ﷺ، وأهل بيته وصحبه الكرام، وفي الثانية حرق الكعبة، وفي الثالثة استباح المدينة على ما أشرنا إليه وما فعلوا، وهي وقعة الحَرَّة الدامية ...

ولم يسلم من الشجرة الملعونة إلّا خالد بن سعيد بن العاص وأخوه، عملوا لرسول الله ﷺ، فلما توفيّ وكان الذي كان من أمر السقيفة، رجعوا وامتنعوا من بيعة أبي بكر والعمل له وكانوا يرون أن الخليفة هو الذي أوصى به النبيّ وهو عليّ، فكانوا في جملة المعارضين لأبي بكر، ولم يبايعوا حتّى بايع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . ومن لم يؤتّ به عامل الوراثة لما أراد الله تعالى به من الخير: عمر بن عبد العزيز الذي أبطل السُّنْنَة المعاویة (التيماویة) إذ أصدر معاوية أيام استيلائه على الحكم أمراً أن يُخطب بعد الصلاة يُشتم في هذه الخطبة أمير المؤمنين نفس

رسول الله عليهِ بن أبي طالب وَتُعلن البراءة منه! والبراءة منه براءة من رسول الله ومن الإسلام  
الذي جاء به!!

وعمّ معاوية إلى الأقطار للعمل بذلك، فما زالت تلك البدعة يُعمل بها وأئمّها متّمة للصلة!  
حتّى جاء الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز فأزالها؛ إلا حرّان فقد ضجّ أهلها متّسّكين بلعن أبي  
ثراب! (١)

في خضمّ أحداث الشام، كان لابدّ ملدن الجزيرة ومنها الرّهـا وحرّان أن تتأثر بتلك الأحداث  
وتنطبع بطابعها فيغلب عليها المويّة. وقد علمنا أنّ فتوحها كان أيام عمر، وأنّ جراحتها  
الشامات قد ولّـها عمّ معاوية، وطالت حاكميّة معاوية حتّى بلغت عشرين سنة إلـآ أشهـراً، وامتدّ  
الحكم المويّة حتّى سنة مائة واثنين وثلاثين، فقد ظهرت قوّة جديدة تلك هي دعوة بنـي العباس  
الـتي أـسـقـطـتـ الـكـيـانـ الـمـوـيـيـ ... ورغم ذلك فقد استمرّ هوـيـ الجزـيرـةـ والـشـامـ مـوـيـيـ نـتـيـجـةـ لـلنـشـأـةـ  
والـتـرـبـيـةـ الـتـيـ اـتـيـعـهـ الـمـوـيـوـنـ، مـضـافـاـ إـلـىـ التـقـاءـ الطـبـائـعـ النـفـسـائـيـ لـلـمـوـيـيـ وـسـكـانـ تـلـكـ الـمـنـاطـقـ.

**ذكر المسعودي:**

«أنّ النسل لابدّ له من تحصيص قوته بشيء يميّزه ويبيّنه من سواه، فصار الجفاء والغلظ في  
الرّوم وأصحاب الجبال، والأكثر من أهل الشام، وأوباش مصر، واللؤم في الخزر وأهل حرّان من  
بلاد ديار بكر ...، وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير  
الأشخاص الغلوية والأجسام

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٧: ١٢٢.

السماوية...»<sup>(١)</sup>.

## السياسة الأموية وآثارها الاجتماعية في الشام

استئناف معاوية ابن هند سنة طيلة حاكمية الطويلة، وامتلأها الحاكمون من آل حرب وآل مروان، تركت آثاراً سيئة للغاية في المجتمع الشامي أبعدته إلى حد كبير عن الأصالة الإسلامية.

ولقد أبأ الصادق المسدّد بالوحي؛ رسول الله ﷺ بما سيكون من معاوية:

عن الحكم بن عمر التمالي - وكانت أمّه مريم بنت أبي سفيان بن حرب: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأصحابه ذات يوم: يا أبا بكر كيف بك إذا وليت؟، قال: لا يكون ذاك أبداً. قال: فأنت يا عمر؟، قال: حجراً إذا لقيت شرّاً، قال: فأنت يا عثمان؟، قال: أكل وأطعم وأقسم ولا أظلم. قال: فأنت يا علي؟ قال: أقسم التمرة وأحمي الجمرة<sup>(٢)</sup>، وأكل القوت. قال: أما إنكم سَيَّلِي، وسيرى الله عملكم. قال: فأنت يا معاوية؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أنت رأس الخطّم، ومفتاح العظم، يهرم فيها الكبير، ويبرو فيها الصغير، وتتحذذ السيدة حسنة، والحسنة قبيحة؛ أحلك يسير وجُرمك عظيم إلا أن يرحمك ربك عزوجل!<sup>(٣)</sup>

رسول الله ﷺ أبأ بما سيكون من فتنة معاوية وفساده وجُرميه العظيم على

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ١٤٧.

(٢) الجمرة: القبيلة. اللسان (جر).

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٥: ٢٦ - ٢٧.

رؤوس أبي بكر وعمر وعثمان وعلي؛ ومع ذلك وجدنا الثلاثة يعتمدون معاوية بين مهدي، ومرسخٍ موسَّع، وبين مطلقي ليدِه ممّا منحه فرصة الخروج على أمير المؤمنين عليٍّ عاشِلًا فكانت صفين وما تبع صفين ...

وذكر البلاذري، قال: حدثني إسحاق وبكر بن المitem قالا: حدثنا عبد الرزاق بن همام أئبنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: «يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلٌ يموت على غير ملتهي، قال: وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء، فكنت كhabس البول خفافة أن يحييء، قال: فطلع معاوية فقال النبي: هو هذا» <sup>(١)</sup>.

قال: وحدثني عبد الله بن صالح حدثني يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس عن عبد الله بن عمرو قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: «يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلٌ يموت يوم يموت على غير ملتهي، قال: وكنت تركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية» <sup>(٢)</sup>. وقطعاً لفتنة معاوية، فقد منع ﷺ أن يرقى منبره فإذا فعل فعل المؤمنين إزاحته بالسيف، فلما لم يفعلوا استفحل أمره وطالت محنته وعمتهم فنته.

البلاذري: حدثنا يوسف بن موسى وأبو موسى إسحاق القروي قالا: حدثنا جرير بن عبد الحميد حدثنا إسماعيل والأعمش عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم معاوية على منبره فاقتلوه»؛ فتركوا أمره فلم يقلعوا ولم

(١) أنساب الأشراف ٥: ١٣٤.

(٢) نفسه.

ينجحوا<sup>(١)</sup>.

ولعلهم يأتون بالمعاذير: أن معاوية مُعتمدُ العاصمة الإسلامية؛ ولكن هذا القول مردود لأنَّ أمر رسول الله ﷺ واجب إنفاذه أولاً، وما أحده معاوية مما سنقف عليه وقد خالف فيه الشريعة وصرّح بزندقته! وهتك حرمة من قُلامة ظفره أرفع شأنًا منه. ثانياً؛ وتصرِّح العاصمة بأنَّ الأمر هذا لا يكون للطُّلَفاء وأبنائهم، ومع ذاك سلطوا الطُّلَفاء ورفعوا من شأنهم وكانوا بهم مفتونين، فلما أبطأ الناس عن إنفاذ حكم رسول الله ﷺ، تفرد معاوية ومن بعده بالشام فكانت لها هوبيتها الخاصة وإنما الإيمان فيها مثلما ينما الملح في الماء.

عن أبي سعيد الخدري قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه» فقام إليه رجل من الأنصار وهو يخطب بالسيف، فقال أبو سعيد: ما تصنع؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه». فقال أبو سعيد: إنا قد سمعنا ما سمعت ولتكن نكره أنْ يُسلِّم السيف على عهد عمر حتَّى نستأمره: فكتبوا إلى عمر في ذلك، ف جاء موته قبل أن يجيء جوابه<sup>(٢)</sup>.

إنَّ كلام أبي سعيد مبنيٌ على ما كان يسمعه من عمر في معاوية: هذا كسرى العرب، وهرقل العرب. وإطلاق يده على الشام ومحذّه أصحاب الشورى معاوية ...، فهو يخاف مغبة قتل معاوية لذلك.

---

(١) نفسه .١٣٦

(٢) مختصر تاريخ دمشق :٢٥ :٤٦.

إن العجب ليأخذنا من عمر وقد سمع تلك الأحاديث، ومع ما نقله البلاذري عن خلف بن هشام البزار حديثنا أبو عوانة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعْد قال، قال رسول الله ﷺ : «معاوية في تابوت مغلق عليه في جهنم» <sup>(١)</sup>.

وأيضاً خلف حديثنا عبد الوارث بن سعيد بن جمهان عن سفيينة مولى أم سلمة أن النبي ﷺ كان جالساً فمرّ أبوسفيان على بعير ومعه معاوية وأخُوه له، أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه، فقال رسول الله ﷺ : «لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق» <sup>(٢)</sup>.

قد سمع كل ذلك؛ وهو الذي يقول: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وفي كذا، وليس فيها لطيلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء <sup>(٣)</sup>. ثم لا يجد للشام إلا القائد والسائل، متابعاً لأبي بكر الذي بعث بهما ضمناً أمراء فتوح الشام، فلما مات يزيد بن أبي سفيان أوصى إلى أخيه معاوية وأقره بعد عمر ثم ضم إلينه الشام جميعاً وانتزع عثمان مصر من عمرو بن العاص فضمها إليه على ما مرّ بنا.

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ١٣٦.

(٢) نفسه.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٥: ٤٢.

## معاوية يصدق بحقيقة

عن سعيد بن سعيد قال: صلّى بنا معاوية بالنجيلة <sup>(١)</sup> الجمعة في الصُّحْي، ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلُوا ولا لتحجُّوا ولا لتنزُّعوا، قد عرفتُ أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأنّه أمر الله ذلك وأنتم كارهون <sup>(٢)</sup>.

صدق معاوية! فهو لم ينصر ابن عمّه عثمان إذ استنصره فيما نصره أبوالحسنين عليّ <sup>عليه السلام</sup> ففرق عنه وفود الأقاليم التي جاءت تشکوا سيرة ولاته من بني أميّة، فلما كانوا في منتصف الطريق إذا بغلامه فمسكوه وفتّشوه فوجدوا معه كتاباً إلى عامله أن إذا وصولاً اقطع يد فلان و...، وكان بختمه، فرجعوا، وكان الذي يلعب به مروان بن الحكم وهو الذي سرق خاتمه، وذكرنا تفاصيل ذلك وأنّ عليّ <sup>عليه السلام</sup> أرسل الحسن والحسين <sup>عليهم السلام</sup> للدفاع عن عثمان فجُرحاً، وأدخل الماء عليه

...

فلما قُتل عثمان بعثت إليه أمّه حبيبة قميص وشعر عثمان فنشره معاوية على منبر مسجد دمشق مستغلاً غفلة وتخلّف أهل الشام الذين حجبهم معاوية عن معرفة الحقائق وأبعدهم عن روح الإيمان، فنادى فيهم أنّ الخليفة قُتل مظلوماً وأنّه ابن عمّه والطالب بشاره من عليّ بن أبي طالب لأنّه هو الذي

(١) النجيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. (معجم البلدان ٥: ٢٧٨، ومعجم ما استجم ٤: ١٣٠٥).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥: ٤٣.

قتله، فكان أهل الشام يداً واحدةً معه في ذلك.

وقوله لك ما قاتلتكم لن تصوموا ولا لتصلوا...؛ فهذا أمر واقع حق، وقد أفصح عن مكونه فصريح بأنّها الإمارة، إلا أنه جعلها عطية من الله تعالى، وليس بمنزلة العاصمة على ما رأينا. (وذكر معاوية عند عمر بن الخطاب فقال: دعونا من ذم فتى قريش وابن سيدتها، من يضحك في الغضب، ولا ينال على الرضا، ومن لا يأخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه) <sup>(٦)</sup>.

رسول الله ﷺ يذم معاوية وأباه، وعمر يمجدهما ويُعطيهما الفتنة والسيادة والتعفف!

ولم يكن أخوه يزيد بن أبي سفيان أحد قادة فتح الشام مع أبي عبيدة عامر ابن الجراح، طاهر الذيل كريم السيرة وقد مرّ بنا من الأحاديث المشتركة فيه وفي أخيه وأخيه؛ وهذا شيء من سيرته: عن ابن عمر قال: لما عقد أبو بكر الأمراء على الشام كنت في جيش خالد بن سعيد بن العاص (أحد معارضي أبي بكر)، فصلّى بنا الصبح بذي المروة <sup>(٧)</sup>، وهو على الجيوش كلّها. فإنّا لعنده إذهبنا آت فقال: قدّم يزيد بن أبي سفيان، فقال خالد بن سعيد: هذا عمل عمر بن الخطاب، كلّم أبا بكر في عزلي، وولّي يزيد بن أبي سفيان، فقال ابن عمر: فأردت أن أتكلّم، ثم عزم لي على الصمت،

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥: ١٨.

(٢) ذي المروة: قرية بوادي القرى. (معجم البلدان ٥: ١١٦).

قال: فتحوّلنا إلى يزيد بن أبي سفيان، وصار خالد كرجل منهم <sup>(١)</sup>.

وعن يزيد بن أبي سفيان قال: شيعني أبو بكر حين بعثني إلى الشام فقال: يا يزيد، إنك رجل تُحب قرباتك وإتي سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: مَنْ وَلَىْ قَرَابَةً مَحَايَةً، وَهُوَ يَجِدْ خَيْرًا مِنْهُ لَمْ يَجِدْ رائحة الجنة <sup>(٢)</sup>.

وعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر حين بعثني إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عَسَيْتَ أَنْ تؤثِّرُهُمْ بِالإِمْرَةِ، وَذَلِكَ أَكْبَرُ مَا أَحَادُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ وَلَىْ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَأَمْرَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مَحَايَةً لَهُمْ لَهُ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، حَتَّىْ يَدْخُلَ جَهَنَّمَ، وَمَنْ أَعْطَى رَجُلًا مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْئًا مَحَايَةً لَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَوْ قَالَ: بَرِئْتُ مِنْهُ ذَمَّةُ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، فَيَكُونُوا فِي حُمَّى اللَّهِ، فَمَنْ انتَهَكَ فِي حُمَّى اللَّهِ شَيْئًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَوْ قَالَ: بَرِئْتُ مِنْهُ ذَمَّةُ اللَّهِ» <sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر:

إِنَّ أَبَا بَكْرَ بَعْثَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفِيَانَ إِلَى الشَّامَ فَمَشَى مَعَهُمْ نَحْوًا مِنْ مِيلَيْنَ، فَقَيْلَ لَهُ: يَا حَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ: لَوْ انْصَرَفْتَ، فَقَالَ: لَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ اغْبَرَتْ قَدْمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٧ ك ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه. والحديث في مستند أحمد ٦:١.

النار» <sup>(١)</sup>.

إنّ أبا بكر يعلم سلفاً أنّ يزيد ينتهك حُرمة الله بإثراه أقاربه بالإمرة؛ ومع ذلك يتزع خالد بن سعيد عامل رسول الله ﷺ وقد توفي رسول الله وهو راضٍ عنه، ولم يكن حارساً على الإمارة كما مرّ بنا، وأمر يزيد بن أبي سفيان ومعاوية يحمل رايته. ولعله معذور في ذلك! فربما لم يسمع الأحاديث في لعن الراكب والسائق والقائد؟ ولا الأحاديث الخاصة بلعن معاوية وآل الحكم؛ أو أنّه اجتهد فاكتفى بالقرآن الكريم وأمّا الحديث وإن كان قد رواه وحدّر يزيد بن أبي سفيان من مغبة نتيجته، فقد رأى في ذلك قطعاً للعذر وإقامةً للحجّة، وربما لم يجد في أصحاب رسول الله ﷺ من هو كفواً ليزيد وأخيه معاوية شجاعهً وفقهاً وورعاً!

وقد وقع الأمر الذي أنبأ عنه أبو بكر، ذلك أنّ يزيد أوصى إلى أخيه معاوية فلما مات يزيد صار ما بيده إلى معاوية.

قال أبو مسلم: غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس فغمموا، فوقعت جاريته نفسه في سهم رجل، فاغتصبها يزيد، فأتى الرجل أبادر فاستعان به عليه، فقال: رُدّ على الرجل جاريته، فتلگأ عليه ثلاثةً فقال: لئن فعلت ذلك لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من يُيدَّل سُنْتِي رجل من بني أميّة يقال له يزيد»، فقال له يزيد بن أبي سفيان: نشدتك بالله أنا منهم؟ قال: لا، قال: فردد على الرجل جاريته <sup>(٢)</sup>.

(١) نفسه. والحديث في مجمع الزوائد ٥: ٢٨٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧: ٣٦٦.

هذا سلوك القائد يغتصب جارية ...، وهذا يزيد الآخر الذي افتتن به ابن تيمية وتابعه خارجة  
عصرنا فسموه أمير المؤمنين!

وذكر محدث الشام ابن عساكر، قال: رأى عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان كاشفاً عن  
بطنه، فرأى جلد رقيقة، فرفع عليه الدرة وقال: أجلدك كافر؟!<sup>(١)</sup>.

### آفة معاوية تسرى إلى يزيد

الروايات معقودة على أن النبي ﷺ قد دعا على معاوية أن لا يُشبعه الله تعالى؛ وذلك  
لمناسبة، فكان معاوية يأكل ولا يشبع، وبلغ من عِظَم بطنه أنه كان يُقعدها على فخذه، ووصف  
بأنه كريم بالمال بخيل بالطعام، وله في ذلك أخبار كثيرة. ويبدو أن هذه الآفة سرت إلى أخيه يزيد  
بعد توليه الإمارة، إن لم يكن قبلها!: «بلغ عمر بن الخطاب أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألواناً  
من الطعام، فقال عمر لولاه يرفأ: إذا حضر عشاوه فأعلماني، فلما حضر أعلمته، فأتاه عمر فسلم  
عليه فقرب عشاءه، فحأواه بشريده بلحمة، فأكل معه عمر، ثم قدم شواء فبسط يزيد يده، وكفّ  
عمر يده ثم قال: تالله يا يزيد أطعم بعد طعام؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم ستّهم  
ليخالفنكم عن طريقهم».<sup>(٢)</sup>

وقال المدائني: لما توفي أبو بكر وولي عمر، ولـيـزـيدـ بنـ أـبـيـ سـفـيـانـ بعدـ وـفـاةـ أـبـيـ عـبـيـدـةـ بنـ الجـراحـ  
الـشـامـ، فـقـدـمـ مـعـاوـيـةـ مـنـ الشـامـ عـلـىـ عـمـرـ فـدـخـلـ عـلـيـهـ

(١) نفسه.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧: ٣٦٦.

معاوية فقال له عمر: متى قدمت؟ قال: الآن، وبدأ بـك، قال: فأنت أبوئنك وابدأ بـهند، فانصرف معاوية فبدأ بـهند، فقالت له: يا نبـي، إـنه والله قـل ما ولـدت حـرـة مثلـك، وقد استـهـضـكـم هذا الرجل فـاعـملـوا بـما يـوـافـقـه واجـتـبـوا ما يـكـرـهـه<sup>(١)</sup> ...

إن معاوية يرى في عمر ولـي نعمـته فـبدأ به قبل أبـويـه. وقول عمر: وابـدـأ بـهـنـد لـه شـأن يـذـكـرـنا بـبيـعـة النـسـاء لـمـا جـئـن يـبـاـيـعـن النـبـي ﷺ فـاشـتـرـط عـلـيـهـنـ أـن لا يـزـنـينـ، فـاعـتـرـضـتـه هـنـد وـقـالـتـ: وهـل تـرـى الحـرـةـ؟ فـنـظـرـ النـبـي ﷺ إـلـى عمر وـابـتـسـمـ.

وـأـخـرـ اـبـنـ عـسـاـكـرـ: لـمـا وـلـى عمر بـنـ الـحـطـابـ بـزـيدـ بـنـ أـبـي سـفـيـانـ ما وـلـاـهـ مـنـ الشـامـ خـرـجـ إـلـيـهـ مـعـاوـيـةـ، فـقـالـ أـبـو سـفـيـانـ هـنـدـ: كـيـفـ رـأـيـتـ اـبـنـكـ صـارـ تـابـعـاـ لـابـنـيـ. فـقـالـتـ: إـنـ اـضـطـرـبـ حـلـ العربـ فـسـتـعـلـمـ أـيـنـ يـقـعـ اـبـنـكـ مـاـمـاـ يـكـوـنـ فـيـهـ اـبـنـيـ<sup>(٢)</sup>.

وـأـنـ مـعـاوـيـةـ عـلـى سـرـ أـبـيـهـ! فـقـولـ مـعـاوـيـةـ: (ـمـا قـاتـلـتـكـمـ لـتـصـومـوـا وـلـا لـتـصـلـوـا وـلـا لـتـحـخـوـا وـلـا لـتـرـكـوـاـ) ...، هو إـنـفـاذـ لـوـصـيـةـ أـبـيـهـ: روـيـ هـشـامـ بـنـ مـحـمـدـ الـكـلـبـيـ عنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ أـبـيـ خـالـدـ عنـ قـيـسـ بـنـ أـبـيـ حـازـمـ أـنـ أـبـاـ سـفـيـانـ دـخـلـ عـلـى عـثـمـانـ وـهـوـ مـكـفـوفـ، ثـمـ خـرـجـ مـنـ عـنـهـ وـهـوـ يـقـولـ: تـلـقـفـوـهـاـ يـاـ بـنـيـ أـمـيـةـ تـلـقـفـ الـكـرـةـ فـمـاـ الـأـمـرـ عـلـىـ مـاـ تـقـولـونـ<sup>(٣)</sup>.

(١) أنساب الأشراف ٥:١٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٤٠٢:٢٢.

(٣) نفسه ١٩.

وروي عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال، قال أبوسفيان حين قُبض رسول الله ﷺ: تلقفواها الآن تلقف الكرة فما من جنة ولا نار<sup>(٦)</sup>. مما أشبه كلام ابن أبيه، والنتيجة: ما صحّ منها إسلام ترجم ذلك القول والفعل.

### [ معاوية يمنع من نشر حديث رسول الله ﷺ ]

كان معاوية متشدداً في المنع من حديث رسول الله ﷺ، مستنناً في ذلك بسنة أولياء نعمته؛ ولو لا هم لما جرأ على ذلك.  
ولقد كانت المهمة لدى الجميع منصرفه إلى إخفاء الأحاديث النبوية الدالة على خلافة عليّ وأهل بيته عليهم السلام.

فاعتدت تلك السياسة على السنة والحديث فاختفتها وأبادتها، وتحاوزت كرامة الصحابة فأهدرتها، وأهّمتهم! وتعدّت على حرباتهم فحبستهم ونفّتهم ومنعتهم من بث علومهم. وأخطر ما فيها أنها كادت أن تؤدي إلى وادٍ حقّ أمير المؤمنين عليّ وأهل بيته في الخلافة والإمامية؛ وهذا أسوأ آثار سياسة المنع.

### أبوبكر يحرق أحاديث رسول الله ﷺ

لم يكن لمنع التدوين ذكر قبل جلوس أبي بكر على كرسي الحكم، وعلى العكس من ذلك، فإنّ أبا بكر قام هو بعملية التدوين أول حكمه.  
نقل الذهبي: أنّ أبا بكر جمع أحاديث النبي ﷺ في كتاب فبلغ عددها

---

(١) نفسه.

خمسمائة حديثٍ، ثم دعا بنارٍ فأحرقها. <sup>(١)</sup>

ولم يكن لأبي بكر نصٌّ شرعيٌ يستند إليه في إتلافه هذا الكتاب، وإنما ذهب إلى القول بأنه:  
أتلفه مخافةً أن يكونَ كتبَ شيئاً لم يحفظه جيداً <sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ سُؤال: هلاً جمع أبو بكر علية الصحابة ومن إليهم المفزع ومنهم عدل القرآن - على لسان رسول الله ﷺ - ونفس الرسول في آية التطهير، وأتحو رسول الله الذي هو منه بمنزلة هارون من موسى؟ فعرض عليهم تلك الأحاديث فأثبتت ما أثبتوه وأحرقباقي عوض أن يحرم الأمة ثروة هائلة من تراث النبي ﷺ؟!

وروى القاسم بن محمد، من أئمة الزيدية عن الحاكم؛ بسنده عن عائشة قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ فكانت خمسمائة حديث بيات ليلة ... فلما أصبح قال: أي بنتي، هل هي الأحاديث التي عندك، فجئت بها، فدعا بنارٍ فحرقها.  
فقلت: لم حرقتها؟!

قال: خشيتُ أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمته ووثقت به، ولم يكن كما حدّثني فأكون قد نقلت ذلك <sup>(٣)</sup>.

هناك ذريعة في إحراقه حديث النبي ﷺ: خوفه من أنه لم يحفظه جيداً؛ وهنا علل حرق الحديث بمجرد خشيته المخالفة، مع تصريحه بأمانة الناقل

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي ١: ٥، وعلوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح ٣٩.

(٢) نفسه.

(٣) الاعتصام بحبل الله المtin، القاسم بن محمد الزيد ١: ٣٠.

ووثاقته، إن كان بينه وبين النبي ﷺ واسطة «ناقل»!  
وهلاً كان ممكناً له أن يجمع أولئك الذين نقل عنهم فيعرض عليهم ما سمع منهم فيصحح  
موضع الاختلاف، إن وُجد، ويُثبت ما ليس فيه اختلاف.

ولنا أن نقول له: عشت مع النبي ﷺ، فما سمعته أثبته وما لم تسمعه احذفه حتى لو كان ما  
عندك خمسة أحاديث مثلاً، ويأتي عمر بحديثين أو كذا سمعهما، وهكذا حتى يجتمع لنا عدد كذا  
على نحو السماع! ودعنا من الوثاقة والأمانة، وإن كان ثمة معرض يقول أحدكم ليس بأمين ولا  
ثقة وهنا نبدأ في مشكلة مع المشككين ...!

روى الذهبي: أن الصديق - أي أبو Bakr - جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تُحدّثون  
عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناسُ بعدكم أشدُّ اختلافاً، فلا تُحدّثوا عن رسول  
الله شيئاً فَتَنْ سألكم فقولوا: بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَاسْتَحْلُوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ<sup>(١)</sup>.

ولا ندري من هم الناس، هل هم عوام الناس فلأه أن يرشدهم بالرجوع إلى من هم أولى  
بالحديث وفيهم باب علمه؛ أخص الناس وأكثرهم به لزقاً، الذي كان يتتجيه رسول الله  
ﷺ فيختص به كثير من علومه حتى أثار ذلك حفيظة بعض الصحابة!

عن أبي الثُّبُرِيِّ، عن جابر بن عبد الله، قال: ناجي رسول الله ﷺ علياً عليه السلام - يوم الطائف  
فطال نبواه، فقال أحد الرجالين: لقد أطالت نبواه لابن عمّه! فلما

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٣، ترجمة أبي بكر، الأنوار الكاشفة، لعبد الرحمن المعلمي اليماني: ٥٣.

بلغ ذلك النبي، قال: «ما أنا انتجحه، ولكن الله انتجاه»<sup>(٦)</sup>، وأيضاً أعلام الأمة مَنْ لا يُنكر  
فضلهم في هذا الأمر.

إنّ منع أبي بكر بهذه الصورة قوله: بينما وبينكم كتاب الله، نظير حديث «الأريكة»، واجتهاد  
عمر في المنع وسيأتي تفصيله.

وقوله: (فلا تُحَدِّثُوا)، فإنه منع نقل حديث رسول الله ﷺ، روايةً وكتابةً، وأثر الكتابة أشدّ  
لبقاءه وانتشاره أكثر مما هو أثر النقل.

ولم يقدم أبو بكر دليلاً شرعياً على المنع من حديث رسول الله ﷺ، وعلى العكس: فإنّ  
رسول الله دعا إلى كتابة حديثه وفعله الصحابة: أخرج الحاكم قال: حدثنا أبو بكر إسماعيل بن  
محمد بن إسماعيل الضرير بالري، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس، حدثنا عبد الله بن صالح،  
حدثني الليث بن سعد.

وأخبرنا أبو قتيبة سلم بن الفضل الأدمي بمكّة، حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، حدثنا عبدة  
بن عبد الله المخزاعي، حدثنا زيد بن حباب، حدثنا ليث بن سعد المصري، حدثني خالد بن يزيد،  
عن عبد الواحد بن قيس، عن عبد الله بن عمرو قال: قالت لي قريش: تكتب عن رسول الله  
ﷺ، وإنما هو بشرٌ يغضب كما

---

(٦) مناقب الإمام علي، لابن المغازى: ١٢٥. ويرد الحديث في مصادر أخرى بنفس اللفظ أو اختلاف يسير في النطق،  
في: صحيح الترمذى: ٥: ٦٣٩، تاريخ بغداد: ٤٠٢: ٧، المناقب، للخوارزمي: ١٣٨، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد  
٢: ٤٣١، كفاية الطالب: ٣٢٨، أسد الغابة: ٤: ١٠٧، جامع الأصول: ٩: ٤٧٤، كنز العمال: ١١: ٥٩٩،  
والنهاية: ٧: ٣٥٦، العمدة، لابن البطريق: ١٩٠.

يغضب البشر؟، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن قريشاً تقول: تكتب عن رسول الله، وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، قال: فأوْمأ لي شفتيه فقال: «والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حقٌّ فاكتبه».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد أصل في نسخ الحديث عن رسول الله ﷺ، ولم يخرجاه <sup>(١)</sup>.

قال: ولهذا الحديث شاهد قد اتفقا على إخراجه على سبيل الاختصار، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة أنه قال: ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً مثي إلا عبد الله بن عمرو، فإنه يكتب و كنت لا أكتب <sup>(٢)</sup>.

#### فأما حديث الشاهد:

فحدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أبو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو ابن وهب، أخبرني عبد الرحمن بن سلمان، عن عقيل بن خالد، عن عمرو ابن شعيب: أن شعيباً حدّثه، ومجاهداً أن عبد الله بن عمرو حدّثهم: أنه قال: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال: «نعم»، قلت: عند الغضب وعند الرضا؟ قال: «نعم، إنه لا ينبغي لي أن أقول إلا حقاً» <sup>(٣)</sup>.

وأخرج الحاكم بسنده عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ: «من كُسِّم

(١) المستدرك على الصحيحين ١:١٨٦/٣٥٧، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ١٨٧/٣٥٨.

عِلْمًا أَجْهَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَاءٍ مِّنْ نَارٍ»<sup>(١)</sup>.

وبسنده عن عبد الله بن بريدة قال: قال علي عليهما السلام: تذاكروا الحديث، فإنكم إلا تفعلوا يندرس

<sup>(٢)</sup>

وكذلك بسنده عن أبي يحيى الحماني، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقة قال: قال عبد الله

تذاكروا الحديث، فإن ذكر الحديث حياته<sup>(٣)</sup>.

وعن سفيان، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: ما كل الحديث سمعنا من رسول الله

عليه السلام: كان يحدّثنا أصحابنا وكتنا مشتغلين في رعاية الإبل<sup>(٤)</sup>.

وعن فضيل بن عياض، عن الأعمش، عن عبيد الله بن عبد الله، عن سعيد ابن جبير، عن ابن

عباس قال: قال رسول الله عليه السلام: «تسمعون، ويُسمع منكم، ويُسمع من الذين يسمعون منكم»<sup>(٥)</sup>.

<sup>(٥)</sup>

وذكر مثله بسنده آخر عن جرير، عن الأعمش عن ...<sup>(٦)</sup> قال: هذا حديث صحيح على

شرط الشيدين، وليس له علة، ولم يخرجاه، وفي الباب أيضاً عن عبد الله بن مسعود، وثابت بن

قيس بن شماس، عن رسول الله عليه السلام.

وابن جرير عن عطاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول

(١) نفسه ١٨٢ / ٣٤٦.

(٢) نفسه ١٧٣ / ٣٢٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين ح ٣٢٥.

(٤) نفسه ح ٣٢٦. قال الذهبي في التلخيص: هذه الأحاديث صحاح.

(٥) نفسه ١٧٤ / ٣٢٦.

(٦) نفسه، ح ٣٢٧.

الله عَزَّلَهُ : «قِيَدُوا الْعِلْمَ» قَلْتَ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: «كِتَابَهُ» <sup>(١)</sup>.  
وَبِسَنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثَمَامَةَ، عَنْ أَنْسٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: قِيَدُوا  
الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ <sup>(٢)</sup>.

### فائدة

لقد كان فعل أبي بكر بحرق أحاديث رسول الله عَزَّلَهُ ثُمَّ منعه من التحديث عنه عَزَّلَهُ بقوله:  
«فَمَنْ سَأَلَكُمْ فَقُولُوهُ: ...» مخالفًا للقرآن الكريم الذي يأمر بطاعة النبي عَزَّلَهُ (وَمَا آتَاكُمْ  
الرَّسُولُ فَحُدُودُهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ<sup>(٣)</sup>)، ولا تختلف السنة عن القرآن في الحجية، وما  
الحاديث إلا مفسرًا للقرآن وشارحاً لمراده، فما جاء من النبي عَزَّلَهُ كله وحيٌ، إما بلفظه وهو  
القرآن الكريم لأنَّه مُعجزٌ، أو أحكام وبيان بلفظ وكلام رسول الله عَزَّلَهُ؛ فكيف يُؤخذ نصف  
الوحي ويُهمَل نصفه الآخر؟!  
إنَّ القرآن الكريم عدا كونه معجزة النبي، فيه أحكام وعبادات ذُكرت إجمالاً بخُدُّ تفصيلها في  
أحاديث النبي عَزَّلَهُ وسيرته ...

أخرج الحاكم بسنده عن الحسن قال: بينما عمران بن حصين يحدّث عن سُنّة نبِيِّنا عَزَّلَهُ إذ قال له رجل: يا أبا نجید، حدثنا بالقرآن، فقال له عمران: أنت وأصحابك يقرأون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها، أكنت

(١) نفسه / ١٨٨ . ٣٦٢

(٢) نفسه، ح . ٣٦١

(٣) الحشر: ٧ .

محمدني عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ ولكن قد شهدت وغبت أنت، ثم قال:  
فرض علينا رسول الله ﷺ في الركوة كذا وكذا، وقال الرجل: أحستني أحياك الله.

قال الحسن: فما مات ذاك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين <sup>(٦)</sup>.

وإن فعله هذا مخالف لسنة النبي ﷺ، فإذا كان القرآن مبهماً له كما هو شأن آية الكللة،  
والعمة! فإن حديث النبي ﷺ خاصة في هذا الأمر لا يحتاج إلى بيان، وجوابه ﷺ «أكتب»  
للذين سألوه يفهمها الصغير والكبير، إلا أن يقول أبو بكر لم أكن حاضراً حينما سأله كل أئتك!  
ولا بلغني أيضاً عنهم، حتى لو بلغني فقد قدّمت المعدرة وقلت إني خفت الخلاف وإن بلغني من  
ثقة فأحرقتها!

والأحاديث والروايات الواردة بلفظ «قيدوا العلم بالكتاب» فتقييده بالكتاب، أي كتابته، لا  
يختلف فيه أحد، والعلم هنا واضح: هو السنة والحديث فكيف يحرقها؟!

وقد جرت سنة البشر في تتبع آثار الناس العاديين وحفظ أقوالهم اعتزازاً بها فيكتبونها لعلها  
تضيع؛ فهل يجوز أن تترك أحاديث رسول الله ﷺ، بل تُحرق؟!

واعتذر أبي بكر بأنه أحرق الأحاديث خوف الخلاف تحوطاً، فقد سمعها من ثقات ولكن لا  
يدري هل سجلها على مثل ما حدثه الثقة، وفي قول: مخافة أن يكون كتب شيئاً لم يحفظه جيداً،  
قد نسفه أمر رسول الله ﷺ بكتابة حديثه ومارسه الصحابة في حياته، وحديث عمران بن  
حصين مع الرجل الذي طلب

---

(٦) المستدرك على الصحيحين ١: ١٩٢ / ٣٧٢.

منه أن يحذّه بالقرآن، فحذّه بالسُّنّة - وقد مضى - مصداق صادع عن احتراء أبي بكر إثماً عظيماً في حرقه أحاديث رسول الله ﷺ فإنه إن لم يكن الأدب واللّيقة حكماً في احترام أثر الرسول؛ فإن الله تعالى أمرنا بطاعته وليس لنا الخيرة بعد قضاء الله ورسوله؛ (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) <sup>(١)</sup>.

وقد أمر الرسول ﷺ بكتابة حديثه، فإن قلت: بل أقر، فتقريره وأمره و فعله و قوله سُنّة. و قوله ﷺ : «قيدوا العلم». فلما سُئل ما تقييده؟ قال: «كتابته». فهذا أمر صريح بالكتابة، ولكن كتابة ماذا وأي علم؟ إنّما أحاديثه ﷺ لا يُنكر ذلك عاقل!

وحيث أن عبّاس عنه ﷺ : «تسمعون، ويُسمع منكم ويُسمع من الذين يسمع منكم». حثّ من النبي ﷺ على التحرّز في حفظ حديثه ونقله بأمانة وممّا يعين على ذلك كتابته ز ولم يقل لهم إن أنا مُثّلكم كتاب الله!!، فما مستند أبّي بكر في قوله: «بيتنا وبينكم كتاب الله؟!»، الذي يذكّرنا بقول عمر بن الخطّاب ليلة الرزّة - سنذكرها - لما اعترض رسول الله ﷺ في كتابة الكتاب، فرفع عمر صوته: «حسينا كتاب الله» ولما كثُر اللّغط طردتهم رسول الله من رحمة الله فراحوا إلى حلبة الصراع في سقيفة بني ساعدة ولم يبق مع النبي ﷺ إلا عليّ عليه السلام يمرّضه مسنده إلى صدره ورسول الله يسرّه حتى فاضت نفسه الزكية بين سُخْر ونَحْر على عليه السلام.

ولقد تنبأ رسول الله ﷺ بما سيكون بعده من الحيلولة دون حديثه الشريف

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

والتدبر في ذلك بكتاب الله المجيد وقطع الطريق أمام أولئك بقوله: «إِنَّمَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»، وذلك أنّ رسول الله لا ينطق عن الهوى؛ إنّ هو إِلَّا وحْيٌ يوحى، قرآنًا أو حديثًا. وهذه بعض الأحاديث في ذلك:

### أحاديث الأريكة

بسندٍ عن المقدام بن معدٍ يكرب الكنديٍّ؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرْيَكِتِهِ يُجَدِّثُ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ. أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

«يوشك» من أفعال المقاربة، والأريكة رمز للحكم والحاكمية، والاتكاء: الاستيلاء والاستقواء...؛ وكل ذلك تحقق في أبي بكر ثم عمر ومن استقى يستهموا في المنع من حديث رسول الله ﷺ. فأبوبكر صار إلى الأريكة «الحكم» في سقيفة بني ساعدة...، وكانت الأحاديث فيها تبيان وتفصيل للعبادات، وفيها الكثير من الحديث عن منزلة عليٍّ أمير المؤمنين وأنه الوصي وقتاله كفر وأنه من النبي ﷺ منزلة هارون من موسى عليهما السلام ، وأنه باع مدينة علم النبي وأحب الخلق إليه

(١) مسنـد أـحمد / ٤ / ١٣١، سـنـن أـبي دـاود (كتـاب السـنة) بـاب (٥) لـزوم السـنة (٤ / ٤٦٠٤)، سـنـن ابن ماجـة / ١ / ٦، حـ ١٢، سـنـن الدـارـمي (١١٧ / ١) حـ ٥٩٢، سـنـن البـيـهـقـي (٩ / ٣٣١) دـلـائـل النـبـوـة لـه (١ / ٢٥١)، صحيحـ ابن حـبان (١٤٧ / ١) سـنـن التـرمـذـي، كـتاب الـعـلـم (٢ / ١١٠)، الحـازـمـيـ فـيـ الـاعـتـبار (٧)، الخطـيبـ فـيـ (الـكـفـاـيـةـ) وـ (الـفـقـيـهـ وـ الـمـتـفـقـهـ) (٨٨ / ١)، المستـدرـكـ عـلـىـ الصـحـيـحـيـنـ (١ / ١٩١ - ٣٩).

والذي لم يكفر طرفة عين وأسبق الناس إلى الإسلام ...، هذه وغيرها من الخصائص التي تليق بالحاكم والحاكمية؛ فضلاً عن حديث القرطاس. وهو من دلائل النبوة، إذ لو لم يبادر أبو بكر فيحرق أحاديث النبي ﷺ ويقول: «يَبْنُنَا وَيَبْنُكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَبعُهُ عُمُرٌ فِي شَدَّدٍ وَيَحْرُقُ الْأَحَادِيثَ وَيَجْبَسُ الصَّحَابَةَ لَثَلَاثًا يَخْرُجُوا إِلَى الْآفَاقِ فَيُحَدِّثُوْا، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ الَّذِي بَلَغَ بِهِ الْجَرَأَةَ بِتَسْبِيرِ فَضَلَالِ الصَّحَابَةِ الْمُعَارِضِينَ لِسِيَاسَتِهِ إِلَى الشَّامِ لِيَحْدُوْا فِيهَا مَنْ هُوَ أَعْظَمُ جَرَأَةً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ هُوَ مَعَاوِيَةُ الَّذِي هَتَّكَ حُرْمَتَهُمْ وَكَانَ أَكْثَرُ نَكِيرًا عَلَى رِوَاةِ الْحَدِيثِ عَلَى مَا سَنَرَى.

### لفتُ نظر

ومهما قدّم البعض من ذرائع لفعل أبي بكر أو عمر ...؛ فإنَّ النبي ﷺ حذر من فعل هؤلاء بتسترهم بالقرآن الكريم، فقطع الطريق عليهم بقوله: «أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ». فالقرآن وحيٌ بلغظه ومعناه، والحديث وحيٌ بمعناه ولغاظه للنبي ﷺ . وقد ذكرنا أنَّ الحديث مفسّر للقرآن شارح مراده؛ فالسنة امتدادٌ للقرآن وتطبيق عمليٌّ لمؤدّاه واتباعها اتّباع للقرآن.

وعقد الدارمي باباً ترجمته: «باب أنَّ السنة قاضية على كتاب الله» نقل فيه

عن ابن أبي كثیر شیخ الأوزاعی<sup>(۱)</sup> قوله: «السُّنَّةُ قاضِيَّةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلِيُسَّ الْقُرْآنُ بِقاضٍ عَلَى السُّنَّةِ»<sup>(۲)</sup>.

ونقل عن مكحول قوله: القرآن أحوج إلى السنة، من السنة إلى القرآن<sup>(۳)</sup>.

قول الدارمي، وقول مكحول؛ ذلك أن القرآن الكريم كما ذكرنا جاء معجزاً في أصله مبنياً على الإعجاز البلاغي في إثبات رسالة الإسلام وما فيه من أحكام وعقيدة جاءت بحملةً كليف الله تعالى نبيه ﷺ تفصيلها.

وقد جاء من قال لعمran بن الحصين: ما هذه الأحاديث التي تحدثناها وتركتم القرآن؟ لا تحدثنا إلا بالقرآن!

فقال عمران: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً، والطواف بالصفا والمروءة؟

وبطريق آخر أضاف: والموقف بعرفة؟ ورمي الجمار، كذا، واليد من أين تقطع؟ فمن هاهنا؟ أم هاهنا؟ أم هاهنا؟ ووضع يده على مفصل الكف، ووضع يده عند المرفق، ووضع يده عند المنكب.

(۱) يحيى بن أبي كثیر الطائي، مولاهم. قال علي بن المديني، عن سفيان بن عيينة، قال: قال أئوب: ما أعلم أحداً بعد الزهرى أعلم بمحدث أهل المدينة من يحيى بن أبي كثیر. (المعرفة والتاريخ للقسوى ۶۲۱ / ۱).

قال شعبة: يحيى بن أبي كثیر أحسن حديثاً من الزهرى. (الحرج والتتعديل ۹ / الترجمة ۵۹۹) وقال العجلانى: ثقة، كان يُعد من أصحاب الحديث. (ثقاته ۴۷۵ / الترجمة ۱۸۲۳).

(۲) سنن الدارمي (۱۱۷ / ۱) الباب ۴۹ ح ۵۹۴.

(۳) الكفاية في علوم الرواية، للخطيب البغدادي: ۴۷.

ثُمَّ قَالَ: اتَّبِعُوا حَدِيشَا مَا حَدَّثَنَا كُمْ، وَخَذُوا عَنَّا، إِلَّا وَاللهُ ضَلَّتْمٌ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، قَالَ: إِذَا حَدَّثَتِ الرَّجُلُ بِالسَّنَةِ، فَقَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا، وَحَدَّثَنَا مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌّ مُضَلٌّ<sup>(٢)</sup>.

وَأَوْرَدَ فِي كِتَابِهِ (الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقَّهِ) أَحَادِيثَ اسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى أَنَّ السَّنَةَ مُعْتَرِرٌ فِي عَرْضِ الْكِتَابِ<sup>(٣)</sup> الْكَرِيمِ<sup>(٤)</sup>.

### مُزِيدٌ مِنَ النُّصُوصِ النَّبُوَّيَّةِ فِي وجوبِ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ

ذَكَرْنَا بَعْضَ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جُوازِ وَآخْرِيِّ وجوبِ كِتَابَةِ حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ، وَنَذَكَرْ بَعْضًا آخَرَ:

بِسْنِدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابَتٍ: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا. فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ. وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»<sup>(٥)</sup>.

وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبِيرٍ بْنِ مَطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخِيْفِ مِنْ مِنِي<sup>(٦)</sup> فَقَالَ: «نَصَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهٍ لَا فَقِيهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهٍ

(١) نفسه: ٤٨.

(٢) الكفاية في علوم الرواية، للخطيب البغدادي: ٤٩.

(٣) الفقيه والمتفقه، للخطيب (٩٠ - ٨٦ / ١).

(٤) سنن ابن ماجة ١: ٨٤ / ٢٣٠، مسند أحمد ١: ٤٣٧ و ٤: ٨٠.

(٥) (الخيف من مني) الخيف، الموضع المرتفع عن مجرى السبيل المنحدر عن غلظ الجبل. ومسجد مني سمى مسجد الخيف لأنّه في سفح جبلها.

إلى من هو أفقه منه ...»<sup>(١)</sup>.

وقال عليهما السلام : «من رغب عن سنتي متى»<sup>(٢)</sup> وقال عليهما السلام : «من سئل عن علم فكنته، ألممه الله بلحام من نار يوم القيمة»<sup>(٣)</sup>.

وقد روى حذيفة بن اليمان، قال: دخلت على رسول الله عليهما السلام في مرضه الذي قُبض فيه، فرأيته يتساند إلى عليّ، فأردت أن أجّنه وأجلس مكانه، فقلت: يا أبا الحسن، ما أراك إلاّ تعبر في ليتك هذه، فلو تتحسّن، فأعُنك.

فقال رسول الله عليهما السلام : دعْه، فهو أحق بمكانه منك، أدنّ متي يا حذيفة، من أطعم مسكنيناً لله عزّ وجلّ دخل الجنّة».

قال: قلت: يا رسول الله، أكتُم أم أتحدّث؟!

قال: «بل تحدّث به»<sup>(٤)</sup>.

### توجيهٌ غير مقبول من الذهبي

بعد أن نقل الذهبي كلام أبي بكر في المنع من الحديث، عقب على ذلك بقوله: إنّ مراد الصديق التثبت في الإخبار، والتحرّي، لا سدّ باب الرواية ... ولم يقل «حسبنا كتابُ الله» كما تقول الخوارج<sup>(٥)</sup>.

(١) المستدرك على الصحيحين ١: ١٦٢، ٢٩٥.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٢٦٣ و ٣٠٥ و ٣٥٣ و ٤٩٥.

(٣) الفقيه والمتفقة ١: ١٤٤.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٨: ٢٩٥.

(٥) تذكرة المخاظن ١/ ٣.

وقول الذهبي، مع علمه غريب! فقوله: «إن مراده التشتبّه في الإخبار والتحري ... لا سدّ باب الرواية» لا دليل عليه ولا وجود له في النصّ، ولم ترد كلمة واحدة في هذا المعنى: التشتبّه والتحري، كأن يقول: لا تحدّثوا بكلّ ما تسمعون أو تروون. أو لا تحدّثوا بما لا تشتبّهون ويأمرهم بالاحتياط عن الخطأ والاشتباه.

وأمّا سدّ باب الرواية عن رسول الله ﷺ ومنع نقل الحديث عنه مطلقاً؛ هل أوضح بياناً ودلالةً على عموم المぬ من جملة: «لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً»؟  
وقوله: «بَيْنَا وَبِنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَاسْتَحْلُوا حَلَالَهُ، وَحرَّمُوا حِرَامَهُ» قرينة واضحة على أنّ مراده تبُدُّ السنة مطلقاً، والاكتفاء بكتاب الله تعالى؛ لا سيّما إذا نظرنا إلى النهي الذي تقدّمها: «لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً».

وأمّا قول الذهبيّ ولم يقل أبو بكر: «حسبنا كتاب الله كما تقول الخوارج». فمن البدعيّي: أنّ كلّ جملة يقولها إنسان تؤديّ هذا المعنى فهو يمنع الاستناد إلى الحديث ويكتفي بكتاب الله تعالى.  
وكلام أبي بكر: «لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً» وبعد: «بَيْنَا وَبِنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَاسْتَحْلُوا حَلَالَهُ وَحرَّمُوا حِرَامَهُ»، يؤدّي نفس معنى: «حسبنا كتاب الله» تماماً!  
وإذا كُبر على الذهبيّ، أو أراد أن يوجه أو قدّم: اجتهد فأخطأ في فهم كلام أبي بكر؛ فدعنا نستريح هنيهةً من «حسبنا»، ولنكتفِ بجملة: «بَيْنَا وَبِنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ» التي قالها أبو بكر، وقبلها الذهبيّ، فنقول: إنّ هذه الجملة هي عينها التي

قال لها رسول الله ﷺ محدراً من صاحب الأريكة - أي الحكم - الذي عهده قرب وأنه يحذف حديث النبي ويعن منه ويقول: «بيتنا وبينكم كتاب الله عز وجل» وقد ذكرناه مع مصادره.

وأما ذكر الذهبي للخوارج في هذا الموضوع فعجب منه! إذ لم نعهد من الخوارج ذكرهم جملة «حسينا كتاب الله» وإنما شعارهم «لا حكم إلا لله» وأما جملة «حسينا كتاب الله» فهي معروفة من كلام عمر أكثرهم تشديداً في منع تدوين حديث رسول الله، وأسبقهم إلى ذلك! فهو الذي منع من تقسم «القرطاس» إلى رسول الله ﷺ ليكتب لهم كتاباً لن يتضليلوا بعده، ومفضى على هذه السياسة بعد رحلة رسول الله ﷺ وتشدّد بها وحبس الصحابة من الخروج إلى الأمصار خوفاً من نشر الحديث وكتب كتاباً بالمنع إلى الآفاق ...

إن النبي ﷺ أراد وهو يُودع أمته ويُودعها ترجمته:

الثقلين، كتاب الله وعتره الطاهرة، وفي سعي منه لتوكيده ما عهده إليهم سابقاً، أراد أن يكتب لهم كتاب هداية وعصمة، إلا أنه جوبه بمعارضةٍ شديدة أطلقت فيها كلمة لا تنبغي في حق مسلم محترم، فكيف بالنبي؟!

عن عبد الله بن عباس، قال: لما احتضر النبي ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: «هلْمَ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده». فقال عمر: إن النبي عليه الوجع، وعندكم القرآن فحسينا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر!! فلما أكثروا اللعنة والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال: قوموا عنِّي

فكان ابن عباس يقول: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.  
الكتاب من اختلافهم ولغطهم .

وليس الخبر بهذا اللفظ الذي هدّبه بعض الأقلام! ولكنّه كافٍ وبهذا اللفظ لتوضيح عمق المأساة! فإنّ ميّتاً من عَرَضَ الْمُجْتَمِعَ يَتَنَاهُ دُوُّوهُ وأَصْدَاقَاهُ وَتَقْعُدُ جَلْبَةُ وَيُحْمَلُ نَعْشَهُ إِلَى مَثَوَاهُ  
الأخير ظاهرة عليهم آثار الحزن والأسى لفقدده؛ وهذا سيد الخلق طرًا حاتم الأنبياء والرّسل يعيش  
لحظاته الأخيرة مع أصحابه ويريد أن يُتّمّ لهم نصيحته وهدايته لئلاً يضلّوا من بعده فينعرّضوا  
لغضب الله تعالى كما حدث لليهود والنصارى، إلا أنّ البعض منهم قدّم بين يديه وقطع كلامه،  
وهو أمرٌ منهٰي عنـه في القرآن الكريم؛ وخالف سنته وهو حيٌّ يمارس وظيفته في التبليغ، فكيف  
يكون الأمر بعد وفاته؟ وكيف كانت المقاطعة والردّ؟ كان نايّاً، فإنّ «غلبه الوجع» تساوي  
«يَهْجُرُ» التي تعني: يهذى - والعياذ بالله! كما أنّ حالة اللغو واللغط والاختلاف الناتجة عنـ هذا  
التصرّف سوء أدب في حضرة النبي ﷺ، وقد نهى القرآن عن رفع الأصوات فوق صوت النبي  
وعن الجهر له بالستوة؛ «وَإِنَّ النَّبِيَّ لِيَهْجُرُ»، أو «غلبه الوجع» ما هو إلا جهر بالستوة ثمّ ماذا يعني  
قول النبي ﷺ لهم: «قُومُوا عَنِّي»؟ إنه يعني أنه ساخط وغير راض عنـهم، ورضاه من رضى الله  
تعالى وسخطه من سخطه!

ثُمَّة سؤال: لماذا اعترض عمر على رسول الله ﷺ في كتابة الكتاب؟ هل

---

(١) صحيح البخاري ١:١٣٨، ٥:٣٧، ١٦١، ٨:١٣٨، طبقات ابن سعد ٢:٢٤٢، صحيح مسلم ١٢:٩٥، المصنف،  
لعبد الرّزاق ٥:٤٣٨ و ٤٣٩ مسند أحمد ١:٣٣٦، دلائل النبوة، للبيهقي ٧:١٨١.

كان يدرك ما سيكتبه؟

ورواية ابن عباس تؤكد أنه قال: أهجر. عن سفيان، عن سليمان بن أبي مسلم، عن سعيد بن حبير، عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «أئتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوه بعدي أبداً». فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبيّ أن ينماز - فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه! فذهبوا يعودون عليه، فقال: دعوني، فما أنا خيرٌ مما تدعوني إليه. وأوصى بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من حزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحوٍ مما كتب أحizهم، وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيّتها. <sup>(١)</sup>

نعم، يوم الخميس وما يوم الخميس! اشتد برسول الله ﷺ وجعه، واشتد بقومٍ وجدهم إلى أمورٍ، فأساووا إلى نبيّهم بالقول الفاحش ذلك قوله: ما شأنه؟!

أليق هذا بالنبيّ ﷺ! أنكره هو؟ هلا تأدّبوا فخاطبوه بما يليق بمقامه العظيم إن لم تطاوّعهم أنفسهم فيسارعوا مطاعين فيقدموا القرطاس والقلم؛ فإن لم يفعلوا فعلهم أن، يقولوا: يا رسول الله، لو بيتت لنا مرادك ...، مثلاً. ثم جاؤوا بما صلّاء لا توارها عمامة؛ تلك هي مقولتهم: أهجر؟ وهي شتيمة! ذكر ابن السكري في كتابه «تحذيب الألفاظ باب رفع الصوت بالواقعة في الرجل والشتم له» قال: وأهجر إهخاراً، إذا قال القبيح <sup>(٢)</sup>.

فهل يجوز على رسول الله ﷺ أن يقول القبيح، فعند من تجد الأمة الحسن

(١) تاريخ الطبراني ٤٣٦: ٢.

(٢) تحذيب الألفاظ، لابن السكري: ٢٦٤.

- إذن - لتأخذه منه فلا تضل؟ ومتى كان كتاب المداية والعصمة من الضلالة هُجراً؟  
والراوي لم يُعِين صاحب هذا الكلام المستهجن، فقد استعمل لفظ الجماعة «فقالوا»!

ترى ماذا تعني الكلمة «استفهموه» الواردة في الخبر، وماذا يعني أنّ القوم ما زالوا يعيدون سؤالاً  
ما على النبي ﷺ حتى ردعهم؟ أي سؤال هو؟ هل هو الوصيّة الثالثة التي سكت عنها ابن  
عباس عمداً؟ فلماذا سكت؟! أمّا هذا الاستدراك: «أو قال: فَنَسِيْتُهَا» فهو ممّا لا يليق بمن ابن  
عباس بكثير، فكيف بخبير الأمة؟!

غير أنّ المروي عن ابن عباس - كما في البخاري وطبقات ابن سعد، ذكرناه - ينصّ على أنّ  
صاحب القول هو عمر بن الخطاب، وحسب تلك الرواية وقول عمر فيها: «وعندكم القرآن  
فحسبنا كتاب الله» يتّضح أنّ النبي قد أوصى باثنين متلازمين، هما: كتاب الله وأهل بيته، وهو ما  
كان يُعيده على مسامعهم في أكثر من مناسبة.

وعن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي ﷺ قال: «ادعوا لي بصحيفٍ ودواء أكتب كتاباً  
لا تضلّوا به أحداً» فقال النسوة من وراء الستّر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟! فقلت: إنّك  
صواحبات يوسف: إذا مرض رسول الله عَصَرَتْ أعينك، وإذا صَحَ رَكِبَ عَنْقَه! فقال رسول الله:  
«ذَوْهُنْ، فِإِنَّ خَيْرَ مِنْكُمْ» <sup>(١)</sup>.

---

(١) المعجم الأوسط، للطبراني ٥: ٢٨٨، كنز العمال ٥: ٦٤٤، مجمع الروايد ٩: ٣٤.

حصوص الحق وثبت أنّ عمر هو الذي قدم بين يدي النبي ﷺ . ومع أنّه لم يذكر في هذه الرواية اعتراضه على رسول الله في كتابة الكتاب، إلا أنّ قول النسوة: «ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟» بَيْن الدلالة على هذا المعنى، وذلك بعد أن صلّى أسماعهم لغط الرجال واحتلafهم على أثر الكلام الذي قاله عمر كما في الروايات السابقة، فزجرهم النساء على سوء سلوكهم هذا. ويؤيد أنّ عمر هو صاحب الاعتراض على النبي ﷺ ؛ رفع صوته من جديد لِيسْمَعَ النسوة مقالاته فيهم، إذ اللّغط الدائر بين الرجال وجود الستر بينهم وبين النساء يقتضي منادتهم بصوت عالٍ، وإلاّ لم ردّ عليهم دون غيره من الحاضرين؟ قوله: «إِنَّكُنْ صَوَّابَاتِ يُوسُفَ...» فيه تنقيص لهنّ، ومن هنّ؟ إِنَّهُنْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وحاضنة الرسول، والصحابيات المبائعات، والمعصومة الطّاهرة فاطمة الزهراء ظاهرات بنت النبي ﷺ ؛ ووصف هؤلاء بالنسوة الّاّتِي شُغْفَنَ بِجَمَالِ يُوسُفَ النبي ﷺ ، أراد بذلك: إنكُنْ مَا كرأتُ وآتَيْتُ لَذَّةً!! وكلامه لم يتوقف من النساء وحسب، وإنما تطاول به على النبي ﷺ وانتهك حرمته إذ ذكره بصيغة الغائب التّكّرة من غير ما ينبغي له من النعوت بالنبوة والرسالة. «رَبِّكُنْ عُنْقُهُ» فيها ما فيها من المعانِي السلبية والتّجاوز على شخص رسول الله ﷺ ، ووصفه بالشخص الضعيف أمام النساء - والعياذ بالله...؛ ومن هنا جاء حوار رسول الله ﷺ : «إِنَّكُنْ خَيْرُ مَنْ كُنْتُمْ» في البعد عن الاعتراض والتقدّس بين يدي رسول الله، والاعتراض عمّا أراد، وإنما على العكس اعتبرهن سبيلاً أولئك الذين آذوا رسول الله بلغويهم وتنازعهم في أن يقدموا أو لا يقدموا القرطاس والقلم وكان زعيم جبهة الرافضين، بل لم يحفظ لنا

التاريخ أسمًا بعينه إلاّ عمر بن الخطاب.

«وَخَيْرٌ مِنْكُمْ»، إذ لم يكن من أصحاب السقيفة؛ وما كان من الأحداث الساخنة بعد ذلك إلاً امتداد لرذيلة الحميس والخيلولة بين النبي ﷺ وكتابه الكتاب وما وقع في السقيفة ومخض عنها من أمور منها: المنع من كتابة حديث رسول الله.

وطرد رسول الله إياهم إلاً عليه، له من المعانى: أنه طردتهم من رحمة الله، وفي ذلك: لعلًا يقول أحدهم إني تشرفت بتمريض النبي وبدفعه كما تشرفت بصحبته، فقطع عليهم الطريق بذلك. صحيح أن سوء الأدب الذي أبدوه يستوجب ذلك الطرد، ولكن نستجلّي ضمناً هذا المعنى مثلما نستجلّي أن لم تكن له ذرية إلاً من خديجة رضي الله عنها ثم من فاطمة الزهراء عليها السلام بينما حُرمت زوجاته حتى اللاتي في عمر الصبا فالشباب من الحمل، وإلاً لكان الويل لأمة محمد ﷺ في ذلك الحمل! ثم كان من حكمة الله تعالى: أن حرم الزوج من زوجات النبي ﷺ فجعلهن منزلة أمّهات المؤمنين.

وفي الصحابة من هم أنقياء التوب إلاً أن الفتنة عمت، ومنهم من كان بعيداً عن الحديث فأفرد علينا عائشة يناديه ويختصّه وهذه ليست أول مرة يفرده فيناديه، إلاً أن هذه الليلة لها خصوصية فهو عائشة في آخر عهده من الدنيا، فكان لعلي عائشة شرف الانفراد برسول الله ﷺ فهما شيء والناس شيء آخر، هما الرسالة والناس خليط بين بعيد عن ساحة الأحداث وبين مصطروع في سقيفة بني ساعدة من أجل (الأريكة) فصدق من لا ينطق عن الهوى إن هو إلاً وحبي يوحى، مضى

أولئك في مهمتهم من أجل الأريكة، ومضى على في مهمته بعد أن سمع توجيهات الوحي على لسان النبي ﷺ، فتولى عسل النبي وتكتيفه ...، فيما حرم أولئك من كلّ هذا.

رسول الله يخاطب على السبق في كلّ شيء: السبق في الإسلام، والسبق في الفداء، والسبق في الصحبة (إلى الطائف فلم يصحبه غير علي) وبعد مبيته على فراش النبي وأدائه وداع الناس التي كانت عنده التحق بالنبي ﷺ، وكان النبي قد افترق عن أبي بكر لما وصل إلى قباء ولم يدخل المدينة، فنزل أبو بكر على خارجة بن زيد، فيما نزل النبي على كثوم بن هدم، فلما التحق به علي عليهما السلام، دخلا المدينة<sup>(١)</sup>.

ولقد جرّت أحاديث ومحاورات بين ابن عباس وعمر بن الخطاب - بعد وفاة النبي ﷺ - أقر فيها عمر أنه الذي منع النبي من كتابة الكتاب؛ من ذلك: قال عمر لابن عباس: هل بقي في نفس علي شيء من أمر الخلافة؟ فقال ابن عباس: نعم. قال عمر: ولقد أراد رسول الله في مرضه أن يُصرّح باسمه فمنعه من ذلك إشفاقاً وحيطةً على الإسلام<sup>(٢)</sup>.

إن الله تعالى أعلم بمواطن الحيطة على الإسلام فيوحي بها إلى نبيه، ومن ذلك التبليغ بإماماة علي وخلافته في كل موطنه، ومنه المهرجان الكبير يوم عيد غدير خم، وفي مرضه لما أراد أن يكتب كتاباً فمنعه عمر. ولكن ما الذي وجده

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٢: ١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٢: ٢١.

عمر من نقصٍ في عليٍ فتحّوّف منه على مستقبل الإسلام، وهو الذي سلم عليه بالإمارة يوم  
نُحْمَ؟! فهلاً عابه يومئذِ؟!

أم أنه ندم على ما كان منه من التسليم على عليٍ أمير المؤمنين عليهما السلام بالإمرة بقوله: يَخِيْبَ لِكَ  
يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَى وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، قَالَهَا عَلَى رُؤُسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ غَدِيرِ  
نُحْمَ، وَالآن يَعْلَمُ أَنَّ رِجَالًا يَأْتِيُونَ فِي الْخَفَاءِ عَلَى إِزْوَاءِ الْخَلَافَةِ عَنْ عَلِيٍّ عليهما السلام وَكَتَبُوا بِذَلِكَ عَهْدًا،  
فَتَحَوَّفَ فَشَلَ الْخَطَّةَ؟!

إِنَّ مَا ذَهَبَنَا إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ كَلَامًا يُقَالُ جُنَاحًا، فَالَّذِي يَقْدِمُ بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مِنْهُيَّ  
عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ إِذَا لَا يَجُوزُ لَهُ إِلَّا التَّسْلِيمُ لِأَمِيرِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَأَمَرَ رَسُولَهُ عليهما السلام ، وَلَا يَعْتَرِضُ. وَكَيْفَ  
كَانَ الاعتراض؟ بِتَلْكَ الصُّورَةِ الْقَاسِيَّةِ وَهَذِهِ حُرْمَةُ النَّبِيِّ عليهما السلام ؛ فَلَمَّا طَرَدَ النَّبِيَّ وَمَنْ مَعَهُ صَارُوا  
إِلَى «السَّقِيقَةِ» وَدَخَلُوا فِي صِرَاطِ مَرِيرِ تَهْبِيْدِهِ لِـ«الْأَرِيْكَةِ» الَّتِي حَذَّرَ رَسُولُ اللَّهِ عليهما السلام مِنْهَا وَمِنْ  
صَاحِبِهَا الَّذِي يُوشِكُ أَنْ يُعْلَمَ صَاحِبُهَا الْمَنْعُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ عليهما السلام ، وَهَا هُوَ يَمْنَعُ وَرَسُولَ  
اللهِ مُوجَودٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ؛ فَكَيْفَ سَيَكُونُ الْأَمْرُ بَعْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ  
بَيْتِكَ الطَّاهِرِيْنَ؟! هَذَا مَا سَنَاهُ . وَلَكِنْ: كَلْمَةُ عَجْلَى، إِنَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ عليهما السلام  
يَنْضَمُ أَحْكَامًا وَعَبَادَاتٍ وَسُنُنٍ ...، فَهَلْ الْمَنْعُ يَهْدِي وَيَقْصِدُ مَثَلَ هَذِهِ الْأَحَادِيْثِ؟ قَطْعًاً.  
فَمَا بَقِيَ إِلَّا الْوَصِيَّةُ وَالْخَلَافَةُ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ عَمْرٌ وَأَنَّهُ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى مَنْعِ النَّبِيِّ مِنْ كِتَابَهُ  
الْكِتَابِ وَالنَّصْرِيْحِ بِاسْمِ عَلِيٍّ عليهما السلام خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ؛ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ . ثُمَّ صَارَتْ سَنَةً  
لِأَصْحَابِ الْأَرِيْكَةِ مَنْ هُمْ وَشَيْكُوا عَهْدِ بِرَسُولِ اللهِ عليهما السلام ، وَامْتَدَّتْ لِيَلْقَافُهُمْ مَعَاوِيَةً وَمَنْ جَاءَ

بعده من الشجرة الملعونة في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ ، فلم يكتفي بمنع الحديث في فضائل عليٰ وأهل البيت ظاهرًا، وإنما امتدت يد التنصب لوضع الأحاديث المكذوبة للنبيٍّ من أمير المؤمنين وفضيل أعدائه! وسن سنته البغيضة في لعن الإمام عليٰ عقب كل صلاة، فعاشت الشام بعيدة عن روح الإسلام تجهل من هو عليٰ؟! وفضائل أهل البيت، أممية ناصبية أجيالاً طويلاً لا يمكن أن تمحى آثارها. فإذا جاء ابن تيمية بإرثه الخارجي وسوء تربيته وضياع نسبه وتأثير محظوظه وبيته الأولى: حزان، ليحطّ رحاله في بيته الجديدة؛ كان أشدّ من معاوية على عليٰ وأهل البيت ظاهرًا في المنع من الحديث! وكان معاوية أكثر إنصافاً من ابن تيمية؛ ذلك أنّ معاوية إذا أحضر في الحجّاج أقرّ لأبي الحسن عليه السلام فضله، أما ابن تيمية فقد عاشر الشيطان إلا شنّ الغارة على أهل البيت بعد ما تجاوز حرمة الرسول والرسول !!

وإذا كان من سبق معاوية اكتفوا بمنع حديث رسول الله وحبسو الصحابة - على ما ستفتت على معنى الحبس هنا - فإن معاوية قد أحلّ الحرام وانتهك حرمة كبار الصحابة لأجل ذلك وكان أكثر جرأةً وصراحةً من غيره لما خطب فقال: «ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجّوا ولا لتزكوا، قد عرفت أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأنّكم لا تأمرُونّ عليكم ...».

### حديث رسول الله؛ وردّ عمر بلفظ آخر

ويأتي حديث رسول الله بلفظ مقارب لما ذكرناه سابقاً، وأما ردّ عمر

واعترافه فإنّه يرد أكثر حفوة، فقد ذكروا: لما مات رسول الله قال قبل وفاته بيسير: «ائتوني بدّواةٍ وبياضٍ لأكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدي». فقال عمر: دعُوا الرجل، فإنه ليهجر<sup>(٦)</sup>!  
الله أكبر!، دعُوا الرجل، وليس النبي ﷺ؛ أي اتركوه وتخلّوا عنه ولا تلتفتوا إلى قوله، فإني أؤكّد لكم «ليهجر»، أنه يهذى ولا يدرى ما يقول - معاذ الله يا رسول الله أن نقول شيئاً من ذلك - وهي أبلغ من كل العبارات التي مضت في القبح والشتمة! وهذا النص أقرب إلى القبول؛ وإن كان التقىم أي الاعتراض على رسول الله ﷺ منهى عنه في القرآن الكريم وليس من أدب الإسلام في شيء، واللغط الذي حدث بسبب ذلك، وشتمة عمر للنسوة الآتى اعترضن عمر وشيعته وطلبن استجابة أمر رسول الله ﷺ...، فإن هذه الأمور كافية لطرد رسول الله للقوم: إلا أن في العبارة هذه زيادة على ما تقدّم: فَصُمُّ الْعَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ، مِنْ خَلَالٍ دَعُوا الرَّجُلَ؛ فلا معنى بعد ذلك لكلام عمر: «حسينا كتاب الله». إذ أركان الإسلام ثلاثة: التوحيد، والبرّة، والمعاد؛ فمن أنكر واحدة منها فليس بمسلم، وهذه الدعوة صريحة لإنكار أحد الأركان والتخلّي عنه وهو النبي ﷺ كل هذا ورسول الله بينهم يرونـه بوجهـه الوضـيء بنورـ النبـوة ويسمـعونـ

(٦) مسنـد أـحمد: ٣٤٦، صـحـيق البـخارـي - كـتاب الـعـلم، بـاب كـتابـة الـعـلم، المـحلـد الأول صـفحـة ٣٩، والمـحلـد ٤ بـاب قولـ المـريـض ... صـفحـة ٥، و ٦ بـاب مـرضـ النبي ووفـاته صـفحـة ١١، و ٤ كـتابـ الجـهـاد - بـاب جـوـائزـ الـوـفـد، صـفحـة ٨٥، شـرحـ نـجـحـ الـبـلاـغـة، لـابـنـ أـبيـ الـحـدـيدـ ٢: ٥٣٦. جـمـعـ الزـوـائـدـ ٤: ٣٩٠ و ٣٩١، الـكـامـلـ، لـابـنـ الـأـئـيـرـ ٢: ٢١٧. طـبقـاتـ ابنـ سـعدـ ٢: ٢٤٣، تـذـكـرـةـ الـخـواـصـ: ٦٥.

صوته، فكيف بhem إذا قبضه الله تعالى ورفعه إلى أعلى عَلَيْنِ؟!  
أتعجل ونقول: سيرتد بعضهم الفَهْقَرِ؟

لا بخافي الحقيقة ولا نعدوها إن قُلْنا: نعم؛ فالذِّي وقع من عمر وأصحابه بحق رسول الله ﷺ، وطرد رسول الله إِيَّاهُمْ من ساحة رحمته فلم يعتذروا بل لجأوا في طغيانهم ففارقوه إلى السقيفة ولم يرجعوا إليه ﷺ؛ إلا وقد قبض الله تعالى نفسه الزكية إليه - هذا في أحسن الأحوال وتنتَلًا في قبول الرَّوَايَةِ، وإِلَّا فالمروي عن عائشة قوله: لم نعلم بوفاة رسول الله إِلَّا بوقوع المساحي والرجال يخفرون ليلاً...، وكان أمير المؤمنين في ثلَّةٍ من بني هاشم قد تولّوا دفنه -؛ ولقد كان ﷺ حذَرَهُم الرِّدَّةُ والتَّبَدِيلُ.

### أحاديث النبي في الرِّدَّةِ

أخرج مسلم بن سده عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: «سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فَرَطْكُمْ على الحوض مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِثُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِ وَبَيْنِهِمْ»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أُحدِّثُهُمْ هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلتُّ نعم قال: وأنا أَشَهُدُ عَلَى أَبِي سعيد الخدري لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ: «إِنَّمَا مَنِيَّ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلْتُ بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>.

فأي تبديل أعظم من رفض ستّته في حياته، ثم المنع من تدوينها

(١) صحيح مسلم، بشرح النووي المجلد ٨، الجزء ١٥: ٥٤.

والتحديث بها وحبس الصحابة على ذلك بعد وفاته عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ !

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ : «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أَنْاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَنِّي وَمَنْ أُمِّي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلْتُ بَعْدَ مَا زَالَوْا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» <sup>(١)</sup>.

وعن أم سَلَمَةَ، قالت: قال رسول الله عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ : «أَيَّاهَا النَّاسُ إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ فَإِيَّاهَا لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَدْبُثُ عَنِّي كَمَا يُذْبَثُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ: فِيمَ هَذِهِ؟ فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثَتْ بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا» <sup>(٢)</sup>.

فالذي أحدهما «بعد» من جنس «الأريكة»، والذي يرد فيه لفظ «يوشك». ومن حدثه عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ في عِظَمِ الْخَطَرِ الْمُحْدَقِ بِأَصْحَابِ الأَرِيكَةِ

عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللّٰهُ لَأَنْظُرُ إِلَى حُوضِي الْآنَ وَإِنِّي قد أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ حَرَائِنَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللّٰهُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكُنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُتَنَافِسُوا فِيهَا» <sup>(٣)</sup>.

وهذا الذي وقع ليلة وفاته عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ ، وبعد ما أساووا الأدب كما لحظنا، راحوا إلى سقيفة بني ساعدة فكان مما يندى له الجبين من أجل «الأريكة»، وغضبت الزهراء الطاهرة عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ إرثها من أبيها عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ واعتدوا عليها وكادوا يحرقوا بيتها وهي

(١) نفسه: ٥٦.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: ٥٧. وانظر الجمع بين الصحيحين، وتاريخ دمشق: ٨: ٤٧ و ٣: ١٠٩ و ٨: ١١٧.

فيه! وقوتلت قبائل قد امتنعت من بيعة أبي بكر وكانت ترى أن الخليفة الشرعي هو عليٌّ  
عليه السلام ...

والآحاديث في هذا الحقل من الوفرة مما يضعننا أمام الواقع الصعب الذي كان يعاني منه رسول الله عليه السلام وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْيٌ يوحى.

إنّ ما وقع من القوم في حجرة رسول الله عليه السلام، وفيما أحدثوه بعده، سبقتها وقائع مرتّة! فقد استجابوا لهناف الشيطان وفروا عن رسول الله عليه وسلم ونزل بهم بيان من الله سبحانه يوحي لهم على ذلك. وفروا بالرّاية يوم خير، ولم نسمع أكّم جرحوا بطلاً فضلاً عن جندلة أبطال!  
ويقى عليٌّ عليه السلام بعيداً عن كلّ هذه اللّوثات في جمِيع من الأنقياء ممّن لم يبدّلوا ولم يغّروا. وكان عليه السلام يستبق الأحداث وكيف لا؟ وسرّ النبي عليه السلام عندـه.

عن عمرو بن طلحة، عن أسباط بن نصر، عن سماك، عن عكرمة عن ابن عباس: أنّ علياً قال في حياة النبي إن الله عزّ وجلّ يقول: (أَفَإِنْ مَاتَ أُوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (١)، والله لا نقلب على أعقابنا أبداً بعد أن هدانا الله، والله لئن مات أو قُتل لأُقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموات، والله إليني لأخوة ووليّه وابن عمّه ووارثه، فمن أحقّ به ميّ (٢)؟!

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الفضائل، لأحمد، حديث ٢٣٢، خصائص التّسائي: ١٣٠ ح ٦٥، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٦، المعجم الكبير، للطبراني ١: ١٧٦، ح ١٠٧، وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة ١: ٢٣ =

وقد ترجم عليه السلام كلامه هذا في مواقفه الخالدة في سوح الجهاد فكرّ وما فرّ وشهد الوحي له بذلك! فيما قعد غيره وفروا وخلوا بين رسول الله عليه السلام وعدوه، فأصابه ما أصابه حتى دعا عليهم رسول الله عليه السلام.

يوم أُحد: وهو يوم الفخر والعتزة لرسول الله عليه السلام ، ولأمير المؤمنين عليه السلام ، وثلة ممّن لم يسترهم الشيطان بصراته: ألا إنّ محمدًا قد قُتِلَ. ولما كنّا قد عقدنا بحثاً مفصلاً في ذلك، وفي الفرار يوم خير!! فنذكر موجزاً من ذلك لمناسبة ما نحن فيه من خلق القوم في التعامل مع النبي عليه السلام ذكر البخاري أنّ عمر بن الخطاب انضم يوم أُحد فيمن انضم <sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما تحدثنا عن شجاعة الحواري الزبير، فلما عصى الرّؤامة أمرَ رسول الله عليه السلام وغادروا العسكر طمعاً في الغنيمة وجاءهم العدو من خلفهم وصرخ الصارخ انكفا الزبير مثل غيره ولم يبق مع عليّ أبي الحسن عليه السلام يذبّ عن رسول الله عليه السلام ويفديه بهجته: «عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: ...، إذ مالت الرّؤامة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النّهب وخلوا ظهورنا للخييل فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إنّ محمدًا قد قُتلَ فانكفأنا وانكفا القوم علينا <sup>(٢)</sup>

...

فالحواري كان في المنهزمين الفارّين عن رسول الله عليه السلام . والحواري من

= مختصر تاريخ دمشق ١٧:٣١٤، فرائد السّمطرين ١:٤٤ باب ٢٢٤ ١٧٥:٩ جمع الزوائد ١٣٤:٩، الرياض النّصّرة ٢:٣٠٠.

(١) صحيح البخاري ٥:١٠١.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٣:٨٢، تاريخ الطبرى ٢:١٩٦، تاريخ خليفة: ٣٦.

صفاته الحسد! وتلك الموبقة هي التي جعلته يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام . ويوم أخذ عرض رسول الله سيفاً فأعطاه أبي دجانية ومنعه من الزبير؛ فغضب الزبير، ولما التقى أبو دجانية مع أحد المشركين دعا الزبير بحلاك أبي دجانية، فقتل أبو دجانية المشرك<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا قصته مفصلاً في حديث الراية وفتح خير.

### أصحاب الصخرة

وذكرنا خيراً مطولاً في حديث الراية، ومن قصتهم: أن عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، ورجال من المهاجرين والأنصار، قد استجابوا لصراخ الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتل، ففروا وجلأوا إلى صخرة<sup>(٢)</sup> ...

وذكر الطبرى: أن بعض أصحاب الصخرة قال: ليتنا رسولاً إلى عبد الله ابن أبي «رأس المنافقين» فياخذ لنا أمنةً من أبي سفيان، يا قوم إن محمدًا قد قُتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم<sup>(٣)</sup>.

فليس بغريب إذن على أصحاب الحجرة تسمية رسول الله عليه السلام باسمه أو الرجل من غير ما يستحقه من نبي الله ورسوله ...، فقد قالوها على الصخرة! والذي ذكرناه من هدمهم لركن النبوة في الحجرة في ردهم على رسول الله عليه السلام ؛ فإن مقدماته أفسح من خلال قوله يوم أخذ: إن «محمدًا، الرجل الذي تعرفونه

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٣: ٧٢ - ٧٣.

(٢) نفسه ٣: ٢٠٣، تاريخ الطبرى ٢: ١٩٩.

(٣) تاريخ الطبرى ٢: ٢٠٣.

بـهـذـا الـاسـمـ»، «قـد قـتـلـ، وـانـتـهـى أـمـرـهـ وـلـسـنـا بـطـالـيـ ثـارـهـ»، «فـارـجـعـوا إـلـى قـومـكـ...، مـنـ هوـ مـنـ عـدـيـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ؛ وـالـذـيـ مـنـ تـيـمـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ... فـلـيـسـ فـيـكـ هـاشـمـيـ يـقـتـلـ دـونـهـ!». عـشـمـانـ: وـلـمـ يكنـ عـشـمـانـ مـعـ أـصـحـابـ الصـخـرـةـ، فـقـدـ فـرـ فيـ عـدـدـهـ مـنـ الرـجـالـ حـتـىـ بـلـغـواـ الـجـلـعـبـ جـبـلاـ بـنـاحـيـةـ المـدـيـنـةـ فـأـقـامـواـ بـهـ ثـلـاثـاـ... (١) فـيـمـاـ وـجـدـنـاـ يـهـودـيـاـ اـسـمـهـ: مـخـيـرـيـقـ يـقـاتـلـ دـونـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ فـيـقـتـلـ شـهـيدـاـ! وـكـانـ خـبـرـاـ مـنـ أـحـبـارـ الـيـهـودـ (٢).

مشـهـدـ اـمـرـأـ: وـلـعـلـ فيـ قولـ عمرـ لـلنـسـوـةـ: «إـنـكـ صـوـيـحـبـاتـ يـوـسـفـ يـكـمـنـ خـلـفـهـ أـكـثـرـ مـنـ سـرـ، منـ ذـلـكـ: أـنـ الـذـيـ فـرـواـ كـانـوـاـ ذـكـورـاـ لـاـ نـسـوـةـ! فـيـمـاـ جـاهـدـتـ اـمـرـأـ خـلـدـهـاـ التـارـيـخـ هـيـ: نـسـيـةـ بـنـتـ كـعـبـ الـلـازـيـةـ، شـهـدـتـ يـوـمـ أـخـدـ هـيـ وـزـوـجـهـاـ وـابـنـهـاـ، خـرـجـتـ تـسـقـيـ الـجـرـحـيـ: فـلـمـاـ فـرـ الذـكـورـ قـاتـلـتـ فـجـرـحـتـ اـثـنـيـ عـشـرـ رـجـلـاـ بـسـيـفـ وـرـمـحـ، وـضـرـبـهـاـ اـبـنـ قـمـيـةـ بـالـسـيـفـ عـلـىـ عـاتـقـهـاـ؛ فـكـانـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ يـقـولـ: «مـاـ التـفـتـ مـيـنـاـ وـشـمـالـاـ يـوـمـ أـخـدـ إـلـاـ رـأـيـتـهـاـ تـقـاتـلـ دـوـنـيـ» (٣).

فـمـثـلـمـاـ حـسـدـ الرـبـيـرـ أـبـاـ دـجـانـةـ عـلـىـ مـاـ ذـكـرـنـاـ حـتـىـ قـتـلـهـ! فـكـذـلـكـ حـالـ أـصـحـابـ الصـخـرـةـ. فـيـوـمـ أـخـدـ وـمـاـ أـدـرـاكـ مـاـ يـوـمـ أـخـدـ، الرـبـيـرـ كـلـ الرـبـيـرـةـ، وـالـفـضـيـحـةـ كـلـ الـفـضـيـحـةـ يـوـمـ أـخـدـ. صـرـخـ الشـيـطـانـ فـأـجـابـهـ أـصـحـابـ الصـخـرـةـ وـالـجـلـعـبـ وـشـايـعـوهـ فـيـ هـدـمـ

(١) نفسه: ٢٠١.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٣: ٩٤، أنساب الأشراف ١: ٣٩٧.

(٣) السيرة النبوية ٣: ٨٩ و ٩٤، أنساب الأشراف ١: ٣٩٧.

رَكِنَ النَّبِيَّةِ ... وَلَا عَلِمُوا بِسَلَامَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَادُوا إِلَيْهِ.

### بسالة أمير المؤمنين يوم أحد

لم يفلح الشيطان أن يستزلّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأتى له ذلك وأمير المؤمنين عليه عليه السلام نفس رسول الله عليه السلام، مطهّر بصريح القرآن الكريم؛ عدل القرآن وترجمانه ...، بطل بدر؛ فماذا يوم أحد؟

وأيضاً نقول: لقد تعريضنا لهذا المطلب في رد الناصبي عدو نفسه: ابن تيمية، في حديث الراية وفتح خير، فنوجزه شاهداً:

فيوم أحد قتل أمير المؤمنين عليه عليه السلام أصحاب الألوية، وأجهز على عدد من أبطال قريش فعجل بهم إلى النار. فكان عدّة الذين حصدتهم ذو الفقار «ستة عشر» من أبطال قريش وعثتها. فقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله، إن هذه للمواصاة، فقال رسول الله عليه السلام: «إنه مي وانا منه». فقال جبريل: وأنا منكم. فسمعوا صوتاً يقول:

لا س——يف إلا ذو الفقار ولا ف——تى إلا عل——ي<sup>(١)</sup>

إن الردة والانقلاب على الأعقاب التي حذر منها رسول الله عليه السلام، وأتبتها الواقع؛ وأنزل الله سبحانه وتعالى بياناً في ذلك. قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يُنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَأ

(١) ذكرنا أسماء من قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام يوم أحد، ومصادر المتألف في حديث الراية وفتح خير.

يَضُرُّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ .<sup>(١)</sup>

من تفسير قتادة، قال: ذلك يوم أُخْدِيَ حِينَ أَصَابُوكُمُ الْقَرْحُ وَالْقَتْلُ، فَقَالَ أَنَاسٌ مِنْهُمْ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا مَا قُتِلَ! فَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ) الآية، يقول: ارتدتم على أعقابكم كفاراً ...<sup>(٢)</sup>

وعن حالة الارتداد والانقلاب على الأعقاب يوم أُخْدِيَ في قوله تعالى: (... انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)، قال مقاتل بن سليمان في تفسيره: يعني رجعتم إلى دينكم الأول الشرك<sup>(٣)</sup>.

قال ابن إسحاق في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) الآية. قال: أي لقول الناس: قُتل محمد ﷺ وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم.

وفي قوله تعالى: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) الآية. قال: رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم! قد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت وفارقكم<sup>(٤)</sup>.

هذا هو حال الذين استرلهم الشيطان فأطاعوا أمره: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْثَّقَافَةِ الْجُمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِعَضِ مَا كَسَبُوا) <sup>(٥)</sup> الآية.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) تفسير ابن أبي زمرين ١: ١٢٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١٩٤.

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام ٣: ١١٧.

(٥) آل عمران: ١٥٥.

أَلْهَمَ الشَّيْطَانَ عَنْ مَوْضِعِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ النَّبِيُّ ﷺ فَأَبْعَدَهُمْ إِلَى الصَّخْرَةِ وَالْجَلْعَبِ،  
وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي يَئِسَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَقْرِئَهُ؛ فَكَانَ فِي صَفَّ (وَسَيَّجُزِي  
اللَّهُ الشَّاكِرِيْنَ)، أَيِّ: مَنْ أَطَاعَهُ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ <sup>(١)</sup>.

وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ «الْخَنْدَقِ» إِذْ جَاءَتْ جِيُوشُ الشَّرِكِ وَالْيَهُودِ يَقُودُهَا الْأُمُوَيُّ أَبُوسَفِيَّانِ مُصَمَّمُونَ  
عَلَى اجْتِشَاثِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَتَمَكَّنَ عَمَرُ بْنُ عَبْدِوْدٍ فِي جَمَاعَةٍ مِّنْ عَبُورِ الْخَنْدَقِ وَرَفْعِ صَوْتِهِ  
مَطَالِبًاً مَّنْ يَأْرِزُهُ، فَنَهَضَ أَبُو الْحَسْنِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا خَنَسَ غَيْرُهُ، فَأَجْلَسَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَهَكُذا ثَانِيَّةٌ  
وَثَالِثَّةٌ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ اتَّاقَلَ مَنْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ ضَرَبَةً قَدْتَ  
الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَلَمْغَرَّ بَدْنَهُ نَصْفِينَ وَوَلَّتْ خَيُولُ الْمُشَرِّكِينَ هَارِبَةً فَعَبَرَتِ الْخَنْدَقَ وَكَفَى  
اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِعَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَتْلَ وَتَنَقَّسَ الْمُرْتَابُونَ الصَّعَادَ!

وَمَوَاقِفُ الْخَلَافِ وَالْعَارِ وَالْفَرَارِ كَثِيرَةٌ، مِنْ ذَلِكَ: يَوْمُ خَيْرٍ، لِمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُظْهِرَ  
حَقَائِقَ الْقَوْمِ، فَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِحُكْمِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَئِذٍ أَرْمَدًا، فَدَفَعَ النَّبِيُّ الرَّاِيَةَ إِلَى أَبِي  
بَكْرٍ فَفَرَّ هُوَ وَجَمَاعَتِهِ، فَأَعْطَاهُ إِلَى عُمُرٍ فَفَرَّ هُوَ وَجَمَاعَتِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يُعْطَى الرَّاِيَةَ غَدًا رَجُلًا  
يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ لِيُسَبِّ بِفَرَارِهِ». فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ دَعَا عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَنَاهُ  
فِي عَيْنِهِ فَبَرَأً، ثُمَّ هَرَّ الرَّاِيَةَ وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَذَهَبَ بِهَا يَهْرُولُ فَقُتِلَ مَرْحِبٌ عَظِيمٌ الْيَهُودُ وَقَلَعَ بَابُ  
حَصْنِهِمْ وَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدِيهِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا تَفاصِيلَ ذَلِكَ وَمَصَادِرَهُ فِي حَدِيثِنَا فِي الرَّدِّ عَلَى النَّاصِبِيِّ  
الْجَاهِلِيِّ ابْنِ تَيْمَيَّةَ، فِي حَدِيثِ الرَّاِيَةِ وَفَتْحِ خَيْرٍ.

---

(١) السيرة النبوية ١ : ١١٨ .

إنَّ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْأَعْلَمُ وَهُوَ رَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَلَغَ إِيمَانَهُ حَدَّ الْيَقِينِ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُوتُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَالشَّرِيعَةُ خَالِدَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْبَعَونُ؛ وَلَذَا لَمْ يَكُنْ لِإِذَا دَعَاهُ الشَّيْطَانُ أَثْرٌ فِي نَفْسِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْأَعْلَمُ إِلَّا الْمُضِيُّ قَدْمًا فِي الذَّبَّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَهَرَ الشَّرِكَ وَجَنَّدَهُ صَنَادِيدَهُ. وَمَضَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْأَعْلَمُ عَلَى هَذِهِ السَّيِّرَةِ، هُوَ فِي سَوْحِ الْقَتَالِ شَهَدَ لِهِ الْوَحْيُ فِي السَّمَاءِ وَالْعُدُوِّ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ عَلَيْهِ الْأَعْلَمُ كَانَ يَقُولُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)، وَاللَّهُ لَا نَنْقُلُ عَلَى أَعْقَابِنَا أَبَدًا بَعْدَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَاللَّهُ لَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأُفَاتِلَنَّ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ أَمْوَاتٍ ...

لَمْ يَخْضُعْ عَلَيْهِ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْأَعْلَمَ لِسِيرَةِ أَصْحَابِ «الْأُرْيَكَةِ» فِي بَثِّ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَمَا خَضَعَ عَدْدٌ مِنَ الصَّحَافَةِ لِمُشَيَّطَتِهِمْ فَامْتَنَعُوا مِنَ التَّحْدِيدِ، بَلْ عَمِدَ بَعْضُهُمْ إِلَى تَلْفِيَةِ مَا لَدُهُمْ مِنْ أَحَادِيثٍ! وَتَعَرَّضَ عَدْدٌ آخَرُ لِلْحَسْبِ لَئَلَّا يَنْشُرُوا الْحَدِيثَ!

### عمر يقتفي سنة أبي بكر

وَلَمَا تَرَّعَعَ عَمَرٌ عَلَى أُرْيَكَةِ الْحُكْمِ أَبْدَى فِي بَدَائِيْةِ أَمْرِهِ رَغْبَةً فِي جَمْعِ الْحَدِيثِ وَكِتَابَةِ السُّنْنِ، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنْ التَّدْوِينِ وَبِشَدَّةٍ لِلْغَایيَةِ إِلَى حَدَّ أَنْ عَمِّمَ ذَلِكَ فِي أَمْرِ رَسِيْيِّ عَلَى الْجَمِيعِ. وَإِزَاءِ سِيَاسَةِ عَمَرٍ الْمُتَشَدِّدَةِ فَقَدْ تَبَعَهُ عَدْدٌ مِنَ الصَّحَافَةِ هُمْ: أَبُو سَعِيدٍ

الحدري، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري<sup>(١)</sup>. وحتى أولئك القلة المانعة بخدمهم يكتبون الحديث بعد تلك الفترة<sup>(٢)</sup>.

والذي يعرض طريقنا في هذا المضمار جملة أمور:

١ - لم يكن لعمر ومن تبعه في المنع نص شرعي يستند إليه، حالهم في ذلك حال أبي بكر الذي وجد كتابة الحديث معمول بها في أيام رسول الله ﷺ، بل أمر ﷺ بوجوب كتابة أحاديثه ونشرها، فقام أبو بكر أولاً إذ انتهت إليه الأريكة بعملية تدوين الأحاديث وجمعها ثم عدا عليها فحرقها ولم يكن له ما يتذرّع به من حجّة شرعية إلا قوله: «خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد اعتمته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك». ذكرنا كلامه هذا سابقاً.

٢ - مخالفة الصحابة، وهو الأكثر عدداً، لإجراء المنع، مع أن هذا العدد من هو أكثر اتصالاً بالنبي ﷺ من أقاربه وخاصّته، مثل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأنس بن مالك خادمه، وعائشة زوجته.

ولو كان التدوين ثابتاً - شرعاً - أنه الحرجة والمنع، لم يكن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأنس وأمثاله يخفى عليهم ذلك الحكم. ولقد كان هؤلاء من المقربين على إباحة التدوين ومزاولين له وقد أثروا بهم كتب ومؤلفات في الحديث. ولو كان إجراء عمر شرعاً لما خالفوه.

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: ٢٩٦.

(٢) دراسات في السنة النبوية الشريفة، للدكتور صديق عبدالعظيم أبي الحسن: ١٠٤.

رِبَّا يُعَالِ: إِنَّ الصَّحَابَةَ اخْتَلَفُوا فِي تَدوِينِ الْحَدِيثِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهَا أَوْ أَبَاحَهَا؛ وَلَا يَكُنُ وَالْحَالُ هَذَا تَقْسِيمُ التَّرْكِ عَلَى الْفَعْلِ، لَأَنَّ دَلَالَةَ الْفَعْلِ نَصٌّ وَدَلَالَةُ التَّرْكِ ظَاهِرٌ، لِأَنَّهُ أَعْمَّ مِنَ الْحَرْمَةِ وَتَقْدِيمُ النَّصِّ عَلَى الظَّاهِرِ أَوْلَى.

وَنَظَرًا لِذَلِكَ يُكَنُ الْجَزْمُ بِأَنَّ إِجْرَاءَ الْمَنْعِ إِنَّمَا رَأِيًّا خَاصًّا بِعُمُرِ الْتَّحْقِيقِ غَرْبِيًّا خَاصًّا بِهِ.

وَالنَّصُوصُ فِي حَدِيثِ عُمَرَ وَأَتَبَاعِهِ، صَرِيحَةُ بِنْفُسِهَا عَلَى أَهْمَمِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ شَرِعيٌّ وَإِنَّمَا هُوَ رَأْيُ رَأَوْهُ لِتَحْقِيقِ أَمْرٍ مَا. فَوُجُوبُ دراسة النصوص:

«قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْزِيَّرِ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ السَّنَنَ فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَهَا، فَطَفَقَ عُمَرُ يَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهَا شَهْرًا! ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمًا، وَقَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَهُ! فَقَالَ: إِنِّي كَنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ السَّنَنَ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ قَوْمًا قَبْلَكُمْ كَتَبُوا كِتَابًا، فَأَكَبَّوْا عَلَيْهَا، فَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَلِبْسُ كِتَابَ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَبْدَأً»<sup>(٦)</sup>.

يَدِلُّ هَذَا النَّصِّ عَلَى أَمْرَ غَايَةٍ فِي الأَهْمَىَةِ:

١ - إِنَّ الْكِتَابَةَ فِي الْأَصْلِ لَمْ تَكُنْ حَرَامًا وَلَا مُنْوِعَةً، وَإِلَّا كَيْفَ أَرَادَ عُمَرَ أَنْ يَكْتُبَ السَّنَنَ؟

(٦) تقيد العلم، للخطيب البغدادي: ٤٩. (والغريب أن النص يحتوي على نسبة ذلك إلى الله تعالى بقوله: ثم أصبح وقد عزم الله له. قال أبو شهبة: ولكن الله لم يرد له. دفاع عن السنة: ٢١، لابن شهبة).

والنصّ يدلّ على أنّ عمر لم يعرف من النبي ﷺ نحيّاً عن التدوين، فأحد يستشير الصحابة، مضافاً إلى أنه لم يستدلّ بالنهي الشرعي، وإنما عللّ بغير ذلك، كما سيجيء. قال المعلمي في ذلك: فلو كان النبي ﷺ نحيّ عن كتابة الأحاديث مطلقاً لما هم بها عمر، وأشار بها عليه الصحابة <sup>(١)</sup>.

٢ - إنّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو عامتهم، أشاروا عليه أن يكتبها.

٣ - إنّ عمر - بالرغم من أنه استشار الأصحاب فأشاروا عليه أن يكتب الحديث - خالفهم ولم يأخذ بآرائهم، بل منع الكتابة.

وقال «يجي بن جعدة»: إنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدأ له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار: «منْ كان عنده منها شيءٌ فليُمحه» <sup>(٢)</sup>.

وعلّامة هذا النصّ بحده يحتوي على:

١ - إرادة عمر لكتابته السنة. وهذا معناه أن الكتابة لم يكن فيها حرج أو منع في أصل الشرع.

٢ - إنّ قوله: «أراد» وقوله: «بدا له» يدلانّ بوضوح على أنّ إقدام عمر كان عن رغبة شخصيّة، وأنّه كان يعمل ما يريده، كما دلّ عليه النصّ السابق، وإلاّ لاستند إلى إرادة الشارع ونفيه.

وقال «القاسم بن محمد بن أبي بكر»: إنّ عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهر

---

(١) الأنوار الكاشفة، للمعلمي اليماني: ٣٨.

(٢) تقييد العلم: ٥٣.

في أيدي الناس كُتُبٌ، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس، إِنَّه قد بلغني أَنَّه قد ظهرت في  
أيديكم كُتُبٌ، فاحبُّها إلى الله أَعْدُّها وأقْوِمُها، فلا يُقْيِنَ أَحَدٌ عنده كتاباً إِلَّا أَتَانِي به، فرأى فيه  
رأيِّي.

قال: فظنّوا أَنَّه يُرِيدُ أَن ينظر فيها ويُقْوِمُها على أَمْرٍ لا يكون فيه اختلاف، فأتَاهُ بكتبهم،  
فأحرقها بالنار.

ثم قال: أُمنية كامنة أهل الكتاب <sup>(١)</sup>.

وفي بعض النقول: مثناة كمسناة أهل الكتاب <sup>(٢)</sup>.

المستفاد من النصّ:

١ - قوله: «قد ظهرت في أيدي الناس كُتُبٌ».

يدلُّ هذا على أَنَّ الكتب كانت منتشرة بين الناس لا يجدون حرجاً من تداولها، ولو كانت ثمة  
حرمة في ذلك وهم أبناء الصدر الأول للإسلام، والكتب فيها ما كتبه الصحابة ...

وهذا - في نفسه دليل على أَنَّ حكم التدوين - أَوْلًا، وقبل منع عمر هو الجواز والإباحة.

٢ - قوله: فاستنكرها، وكرهها.

وهذا يعني أَنَّ الأمر راجع إلى عمر وسلوكه وكراهته لتلك الكتب دون أَن يكون فيها ما يوجب  
الكرابة والاستكارة؛ وذلك: لأنَّ عمر إِنما كره الكتب

---

(١) نفسه: ٥٢.

(٢) طبقات ابن سعد ١: ١٤٠ (طبع ليدن). والصواب مثناء - بالشين والراء، كما سيأتي - .

واستنكرها قبل أن يراها!، كذلك وجود الكتب في أيدي الناس، وكما ذكرنا أئمّة أبناء الصدر الأول للإسلام إنما صحابة أو أحذوها عن صحابة، واحتفاظهم بها، دليل على عدم احتوائهما على ما يُذكر ويُكفر، وإلا لصريح عمر بما فيها ليكون شافعاً في حرقها، مع تحفظنا من مسألة الحرق لاحتواء الكتب على ألفاظ الجلالة وآيات القرآن الكريم!

٣ - قوله: فظنّوا ...

دلالته ظاهرة في الفرق الكبير بين الناس وعمره. فالناس ظنوا به خيراً وأحضروا إليه أعزّ ما يملكون «الكتب»، وعمر عمل بما لا يأملونه منه فحاب ظنّهم إذ أحرق كتبهم، ولو علموا ذلك، لما أحضروا إليه الكتب ولا يُخفّوها عنه.

وأخيراً: فإنّ جموع عمر إلى «حرق كتب السنة بالنار» عملٌ غريب لأكثر من إشكال: فالكتب تلك هي أموال الناس الخاصة ولا يجوز التصرف فيها فضلاً عن حرقها من دون رضاهم. ولا ندري هل علماء الإسلام موافقون بالإجماع على هذا العمل خصوصاً وأنّ عمر قد صرّح باحتمال احتوائهما على «الأعدل، والأقوم»، وقطعياً أنّ فيها كثيراً من سُنن رسول الله ﷺ، لفرض أنّ الكتب كانت صادرةً من الناس الذين فيهم علماء الصحابة.

فإذا كان عدد الأحاديث التي صرّح أبو بكر بحرقها هي «خمسة»، فإنّ الذي أتلفه عمر أكثر بكثير من ذلك! والذين وافقوا عمر لكن لا بالإحرق وإنما بالغسل بالماء كما فعل أبو موسى الأشعري وابن مسعود وغيرهما. ثم حفّت

(والحمد لله!) فيما تلا ذلك من العصور، من الإحرق والغسل، إلى مجرد الدفن!  
قال إبراهيم بن هاشم: دفناً لبشر بن الحارث ثمانية عشر ما بين قمطر وقوصرة<sup>(١)</sup>.

### أحمد، وابن الجوزي يُذكران دفن الكتب

قال أحمد بن حنبل: «لا أعلم لدفن الكتب معنى»<sup>(٢)</sup>.

وجعل ابن الجوزي «دفن كتب العلم، وإلقائها في الماء» من تلبيس إبليس على جماعة من القوم، وقد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس وقال: «ما المقصود إلا العمل» ودفناً كتبهم. وأضاف: إن العلم نور، وإن إبليس يُحسن للإنسان إطفاء النور، ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل، ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب، فرمى استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها.  
وهذا فعلٌ قبيح محظوظ، وجهل بالمقصود بالكتب.

وقال: واعلم أن الصحابة ضَبَطْتُ ألفاظ رسول الله ﷺ ... فإذا كانت الصحابة قد روت السنة، وتلقاها التابعون وسائر المحدثين، وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من هنا، وكلمة من هنا، وصححوا ما صحّ وزيفوا ما لم يصحّ، وجرحوا الرواية وعدّلوا، وهذبوا السنن وصنفوا.

---

(١) تقيد العلم: ٦٢ - ٦٣.

(٢) نفسه.

ثمَّ مَنْ يغسل ذلك، فيضيّع التعب، ولا يعرف حكم الله في حادثة؟! فما عوندت الشريعة بِمُثُلْ هذَا!

أفتَرَى، إِذَا غُسِّلَتِ الْكِتَبُ، وَدُفِنَتْ؛ عَلَى مَنْ يُعْتَمِدُ فِي الْفَتاوَى وَالْحَوَادِثِ<sup>(١)</sup>!  
إِنَّ اسْتِنْكَارَ أَحْمَدَ، وَابْنَ الْجُوزِيِّ لِلْدُفْنِ، الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ مِّنْ طُرُقِ إِبَادَةِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ أَهُونُ  
مِنْ طَرِيقِ حَرْقِ الْكِتَبِ أَوْ غَسْلِهَا بِالْمَاءِ حَيْثُ لَا يَمْكُنُ بَعْدَ اسْتِعْدَادِهَا، أَمَّا الْمَدْفُونَةُ فَرِّيَّا أَخْرَجَتْ  
قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَّ. وَعَلَى هَذَا، إِذَا كَانَ ابْنُ حَنْبَلَ، وَابْنُ الْجُوزِيِّ يُسْتَنْكِرُانِ دُفْنَ الْكِتَبِ، فَهُمَا بِالْأُولَى  
يُسْتَنْكِرُانِ بِالْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ أَيَّاً كَانَ فَاعِلَهُ!  
إِنَّ إِتَالِفَ كِتَبِ الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ رَضِيٍّ، مُحَرَّمٌ شَرِيعًا وَمُوجَبٌ لِلضَّمَانِ وَضَعًا.  
وَهُوَ إِضَافَةٌ إِلَى الْمَسْؤُلِيَّةِ الْشَّرِيعِيَّةِ، فَهُوَ مَسْؤُلِيَّةٌ حَضَارِيَّةٌ تَسْتَوْجِبُ الْحِسَابَ وَالْعِقَابَ مِنْهَا  
كَانَتْ مَنْزِلَةُ الْفَاعِلِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

### موافقوا عمر في رأيه و فعله

خضع نفر من الصحابة لدستور عمر وعملوا به، بعد أن كانوا يكتبون حديث رسول الله ﷺ ، من غير حرج، فصاروا متشدّدين في المنع، ومنهم من رجع إلى مزاولته بعد وفاة عمر!  
قال أبو نصرة: قلنا لأبي سعيد - الخدري - أكثبنا من حديث رسول

(١) تلبيس إبليس، لأبي الفرج ابن الجوزي: ٣١٤ - ٣١٦.

الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ؟

قال: أَخْرُجْهُ<sup>(١)</sup>.

قال عبد الرحمن بن أبي مسعود: كَنَا نَسْمَعُ الشَّيْءَ فَنَكْتُبُهُ، فَفَطَرَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِي: ابْنُ مَسْعُودٍ - فَدَعَا أُمَّهُ وَلَدَهُ، وَدَعَا بِالْكِتَابِ، وَإِجْاْنَةً مِنْ مَاءِ، فَغَسَّلَهُ<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بُرْدَةَ: كَانَ لَأَبِي مُوسَى - الْأَشْعَرِيَّ - تَابِعًا، فَقَدْفَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَيْ: يُوشِكُ أَبُو مُوسَى أَنْ يَذْهَبَ وَلَا يَحْفَظُ حَدِيثَهُ، فَاكْتَبْتُ عَنْهُ.

قال: قَلْتُ: نَعَمْ مَا رَأَيْتَ.

قال: فَجَعَلْتُ أَكْتُبُ حَدِيثَهُ.

قال: فَحَدَّثَ حَدِيثًا فَذَهَبَتُ أَكْتُبُهُ كَمَا كَنْتُ أَفْعُلُ، فَارْتَابَ بِي وَقَالَ: لَعْلَكَ تَكْتُبُ حَدِيثِي؟

قال: قَلْتُ نَعَمْ.

قال: فَأَتَنِي بِكُلِّ شَيْءٍ كَتَبْتُهُ.

قال: فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَمَحَاهُ، ثُمَّ قَالَ: احْفَظْ كَمَا حَفَظْتُ<sup>(٣)</sup>.

وَهُؤُلَاءِ حَالُهُمْ حَالُ عُمْرٍ، فَهُمْ:

١ - لَمْ يَحَاوِلُوا أَنْ يَنْسِبُوا شَيْئًا إِلَى الشَّرْعِ، أَوْ يَسْتَدِلُّوا بِنَصٍّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْحَمْدُ.

٢ - إِنَّ إِقْدَامَ هُؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَأِيًّا مِنْهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ مَلْزَمًا لِلآخَرِينَ، لِأَنَّهُ:

(١) تَقْيِيدُ الْعِلْمِ: ٣٨.

(٢) سُنْنَ الدَّارِمِيِّ: ١: ١٠٢.

(٣) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ: ٤: ١١٢.

أولاً: مخالفٌ لما ثبَّتَ في الشرع من إباحة التدوين، على ما سلف من الكلام. وخلاصته أنَّه اجتهادٌ - في تحسين العبارة! - في مقابل النص؛ وإلاً فهو الخلاف والهلاك الذي قال عنه ابن عباس:

روى سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: تمعن النبي ﷺ .

فقال عُرْوَةُ بْنُ الزِّيْرِ: نَحْنُ أَبُوبَكْرٍ، وَعُمْرٌ عَنِ الْمُتَعَّةِ!

قال: ابن عباس: ما يقولُ عُرْوَةُ؟!

قال: يقول: «نَحْنُ أَبُوبَكْرٍ، وَعُمْرٌ عَنِ الْمُتَعَّةِ»!.

فقال ابن عباس: أَرَاهُمْ سَيِّلُكُونَ، أَقُولُ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ». ويقولُ: «نَحْنُ أَبُوبَكْرٍ وَعُمْرٍ».

(١)

وكان عبد الله بن عمر يُفْقِي بالذِّي أَنْزَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الرِّحْمَةِ بِالْمُتَعَّةِ، وَبِمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، فَقَالَ نَاسٌ لَابْنِ عَمِّهِ: كَيْفَ تُخَالِفُ أَبَاكَ، وَقَدْ نَحْنُ عَنْ ذَلِكِ؟.

فَقَالَ لَهُمْ: وَيْلَكُمْ، أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ؟ إِنْ كَانَ عَمْرٌ نَحْنُ عَنْ ذَلِكِ، فَيُتَغَيِّرُ فِيهِ الْخَيْرُ؟!

فَلِمَ تُحَرِّمُونَ ذَلِكَ، وَقَدْ أَحَلَّهُ اللَّهُ، وَعَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) مسنَدُ أَحْمَدَ - طبعة شاكر - ٥: ٤٨ / ٣٢١ - وطبعه مصر (٦ أجزاء) ١: ٣٣٧، الفقيه والمتفق عليه ١: ٤٥، السنة قبل التدوين: ٨٨. [آل الزبير عندهم عقدة شديدة من المتعة، ومناظرات عبد الله بن الزبير مع ابن عباس كثيرة في هذا الأمر حتى أحرجه ابن عباس وأثبت له أنه ابن مُتعة! وتكلمنا بما فيه الكفاية في موضعه عن ذلك].

والسلام؟!

أَفْرَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعُو سُنَّتَهُ؟ أَمْ سُنَّةُ عُمَرَ (١)؟

وللشافعي في ذلك قول قاطع، قال:

لقد ضَلَّ مَنْ تَرَكَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْلِ مَنْ بَعْدِهِ (٢). وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ: وَمَنْ جَاءَهُ خَبْرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُقْرِئُ أَنَّهُ صَحِيحٌ، وَأَنَّ الْحَجَّةَ تَقْوِيمُ مِثْلِهِ، أَوْ قَدْ صَحِحَّ مِثْلُ ذَلِكَ الْخَبَرِ فِي مَكَانٍ آخَرَ، ثُمَّ تَرَكَ مِثْلَهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ، لِقِيَاسٍ، أَوْ لِقَوْلِ فَلَانَ وَفَلَانَ؛ فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَاسْتَحْقَقَ الْفَتْنَةُ، وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٣).

وقال الدكتور عبد الغني عبد الخالق: لا يصح لنا أن نقول بالتعارض بين قول صحابيٍّ وبين قول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ والإجماع، فإنهما مقدمان عندنا.  
وقال: إن عمل الصحابي، أو قوله، ليس بحجّة (٤).

### أساليب عمر في المنع

«قال قرظة بن كعب: بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وشيعنا إلى موضع قرب المدينة،  
يقال له: «صَرَارٌ»، وقال: أتدرون لِمَ شَيَّطُوكُمْ، أو مشيت معكم؟  
قال: قلنا: نعم؛ لِحَقِّ صُحبَةِ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ: نَحْنُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(١) مسنـد أـحمد - طبـعة شـاكر - ٨: ٧٧ / ٥٧٠٠. وإـسنـادـه صـحـيـحـ وـنـقلـهـ اـبـنـ كـثـيرـ فـيـ الـبـداـيـةـ وـالـنـهاـيـةـ ٥: ١٤١، السنة قبل التدوين: ٩٠.

(٢) الفقيـهـ وـالـمـتفـقـهـ ١: ١٤٩.

(٣) الأـحكـامـ، لـابـنـ حـزـمـ ١: ٩٨.

(٤) حـجـيـةـ السـنـةـ، عـبـدـ الغـنـيـ عـبـدـ الـخـالـقـ ٤٦٥.

ولحق الأنصار.

قال عمر: لكي مثبت معكم الحديث أردت أن أحذثكم به، فأردت أن تحفظوه لمشاي  
معكم: إنكم تقدمون على قوم، أو تأتون قوماً تحت أستئتم بالقرآن اهتزاز النخل - أو: للقرآن  
في صدورهم هزير كهزير المرحل، أو: لهم ذوي بالقرآن كدوبي النخل - فإذا رأوكم مدّوا إليكم  
أعناقهم، وقالوا: أصحاب محمد ﷺ - أو: فیأتونکم، فیسألونکم عن الحديث -؟  
فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم <sup>(١)</sup>!

وفي المستدرك على الصحيحين، بسنده عن قرظة بن كعب قال:

خرجنا نريد العراق، فمشي معنا عمر بن الخطاب إلى صرار، فتوضا ثم قال: لم مثبت معكم؟  
قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله ﷺ مثبت معنا، قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم ذوي  
بالقرآن كدوبي النخل، فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جرّدوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول  
الله ﷺ وأمضوا وأنا شريككم. فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا، قال: هنا ابن الخطاب.  
هذا حديث صحيح الإسناد له طرق تجمع ويداً بها، وقرظة بن كعب الأنصاري صحابي  
سمع من رسول الله ﷺ، ومن شرطنا في الصحابة أن لا

---

(١) ذكرناه بألفاظه المختلفة من مصادره:

طبقات ابن سعد: ٦، سنن الدارمي ١: ٧٣ ح ٢٨٥ و ٢٨٦، ستن ابن ماجة ١: ١٢ ح ٢٨، باب التوقي في  
الحديث، شرف أصحاب الحديث، للخطيب: ٩٢، جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ١٢٠، تذكرة الحفاظ  
١: ٧، كنز العمال ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥ / رقم ٤٠١٧.

نطويهم، وأمّا سائر رواته فقد احتجّا به<sup>(١)</sup>.

عجب! أنس لهم دَوِيٌّ بالقرآن گَدَوِيَ النَّحْلُ، فلماذا أرسل عمر إليهم عدداً من صحابة رسول الله ﷺ؟ ألا يكفيهم كتاب الله تعالى أمّا هُم مفتقرون إلى من صحب رسول الله ﷺ وعلم سنته مما ليس في القرآن الكريم، وسمعوا منه ﷺ تفصيل المُجْمَل من كتاب الله تعالى؛ فهم بهذا حملة قرآن كريم وحديث شريف، فلِمَ النهي الشديد عن حديث رسول الله ﷺ ، والدخول من قِبَلِ صاحب الأُرْيَكَة في شراكة مع وفده في ذلك المنع؟! وما هذا التعلل بتجريد القرآن؟! أي أن لا يتحدّثوا بأحاديث رسول الله ﷺ ، لئلاً يختلط بالقرآن!!

قومٌ ليسوا من البربر ولا أقاصي الصين والهنود، إنما هم جمجمة العرب وأشهر أمسارها «الكوفة» حاضرة العلم والفقهاء ... وبعد: فهم قوم لهم دَوِيٌّ بالقرآن گَدَوِيَ النَّحْلُ - بوصف عمر -، فكيف والحال هذه يغيب عليهم ما هو من القرآن أو من غيره؟ والقرآن جاء معجزاً ببلاغته ولفظه، فكيف يجاريه حديث بشر حتى وإن كان من حديث رسول الله ﷺ؟! إن القرآن الكريم الذي بأيدي الصحابة وبأيدي أولئك الذين لهم دَوِيٌّ بالقرآن گَدَوِيَ النَّحْل؛ القرآن هو نفس القرآن الذي بأيدينا اليوم، وسيبقى نفسه إذ تكفل الله تعالى بحفظه حتى قيام الساعة: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) <sup>(٢)</sup>.

(١) المستدرك على الصحيحين ١: ٣٤٧/١٨٣. قال في التلخيص ذيل المصدر: صحيح وله طرق.

(٢) الحِجْر: ٩.

فالقرآن غير الكتب السابقة التي امتدت إليها يد التحرير والتغيير وأما القرآن فالإجماع حاصل على أنه لم تزد فيه سورة ولا آية، بل ولا كلمة ولا نقطة؛ ولم يسقط منه شيء من كل ذلك، فهو معصوم بمしいحة الله تعالى.

إلا أن يكون مصحف الفاروق عمر فيه اختلاف وزيدات غابت عن أهل الكوفة وغيرهم وثبتت في مصحفه لعناته الفائقة بالقرآن، فأراد أن يفدهم بما - هذا في أحسن الظن - ، فضلاً عن سوء ظنه بالناس! وأهتم سيعرض لهم ما عرض له - أي لعمر - من تحرير التهوك، فنهره رسول الله ﷺ على رؤوس الأشهاد أخذَه من اليهود ونبيه أن لا يعود مثل ذلك ولا يلبس القرآن بغيره مما يجده بأيدي اليهود، لا بأحاديث رسول الله ﷺ لأن الأخيرة لفظها مُبَيَّن لأنفاظ أهل الكتاب، ولأن الصحابة قد سمعوها وميزوها، وسيأتي الكلام عن التهوك.

### مصحف عمر بن الخطاب

عن سعيد بن المسيب قال: لما أفاض عمر من مِنْ أناخ بالأبطح فكُوِّمَ من بطحاء وطرح عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ كَبِرْتُ سِيِّ وضُعْفت قوتي وانتشرت رعيّتي، فاقبضني إلَيْكَ غَيْرَ مُضِيٍّ وَلَا مُفْرِطٍ. فلما قدم المدينة خطبَ الناس فقال: أيها الناس، قد فرضت لكم الفرائض وسُنُّت لكم السنن وثُرِكتم على الواضحة، ثم صفقَ يمينه على شماله، وقال: إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، ثم إياكم ان تهلكوا عن آية الرحم وأن يقول قائل: لا تُحَدّ حَدِّين في كتاب الله، فقد رأيت رسول الله ﷺ [عَلَيْهِ السَّلَامُ]

رجم ورجمنا بعده، فوالله لو لا أن يقول الناس أحدثَ عمرُ في كتاب الله، لكتبتها في المصحف، فقد قرأناها، والشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البَتّة. قال سعيد: فما انسلاخ ذو الحجّة حتى طعن .<sup>(١)</sup>

إنّ عمر يؤكّد على مسألة خطرة تلك هي نقصان القرآن الكريم من آية فتعطل بذلك حكم من أحكام الشريعة!<sup>(٢)</sup>

وإذا كان قد ذكر هنا أنّه قد سقطت من القرآن آية واحدة، فإنه ذكر أنّ كثيراً من القرآن قد سقط!

«أخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس قال: أمر عمر بن الخطاب مناديه فنادى أنّ الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيّها الناس، لا تجزعن من آية الرّجم، فإنّها آية نزلت في كتاب الله وقرأناها، ولكنّها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد !! وهذا المصيبة أعظم وأدعى من وجهين أو همما:

أنّه لم يكتفي بالتشكيك بصحة القرآن الكريم وأنّه على حاله الذي أنزله الوحي الكريم وتكلّمه ربّ العظيم، فلم يشبع رغبته في ذلك آية الرجم المزعومة، وإنّما ذهب إلى القول: لكنّها ذهبت في قرآن كثير! ولم يحدد هذا الكثير مما يفتح الباب لمن يزعم بعده أنّ هذا كان من القرآن وقد سقط، ويأتي بكلام من عنده!

---

(١) طبقات ابن سعد ٣: ٢٥٥.

(٢) الدر المنشور ٥: ١٧٩.

ومسألة أخرى: أنه لم يذكر من هذا الكثير الذي كان من القرآن الكريم ثم سقط إلا آية الرجم للشيخ والشيخة، وما ذكره من سقوط سورتين من القرآن!! وتحريفه لنص آية - سنأتي على ذلك -؛ فلو أنه ذكر ذلك الكثير أو الكثير من الكثير، فعلله أفاد المسلمين بذلك؟!

واعتراض آخر: أين غاب طبيعة السبق إلى الإسلام، وأول سابق هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام الذي ترقى في حجر رسول الله عليهما السلام ولم يفارقه ليلة الخميس فيتحقق في صفة أهل السقيفة التي وطأت الأمر لأهل «الأربكة»، وكان عليهما السلام يسمع الوحي ويراه إلا أنه ليسبني كما قال له رسول الله عليهما السلام . هلا سمع وسمع صاحبه «أبوبكر» وأفضل الصحابة ما سمعه عمر؟!

الطامة العظمى: وكما أن عمر كان من المتهوّكين كما قال له رسول الله عليهما السلام ، إذ كان من المفتتتين بأهل الكتاب وأحضر إلى رسول الله عليهما السلام نسخاً من كتبهم أعجبته فنهره رسول الله عليهما السلام بغضب - يأتي بيانه -، وأنه هدم ركن النبوة كما ذكرنا في أكثر من موضع من ذلك يوم أحد حينما كان مع طلحة ومجموعة فلما سئلوا قالوا: قُتل محمد! ويوم الرزبة وما أحدثه من الجلبة في معارضته للنبي عليهما السلام في كتابة الكتاب وقوله: إن الرجل ليهجر، أي يهدي لا يدرى ما يقول - معاذ الله -، وكما سماه وجماعته «محمد»! من غير أن يكلّفوا أنفسهم أن يقولوا: قُتل رسول الله، أو قُتل النبي؛ فهو هنا أيضاً سلك ذات المسلك، فإنّ محمداً عليهما السلام رجل جاء بشيء اسمه قرآن فلما ذهب؛ وهذه لا تخلو من سوء، فهي تعني انتهاء أمره ...؛ ذهب معه كثير مما جاء به من قرآن!.

وَمِمَّا جَاءَ فِي مَصْحَفِ عُمَرٍ: مَا ذُكِرَ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ، مِنْ مَسْنَدِ عُمَرَ، عَنِ الْمَسْئُورِ بْنِ مَخْرُمَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَوْفٍ: أَلَمْ نَجْدُ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا أَنَّ (جَاهَدُوا كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوْلَ مَرَّةً؟)، فَإِنَّا لَمْ نَجْدَهَا، قَالَ: أُسْقَطَ مِنَ الْقُرْآنِ (١)!.  
غَفَرَانُكَ رَبَّنَا أَنْ نَقُولَ مَا قَالُوا، وَنُبَرِّأُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: عَنْ عَدَى بْنِ عَدَى بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ فَرْوَةَ (٢) عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ قَالَ لِأَبِيِّ: أَوْ لَيْسَ كَنَّا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: أَنَّ انتِفَاءَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ كُفْرٌ؟ فَقَالَ: بَلِّي، ثُمَّ قَالَ: أَوْ لَيْسَ كَنَّا نَقْرَأُ: الْوَلْدُ لِلْفَرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ؟ فَقُدِّمَ فِيمَا فَقَدَنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلِّي (٣).

### آيَةُ أُخْرَى

وَأَخْرَجَ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ «مِنْ مَسْنَدِ عُمَرٍ» عَنْ حَذِيفَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ: كُمْ تَعْدُونَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ قَلْتُ: اثْتَيْنِي أَوْ ثَلَاثَتِيْنِيْ وَسَبْعِينَ، قَالَ: كَانَتْ

(١) كَنْزُ الْعَتَالِ: ٢: ٤٧٤١ / ٥٦٧.

(٢) ذُكْرُهُ الْعَجْلَى فَقَالَ: ثَقَةُ (تَارِيخُ الثَّقَاتِ: ١١١٦ / ٣٣٠). عَمَلُ لَمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَاتَ سَنَةً (١٢٠). تَارِيخُ الْبَخَارِيِّ الْكَبِيرِ (٤: ٤٤) وَالْثَّقَاتِ، لَابْنِ حَبَّانِ: ٥: ٢٧٠، الْحِجَرُ وَالتَّعْدِيلُ: ٧ / التَّرْجِمَةُ، ٦، ....  
(٣) كَنْزُ الْعَتَالِ: ٦: ٣٧٢١٥ / ٢٠٨.

للتقارب سورة البقرة، وإن كان فيها آية الرَّجْم<sup>(١)</sup>. ومثله ذكر ابن مَرْدَوِيَّه بسنده عن حُذَيْفَة<sup>(٢)</sup>. وعن زَرْ - بن حَبَيْشَ، قال: قال لي أَبِي بن كَعْبٍ: يا زَرْ، كَأَيْنَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ قَلَّ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ آيَةً، قَالَ: إِنْ كَانَتْ لِتَضَاهِي سُورَةَ الْبَقْرَةِ، أَوْ هِيَ أَطْوَلُ مِنْ سُورَةَ الْبَقْرَةِ، إِنْ كَانَتْ لِتَقْرَأُ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ. وَفِي لَفْظِ آخَرِ فِي آخِرِهَا الشَّيْخُ وَالشِّيخَةُ إِذَا زَيَّا فَارْجُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًاً مِنَ اللَّهِ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَرَفِعَ فِيمَا رُفِعَ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: قَرَأَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ سُورَةً أَقْرَأُهُمَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَا يَقْرَآنَ بِهَا فَقَامَا يَقْرَآنَ بِهَا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَصْلِيَانِ، فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَى حِرْفٍ مِنْهَا، فَأَصْبَحَا غَادِيْنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا مَا نُسِخَ أَوْ نُسِيَ فَالْهُوَ عَنْهَا<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ شَاعَهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي آخِرِهِ، قَالَ: وَأَنْسِي. رَوَاهُ الطِّبَّارِيُّ فِي الْأَوْسَطِ<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه: ٢: ٤٨٠ / ٤٥٥٠، مسند أَحْمَدٍ: ٥: ١٣٢؛ المستدرك على الصحيحين: ٢: ٤١٥، و ٤: ٣٥٩، سنن البيهقي .٢١١: ٨.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: ٥٦٧.

(٤) مجمع الزوائد: ٦: ٣١٥.

(٥) نفسه: ٧: ١٥٦.

## تحريفُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

أنزل الله تعالى القرآن العظيم وتكفل حفظه وصوته من التحريف الذي مارسه اليهود والنصارى وغيروهم بما أنزل الله عز وجل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْدُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) <sup>(١)</sup>، (الرِّتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) <sup>(٢)</sup>، (الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ تُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) <sup>(٣)</sup> فالقرآن الكريم نزل به جبريل الأمين على النبي الصادق الأمين من لدن حكيم في أقواله، خبير بعواقب الأمور. فآياته محكمة في لفظها، مصنونة من أي دخل؛ مفصلة في معناها، فهو كامل صورةً ومعنىً، ولذا بقي على الصورة التي نزلت على رسول الله ﷺ رغم محاولات البعض العبث ببعض ألفاظه فذهبت محاولاتهم هباءً مثواراً.

محاولات البعض: من طرق مختلفة، أن عمر بن الخطاب كان يقرأ «فاسعوا» في سورة الجمعة «فامضوا». <sup>(٤)</sup>

ذكر مالك في الموطأ، قال: حدثني يحيى عن مالك أنه سأله ابن شهاب - الزهري - عن قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْهُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) <sup>(٥)</sup> الآية؛ فقال ابن شهاب: كان عمر بن الخطاب يقرؤها: إذا

(١) الحجر: ٩.

(٢) يونس: ١.

(٣) هود: ١.

(٤) الجمعة: ٩.

نودي للصلوة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله. <sup>(١)</sup>

ومثله ذكر البخاري <sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبرى بسنده، قال: حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، قال: أخبرنا سفيان، عن الزهرى، عن سالم - بن عبد الله بن عمر -، عن أبيه، قال: ما سمعت عمر يقرؤها قط إلا فامضوا <sup>(٣)</sup>.

والطبرى: حدثنا ابن المتن، قال: حدثنا ابن عدي، عن شعبة، قال: أخبرني مغيرة، عن إبراهيم أتىه قيل لعمر: إن أليا يقرؤها: «فاسعوا»، قال: أما إنما أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ، وإنما هي «فامضوا» <sup>(٤)</sup>.

هذا بعض ما ورد عن عمر بشأن القرآن؛ فجمع بذلك أمرين:

الأول: هو المنع من حديث رسول الله ﷺ، ومارسه عملياً بجمع كتب الحديث لدى الناس فأحرقها، ففقد بذلك كثير من أحكام الله تعالى!.

والثاني: نسبته إلى القرآن ما ليس منه، وتحدى الله تعالى بهتكه حرمة القرآن الكريم، بزعمه سقوط الكثير منه، فخالف بما وذا قول الله تعالى بتكلفه صون القرآن وحفظه.

ولعل ما كان من عمر بشأن القرآن هو الذي شجع غيره على ممارسة

---

(١) المؤطّأ، مالك ١٠٦:١ . ١٣/١٠٦.

(٢) صحيح البخاري ١١:١٠٦ . ١٣/١٠٦ - باب تفسير القرآن .

(٣) تفسير الطبرى ٢٧:٢٦٤٢٨ . ٢٦٤٢٨/١٢٧ .

(٤) نفسه/٢٦٤٢٩ .

إساءاتٍ في تحريف بعض آيات القرآن المبين؛ أو تأييد قول عمر، وقد ذكرنا قول أبي بن كعب: إنّ سورة الأحزاب كانت أطول من سورة البقرة، ثمّ زعمَ أنَّ آية الرَّجُم منها؛ وهو قول عمر، ثمّ قرأ آيةً مفتعلة.

وذكرنا تأييد ابن عمر لأبيه في زعمه أنَّ سورتين من القرآن تُسخّتا أو تُنسّيتا.

### أمهات المؤمنين يحرّفن آية

حدّث يحيى بن يحيى التميمي، قال: قرأتُ على مالك عن زيد بن أسلم، عن العقعان بن حكيم، عن أبي يونس مولى عائشة أَنَّه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فاذنِي: (حافظوا على الصّلوات والصلوة الوسطى) <sup>(١)</sup>، فلما بلغتها آذنتها فأملت على «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلة العصر وقوموا لله قانتين» قالت عائشة: سمعتها من رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup>.

وبيندين عن أم حميد بنت عبد الرحمن، أَنَّها سألت عائشة عن الصلاة الوسطى، قالت: كَتَنَقروها في الحرف الأول عهد رسول الله ﷺ، «وحافظوا على الصلوات الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين» <sup>(٣)</sup>.

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير الطبراني ٢: ٦٦٥، و ٦٧٥.

(٣) نفسه ٢: ٦٦٥.

وعن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن حفصة زوج النبي ﷺ أَهْمَا قالت لكاتِبِ مصحفها: إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى أُخبرك بما سمعت رسول الله ﷺ ، فلما أخبرها، قالت: أكتب، فإِنِّي سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «وحافظوا على الصلاة والصلوة الوسطى وهي العصر» .<sup>(١)</sup>

أيضاً عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، أن حفصة أمرت مولئها أن يكتب مصحفاً فقالت: إذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فلا تكتبهما حتى أملئها عليك! كما سمعت رسول الله يقرؤها، فلما بلغها أمرته فكتبها «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلوة العصر». قال نافع: فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه الواو<sup>(٢)</sup>.  
ومن الصحابة مَنْ اقتدى بأُمّهات المؤمنين ثم رجع عن ذلك:

البراءُ بن عازِب، قال: نزلت هذه الآية «حافظوا على الصلوات والصلوة العصر»، قال: فقرأها على عهد رسول الله ﷺ أن نقرأها، ثم إن الله نسخها فأنزل: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى)<sup>(٣)</sup>.

## أحاديث التهوك

كان من الميررات التي احتاج بها عن لمنع تدوين الحديث، وشاعره آخرون

(١) نفسه: ٦٦٦.

(٢) تفسير الطبرى: ٢: ٢٧٤.

(٣) نفسه: ٦٧٣.

على ذلك، هو التخوّف من ترك القرآن والاشتغال بغيره، ذلك قوله: «إِنِّي كَنْتُ أَرْدُثُ أَنْ أَكْتُبُ  
السِّنَنَ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ قَوْمًا كَانُوا قَبْلَكُمْ كَتَبُوا كِتَابًا فَأَكَبُّوَا عَلَيْهَا، وَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنِّي - وَاللَّهُ -  
- لَا أَلْبِسُ كِتَابَ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَبْدَأُ» <sup>(١)</sup>.

وكان عبد الله بن مسعود يؤكّد على تبرير المنع بهذا.

عن إبراهيم التميمي، قال: بلغ ابن مسعود أنّ عند ناسٍ كتاباً يعجبون به، فلم يزل معهم حتى  
أتوه به فمحاه، ثم قال: إنما هلك أهل الكتاب أهّمّ أقبلوا على كتب علمائهم، وتركوا  
كتاب رحّم <sup>(٢)</sup>.

والروايات عن ابن مسعود في هذا الميدان عدّة نكتفي بالرواية السابقة وما سندّكره من رواية:  
عن سليم بن الأسود، قال: كنت أحالس أباً في المسجد، فأتيتهم ذات يوم، فإذا عندهم  
صحيفة يقرؤونها، فيها ذكرٌ، وحمدٌ، وثناء على الله، فأعجبتني، فقلت لصاحبها: أعطنيها،  
فأنسخها.

قال: فإليّ وعدت بها رجلاً، فأعدّ صحفك، فإذا فرغ منها، دفعتها إليك.  
فأعادت صحفى، فدخلت المسجد ذات يوم، فإذا غلامٌ يتخطى الحلق، يقول: أجيبيوا عبد  
الله بن مسعود في داره.

فانطلق الناس، فذهبت معهم، فإذا تلك الصحيفة بيده، وقال: ألا إنّ ما في هذه الصحيفة  
فتنة، وضلاله، وبدعة، وإنما هلك من كان قبلكم من أهل الكتب -

---

(١) تقدير العلم: ٤٩.

(٢) سنن الدارمي ١: ١٠٠ ح ٤٧٥.

باتّبعهم الكتب، وتركهم كتاب الله، وإلي أخرج على رجلٍ يعلم منها شيئاً إلا دلني عليه، فوالذي نفس عبد الله بيده، لو أعلم منها صحيفة بدِير هندي لأتيتها، ولو مشياً على رجلي، فدعا بما في غسل تلك الصحيفة<sup>(١)</sup>.

وروى الدارمي ذلك، ومحفوظ الكتاب في روايته: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». فقال عبد الله: إن ما في هذا الكتاب: بدعة، وفتنة، وضلال، وإنما أهلك من كان قبلكم هذا وأشباه هذا، إلّهم كتبواها، فاستلذّها ألسنتهم وأشربها قلوبهم<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: إنّ بنى إسرائيل كتبوا كتاباً واتّبعوه، وتركوا التوراة<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الخطيب البغدادي هذا التبرير، وقال: فقد ثبت أنّ كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلاً يُضاهي بكتاب الله تعالى غيره، أو يُشتعل عن القرآن بسواد، وُحُي عن الكتب القديمة أن تُتّخذ، لأنّه لا يُعرف حقّها من باطلها وصحيحها من فاسدها، مع أنّ القرآن كفى عنها، وصار مهيمناً عليها<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تقدير العلم: ٥ - ٦٥.

(٢) سنن الدارمي ١: ١٠٢ ح ٤٨٥.

(٣) تقدير العلم: ٥٦.

(٤) نفسه: ٥٧.

## نقد التبرير

أولاً: لا يخفى أن بعض هذا التبرير حق، وبعضه باطل، وقد أراد أصحابه الخلط بينهما؛ فالمفروض في كلامهم أمران:

١ - إن ترك القرآن منهيا عنه، وحرام شرعاً.

وهذا حق لا ارتياه فيه.

٢ - إن الاشتغال بغير القرآن يؤدي إلى ترك القرآن، وهو أيضاً حرام، وهذا ليس بإطلاقه صحيحأ، بل:

إن كان الاشتغال بغير القرآن مؤدياً إلى ترك القرآن، كان حراماً. وإن لم يكن الاشتغال بغير القرآن مؤدياً إلى ترك القرآن، فهو ليس بحرام قطعاً!

فانظر رحمك الله! من جعل الفرض الأول، كالفرض الثاني - في الحكم - وإطلاق أئمماً يؤدّيان إلى ترك القرآن، فهو خلطٌ بين حقٍ وباطلٍ وإيهامٍ وإغراءٍ قبيح!

ونجد هم قد استعملوا كلمات «الاشغال» و «الانكباب» و «الانهماك» ليضخّموا ويهدّلوها الأمر ويزيدوا تبشيرياً.

وإلا، فليس في مجرد كتابة شيءٍ من الحديث «اشغال» أو «انكباب» أو «انهماك» عن القرآن، ولا يؤدّي إلى «ترك» القرآن.

ومن هنا، نجد بشاعة قول ابن مسعود: إن الصحفة المحتوية على قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» بدعة وفتنة وضلالة!! ولماذا، متى كانت هذه الكلمات الأربع باطلة؟ وهي من الأذكار التي جاء بها الإسلام،

ومفرادتها إنما هي كلماتٌ وجمل من القرآن، توحيد الله تعالى وتسبيح وحمدٌ وتكبر؛ فأي باطل فيها، وكيف تؤدي إلى ترك القرآن؟!

ثانياً: إن ترك القرآن - وهو فعل محرم باطل عند المسلمين - من هو المتهم به من بين المسلمين الذين أرادوا جمع الحديث، وتأليفه، وتدوينه وتقييده؟ وهم في ذلك العصر، بين صاحبٍ حليل، أو تابعي فاضل، أو مؤمن طالب للعلم الذي هو حديث رسول الله ﷺ؛ أو كلمة ذكرٍ وثناءً ومجيدٍ لله، كما كان في صحيفة ابن مسعود؟

أليس أئمَّاً أهل تلك الطبقة، أئمَّاً لأهل خير القرون وهم سلف المسلمين و هنّ حرماتكم؟ فلا يقى من يتصور أن ترك القرآن والاشتغال بغيره بحقهم، إلا القلائل من الشذوذ الجهلة، أو الذين دخلوا الإسلام طمعاً أو خوفاً، أو بغرض التشويش بين المسلمين كالمتهوّكين، وخاصة من أهل البيانات الأخرى وحتى من الجاهليّة، ممّن لم يكن يرغب في تدوين السنة وكتابة الحديث قطعاً!

ثالثاً: إن ما يؤدي إلى ترك القرآن من الكتب هو ما كان منافياً للقرآن في أهدافه ومحنتياته، من عقائد، وأحكام، وأخبار. وأشهرها آنذاك كتب الضلال التي كان يتداولها أهل الكتاب من يهود ونصارى، وهي: التوراة، والإنجيل المحرفان، وما دار حولهما من أسطير.

وقد جاء التصريح بذلك في أكثر كلمات المانعين بهذا التبرير. فقد ذكر عمر

ذلك - لما أحرق كتب الناس - فقال: أمنية كأمنية أهل الكتاب<sup>(١)</sup>، أو: مثناة كمثناة أهل الكتاب<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ أنَّ كلمة «مثناة» إنما هو مصطلح يهودي عبروا به عن التوراة المبدلَة المحرفة، في قبال التوراة التي لم تبدل، وقد فسر الكلمة بهذا المعنى أبو نعيم الإصفهاني<sup>(٣)</sup>.  
وكان ابن مسعود تلميذ عمر في هذه السياسة لا يتحطّها. وقد علق مُرّة - الذي نقل عن ابن مسعود أنه محاكتاباً - بقوله: «لو كان من القرآن أو السنة لم يمحه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب»<sup>(٤)</sup>.

ولا ريب أنَّ الاعتماد على كتب أهل الكتاب يؤدّي إلى ترك القرآن، لما بين القرآن وتلك الكتب من التنافي البين.

---

(١) تقيد العلم: ٥٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٥: ١٤٠ - طبع ليدن -، والصواب (مثناء) ويلاحظ أن عمر هو أول من أطلق (مثناء) على السنة المحدثية والحديث النبوي، حيث استعملها في مقام تشبيه ما كتبه الناس من الحديث بما كتبه اليهود.  
ولاحظ بهذا الصدد: الإسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر (٤٩٢ - ٤٩٤)، والسنة النبوية وعلومها لأحمد عمر هاشم (١٨ - ١٩). وعن ارتباطه بالتوراة وسائر الكتب اليهودية، وبأبحار اليهود في المصنف،  
لعبد الرزاق (٣١٣: ١٠) وسنن الدارمي (١: ١١٥) وتقيد العلم: ٥٢.  
(٣) دلائل النبيّة، لأبي نعيم - طبعة حلب: ٦٣٨، ذيل رقم ٤.  
(٤) سنن الدارمي ١: ١٠٢.

فالقرآن جاء ناسخاً لتلك الكتب، والإسلام جاء ناسخاً لتلك الأديان. مع عدم وضوح ما في تلك الكتب من الحق والباطل، وكفاية القرآن عن حفتها - كما يقول الخطيب البغدادي<sup>(١)</sup>.

ويكون نفس الالتزام بتلك الكتب دليلاً على الضلال، حيث يكون الملتزم بها غير معتقد بحقيقة القرآن أو بطلان تلك الكتب، أو أن ميله إليها وإعجابه بها - على الأقل - يكشف عن ترددك في الإسلام، وشككه في القرآن، وهو «التهوّك» الذي أغضب النبي ﷺ، فحدّر عنه بأساليب، هذه بعض الروايات في ذلك:

١ - روى عن عمر بن الخطاب أنه قال للنبي ﷺ: إنا نسمع أحاديث من يهود، ثُعجنا! أفترى أن نكتبه؟

فقال النبي ﷺ: ألم تهؤّكون أنتم؟ كما تهؤّك اليهود والنصارى، لقد جئتم بها بيضاء نقية<sup>(٢)</sup>.

٢ - روى الخطيب البغدادي بسنده، عن عبد الله بن ثابت الأنباري - خادم النبي ﷺ - قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ ومعه «جواب من التوراة» فقال: مررت على أخ لي من قريظة، فكتب لي جواب من التوراة، أفلأ أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقال الأنباري: أما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضيت بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولًا.

(١) تقدير العلم: ٥٧.

(٢) تقدير العلم: ٥٧.

فذهب ما كان بوجه رسول الله ﷺ . فقال عليه السلام : والذى نفسي بيده لو أنّ موسى أصبح فيكم ثمّ اتبّعتموه وتركتموني لضللّتكم؛ أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين <sup>(١)</sup> .

وعن بعض المصادر: إنّ الذي ردّ على عمر هو عبد الله بن زيد - الذي أرى الأذان - قال لعمر: أمسح الله عقلك؟ ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup> .

٣ - وقال عمر: انطلقت أنا، فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثمّ جئت به في أديم.

قال لي رسول الله ﷺ : ما هذا في يدك يا عمر؟

قلت: يا رسول الله، كتاب انتسخته، لنزداد به علمًا إلى علمنا! فغضب رسول الله ﷺ ، حتّى احرّرت وجنتاه، ثمّ نودي بـ«الصلاحة جامعة».

فقالت الأنصار: أغضب نبيّكم صلّى الله عليه، السلاح السلاح، فجاؤوا حتّى أحدقوا منبر رسول الله ﷺ .

قال: يا أيّها الناس، إني أُوتّيت جوامع الكلم وخواتيمه، وانحصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بما يرضي نقيّة، فلا تتهوّكوا، ولا يقرئكم المتهوّكون. قال عمر: فقمت، وقلت: رضيّت بالله ربّا، وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً! ثمّ نزل رسول

(١) الأسماء المبهمة، للخطيب: ١٨٨ - ١٨٩ رقم ٩٥، مجمع الزوائد: ١٧٤ عن أبي الدرداء. وفي ثلات روایات برقم ١٠٦٣ - ١٠٦٥ - والمعترض على عمر في الثانية (عبد الله بن ثابت).

(٢) الأسماء المبهمة، للخطيب البغدادي: ١٨٩، رقم ٩٥.

٤ - وروى ابن أبي شيبة، بسنده عن حابر: أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب ... إلى آخره.<sup>(٢)</sup>

٥ - روى أبو داود عن أبي قلابة: أن عمر مرّ بقوم من اليهود، فسمعهم يذكرون دعاءً من التوراة، فاستحسنه، ثم جاء به النبي ﷺ فجعل يقرؤه، ووجه النبي ﷺ يتغير. فقال رجل: يا ابن الخطاب، ألا ترى ما في وجه رسول الله ﷺ؟ فوضع عمر الكتاب. فقال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجلّ بعثني خاتماً، وأعطيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي الحديث اختصاراً، فلا يلهينكم المتهوّكون؟ قلت لأبي قلابة: ما المتهوّكون؟ قال: المتحيّرون.<sup>(٣)</sup>

٦ - ذكر عبد الغني عبد الخالق رواية عن الدارمي، عن حابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنّا نسمع أحاديث من يهود تُعجبنا، أفتري أن نكتب بعضها؟

(١) تقيد العلم: ٥٢، وجامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٤٢: ٢.

(٢) المصطفى، لابن أبي شيبة: ٩: ٤٧، رقم ٦٤٧٢، مجمع الزوائد: ٨: ٢٦٢، جامع بيان العلم: ٢: ٤٢.

(٣) المراسيل، لأبي داود السجستاني: ٣: ٢٢٤، رقم ١.

فقال عليهما السلام : أمتهموكون أنتم كما تهوك اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بما بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي.

وقال: قال في جواهر الكلام «ص ١٣٣» التهوك: السقوط في هوة الردى <sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: في الحديث - عن طريق آخر - أنَّ عمر أتاه بصحيفة، أحذها من بعض أهل الكتاب، فغضب عليهما السلام وقال: أمتهموكون فيها، يا ابن الخطاب؟ <sup>(٢)</sup>

وقال أبو عبيدة في معنى متهموكون، معناه: أمتحيرون في الإسلام حتى تأخذوه من اليهود؟

وقال ابن سيدة: يعني أمتحيرون؟ وقيل معناه: أمتردون ساقطون <sup>(٣)</sup>. هذا رسول الله عليهما السلام بينهم، ف يأتيه أشد الناس منعاً لحديثه فيما بعد «عمر» بصحف وأحاديث وأدعية من عند يهود قد أجبته، ومن أخ له من «فريطة» كما صرَّح عمر، وبجوابع من التوراة أعطاها أخوه اليهودي، وبكتاب من كتب اليهود انتسخه ليزداد به المسلمين علماً إلى علمهم ...؛ مما أسخط رسول الله عليهما السلام وخطب عمر ومن يمكن أن يكون على شاكلته بالتشكيك والسقوط في هوة الردى، كما حصل لأصحاب التوراة والإنجيل.

والواقع فيما بعد تؤكِّد كلام رسول الله عليهما السلام مع عمر: «أمتهموكون»؟ فلما أراد عليهما السلام أن يكتب كتاباً لن تضلْ أمهاته بعده، وذلك في مرضه الذي قُبض فيه،

(١) حجية السنة: ٣١٧.

(٢) الصحاح للجوهري (هوك)، ولسان العرب ١٢: ٤٠٠.

(٣) لسان العرب ١٢: ٤٠٠.

تصدّى له عمر، وانضمَّ إليه جمٌ من المتهوّكين، فمنعوه من كتابة الكتاب، لعلمهم بما سيكتب إذ قدّم لهم ﷺ النصّح والوصيّة بالتزام التّقليين كتاب الله العزيز، وعترته أهل بيته، وأئمّهُم لِن يضلّوا ما داموا متمسّكين بِـ...، ثمَّ أراد أن يثبت ذلك في كتاب فثارت نائرة عمر و كانت الرّيبة.

ولم تقطع سلسلة ذلك العمل الذي بدأه أبو بكر بحرق أحاديث النبي ﷺ، وأكبَّ عليه عمر بشدّة وآزره نفرٌ كانوا يكتبون حديث رسول الله ﷺ، ثمَّ عدلوا عن ذلك فصاروا نسخةً ثانيةً لعمر في التشدد في المنع وكانت حجّة عمر في المنع كما ذكرنا هو التّحّفُّ من ترك القرآن والاشغال بغيره - أي الحديث - مع استعمالهم مصطلح «مشنّاه» وهو مصطلح يهودي عبّروا به عن التّوراة المبدلّة في قبال التّوراة التي لم تبدل. وذكرنا أنَّ عمر هو أول من استعمل هذه الكلمة في مقام تشبيه ما كتبه الناس من الأحاديث النبوية بما كتبه اليهود. وعمر أعرف بلغة اليهود، فله فيهم إخوان وهو معجب بكتابهم وعلمهم، ويريد من رسول الله ﷺ الإفاده منها.

وأيضاً بعد مضيِّ رسول الله ﷺ، بدّل في كلمات القرآن مع زعمه بوجود آيات وسور كانت على عهد النبي ﷺ، فسقطت. وعارضه في ذلك بعض أمّهات المؤمنين، ونفر من الصحابة. فلو أحد المسلمين بأقواله، ولو لا الحفظ الريّاني للقرآن، لوجدنا قرآنًا غير الذي بين أيدينا. والحاصل أنَّ ترك القرآن - والمراد به عدم الاعتقاد به - إنما يتّرب على

الالتزام بكتب الأديان الأخرى، التي جاء القرآن نافياً لها وكافياً عنها، ليس على كتابة شيء آخر مما لا يعارض القرآن ولا ينافيه. وأما الحديث الشريف فلا يمكن أن يتضمن فيه أنه معارض للقرآن. وقد صرّح القرآن نفسه بأنّ النبيَّ (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَيْ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى \* عَلَمَهُ شَدِيدُ الْفُوْيِ) <sup>(١)</sup>.

وعن حسان بن عطيّة، قال: كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه القرآن، ويعلمه كما يعلم القرآن <sup>(٢)</sup>.

ونقل عن أحمد بن حنبل قوله: السنة تفسير القرآن وتبيينه، والسنة عندنا آثار رسول الله عليه السلام، والسنة تفسير القرآن، وهي دلائل القرآن <sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: الرجل إلى الحديث أحق منه إلى الأكل والشرب، لأنّ الحديث يفسر القرآن <sup>(٤)</sup>.

وقال ابن حزم لما بيّنا أنّ القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع، نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله عليه السلام ووجدناه عزوجل يقول فيه واصفاً لرسوله عليه السلام: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَيْ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ) <sup>(٥)</sup>، فصح لنا بذلك أنّ الوحي ينقسم

(١) النجم: ٣ - ٥.

(٢) المراسيل: ٢٤٩ ح ٢.

(٣) حجية السنة: ٣٣٢ .

(٤) نفسه.

(٥) النجم: ٣ - ٤.

من الله عزّ وجلّ إلى رسوله على قسمين:

أحدهما: وحْيٌ، متلوٌ، مؤلَّف تأليفاً معجز النظام، وهو القرآن.

والثاني: وحْيٌ، مرويٌّ، منقول، غير مؤلَّفٍ، ولا معجز النظام، ولا متلوٌ، لكنه مقرؤٌ، هو الخبر الوارد من رسول الله عليه السلام، وهو المبين عن الله عزّ وجلّ مراده<sup>(٤)</sup>.

وقال الشيخ أبو زهو: السنة هي أحد قسمِي الوحي الإلهي الذي نزل به جبريل الأمين على النبي الكريم عليه السلام، والقسم الثاني هو القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>.

وقال: وقد وكلَ الله إلى نبيه عليه السلام أن يُبلغ القرآن الكريم للناس وأن يُبَيِّن لهم بقوله و فعله ما يحتاج إلى البيان، وهو عليه السلام إذ يُبَيِّن للناس كتاب الله لا يُصدر عن نفسه، ولكنَّه يتبع ما يوحى إليه من ربِّه، فالسنة النبوية وظيفتها تفسير القرآن الكريم والكشف عن أسراره، وتوضيح مراد الله تعالى من أوامره وأحكامه<sup>(٦)</sup>.

وقال الشيخ عبد الغني عبد الحق: السنة مع الكتاب في مرتبة واحدة من حيث الاعتبار والاحتجاج بما على الأحكام الشرعية، ولا نزاع أنَّ الكتاب يمتاز عن السنة بأنَّ لفظه منَّزل من عند الله، متعبد بتلاوته، معجزٌ، ولكن ذلك لا يوجب التفصيل بينهما من حيث الحجية<sup>(٧)</sup>.

إنَّ السنة الشريفة امتدادٌ للقرآن، وتطبِّق عملِيٌّ ملؤدَاه، وليس اتباع السنة

(١) الأحكام في أصول الأحكام، لابن حزم ٩٣:١.

(٢) الحديث والمحدثون: ١١.

(٣) الحديث والمحدثون: ٣٨.

(٤) حجية السنة: ٤٨٥.

إلاّ اتّباعاً للقرآن، وتطبّيقُ عمليٌّ ملؤدّاه، وليس اتّباعَ السنة إلاّ اتّباعاً للقرآن، حيث أمر الله سبحانه بذلك في كتابه الكريم بالأخذ بما أمر به الرسول ﷺ؛ فقال: (مَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) <sup>(١)</sup>.

ولا تختلف السنة عن القرآن في الحجّيّة، وقد أجمع على ذلك علماء الإسلام، وعقد أهل الحديث في كتبهم أبواباً تدلّ تراجُّها على ذلك فقد ترجم الخطيب البغداديّ أول أبواب كتابه «الكافية» بعنوان «باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم سُنة رسول الله ﷺ، في وجوب العمل، ولزوم التكليف» <sup>(٢)</sup>.

وترجم الباب الثاني منه بعنوان «باب تخصيص السنن لعموم حكم القرآن، وذكر الحاجة في الجمل إلى التفسير والبيان» <sup>(٣)</sup>.

وأورد في كتابه «الفقيه والمتفقّه» أحاديث دالة على أنّ السنة معتبرة في عرض الكتاب <sup>(٤)</sup>.

### منهج عمر في المنع من حديث رسول الله ﷺ

لقد انتهج عمرٌ منهجاً متعدد الأطراف لتحقيق هدفه في منع حديث رسول الله ﷺ من ذلك:

(١) الحشر: ٧.

(٢) الكافية: ٣٩.

(٣) الكافية: ٤٥.

(٤) الفقيه والمتفقّه: ١: ٨٦.

أولاً: منع وفد الصحابة الذين أرسلهم إلى الكوفة من الرواية عن رسول الله ﷺ ...، وقد مضى الكلام عن ذلك.

ثانياً: منع عمر صحابة عن الحديث:

- فمنع أبي هريرة:

قال عمر لأبي هريرة: لتركت الحديث عن رسول الله ﷺ ، أولًا لحقنك بأرض دُؤس<sup>(١)</sup>.

وقال له أيضًا: لتركت الحديث عن رسول الله ﷺ أو لحقنك بأرض الطنجع - يعني أرض

قومه -<sup>(٢)</sup>.

وقال له: لتركت الرواية - أو الإكثار من الرواية - أو لحقنك إلى جبال دُؤس<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن أبي الحديد: ضربه عمر بن الخطاب - في خلافته - بالدرة، وقال له: لقد أكثرت

الرواية، وأخر بك أن تكون كاذبًا على رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>:

- ومنع ابن مسعود، وأبا مسعود:

بعث عمر إلى أبي مسعود الأنصاري، وابن مسعود، فقال: ما هذا الحديث؟

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والوعي، للرامي، للمتوّق ٣٦٠ هـ: ٥٥٤، رقم ٧٤٦، البداية والنهاية: ٨: ١٠٦.

(٢) أخبار المدينة المنورة، لابن شبة: ٣: ٨٠٠.

(٣) الاعتصام بحبل الله المتين، للقاسم بن محمد الزيدـي ٢: ٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ٦٧: ٣٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٤: ٦٨.

الذى تُكثرونہ عن رسول الله ﷺ .<sup>(١)</sup>

ونقله ابن عديّ، وفيه: بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود، وإلى أبي الدرداء، وإلى أبي مسعود الأنصاري، فقال: ما هذا الحديث الذي تُكثرون عن رسول الله ﷺ ، فحبسهم بالمدينة حتى استشهدوا.<sup>(٢)</sup>

- ومنع أبا موسى الأشعري - لما بعثه إلى العراق - بهشل ما ورد في حديث قرظة بن كعب.  
«ذكرناه مع مصادره».

- ومنع عمر عامة الناس عن الحديث:  
خطب عمر، وقال: ألا، لا أعلم ما قال أحدكم: إن عمر بن الخطاب معنا أن نقرأ كتاب الله، إني ليس لذلك أمنعكم.

ولكن، أحدكم يقوم لكتاب الله، والناس يستمعون إليه، ثم يأتي بالحديث من قبل نفسه! إن حديثكم هو شرُّ الحديث، وإن كلامكم هو شرُّ الكلام.  
من قام منكم، فليقم بكتاب الله، وإلا فليجلس، فإنه قد حدّثتم الناس حتى قيل: «قال فلان، وقال فلان» وترك كتاب الله.<sup>(٣)</sup>

### وقفة قصيرة مع خطبة عمر

إنّ ظاهر هذه الخطبة المنع من الحديث المتكلمين حلال القرآن، ولم يصرح

(١) تاريخ دمشق ٣٩: ١٠٨.

(٢) الكامل، لابن عديٰ ١: ١٨.

(٣) تاريخ المدينة الموقرة، لابن شبة ٣: ٨٠٠.

فيه بالمنع من حديث رسول الله ﷺ، لكن يمكن أن يفهم ذلك بمحاجة أمور:

١ - إبراد ابن شبة لهذه الخطبة في سياق ما نقله من منع عمر للصحابة من نقل الحديث والرواية عن رسول الله ﷺ.

٢ - ظهور الخطبة - وخاصة الفقرة الأخيرة منها - في تأكيد عمر على ترك كل حديث ما سوى كتاب الله، وهو نفس المقوله المعروفة عن عمر «حسيناً كتاب الله» ويؤدي مؤدّها. إنّ عمر كان يردد «حسيناً كتاب الله» في مقابل الحديث وروايته، كما يظهر من تعليله المنع من الحديث بالحافظة على القرآن وخوف تركه الاشتغال بغيره. وهو ما عرفناه منه مراراً في أقواله التي تضمنّت منع التدوين، كقوله: إني لا أُبَسِّ كتاب الله بشيء أبداً.

٣ - إنّ حسن الظن بالمخذلين في ذلك العصر، يقتضي أنّ الشيء الذي ينقلونه خلال قراءتهم للقرآن الكريم، وإلى جنب آياته، بحيث يقبله المسلمون إذا استمعوا إليه أن يكون مقدساً، وحقّاً، لا كلّ كلام صدر من أي أحدٍ وبأي محتوى.

ولا يعقل من معلمي القرآن، ولا بدّ أن يكون فيهم مجموعة من الصحابة إن لم يكن كلّهم منهم، وجموعة من التابعين الكبار، أن يقرأوا القرآن، ويحدثوا الناس في أثناء تلاوتهم بأشياء باطلة، وبأشياء تكون «شرّ الحديث» كما عبر عنها عمر! ومع هذا يقبل المسلمون ذلك ولم ينتبهوا إلى بطلانه! إلاّ بتبيّنه مر؟!

إنّ أفضل تفسير لذلك: أن يكون ما ينقلونه من حديث رسول الله ﷺ، غير

أنه من الأحاديث التي لم ترق السلطة الحاكمة، ومتى يعارض سياستها.

ثالثاً: عمر يهدّد الصحابة على الحديث ويهينهم

- أخرج الفسوئي بسنده قال: حدثنا أبو نعيم، أخبرنا طلحة بن يحيى، عن أبي بُردة، قال: جاء أبو موسى - الأشعري - إلى عمر فقال: أيدخل الأشعري؟ أيدخل عبد الله بن قيس؟ أيدخل أبو موسى؟ ثم انصرف. فبعث عمر على أثره، فقال أبو موسى: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ليستأذن أحدكم ثلاثة فإن أذن له، وإنما فليرجع». قال: لكن لم تأتني على ذي بَيْنَ لَا عَاقِبَنِكَ وَلَا فَعْلَنِكَ كَذَا وَكَذَا! <sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: «أقم عليه البينة وإنما وجعتك» <sup>(٢)</sup>.

فجاء بأبي بن كعب، فقال: يا عمر! أبعثت تُعذّب أصحاب محمد؟، سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ذلك <sup>(٣)</sup>.

وبسنده أخرج مسلم عن طلحة بن يحيى عن أبي بُردة عن أبي موسى الأشعري، قال: جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال: السلام عليكم هذا عبد الله بن قيس، فلم يأذن له، فقال: السلام عليكم هذا أبو موسى، السلام عليكم هذا الأشعري، ثم انصرف، فقال زدوا علىي زدوا علىي فجاء. فقال: يا أبا موسى ما

(١) المعرفة والتاريخ ١: ١١٠. ومسند أحمد ٤: ٣٩٨ طبعة دار صادر - بيروت، سنن الدارمي ٢: ٢٢٧٤ طبعة الاعتدال - دمشق، سنن أبو داود ٢: ٥١٤ رقم ٥١٨١.

(٢) الموطأ ٢: ٩٦٤، صحيح مسلم ٧: ١٣١، الرسالة، للشافعي: ٤٣٠.

(٣) المعرفة والتاريخ، للفسوئي ١: ١١٠.

رَدَّكَ، كُنَّا فِي شُعْلٍ، قَالَ: سِعِتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «الْإِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أَذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجُعْ» قَالَ: لَتَأْتِيَ عَلَى هَذَا بَيِّنَةً، وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ! فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى.

قَالَ عُمَرُ: إِنْ وَحْدَ بَيِّنَةً تَجْدُوهُ عَنِ الْمَنْبِرِ عَشِيَّةً، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجْدُوهُ. فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالْعَشِيِّ وَجَدُوهُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ أَقْدَ وَجَدْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَبْيَ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: عَدْلٌ. قَالَ: يَا أَبَا الطَّفَقِيْلِ مَا يَقُولُ هَذَا؟! قَالَ: سِعِتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ فَلَوْ تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَبَّحَانَ اللَّهَ إِنَّمَا سِعِتُ شَيْئًا فَأَحَبَّتُ أَنْ أَتَشَبَّهَ!

(١)

لقد تدرّع بأنّه خشي الكذب على النبي ﷺ، وأراد الاحتياط في الحديث والرواية. إلا أنّها ذريعة باطلة، إذ إنّ الصحابي العادل إذا سمع شيئاً من رسول الله ﷺ وجب عليه تبليغه وأداؤه إلى الآخرين، لأنّه سنة، والسنة شريعة، والصحابي من حفاظها. فكيف يجوز لأحدٍ أن يتشدد عليهم هكذا؟

ولو فرضنا أنّه لم يجد من سمع الحديث من رسول الله ﷺ فيشهد له، فهل يجوز أن يُهان ويُكذب ويُهدم؟!

وما الجواب في عدم رد سلام أبي موسى ثلاث مرات، أموافق لثائق القرآن والسنة، أم مخالف؟!!

أليس هذا سداً لباب الحديث عن رسول الله ﷺ؟ وهذا ما صرّح به

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٥ - ١٣٦.

أبوهريرة جرّاء ما حديث له من تحديد عمر له، وفي روايات أَنَّه ضربه بالدرة، كما ذكرنا، حتى امتنع أبوهريرة من حديث رسول الله ﷺ تماماً، أو بما يوافق مزاج السلطة.

و قبل أن نأتي على ذكر ما يخصّ ما كان بين عمر وأبي هريرة بشأن الحديث؛ نذكر نصوصاً أخرى بما جرى لأبي موسى :

أخرج ابن ماجة، قال: حدثنا أبوبكر، حدثنا يزيد بن هارون. أبنا داود بن أبي هند عن أبي نصرة عن أبي سعيد الخدري، أَنَّ أبا موسى استأذن على عمر ثلاثة، فلم يؤذن له، فانصرف. فأرسل إليه عمر: ما رَدْك؟ قال: استأذنت الاستئذان الذي أمرنا به رسول الله ﷺ ثلاثة، فإنْ أُذِنَ لنا دَخَلْنَا، وإنْ لم يُؤذن لنا رجعنا. قال، فقال: لَتَأْتِيَنِي على هذا بَيِّنٍ، أو لَا فَعَلَّ. فأتى مجلس قومه فناشدهم. فشهدوا له. فخلّى سبيله <sup>(١)</sup>.

ولا تعليق لنا على الرواية أكثر مما مضى إلا أن نقول: إن التهديد قد أخذ من أبي موسى مأخذة! وهو يسمع التوكيد على أن يأتي بشاهد على قوله «لَتَأْتِيَنِي» وإنها بالوعيد والتهديد «أو لَا فَعَلَّ». مما حمله على مناشدة قومه ليشهدوا له عند عمر، بصدق دعواه، لينجوا من عقوبته المرتقبة. فلما تحقق له ذلك، نجا بجلده من الدرة!

وما يعبر عن الحالة النفسية المضطربة جرّاء تحديدات عمر الجادة بشأن الصحابة في مجرد روايتهم حديث واحد لرسول الله ﷺ فقد أخرج مسلم رواية

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٢٢١، باب ١٧ (باب الاستئذان) رقم ٣٧٠٦.

أبي موسى، قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابُ، حَدَّثَنَا سُفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خُصَيْفَةَ عَنْ بُشَّرٍ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ كَنْتُ جَالِسًا بِالْمَدِينَةِ فِي مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ، فَأَتَانَا أَبُو مُوسَى فَرِعَاً أَوْ مَذْعُورًا! قُلْنَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنَّ آتَيْتُ فَأَنْتَيْتُ بَابَهُ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثَةَ فِلَمْ يَرَدَ عَلَيَّ فَرَجَعْتُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدَكُمْ ثَلَاثَةَ فِلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ» فَقَالَ عُمَرُ: أَقِمْ عَلَيْهِ الْبَيْنَةَ وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ. فَقَالَ أَبُو بْنِ كَعْبٍ: لَا يَقُولُ مَعَهِ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمَ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَلْتُ إِنِّي أَصْغَرُ الْقَوْمَ، قَالَ: فَادْهَبْ بِهِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَقَمْتُ مَعَهُ فَذَهَبْتُ إِلَى عُمَرَ فَشَهَدْتُ <sup>(٦)</sup>.

فَلِمَادِيَ الفَرْعُ أَوْ الدَّعْرُ الَّذِي رَكِبَ الصَّحَّابِيُّ أَبَا مُوسَى، أَحْرَبَ جَرْتُ أَمْ خَطْرُ أَحْدَقَ بِبِيَضَةَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامَ؟ لَا هَذَا، وَلَا ذَاكُ، وَإِنَّمَا هُوَ تَهْدِيْدُ عُمَرَ لَهُ بَعْدَ أَنْ أَذْلَّهُ بِالْوَقْوفِ عَلَى بَابِهِ وَاسْتَعْذَانَهُ ثَلَاثَةَ فِلَمْ يَأْذِنْ لَهُ، عَلَمًا أَنَّهُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ هُوَ - عُمَرُ - هُوَ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيهِ فَأَطْاعَهُ! فَلَمَّا ذَهَبَ صَارَ إِلَى حَسَابِهِ! فَلَمَّا أَجَابَهُ أَنَّهُ أَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَى بَابِهِ ثَلَاثَةَ فِلَمْ يَرَدَ عَلَيْهِ فَرَجَعَ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عِنْهَا ثَارَتْ ثَائِرَةُ عُمَرَ! فَلَعْلَهُ أَحْسَنَ نَفْسِيًّا وَكَأَنَّ أَبَا مُوسَى يَقُولُ لَهُ: قَدْ خَالَفْتَ السُّنَّةَ؟ فَتَهَدَّدَهُ وَطَلَبَ الْبَيْنَةَ عَلَى صَدْقَهِ وَإِلَّا أَوْجَعَهُ عَقْوَبَةً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ أَكْتَفَى بِشَهَادَةِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَلَمْ يَطْلَبْ شَاهِدًا آخَرًا، فَكَفَّ عَنْ أَبِي مُوسَى.

وَالْفَاظُ التَّهْدِيْدُ بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، فَغَيْرُ مَا ذَكَرْنَا:

---

(٦) صحيح مسلم: ٧: ١٣٠ - ١٣١.

أخرج مسلم بسنده عن بُشَّرَ بن سعيد أَنَّه سَمِعَ أَبَا سَعِيدَ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: كَنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أَبِيهِ  
بْنَ كَعْبٍ فَأَتَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ فَقَالَ أَنْشُدُكُمُ اللَّهُ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ  
رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «الْاسْتَئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أَذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ» قَالَ أَبِيهِ: وَمَا ذَاكُ؟ قَالَ:  
اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسِيَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ. ثُمَّ جَئْتُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ  
عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ أَبِيهِ جَئْتُ أَمْسِيَ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثَ ثُمَّ انْصَرَفْتُ. قَالَ: قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حَيْثِنَا عَلَى شُغْلٍ  
فَلَوْ مَا اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ  
لَا وَجْهَنَّمَ ظَهَرَكَ وَبِطَنَكَ أَوْ لَتَائِينَ مَمَّنْ يَشَهُدُ لَكَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ أَبِيهِ بْنَ كَعْبٍ: فَوَاللَّهِ لَا يَقُولُ  
مَعَكَ إِلَّا أَحَدُنَا سَيِّدًا. قُمْ يَا أَبَا سَعِيدَ، فَقَمَتْ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ فَقَلَّتْ: قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ هَذَا.

غَرِيبٌ! فَأَبُو مُوسَى يُسْلِمُ ثَلَاثَةِ، وَلَا يَسْمَعُ جَوَابًا، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَخْبَرَ عُمَرَ بِذَلِكَ،  
وَلَعِلَّهُ يَأْمُلُ أَنْ يَجِدَ عِنْهُ عَذْرًا! فَكَانَ عَلَى غَيْرِ مَا أَمْلَى فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ عَلَى شُغْلٍ أَعْاقَهُ عَنِ الرَّدِّ  
السَّلَامِ! وَلَمْ يَقْفِ عَنْهُ هَذَا وَإِنَّمَا عَلَقَ مَا كَانَ مِنْهُ بِعْقَبَةُ أَبِيهِ مُوسَى بِحَجَّةِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْذِنْ! وَقَبْلَ أَنْ  
يُحِبِّبَ أَبُو مُوسَى، يُحِبِّبَنَا نَحْنُ: إِنَّ عُمَرَ كَانَ فِي شُغْلٍ مُنْعَهُ عَنِ تَأْدِيَةِ وَاجِبٍ وَهُوَ رَدُّ السَّلَامِ الْمَأْمُورِ  
بِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنْنَةِ الْشَّرِيفَةِ، وَالسَّلَامُ بِمَدِّهِ الصُّورَةِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - اسْتَئْذَانٌ فَلَمَّا لَمْ يَرْدُهُ  
عُمَرُ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَأْذُنْ لَهُ.

وَأَمَّا أَبُو مُوسَى وَهُوَ صَاحِبِي مُثْلُ عُمَرَ، فَقَدْ أَجَابَ بِأَنَّهُ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَيُّ أَنَّهُ  
مُسْتَنِّ بِسُنْنَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَذَا الَّذِي أَثَارَ حَفِيظَةَ عُمَرَ فَتَهَدَّدَ أَبَا مُوسَى

بالضرب الموجع على الظهر والبطن! إلا أن يُقيِّم له بَيْنَهَا على صدقه! والحمد لله أَنَّه رضى منه شاهداً واحداً.

بقي الفحص عن الشُّغُل الذي منع عمر من رد السلام ومن الإذن لأبي موسى؛ فأَوْلَ ما يُبَدِّر إلى الذهن هنا أَنَّه يَخْصُّ مصلحة الإسلام والمسلمين العامة والمهمة للغاية من قبيل تحصين التغور ومواجهة الأعداء ودراسة الحالة الاقتصادية للمجتمع و ...، فدعنا من كُلِّ ذلك ولنسمعه من لسان عمر نفسه:

ذكره مسلم وفيه: «... فقام أبو سعيد فقال: كنَّا نُؤمِّرُ بِهذا؛ فقال عمر: خَفِي عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَهْلَنِي عَنِ الصَّفَقِ بِالْأَسْوَاقِ<sup>(١)</sup>».

قال النووي في شرحه ل الصحيح مسلم: قوله «أَهْلَنِي عَنِ الصَّفَقِ بِالْأَسْوَاقِ» أي التجارة والمعاملة في الأسواق<sup>(٢)</sup>.

اتَّضَحَ الْأَمْرُ! فَإِنَّ الْبَاعِثَ عَلَى تَفَجُّرِ غَضْبِ عَمَرٍ وَابْتِدَاعِهِ عَنِ السُّنَّةِ هُوَ اشْتِغالُهُ بِالْأَسْوَاقِ وَالتجَارَةِ، فَلَمْ يَسْمَعْ مَا سَمِعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَصَارُوا لَدِيهِ مَوْضِعٌ شَبَهَهُ وَشَكَّ غَنْلَمْ نَقْلَ غَيْرِ ذَلِكِ! مَضَافاً إِلَى الْإِرْثِ الثَّقَافِيِّ لِعَمَرٍ فِي إِعْجَابِهِ بِأَحَادِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَخَاصَّةِ الْيَهُودِ وَهُوَ مَا عَبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِ«الْتَّهْوِكَ»، وَلِذَلِكَ عَارَضَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَدَّةٍ فِي كِتَابِهِ الْكِتَابِ الَّذِي ضَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَوْ كَتَبَهُ فَلَنْ تَضَلَّ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا، وَوَاضَعٌ مِنْ مَقْدِيمَاتِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوْصَى بِالتَّقْلِينَ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتَرَتْهُ أَهْلُ بَيْتِهِ، مَا أَن

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) شرح النووي بخامش المصدر نفسه.

تمسّكوا بهما لن يضلّوا أبداً؛ ثم دعا بالقلم والقرطاس لكتابه الكتاب المانع من الضلال، فصار واضحًا أنه سيُثبت ما قاله كتباً، فكان الاعتراض واللغط والطرد من رحمة الله تعالى. مع التذكير بحديث «الأريكة» وتحذير النبي ﷺ من قرب عهد من يجلس على سدة الحكم يمنع من حديثه ﷺ. فتابعت الأحداث سريعةً من حرق للأحاديث ومحو بالماء ودفن في الأرض، إلى تهديد الصحابة وحبسهم، فلماذا؟ أبو هريرة يمتنع من الحديث امتنالاً لمشيّة عمر على إثر التهديد القولي والعقوبة العمليّة الشديدة التي نالته من عمر، جعلته يخاف ظله في أن يتحدّث بحديث رسول الله ﷺ.

بسند عن الزهري، عن أبي سلمة، قال: سمعت أبي هريرة قال: ما كنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتى قُبض عمر، قال أبو سلمة: فسألته: بم؟ قال: كنّا نخاف السياط، وأومنا بيه إلى ظهره !

قال: ثم يقول أبو هريرة: أفانا كنّا محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي، إذ والله لا بقيت، إن المحفقة ستباشر ظهري.

فإذا كان أبو موسى الأشعري قد أصابه الفزع والملع لتهديد عمر إياه فراح يناشد قومه ليشهدوا بصدقه عند عمر فيحفظ ظهره وبطنه من الضرب الموجع! ومن ثم عاهد نفسه أن يسير في ركب عمر بشأن الحديث؛ فإنّ أبي هريرة ما زال يتحسّس آلام ظهره التي أحققتها به سياط عمر «كنّا نخاف السياط، وأومنا إلى ظهره»، فكيف يحدّث وعمر حي، والمحفقة لا تبارح ناظره يخاف أن تباشر

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٦٧، ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء: ٢: ٦٠٢ - ٦٠٣، البداية والنهاية: ٨: ١٠٧.

ظهره، كما قال!

- وبسند عن محمد بن عجلان، أن أبا هريرة كان يقول: إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر - أو عند عمر - لشج رأسي <sup>(١)</sup>.

أي أحاديث هذه التي لو حدث بها أبو هريرة عند عمر لشج رأسه، وهي من جنس الفضائل المتضمنة حق أهل البيت عليهم السلام، وأحاديث العدير، والثقلين، والنزلة، والراية، والسيادة...؟! والانصراف بعد أن أعطاهن الرخصة في الحديث فيما لا يخاف منه:

«قال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال: قال عمر: أفلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به <sup>(٢)</sup>». ولكن بماذا يعملون وقد أحرق أبو بكر خمسماة حديث؟! «ذكرناه». وعمر، أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك الصحابة، فأشاروا عليه أن يكتبه...، وبعد تردد ملدة شهر أصبح فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً قبلكم كتبوا كتاباً، فأكبوها عليها، فتركوا كتاب الله تعالى، وإني لا أليس كتاب الله بشيء أبداً. وهذا التردد هو «النهو» الذي أشار إليه رسول الله ﷺ فصدق. والرواية من طريق عروة بن الزبير وقد ذكرناها مع مصدرها سابقاً، وذكرنا حرقه لكتاب الناس

(١) تاريخ دمشق ٦٧: ٣٤٣، البداية والنهاية ٨: ١٠٧. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ٦٠١ وقال: (قلت: هكذا هو كأن عمر، يقول: أفلوا الحديث عن رسول الله ﷺ وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث، وهذا مذهبٌ لعمر وغيره)!.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٣٤٤، البداية والنهاية ٨: ١٠٧.

المتضمنة أحاديث رسول الله ﷺ، وإصداره دستوراً إلى الأقاليم «من كان عنده منها - السنة شيء فليمحه».

وامثال ابن مسعود - كما ذكرنا - فمما بالماء صحفاً، وتتابعت عمليات الإبادة بالمحو بالماء وبالدفن في الأرض!!!، فماذا بقي مما يُعمل به؟!

«عن أبي سعيد المقربي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأقا أحدهما بشنته وأما الآخر فلو بشنته لقطع هذا البلعوم» <sup>(١)</sup>.

ومن طرق عدّة عن أبي هريرة قال: يقولون إنّ أبا هريرة قد أكثر الحديث، والله الموعود! ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحذّثون مثل أحاديثه؟ وسأُخبركم عن ذلك: إنّ إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضيهم، وأما إخواني من المهاجرين فكان يشغلهم الصدق بالأسواق <sup>(٢)</sup>، وكنت أمراً مسكوناً أصحاب - أو ألم - رسول الله ﷺ على ملء بطني؛ فأشهده إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ... <sup>(٣)</sup>.

ولفظه في أحاديث: «إنّكم تقولون أكثر أبو هريرة، عن النبي ﷺ، والله الموعود؛ إنّكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يحدّثون عن رسول الله ﷺ بهذه الأحاديث،

(١) طبقات ابن سعد ٤:٤٧:٤.

(٢) الصدق: التجارة، وهو الذي أشغال عمر عن رَدِّ السلام على أبي موسى ثمّ رجع فحاسبه على ذهابه فاستدعاه وحاسبه وهدّه ... على ما مرّ.

(٣) صحيح مسلم ٦:٥٣، ٥٢، ٥٤، تاريخ مدينة دمشق ٦٧:٣٣٠ - ٣٣٤ سير أعلام النبلاء ٢:٥٩٤ - ٩٩٥، حلية الأولياء ١:٣٧٩ - ٣٨١.

وما بالأنصار لا يحدّثون بهذه الأحاديث؛ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاً لهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإني كنتُ امرأً معتكفاً، وكنتُ أكثر مجالسة النبي ﷺ، أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا ...<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: حفظت عن رسول الله ﷺ ثلاث جرّب حديث، أخرجت منها جرابين، ولو أني أخرجت الثالث خرجتم علي بالحجارة!<sup>(٢)</sup>

ما الذي يحتويه الجراب الثالث الذي لو أخرجه لخرجوا عليه بالحجارة؟!

علمًا أنه لم يحدّث بعد لسع السياط! إلا أواخر أيام عمر ولذلك قصّة، ثمّ مُنْعَ بعد ذلك حتى اقتضت السياسة الأموية أن يُحدّث بالمسح دون المتنوع!! وأنّت عالم ما هو الممنوع ومع ذلك ورد بعضه في نزير يسير!

وعنه قال: لو أحدثكم بما أعلم لرميتموني بالحجارة!<sup>(٣)</sup>

وعنه قال: لو حدّثت الناس بما سمعت لرموني بالخرق<sup>(٤)</sup> وقالوا: مجنون!<sup>(٥)</sup>

عن يزيد بن الأصم، قال: قيل لأبي هريرة: أكثرت أكثرت، قال: لو حدّثكم بكل ما سمعت النبي ﷺ لرميتموني بالقشع<sup>(٦)</sup>، وما ناظرتموني.

(١) مسنّد أحمد ٢: ٥٣٦ رقم ٧٦٤٨ مسنّد أبي هريرة.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٣٣٨.

(٣) نفسه، المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٨٣/٦٦٢، التلخيص.

(٤) الخرق: السهام النافذة، من خرق السهم إذا أصاب الرقبة ونفذ فيها. (لسان العرب).

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٣٣٨.

(٦) القشع: بفتح وسكون - الجلد اليابس، والقشة: النخامة والزبالة.

إن قوله «وما ناظرعني»، صريح أن تلك الأحاديث التي كتمها أبو هريرة هي التي كانت تُخفِّف السلطات ولا تروق لها! فكيف تسمح له بنشرها وقد عاقبته فألهمت ظهره بالسياط من قبل دون مناظرة ونقاش؟ وهل من حاجة إلى البرهان وهو خادم رسول الله ﷺ، لم يشغل بالصفق بالأسواق عن حفظ الحديث.

عن محمد بن عمارة بن حزم: أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة وفيه مشيخة من أصحاب النبي ﷺ كثير؛ بضعة عشر رجلاً، فجعل أبو هريرة يحدّثهم عن النبي ﷺ بالحديث فلا يعرفه بعضهم، ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم، ثم يحدّثهم الحديث فلا يعرفه بعضهم ثم يعرفه، ثم فعل ذلك مراراً، قال: فعرفت يومئذ أن أبي هريرة أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ.<sup>(١)</sup>

في هذه الرواية مبالغة كبيرة! وإنما أوردناها حجةً واستثناساً بما على خصوم الصحابة مِنْ عرفوا بالخلاف على أهل البيت عليهم السلام! وأحمد مع السلطان خاصةً ما علم من سيرة أبي هريرة ومما ألهه لمعاوية وموان بن الحكم، فقد استخلفه موأن على المدينة مراراً<sup>(٢)</sup>.

عن سعيد بن المسيب قال: كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت، وإذا

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٦٧: ٣٣٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٦٧: ٣٣٩، المستدرك على الصحيحين: ٣: ٥٨٥ / ٦١٧١.

(٣) طبقات ابن سعد: ٤: ٢٥٠، تاريخ مدينة دمشق: ٦٧: ٣٧٢، سير أعلام النبلاء: ٢: ٦١٤، الكني والأسماء: ١: ١٨٤، البداية والنهاية: ٨: ١٢٢.

أمسك عنه تكلم<sup>(١)</sup>.

وإلاً فأهل الدار أعلمُ بما فيه، وسيدهم سيد العرب، وباب مدينة علم النبي ﷺ ، نفسُ رسول الله ﷺ عليٌّ احتضنه النبي ﷺ فكان مع النبي ﷺ حيثما كان، لم يسجد لصنم قطٌ ولم يعاشر إثماً قطٌ وكان يرى الوحي ويسمعه ويتبع أثره، فلم يسبقه إلى الإسلام سابق، وكان رسول الله ﷺ يؤثره بخلوات يعطيه من علومه حتى قالوا في ذلك فقال:

«ما أنا انتجيتُه، ولكنَّ الله انتجاه»، وأبو هريرة أسلم عام خير!

ومع ذلك يبقى له فضلُه، وكونه خادماً لرسول الله ﷺ لم يُشغله عن الصدقِ بالأسواق، فحفظ من أحاديث النبي ﷺ ما لم يحفظ أقرانه من الصحابة.

عن ابن عمر أنه مرّ بأبي هريرة وهو يحدّث عن النبي ﷺ : مَنْ تَبَعَ جَنَاحَةً فَلَهُ قِيراطٌ، فإن شهد دفناها فله قيراطان أعظم من أحد. فقال ابن عمر: يا أبي هريرة انظر ماذا تحدّث عن رسول الله ﷺ فقام إليه أبوهريرة حتى انطلق إلى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ تَبَعَ جَنَاحَةً فَصَلَى عَلَيْهَا...؟ فقالت: اللهم نعم، فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله ﷺ عرس ولا صفق بالأسواق إثماً كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمةً يعلّمنيها أو أكلةً يطعمنيها. فقال ابن عمر: يا أبي هريرة كنت أزمنا لرسول الله ﷺ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٧: ٣٧٣، سير أعلام النبلاء ٢: ٦١٥، البداية والنهاية ٨: ١٢٢، رواه ابن كثير عن ابن حنبل.

وأعلمنا بحديثه <sup>(١)</sup>.

عن عائشة أكّا دعت أبا هريرة فقالت له: يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنّك تحدّث بها عن النبي ﷺ، هل سمعت إلاّ ما سمعنا وهل رأيت إلاّ ما رأينا؟ قال: يا أمّاه، إنّه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرأة والمكحّلة والتتصّع لرسول الله ﷺ، وإليّ ما كان يشغلني عنه شيء <sup>(٢)</sup>.

رابعاً: عمر يحبس الصحابة لئلاً ينشروا الحديث  
ومن الوسائل التي اتبّعها لمنع حديث النبي ﷺ: إنّه حبس جماعة من كبار الصحابة مصّراً  
بأنّ السبب في ذلك هو روایتهم للأحاديث عن رسول الله ﷺ، ولذا حبسهم لمنعهم من الرواية.  
وهذه بعض الآثار في ذلك:

- ١ - إنّ عمر بن الخطّاب حبس بعض أصحاب النبي ﷺ، فيهم: ابن مسعود، وأبو الدرداء، فقال: قد أكثّرتم الحديث عن رسول الله ﷺ! قال ابن البري: يعني منعهم الحديث، إذ لم يكن عمر حبس <sup>(٣)</sup>.
- ٢ - شعبة، عن سعيد بن إبراهيم، عن أبيه: أنّ عمر بن الخطّاب قال لابن

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٦٧، ٣٤٧، مسند أحمد: ٢٠٠ رقم ٤٤٥٣، وعنه في البداية والنهاية: ٨: ١١٥، المستدرك على الصحيحين: ٣: ٥٨٤، ٦١٦٧/٥٨٤، التلخيص، طبقات ابن سعد: ٤: ٢٤٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٦٧، ٣٥٣: ٦١٦٠ / ٥٨٢، المستدرك على الصحيحين: ٣: ٦١٦، التلخيص، سير أعلام النبلاء: ٢: ٦٠٤، البداية والنهاية: ٨: ١١٦.

(٣) الحديث الفاصل: ٥٥٣ رقم ٧٤٤، الإملاع ٢١٧.

مسعود، ولأبي الدرداء، ولأبي ذرٍ: ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ؟ وأحسبه حبشه  
بالمدينة حتى أصيّب.

**قال الحالكم:** هذا حديث صحيح على شرط الشيختين، ووافقه الذهبي في التلخيص<sup>(٦)</sup>.

٣ - قال الذهبي: إن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري،

فقال: لقد أكثركم الحديث عن رسول الله ﷺ .

٤ - قال عبد الرحمن بن عوف: ما ماتَ عمر بن الخطّاب، حتّى بعث إلى أصحاب رسول

الله عليه السلام، فجمعهم من الآفاق: عبد الله - بن مسعود - وحذيفة، وأبا الدرداء، وأبازر، وعقبة

بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفضحتم عن رسول الله ﷺ في الآفاق؟!

قالوا: تَنْهَا؟!

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله، لا تفارقوني ما عشتُ، فتحنّ أعملُ، نأخذ عنكم ونردد

علیکم.

فما فارقوه حتى مات .<sup>(٢)</sup>

ورواه ابن عساكر، وأضاف: وما خرج ابن مسعود إلى الكوفة ببيعة عثمان

(١) المستدرك على الصحيحين ١:١٩٣ رقم ٣٧٤ وبذيله التلخيص.

(٢) تذكرة الحفاظ ١ : ٧.

(٣) كنز العمال ١: ٢٣٩ (طبعة الهند).

إلاً من حبس عمر في هذا السبب <sup>(١)</sup>.

## عثمان ورواية الحديث

اقتفى عثمان بن عفان سيرة سلفه: أبي بكر، وعمر، في المنع من الحديث.

قال محمود بن لبيد: سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحل لأحدٍ يروي حديثاً عن رسول الله عليه السلام، لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا عهد عمر <sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل على أن المنوع في عهد عثمان، هو المنوع في عهد أبي بكر وعمر.

وقد تعرض أبو هريرة إلى تهديد عثمان بسبب رواية الحديث، فقال له: ما هذا الحديث عن رسول الله عليه السلام، لقد أكثرت، لنتهين أو لاحقتك بجبار دوس <sup>(٣)</sup>.

وبكل الانتقال إلى سياسة معاوية وبني أمية وولاتهم وشيعتهم، مع الحديث النبوى الشريف، في إخفاء وإخفاف! إخفاء للحديث، وإخفاف لمن يحمل الحديث ويتحدث به خصوصاً ما فيه من فضائل أهل البيت عليهم السلام. وعمدوا إلى شراء الذمم لتزوير التاريخ ووضع أحاديث مكذوبة في الفضائل؛ عاملهم الله بعلمه. فقبل هذا الباب، رأينا أن نتكلّم عن مسألة تمسّك بما كلّ من منع من الحديث، تلك هي: الخوف من احتلال القرآن بغierre! والخوف من الاشتباه،

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٧: ١٠١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣: ٤٠، مستند أحمد ١: ٣٦٣/٢.

(٣) الحديث الفاصل: ٥٥٤، رقم ٧٤٦، السنة قبل التدوين: ٤٥٩، أضواء على السنة، لأبي رية: ٥٤.

والخوف من ترك القرآن والاشتغال بغيره. حتى أَنَّا نجد الناقص «بِيْزِيد» يكتب إلى أبيه معاوية: قد نُشر في مصرى حديث، فقد تركوا القرآن! فتوعد معاوية صاحب الكتاب أشد الوعيد.

وقد تكلّمنا عن هذه الدعوى فأثبتنا بُطْلَانَها! ذلك أنَّ كلام رسول الله ﷺ مسدُّدٌ بالوحي ولا ينطق عن هوئٍ إلَّا وحيٌ يوحى، وأنَّ السيرة ترجمان للقرآن وتفصيل له وفي السيرة ما ليس في القرآن، فإذا أُغْيِيَ كُلَّ ذلك؛ ماذا بقي من الإسلام؟!

وحان أن نقف عند ذريعتهم بالدفاع عن القرآن من أن يشوبه شيء، لترصدقهم في ذلك. إنَّ القرآن الكريم، ولو لا العناية وتکفُّل الله تعالى بحفظه لوجدنا قرآنًا غير الذي بين أيدينا، ذلك: أنَّ أولئك الرجال الذين هتكوا حرمة السنة، جاؤوا بقراءاتٍ شاذة، وأبدلوا حروف بعض الكلمات، وأضافوا كلماتٍ إلى بعض الآيات، وزعموا سقوط آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ في حين اذعوا أنَّ سورتين ليستا منه!!

فلو أخذت الأُمَّةُ الإسلامية بأقوال ذلك السلف الرافض لحديث رسول الله ﷺ، لوجدت قرآنًا يصحّ تسميتها: «مصحف رافضة الحديث» ز

ويبرز عبد الله بن مسعود في طليعة هذه المجموعة، وقد أفاد من حديث نسب إلى رسول الله ﷺ، فصال وجال!

بسنِّه عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ

القرآن عَضْنَا، كما أَنْزِلَ فَيُقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»<sup>(١)</sup>. يعني بذلك عبد الله بن مسعود. إنّ عبد الله بن مسعود، أحد الذين وافقوا عمر، بل كان أشدّهم متابعة له في منع الحديث؛ فكان هذا الحديث جزءاً، والذي سنجده بعيداً عن الواقع! ولذا لم يذكره الذهبي في «التلخيص». وأمّا تصديق كلامنا، فهو سيرة ابن مسعود؛ إذ نجده يعظّم نفسه كثيراً، فيما يحطّ من منزلة صحابة، وحقرّهم! وذلك لما أرادوا أن يجمعوا المصحف الشريف على قراءة واحدة؛ فكان في نسخة ابن مسعود تصحيفُ كلمات كتبها على غير ما هي عليها الآن، وحذف من مصحفه الكثير، كان من جملة ما حذف سورة بكمالها؟! فلماذا يكون هذا من صحابي مثل «عبد الله بن مسعود؟!».

إنّ عبد الله بن مسعود، لم يكن وحيداً في هذا الأمر، فإنّ سيده في ذلك: عمر بن الخطاب، وقد مات ولم يجمع القرآن، أي لم يحفظه! أخرج البلاذري بسنّة عن ابن سيرين قال: قُتل عمر ولم يجمع القرآن. قال روح: يعني أنه لم يحفظه<sup>(٢)</sup>. فلا ندرى، لعدم حفظه، أو لعلة أخرى كان يقرأ نصوصاً ويزعم أنها كانت من القرآن؟!

ذكر ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: إنّ عمر بن الخطاب، جلس على المنبر، فخطب فجاء في خطبته:

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٤٧ / ٢٨٩٤.

(٢) أنساب الأشراف ١٠: ٣٤٩.

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً الرِّجْمَ، فَقَرَأْنَاهَا وَعُلِّمْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، وَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَجَّهَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ الرِّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيُضَلِّلُونَا بِتَرْكِ فِرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ...؛ ثُمَّ إِنَّا كَنَا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفُّرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وعن المسئور بن حمزة، قال: لقي عمُر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف، فقال: أليس كنّا نقرأ: «قاتلوهم في آخر الأمر كما قاتلتهم في أول الأمر؟!». قال: بلّى، ذلك إذا كان الأمراء بني أمية والوزراء بني مخزوم<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بن كعب أنه كان يقرأ (إِذْ جَعَلَ الذِّينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُكْمَيَةَ حَكِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةِ - ولو حميتكم كما حموا لفسد المسجد الحرام؟! - فَإِنَّمَا اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ) الآية.<sup>(٣)</sup>

بلغ عمره، فاشتدّ عليه، فبعث إليه وهو يهنا ناقة له فدخل عليه فدعاه ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال: من يقرأ منكم سورة الفتح، فقرأ زيد قراءتنا اليوم فغلظ له عمر؟!  
قال له أبي: أتكلّم؟ فقال: تكلّم. قال: لقد علمتَ أبي كنتُ أدخل على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويقرئني وأنتم بالباب، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٤: ٣٠٨.

(٢) الغارات ٢: ٥٧٢.

(٣) الفتح: ٢٦.

أقرأتُ وإلاًّ لم أقرئ حرفًا ما حييت. قال: بل أقرئ الناس <sup>(١)</sup>!  
وقفة تأمل: لم نعلق على الآيات المزعومات السابقات. أمّا هنا فإنَّ أُبيٌ لما افترى على كتاب  
الله العزيز فأضاف سبع كلمات إلى الآية، وبلغ ذلك عمر ابن الخطاب، غضب ودعا ناساً فيهم  
زيد بن ثابت، فلما قرأها زيد على النحو الصحيح، غضب عمرٌ على زيد!!  
فلم يسلم من غضب عمر، لا أُبيٌ، ولا زيد، مع الفارق الكبير بينهما! إلا أنَّ المفارقة الأكبر  
حينما تحدَّى أُبيٌ عمرَ بن الخطاب، فرجع عمر وأجاز قراءة أُبيٌ!!  
ابن مسعود: تعرَّفنا على منهج عبد الله بن مسعود المتشدد في منع الحديث وبخاصة الحديث  
الذي فيه فضيلة من فضائل أهل البيت عليه السلام. وأمّا منهجه مع القرآن الكريم وقراءه فغريبٌ للغاية!  
ابن مسعود يحذف المعوذتين: ذكر ابن شبة (ت ٢٦٢ هـ) بسنده، قال: حدثنا أبو عاصم  
قال: حدثنا سفيان، عن أُبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد قال: رأيُت ابن مسعود يحذف  
المعوذتين من المصحف، ويقول: لا يحل قراءة ما ليس منه <sup>(٢)</sup>.  
وأيضاً ابن شبة: حدثنا عبد الأعلى قال: حدثنا هشام، عن محمد: أنَّ أُبيَّن كعب كتبهن في  
مصحفه خمسهن، أمُّ الكتاب، والمعوذتين، والسورتين

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٨٩١ / ٢٨٩١. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيفيين ولم يخرجاه. قال في

التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، لابن شبة ٣: ١٠١٠ - ١٠١١.

(ظاهراً: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون)، وكتب ابن عفان فاتحة الكتاب، والمعوذتين، وترك السورتين<sup>(١)</sup>.

وبسند عن ابن كعب بن عجرة، عن أبيه، عن جده قال: كنت عند عمر بن الخطاب، فقرأ رجل من سورة يوسف «عَنْ حِينَ» فقال عمر: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذَا؟ قال: ابن مسعود. فكتب عمر إلى ابن مسعود: أما بعد، فإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِ قَرِيشٍ، وَجَعَلَهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينًا، فَأَفْرِئِي النَّاسَ بِلِغَةِ قَرِيشٍ وَلَا تُقْرِئُهُمْ بِلِغَةِ هُذِيلٍ وَالسَّلَام<sup>(٢)</sup>.

قد يُقال: لا نغفر لابن مسعود حذفه خمس سور، أو ثلاثة، أو سورتين من القرآن، مع إعلانه تكفير من قرأ شيئاً مما حذف!! وأمّا «عَنْ حِينَ»، فهي قراءة لهجية خاصة بهذيل، وابن مسعود من هذيل؛ إلا أن ذلك لا يشفع له وإنما الواجب عليه أن يتقبل من لهجته الخاصة إلى اللسان الذي نزل به الوحي «عَنْ حِينَ»، شأنه في ذلك شأن المعلم المقدر دائمًا، فكيف بعامة الناس وتعدد القراءات مما يجعل كلاماً يتمسك بقراءته وربما كفر بعضهم الآخر بذلك، وقد حصل وسنري!

وإذا قال قائل: إن قراءة ابن مسعود لا بأس بها ولا تضر لأنّها مجرد قراءة من القراءات؛ وجوابنا موجزاً: شتان بين عتي، التي هي من العترة، الظاهرة في الطغيان والإصرار على المعاصي والمرور عن أمر الله تعالى، وأمثال ذلك. وأمّا: حتى، فهي تأتي حرفًا جارًّا يدلّ على الانتهاء أو تأتي حرف عطف بمعنى الواو،

---

(١) نفسه: ٣: ١٠٠٩.

(٢) نفسه: ١٠١٠.

أو حرف ابتداء.

فالأنسب للآية هو المثبت في لفظ الوحي المبين، لا في لفظ عبد الله بن مسعود، وهو (حَتَّى  
جِينٍ) <sup>(١)</sup>.

### أَحَبُّ السُّورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وجدنا عبد الله بن مسعود ينالش شديداً في إنكار أن تكون المعوذتان من القرآن، ويكتفّر من يقول إنّما منه! بل وينكر سُوراً أخرى؛ فإنّ رسول الله ﷺ يؤكّد على عظمّة المعوذتين، حتّى أنه لما سُئل عن سُورٍ أخرى، صرف الكلام إلى المعوذتين وبين حبه لهما، وكأنّه ﷺ قد أُنبأ بما سيكون من بعض الصحابة من العدوان على القرآن، فكما حصن السنة، كذلك حصن القرآن الذي تكفل الله تعالى أن تتمدّ إليه يدُ عابث في التحدّي البلاغي، إلاّ أَكْمَ قدموا وأخروا في سوره - كما سنرى - وكذبوا في إنكار سور، وأدخلوا كلماتٍ في مصاحفهم ذهبت مع ذهابهم وحفظ الله تعالى كتابه، وهو العزيز القدير.

ابن شبة: حدّثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن قيس، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٍ لَمْ تَرَ مِثْلَهُنَّ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) إِلَى آخر السورة، و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) <sup>(٢)</sup> إِلَى آخر السورة.

وأخرج بسنـٍ آخر عن أبي عمران عن عقبة بن عامر، قال: تعلّقتُ بقدمٍ

(١) يوسف: ٣٥.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠١١.

رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرّني سورة هود، وسورة يوسف. فقال: يا عقبة إبك لَنْ تقرأ سورةً هي أحبُ إلى الله وأبلغ عنده من (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) <sup>(١)</sup>.

قال: حدثنا أحمد بن عيسى قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرنا خيرٌ بإسناده؛ مثله - أي مثل الذي قبله - قال: وكان أبو عمران لا يتركها: لا يزال يقرأها في صلاة المغرب <sup>(٢)</sup>.

وبسنٍ آخر عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ :

«أعلمك يا عقبة سوريتين من خير سورتين قرأ بهما الناس. قال: فاقرأ: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فلما أقيمت الصلاة تقدم فقرأ بهما، فلما سلم مرت بي فقال: كيف رأيت يا علقة، اقرأ بهما كلّما نمْتَ وَقُمْتَ <sup>(٣)</sup>.

وبسنٍ عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال: ألا أعلمك سورةً ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلهن؟ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) <sup>(٤)</sup>.

وبسنٍ عن ابن عباس الجهي، قال: قال لي النبي ﷺ : يا ابن عباس ألا أدلّك ما أفضل ما يتغَوَّذُ به المتعَوِّذون؟» قال: بلّ يا رسول الله. قال: (قُلْ أَعُوذُ

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: ١٠١٢ .

(٤) نفسه: ١٠١٣ - ١٠١٢ .

**بِرَبِّ الْفَلَقِ**) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ التَّايسِ) هاتين السورتين <sup>(٦)</sup>.

هذا هو شأن السُّور القرآنية وعظمتها، وكلّ ما في القرآن عظيم، فهو نظمٌ واحدٌ من لُدُن مصدر مهيمن عظيم واحد هو الله تعالى، تحدّى ببلاغة كله النّقلين كلّهم أن يأتوا بمثله، فعجزوا؛ فتحداهمُ أخرى أن يأتوا عشر سورٍ مفتريات، فبُهتوا، وأخيراً تحداهمُ أن يأتوا بسُورة واحدة من مثله: سواء من مثل سورة الإخلاص (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، أو سورة الفلق (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) أو سورة الناس (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ التَّايسِ)؛ وهي وغيرها سورٌ حذفها عبد الله بن مسعود من مصحفه وحرّم على من يجعل المعوذتين من القرآن، كما مرّ ذكره.

وبذا بطلت مقوله ترك الحديث لئلاً يشغل الناس عن القرآن بغيره، ولئلاً يدخل القرآن ما ليس منه ...، وهي أمور تحمس لها عمر، وعقب عليها جماعة فصاروا أشدّ حماساً منهم: عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وجماعة نذكّرهم. وأمّا معاوية! فقد وجد في سياسة من سلفه فرصة لأن يطلب بشارات الجahiliyah وأيام بدر وأحد وحنين وغيرها.

وإذا أُعجلتنا المواقف للكلام بشأن عبد الله بن مسعود، وبخاصة بشأن القراءة، فبماذا يُجيئنا ابن أم عبد عن قوله:

«أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنِّي أَنَا الرِّزْقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّينِ) [الذاريات: ٥٨]. فهل هذه قراءة هذيل لتكون محل نقاش وحوار؟ مع رفض التعدد في القراءة وبخاصة الشاذة كما مرّ. فكيف بنا وابن مسعود قد غير نصَّ ثلاثِ كلماتٍ من

---

(١) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠١٣.

الآية؟!

وهذا هو نصّها في المصحف المتداول بين المسلمين: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

(١)، (٢).

ويعرض طریقنا في البحث: أكان ابن مسعود معدوراً...؟!

والجواب: لا! والدليل عليه تقييع عمر الشديد له وقد مرّ بنا، وكان ذلك في اللهجة. وهنا فقد تحرّأً فغيّر ثلاث كلمات في آية واحدة وليس ثمة أثر لللهجة في ذلك، وإنما كان عامداً! فإنّ الذي يحذف سوراً كاملةً ويكتّر من يقرأها، جدير به أن يغيّر في آية، بل آيات. وإن نظرته الاستعلائية لنفسه على حساب الصحابة، وثاره من زيد بن ثابت لما أوكلت إليه مهمّة نسخ المصحف عوضاً عن بن مسعود أثارت الثاني، فجعلته يصرّح بأنه عَلَى في المصحف، ودعا الآخرين أن يغلو؟!

### ثورة ابن مسعود على زيد

عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله: أنّ ابن مسعود كره أن ولّي زيد نسخ كتاب المصاحف، وقال: أي مَعْشر المسلمين أَعْزَل عن نسخ كتاب المصحف فِيؤْلَاهَا رَجُلٌ، والله لقد أسلمتُ وإنه لفسي صُلْبٌ رجلٌ كافر! وعند ذلك قال عبد الله: يا أهل العراق عَلَّوا المصاحف والقوا الله بما ...، وإيني غالٌ مصحفي،

(١) الذاريات: ٥٨.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٢: ٢٥٥ / ٢٩١٩ ولم يصحّحه، ولم يذكره الذهبي في التلخيص.

فَمَنْ أَسْتَطَعَ أَنْ يَعْلَمْ مَصْحَفَهُ فَلِيَفْعُلْ<sup>(١)</sup>.

صحابي! تُؤخذ منه وظيفة نسخ المصحف وتوكيل إلى آخر؛ فتحمله سُورة غضبه أن يكلّم جمهور المسلمين عن هذه المصيبة العظمى مذكراً بسابقته إلى الإسلام، فيما زيد ما زال في صلب أبيه الكافر!! متغافلاً عن «الإسلام يحب ما كان قبله» وابن مسعود نفسه لم يكن مسلماً ثم هداه الله تعالى فدخل الإسلام.

وإذا حمله انفعاله النفسيّ أن يشنّ حرباً كلامية على زيد بن ثابت فكيف ساغ له أن يدعو إلى الغلّ في المصحف، والغلّ الخيانة في كل شيء.

«وبَسْنِدٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَلَغْنِي أَنَّهُ قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: مَا لَكَ لَا تَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ فَلَان؟ فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعِينَ سُورَةً فَقَالَ لِي لَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِنَّ الَّذِي يَسْأَلُونَ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى قِرَاءَتِهِ فِي صَلْبٍ رَجُلٌ كَافِرٌ<sup>(٢)</sup>.

الْحِمَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، قَالَ: قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ: أَلَا تَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ زَيْدٍ؟ قَالَ: مَا لِي وَلِرِيدٍ وَلِقِرَاءَةِ زَيْدٍ؛ لَقَدْ أَحْذَثْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعِينَ سُورَةً، وَإِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابَتَ لَيَهُودِيٌّ لَهُ ذَوَابَاتٌ<sup>(٣)</sup>.

إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، كَانَ يُرَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ؛ وَلَا نَدْرِي

(١) تاريخ المدينة المنورة: ٣: ١٠٠٥.

(٢) تاريخ المدينة المنورة: ٣: ١٠٠٦.

(٣) نفسه: ١٠٠٨. وانظر مستند أحمد ١: ٤١١، ٣٨٩: ٣٧٣، الاستيعاب ١: ٤٥، شرح نفح البالغة ٣: ٤٥ (من غير لفظ يهودي).

لعلَّ مَرْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ بِأَنْ يَأْخُذُوا الْقُرْآنَ بِقِرَاءَةِ أَبِي أَمْ عَبْدٍ - أَبِي ابْنِ مسعودِ -؟!

بسنِدٍ عن شقيقِ بنِ وائلٍ قال: لما شَقَّ عثمانُ المصاحفَ بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مسعودٍ فَقَالَ: قد عَلِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مَنِّي تُبَلَّغُنِيهِ إِلَيْهِ لَأَتَيْهُ<sup>(١)</sup>.

هذه نظرة ابن مسعود الاستعلائية لنفسه، وتلك نظرته التحقيقية لزيد. وقد علمنا من حال ابن مسعود ومصحفه ما لا حاجة لإعادة ذكره. كما ذكرنا حديث العلول، ونذكره هنا بصورة أخرى: بسنِدٍ عن حُمَيرِ بْنِ مَالِكٍ، قال: لما أُمِرَّ بِالْمَسَاحَفِ أَنْ تَعَيَّرَ سَاءَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مسعودٍ فَقَالَ: مَنْ أَسْتَطَعَ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ مَسْحَفًا فَلَيَفْعُلْ؛ فَإِنْ مَنْ غَلَّ شَيْئًا جَاءَ بِهَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ سَبْعَيْنَ سُورَةً، وَزَيْدٌ صَبِّيَّ، أَفَأَتَرَكُّ مَا أَخْذَتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup>؟

عجبَ ثُمَّ عجبَ لابن مسعود وهو يروي هذا الكلام! وقد غلَّ في مصحفه فكتب بهجة هذيل وليس بلفظ الوحي، وغيره ثلاث كلمات في آية واحدة - مرّ بنا - وحذف من مصحفه سورةً كاملةً!!

وبسنِدٍ عن توبَةِ بْنِ أَبِي فَاخْتَةَ، عن أَبِيهِ قَالَ كَبَعْثَ عَثْمَانَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَدْفَعَ الْمَسَاحَفَ إِلَيْهِ. قَالَ: وَمِمْ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ كَتَبَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفِ زَيْدٍ. قَالَ: أَمَا

(١) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠٠٧.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠٠٦.

أن أُعطيَه المصحف فلن أُعطيَكُمُوه؛ ومن استطاع أن يُعْلِّم شيئاً فليفعل، والله لقد قرأْتُ من في رسول الله صلى الله عليه (وآله) سبعين سورة، وإن زيداً لذو ذؤابين يلعب بالمدينة <sup>(٦)</sup>.

إن صدق ابن مسعود فيما أَدْعَاه، أَفْلَم يَكُن حَرِيًّا بِهِ أَن يُعْطِيهِمُوهُ الْمُصَحَّفُ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْ فِي رسول الله ﷺ ليطابقوه مع ما عندهم من مصحف، أم أَن روح الأنانية استحوذت عليه؛ أم روح الاستعلاء التي أشرنا إليها منه قبل، أم النقصان والتلاعُبُ بِالْفَاظِ الْقُرْآنِ جعلته في خشية من أن يطاله الحساب؟! وهو مع ذلك يَتَّهِمُ الآخرين بالغُلَّ؟!

فإِذَا أَعْرَضْنَا عَنِ الْحَدِيثِ، وَأَخْذَنَا بِالْقُرْءَاتِ الشَّادَّةِ الَّتِي سِنْذَكَرُ بَعْضًاً آخِرَ مِنْهَا، وَقَرَأْنَا الْآيَاتِ مَعَ إِدْخَالِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَتَبْدِيلِهِ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ وَوَقْفَنَا مَعَ الْمُشَكِّكِينَ الْقَائِلِينَ بِسَقْطِ الْكَثِيرِ مِنْهُ - معاذَ اللَّهِ! -؛ ترکنا إسلامنا الأصيل كما ترك اليهود والنصارى دياناتهم بسبب تحريف كتبهم، ولكنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمِنَ حفظ كتابه العزيز، فحمله رجالُ أُمَّةٍ وطبقةٍ من النساء لم يكنَ بِمَنأٍ عن النبي ﷺ ولم يشغلهنَّ عالم السياسة عن حفظ القرآن وحمله كما سمعنهنَّ من في رسول الله ﷺ بِلِفَظِ الْوَحْيِ الْمَبِينِ!

أَبِي بن كعب

وقد ذكرنا خبره وهو يقرأ الآية «٢٦» من سورة «الفتح»، فزاد فيها سبع

---

(١) نفسه: ١٠٠٦ - ١٠٠٥.

كلماتٍ، فلماً بلغ عمر بن الخطاب، بعث إليه ودعا ناساً فيهم زيد بن ثابت، فقرأ زيد سورة الفتح، فغضب عمر ...، وانتهى الأمر بموافقة عمر لأبي بقوله: بل أقرب الناس!

وأخرج الحاكم بسنده عن أبي بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة! وكان فيها: الشيخ والشيخة إذا زينا فارجموهما البتة <sup>(١)</sup>.

إنّ عدد آيات سورة الأحزاب «٧٣» آية، وأمّا عدد آيات سورة البقرة فهو «٢٨٦» آية، فيكون الساقط - معاذ الله أن يخرب فتقول هذا القول - بحسب رواية أبي، هو «٢١٣» آية؟! ولعله مكذوب عليه لأغراض سياسية! فهلا سُئل عن تلك الآيات لإثباتها والتعبد بتلاوتها؟! وأين غاب بقية الصحابة وفي طليعتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الذي هو مع القرآن والقرآن معه، كان يرى الوحي ويسمع كلامه ...

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: قرأت على أبي بن كعب «ولا تقبل منها شفاعة» بالباء، في تقبل <sup>(٢)</sup>. والذي في المصحف (ولَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً) <sup>(٣)</sup>، بالياء. أخرج ابن شبة في سنده عن الليث بن سعد في حبر جمع عثمان القرآن على قراءة واحدة، قال: وكان حين جمع القرآن جعل زيد بن ثابت، وأبي بن

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٥٠ / ٣٥٥٤. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح. التلخيص.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٥٤ / ٢٩١٦.

(٣) البقرة: ٤٨.

كعب يكتبان القرآن، وجعل معهم سعيد بن العاص يقيِّمُ عَرَبَيْهِ. فقال أَبِي: التَّابُوهُ، وقال سعيد بن العاص: إِنَّمَا هو التَّابُوتُ. فقال عثمان: اكتبوه كما قال سعيد، فكتبوا التَّابُوتُ<sup>(١)</sup>.

وقال ابن شهاب الزهري: اختلفوا يومئذ في التَّابُوت، فقال زيد: التَّابُوهُ، وقال ابن الزبير وسعيد وعبدالرحمن: التَّابُوت، فرفعوا اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التَّابُوت فإنه بلسان قريش<sup>(٢)</sup>.

وترد لفظة التَّابُوت في موضعين من القرآن الكريم: سورة البقرة، آية ٢٤٨؛ وسورة طه، آية

.٣٩

إِنَّ زِيدَ بْنَ ثَابِتَ الَّذِي عَوَّلُوا عَلَيْهِ كَثِيرًا فِي كِتَابَةِ وَنَسْخِ الْمَصْحَفِ، وَاحْتَقَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْعُودٍ  
بِالنَّعُوتِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا، وَجَدَنَاهُ يَكْتُبُ التَّابُوتَ - بَتَاءً طَوِيلَةً مَنْقُوتَةً -، يَكْتُبُهَا: التَّابُوهُ - بِالْمَاءِ  
غَيْرِ المَنْقُوتَةِ - وَزَعَمَ زيدٌ فَقَدَانَ آيَةً وَذَلِكَ لِمَا جَمَعَ الْمَصْحَفَ:

عن عمارة بن غزية، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد، عن زيد بن ثابت، قال: عرضتُ  
المصحف فلم أجده فيه هذه الآية (**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**)<sup>(٣)</sup> الآية،  
قال: فاستعرضتُ المهاجرين أسلالم عنها فلم أجدها مع أحد، ثم استعرضتُ الأنصار أسلالم عنها  
فلم أجدها مع أحد، حتى وجدناها مع

(١) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠٠٢.

(٢) نفسه ١٠٠١.

(٣) الأحزاب ك ٢٣

خزيمة بن ثابت الأنباري فكتبتها، ثم عرضته مرتّة أخرى فلم أجد فيه هاتين الآيتين (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ) الآية - إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>. قال: فاستعرضت المهاجرين وأسئلهم عنهم فلم أجد هما مع أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار وأسئلهم عنهم فلم أجد هما مع أحد منهم، حتى وجدت هما مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضاً من الأنصار فأثبتهما في آخر (براءة). قال زيد: ولو ثُقِّلت ثلاث آيات لجعلتها سورة واحدة، ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيئاً.

فأرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وجعل لها عهداً الله ليُرِدَّها إليها، فأعطته إياها، فعرضت الصحف عليها فلم تختلفا في شيء فرددتُها إليه وطابت نفسه، فأمر الناس أن يكتبوا المصاحف<sup>(٢)</sup>.

ابن شهاب الزهري، من المعدودين في المنحرفين عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . وزيد بن ثابت عثماني. وابن شبة غير راضي بل ولا شيعي الموى، وقد أثبت الرواية في كتابه. وهو ليس متأنّحاً (١٧٣ - ٢٦٢ هـ)، بصريّ.

أقول: هذا كلامهم في القرآن، يكتبوه بلهجاتٍ مبانيةٍ للفظ الوحي الفصيح البليغ؛ فيكفر بعضهم بعضاً للتعدد اللهجات، ويضيّعون إليه ما ليس منه كلاماً ركيكاً، ويزعمون ضياع الكثير منه واندرس؛ ومنه ما ضاع ولكن بعد طوافٍ طويل بين المهاجرين فلم يجده عندهم، ثم بين الأنصار حتى وجده عند أحدهم

(١) التوبة: ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) تاريخ المدينة المنورة: ٣: ١٠٠١ - ١٠٠٢ .

والسؤال: صحابة في الصدر الأول لا يعرفون كتابهم ولكن يحفظون أنسابهم؟!

إِنَّمَا أَنْ تَكُونُ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ مَكْذُوبَةً فَنَطَرَحُهَا! إِنَّمَا أَنْ تَكُونُ صَادِقَةً وَقَدْ بَلَغَتْ عِنْدَ حَدٍّ التَّوَاتِرِ، فَكَيْفَ نَظَمَنَّ إِلَى رَوَايَاتِكُمْ وَبَعْلَهَا مِنَ الْمُسْلِمَاتِ وَبِخَاصَّةِ تِلْكَ الْمُتَعَلِّقَةِ بِجَهْدِ أَهْمَ رَكْنِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ النَّبُوَّةُ الَّتِي يَأْتِي بَعْدَ التَّوْحِيدِ، وَلَوْلَا مَا عَرَفَنَا اللَّهُ تَعَالَى حَقًّا مَعْرِفَتَهُ، وَلَا إِيمَانَ

بِالنَّبِيِّ ﷺ بِالنَّطْقِ بِالشَّهَادَةِ فَقْطَ وَإِنَّمَا حَمْلُ وَبَثِّ وَتَقيِيدِ أَحَادِيثِهِ ﷺ .

وَكَمَا عَدَا أُولَئِكَ النَّفَرَ عَلَى السَّنَةِ بِالْحَجَّةِ الَّتِي أَشْرَنَا إِلَيْهَا؛ فَقَدْ عَدُوا عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّوَاهِدِ الَّتِي ذَكَرْنَا هَا مَمَّا يَعْنِي صَدْقَ دُعَوَانَا فِيمَا خَلَصْنَا إِلَيْهِ مِنْ نَتْيَاجَةٍ: الْعَمَدُ إِلَى طَمْسِ مَعَالِمِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ وَمَا لَهَا مِنْ حَقُوقٍ سِيَاسِيَّةٍ.

قَلْنَا: إِنَّ النَّاسَ كَانُوكُفَّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِسَبَبِ الْقِرَاءَاتِ، حَتَّى جَمْعُ عُثْمَانَ النَّاسَ عَلَى مَصْحَفٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ أَسَاءَ الْأَدْبُرَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - كَمَا سَنُعرَضُ لَهُ -

عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: اجْتَمَعَ لِغَزْوَةِ أَرْمِينِيَّةِ وَأَذْرِيَّحَانَ أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ الْعَرَاقِ وَكَانَ مَعَهُمْ حُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ فَقَرِعُوا مِنْ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى! فَأَرْسَلَ عُثْمَانَ إِلَى حَفْصَةَ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا الصَّحَافَ تَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحَفِ ثُمَّ نَرَدَّهَا إِلَيْكُمْ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ عُثْمَانَ زَيْدَ بْنَ ثَابَتَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الرَّبِيعِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَانِ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ هَشَامَ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحَفِ. وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهَطِ الْقَرْشَيْنِ الْثَّالِثَةِ:

إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم، ففعلوا ذلك، حتى إذا نسخ المصحف رد عثمانُ الصحفَ إلى حفصة وأرسل إلى كلّ أُفقي بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفٍ أو مصحفٍ أن يحرق <sup>(٦)</sup>.

نتوقف قليلاً مع الرواية: فقد قلنا إن الناس يكفر بعضهم بعضاً بسبب القراءات، وكان أولئك النّفّر وفي طليعتهم عبد الله بن مسعود، الذي أحسن عمر تأديبه! فامتنع من الحديث ومن ثم صار أشدّهم منعاً للحديث؛ فاستحق تلك الرواية، بالأأخذ بقراءته! حتى وإن غير وبدل في الفاظ الآيات وأنكر سوراً كاملاً؛ فأناس متزمتون بقراءاته وآخرون بقراءة غيره، فيكفر بعضهم بعضاً باختلاف القراءات.

والمسألة الأخرى: إن عثمان قد جمع الناس على مصحفٍ واحد، ولكنّه أساء الأدب كما قلنا من قبل وذلك من خلال حرقة المصاحف!! فهلا جمعها فجعلها في خزانة في مكان أمن؟!! وكما أن العدوان على سنة رسول الله ﷺ والاستهانة بها بعد ما بلغهم توكيده ﷺ بما يقطع معاذيرهم؛ فهو عدوان على شخصه الكريم!، فكذلك الحال بالنسبة إلى القرآن الكريم، لا يجوز هتك حرمته بأيّ لونٍ: بالمحو، أو الدفن، أو الحرق؛ تلك الأساليب التي مورست مع سنة المؤرس <sup>عليهم السلام</sup> ، فاختار عثمان أبغضها وهي:

«الحرق» إذ لو دُفِت - مع اعتراضنا الشديد على هذا الفعل المنكر - <sup>ربما</sup>

---

(٦) تاريخ المدينة المنورة ٣: ٩٩٢ - ٩٩١. وانظر فتح الباري ٩: ١٧، سنن البيهقي ٢: ٤١.

تُخرج بعد ذلك سالمٌ ...

أَمَا الَّذِي حَدَثَ لِلْقَرْآنِ الْعَظِيمِ، فَأَمْرٌ مَهْوَلٌ تَكَادُ السَّمَاوَاتِ يَنْفَرَطُنَ - بِالنُّونِ - وَلَيْسَ بِالْتَاءِ،  
إِذْ هَذِهِ لَهَا قِرَاءَةٌ بِالْتَاءِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ! - لِلَّذِي كَانَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ حِرَقِ الْعَرَاقِ، وَيَأْتِي بِلِفْظِ تَمْرِيقِهِ  
...! وَفِي كُلِّ سُوءِ أَدْبٍ، وَجَاهِلِيَّةٍ، وَمَرْوِقٍ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتْهُ.

«وَبِسْنَلٍ عَالٍ» عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابَتٍ، أَنَّ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدَمَ مِنْ غَزْوَةِ غَزَّاها بِفَرْجِ  
أَرْمِينِيَّةٍ فَحَضَرَهَا أَهْلُ الْعَرَاقِ وَأَهْلُ الشَّامِ، فَإِذَا أَهْلُ الْعَرَاقِ يَقْرُؤُونَ بِقِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ  
وَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الشَّامِ؛ وَيَقْرُأُ أَهْلُ الشَّامَ بِقِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلَ  
الْعَرَاقِ. قَالَ: فَأَمْرِي عُثْمَانَ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ مَصْحَفًا فَكَبَّثُهُ. فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْهُ عَرَضَهُ <sup>(١)</sup>.

هذا حَالُ الْمُسْلِمِينَ فِي صُدُورِ الْإِسْلَامِ وَهُمْ قَرِيبُوا عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَفَّرُ أَحَدُهُمُ الْآخَرُ بِسَبَبِ  
الْقِرَاءَةِ لِمَا أَشَاعَتْهُ السِّيَاسَةُ الْمَانِعَةُ مِنَ الْحَدِيثِ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى بِالْأَخْذِ بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ،  
وَأَشَاعَ آخَرُونَ أَنَّ أُبَيًّا هُوَ سَيِّدُ الْقِرَاءَ - سَتَعْرِفُ - ؟ وَلَذَا تَمَسَّكَ أَهْلُ الْعَرَاقِ بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ  
وَكَلَّمَا سَمِعُوا شَيْئًا غَيْرَهُ فَهُوَ جَدِيدٌ عَلَيْهِمْ وَظَنُّوهُ كُفَّارًا وَخَرْوَجًا عَلَى الْقُرْآنِ؛ وَكَذَا حَالُ أَهْلِ الشَّامِ.  
وَلَكِنَّ لَمْ هَذَا التَّعْمِيمُ؟! وَأَيْنَ الطَّبَقَةُ السَّابِقَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَسْبَقَهَا عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ  
غَيْرِ خَلَافٍ وَالَّذِي كَانَ يَهْتَفُ وَيَمْدُّ بِهَا صَوْتَهُ: أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَفَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ صَلَّيَتْ مَعَهُ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِعْيَ سَنَوَاتٍ وَلَمْ يَصِلْ مَعَنَّا

(١) تاريخ المدينة المنورة ٣: ٩٩٣، فتح الباري ٩: ١٤ - ١٥، الجامع للأصول ٤: ٣٣.

أحد». هلا رجع عثمان إليه فاستشاره ماذا يفعل بالصحف، مثلما كان يستشيره أبوبكر، وعمر في أمورهم المهمة مثل الحروب؟! ويقتدي بفعل رسول الله ﷺ إذ ائمن أمير المؤمنين علياً عليه السلام على وداع قريش التي كانت عنده حينما هاجر وأمر علياً عليه السلام بالبيت على فراشه؟! أو جعلها عنده أمانة إلى حين ...؟!

### عثمان يُشَقِّقُ المصاحف

عن سوار بن شبيب قال: دخلت على ابن الزبير في نفر فسألته عن عثمان ابن عفان، لم شقق المصاحف، ولم حمى الحمى؟ فقال: قوموا حرورية<sup>(١)</sup>، قلنا: لا والله ما نحن حرورية. قال: قام إلى أمير المؤمنين عمر رجل فيه كذبٌ وولع، فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس قد اختلفوا في القراءة، فكان عمر قد همَّ أن يجمع المصاحف فيجعلها على قراءة واحدة، فطعن طعنَتْه التي مات منها. فلما كان في خلافة عثمان قام ذلك الرجل فذكر له، فجمع عثمان المصاحف، ثم بعثني إلى عائشة فجئت بالصحف التي كتب فيها رسول الله ﷺ القرآن فعرضناها حتى قومناها، ثم أمر بسائرها فشققت<sup>(٢)</sup>.

إن تشقيق المصاحف وحرقه سواء، فهما عدوان على القرآن الكريم ومتلك حرمتها و فعله هذا من الكبائر!

(١) الحرورية: طائفة من الخوارج تُنسب إلى حروراء بقرب الكوفة فقد كان اجتماعهم بما لأول مرة للتحكيم حين خالفوأمير المؤمنين علياً عليه السلام وتشددوا في أمرهم ... (الوسط للمجمع اللغوي).

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣: ٩٩١.

## اختلاف وزيادة ونقصان!

حدّثنا عبد الأعلى بن الحكم الكلابي، قال: أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري فوق إجّار<sup>(١)</sup> فقلت: هؤلاء والله الذين أُريد، فأخذت أرتقي لهم حتى جلست إليهم فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان فأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه.

فقال أبو موسى: ما وجدتم في مصحفني هذا من زيادة فلا تنتصوها، وما وجدتم من نقصان فاكتبوا فيه! فقال حذيفة: فكيف بما صنعنا والله ما أحدٌ من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ. يعني ابن مسعود، ولا أحدٌ من أهل اليمَن يرغب عن قراءة هذا الآخر، يعني أبي موسى. وكان حذيفة هو الذي أشار على عثمان أن يجمع المصاحف على مصحفٍ واحدٍ<sup>(٢)</sup>.

يعتمدُهم عثمان في كتابة المصحف، فإذا أحدُهم يُصرّ على مصحفه زيادةً ونقصاً!! وحذيفة الذي أشار على عثمان بفكرة جمع المصاحف على مصحفٍ واحدٍ، غدا في حيرةٍ من أمره، فالناس في كُلِّ بلد متمسكون بقراءة شيخهم وهو مختلف عن الآخر؟! عن أبي محمد القرشي: أن عثمان بن عفان كتب إلى الأمصار: أما بعد، فإن نفراً من أهل الأمصار اجتمعوا عندي فتدارسو القرآن، فاختلقو اختلافاً شديداً؛ فقال بعضهم قرأْتُ على أبي الدرداء، وقال بعضُهم قرأْتُ على حرف عبد الله بن

---

(١) الإجّار: والأجّار، السطح الذي لا سترة عليه. (اللسان)

(٢) نفسه .٩٩٩

مسعود، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن قيس - أي أبو موسى الأشعري - ، فلما سمعت اختلافهم في القرآن - والعهد برسول الله ﷺ حدث - ورأيت أمراً منكراً، فأشفق على هذه الأمة من اختلافهم في القرآن، وخشيت أن يختلفوا في دينهم بعد ذهاب من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قرأوا القرآن في عهده وسمعواه من فيه، كما اختلف التنصاري في الإنجيل بعد ذهاب عيسى ابن مريم، وأحببته أن ندارك من ذلك؛ فأرسلت إلى عائشة أن ترسل إلى بالأدم الذي فيه القرآن الذي كتب عن فم رسول الله ﷺ حين أُوحِيَ اللَّهُ إِلَى جَرِيلَ، وأوْحَاهُ جَرِيلَ إِلَى مُحَمَّدَ، وَأَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَإِذَا الْقُرْآنُ غَضٌّ، فَأَمْرَتْ زَيْدَ ابْنَ ثَبَّاتَ أَنْ يَقُومَ عَلَى ذَلِكَ...، وَكَانَ زَيْدَ بْنَ ثَبَّاتَ أَحْفَظَنَا لِلْقُرْآنِ، ثُمَّ دَعَوْتُ نَفْرًا مِنْ كِتَابِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَذُوِّيْ عَوْلَمِهِمْ، مِنْهُمْ نَافِعُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْخَزَاعِيِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنِ أَبِي لُبَابَةٍ، فَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يَنْسخُوا مِنْ ذَلِكَ الْأَدَمَ أَرْبَعَةَ مَصَاحِفَ وَأَنْ يَتَحَفَّظُو<sup>(١)</sup>.

هنا خرج عثمان على التعريف بأحفظ الصحابة عن قول عمر الذي كان يدعو إلى عبد الله بن مسعود، والذي بدوره لم يكن يرى في الصحابة من هو أعلم بالقرآن مطلقاً، فكان مصحفه محتوياً على قراءات مغایرة لقراءة الوحي، وأياتٍ بدلت في كلماتها، ونافقاً سورةً كاملاً... . وأماماً زيد الذي عرّفه عثمان بأنه أحفظ الصحابة وأوكل إليه كتابة المصحف، فصحّف كتابة «التابوت» وكتبها «التابوه» حتى اشتدا عليه عثمان فكتبتها «التابوت».

---

(١) تاريخ المدينة المنورة :٣ ٩٩٧ - ٩٩٨ .

وقد آيات راح يجول بين المهاجرين والأنصار حتى أصاها أخيراً مع رجل من الأنصار. فلا ندري كيف نوفق بين ما روی عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذِ القرآنَ غَصّاً كَمَا أَنْزَلَ فَلِيأْخُذْهُ مَنْ فِي ابن مسعود»، وبين نسخ زيد في رجال ليس فيهم ابن مسعود للمصحف الذي أوحاه الله تعالى إلى جبريل فأوحاه جبريل إلى رسول الله ﷺ وإذ القرآن غض «لَمْ تَدْخُلْهُ قِرَاءَةُ هُدَيْلٍ وَلَا زِيَادَةُ أَبِي مُوسَى أَوْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةُ ابْنِ مُسْعُودٍ وَلَا حَذْفَهُ لِسُورٍ وَلَا قِرَاءَةَ التَّابُوهِ».

### ترتيب عثمان لسور القرآن

عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من الثاني، وإلى براءة وهي من السبع - في المستدرك من المئين - فقررتم بينهما ولم تكتبا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّورُ ذَاتُ الْعَدْدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ قَالَ: ضَعُوا هُؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَّلِ مَا أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بِرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ قِصْطُهَا شَبِيهًَ بِقِصْطِهَا، وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا، وَظَنَنَّ أَكْثَارُهُمْ مِنْهَا؛ فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ قَرَأَتْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ سطراً «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ

الطّوّال<sup>(٦)</sup>.

هل هذا من قبيل القياس المذموم في الرواية في الحديث؟! سورة مكية من أوائل القرآن، تقرن بسورة مدنية من آخر القرآن وليس من دليل يهتدون به لهذا النظم إلا زعمهم أن النبي ﷺ قد قُبض ولم يُبَيِّنَ، أي يوضح لهم أين تكون هذه السورة أو تلك ...؟! أي ذريعة هذه؟ هلا رجع عثمان إلى كبار الصحابة وعظيمهم أمير المؤمنين هارون الأمة على عائلاً؟ ومتي كان جمع المصحف خاصعاً لزاج الرجال فيضمون السورة إلى ما يشبهها - كذا - بحذف البسمة من أول السورة الثانية؛ فمن أعطاهم هذه الصلاحية في التصرف؟! كلّ هذا لو أحسنا الظن بالرجل وصدقنا دعواه! وإنّ كيف يتترك رسول الله ﷺ كتاب الله العزيز وقد ائتمنه عليه فكان إذا نزلت الآية قال ضعوها في السورة كذا وهكذا ولم يقْبض إلا القرآن موعظ عند طبقة واسعة مؤمنة مجاهدة من أجله صالحة لا تفرط به.

وسنجد في سيرةبني أمية تشدداً على الحديث وغلظة على من ذكر شيئاً من فضائل وسيرة أهل البيت عائلاً، وإساءة إلى القرآن الكريم تأسياً بشيخهم عثمان.

عن شعبة، عن يعلى بن عطاء قال: سمعته يقول: سمعت القاسم بن ربيعة يقول: سمعت سعداً - بن أبي وقاص - يقرأ (ما ننسخ من آية أو ننساها) [البقرة: ١٠٦] قال فقلت: إن سعيداً يقرأها أو تُنسِّها. قال: فقال: إن القرآن لم ينزل على

---

(٦) تاريخ المدينة المنورة: ٣: ١٠١٥ - ١٠١٦، المستدرك على الصحيحين: ٢: ٢٤١، ٢٨٧٥ / ٢٤١، التلخيص وقال: على شرط البخاري ومسلم.

المسىّب ولا على ابنته وحفظي أنّه قرأ (سُنْقِرْتَكَ فَلَا تَنْسَى) [الأعلى: ٦] (وَادْجُرْ رَبَّكَ إِذَا  
تَسِيت) [الكهف: ٢٤].

ذكره الحاكم <sup>(١)</sup>.

العجب من سعد وهو صحابي يقرأها بما يوجب الكفر! ذلك أنّ قراءته توجب النسيان لله  
جلّ وعلا. فإذا ذُكر بالقراءة الصحيحة والتي تعني أنّ الله تعالى سنسخ أو ينسى ...، فهو فاعل  
سبحانه، غضب سعد وفحش على سعيد بن المسىّب وعلى أبي سعيد!!

وخلاصة القول: إن القرآن الصحيح هو القرآن الذي تركه رسول الله ﷺ مكتوباً مقيداً  
بلسان الوحي ويشهد له قوم شهد القرآن بعصمتهم في آية التطهير؛ وفي آية المباهلة، فكان القرآن  
الكريم مُعجزاً ببلاغته للتلقيين وحّى تقوم الساعة، وكانت تلك الوجوه الكريمة: عليّ، وفاطمة،  
والحسن، والحسين عليهما السلام معجزة رسول الله ﷺ يوم المباهلة، بهم غالب نصارى تحران وأئتها  
القرآن الكريم. فلهذا وغيره من الخصوصيات، فهم أعرف بالوحي إذ هم أهله، وقد صرّحوا بذلك  
كابراً عن كابر. ولقد كان أمير المؤمنين عليهما السلام يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني ...» وما قالها غيره  
إلاً افتُضح! وكان يصرّح بأنّه يعرف كلّ آية في القرآن، وسبب نزولها وفيمن نزلت، وفي ليل نزلت  
أم في نهار ...، وبعد هذا البيت الطاهر تأتي طبقة واسعة ممّن لم تُحْرَف ولم تُبَدَّل ومضت على  
عهد رسول الله ﷺ فتابعت أهل بيته ووفت ببيعته، فاستحقّت بذلك اسم الصحبة إذ الصحابي  
هو من عاش ومات

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٩٥٢ / ٢٦٤. قال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

ولم يُدَلِّل. هؤلاء حفظوا القرآن كما أنزل وقرأوه كما قرأه رسول الله ﷺ ولم يزعموا أن القرآن الكريم قد فقد منه كثير كما زعم أولئك! والله تعالى قال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)<sup>(١)</sup>، والقول قول الله تعالى لا قول أولئك. كما أن أهل البيت عaleyhiaa وَمَنْ تَبَعَهُمْ لَمْ يَدْلُوْ كَلَامَ اللَّهِ كَمَا فَعَلَ أَوْلَئِكَ. وأَخِيرًا لَمْ يَنْسِبُوا إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قِرَاءَاتٍ شَادَّةً وَمَغْلوْطَةً كَمَا فَعَلَ أَوْلَئِكَ!

### كذب على رسول الله ﷺ ، في القراءة

لم يقف القوم عند حدود ما ذكرنا، وإنما بلغت بهم الجرأة أن نسبوا إلى رسول الله ﷺ قراءات مكذوبة!

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ: (فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قَبْلِ عِدَّتِهِنَّ). وال الصحيح: (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) <sup>(٢)</sup>، <sup>(٣)</sup> الآية.

يونس بن بُكير، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ: «تَفْتَحْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) <sup>(٤)</sup>. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «مِنْ كُلِّ جَهَنَّمَ يَنْسِلُونَ» بِالْجَهَنَّمِ وَالثَّاءُ مُثْلُ قَوْلِهِ (مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى

(١) الحجر: ٩.

(٢) الطلاق: ١.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٧٥ / ٢٩٩٠، التلخيص.

(٤) الأنبياء: ٩٦.

**رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ** <sup>(١)</sup>، وهي القبور <sup>(٢)</sup>.

ولكّها في قراءة الوحي في الآية الأولى «حَدَّب» بالدال، وفي قراءته في الثانية بالشاء، فتّبع الوحي لا الرجال لثلاً نضل! إلهة قياس إذ لها نظير في آية أخرى فُعرض عن الوحي فنبّل ونقيس ...؟! والحمد لله أن ابن مسعود لم ينسب القراءة إلى رسول الله ﷺ، وكان موضع ذكر هذه فيما مضى فسهونا عنها «حتى حين!».

عن شهر، عن أسماء بنت زيد قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ: (يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) <sup>(٣)</sup> ولا يُالي.

إن كلامي «ولا يُالي»، ليست من الآية؟! وقد علق عليه الحاكم قائلاً: هذا حديث غريب عال ولم أذكر في كتابي هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد <sup>(٤)</sup>.

عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: سأّلت معاذ بن جبل عن قول الحواريين: (هَلْ يَسْتَطِعُ رَبَّكَ) <sup>(٥)</sup>، أو: هل تستطيع ربّك؟ فقال: أقرأني رسول الله ﷺ «هل تستطيع ربّك» بالتاء <sup>(٦)</sup>.

وعن هارون - قال عنه الذهبي «واه» وفي مكان آخر «هالك» عن ابن

(١) يس: ٥١.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٩٦٦ / ٢٦٨، التلخيص.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٧٢ / ٢٩٨٢.

(٥) المائدة: ١١٢.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٦٠ / ٢٩٣٥، التلخيص.

عَبَّاسٌ! أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحةً غَصْبًا) <sup>(١)</sup>.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

والآية فيها تغيير وزيادة، فحاشا ابن عباس أن يفترى على رسول الله ﷺ.

والآية: (وَكَانَ وَرَاءُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) <sup>(٢)</sup>. فكما ترى قد غيروا كلمة «وراءهم» إلى «أمامهم» وأضافوا إلى الآية كلمة «صالحة» ونسبوا ذلك إلى ابن عباس.

وعن حُصَيْنِ، عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عَبَّاسٍ قَالَ: لَا أَدْرِي، كَيْفَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَتِيًّا» أَوْ «جَهِيًّا» فِإِنَّمَا جَمِيعًا بِالضَّمِّ؟! <sup>(٣)</sup>

أن يكون الخبر صادر من أولئك الجماعة فيهون الخطاب! أما من مثل ابن عباس فبعيد! وإن كان على شرط الشيفيين! فالباعون شاسع بين اللفظتين في مخارج حروفهما أولاً، وثانياً: في المعاني التي تؤدي إليهما كلتا الكلمتين، فإن من معاني جثا: قال شيئاً يغضبه غيره، وأيضاً جلس بين يدي ...؛ وغير ذلك. وأما عتي: فطبعى وتمرد وخرج على الطاعة ...، وليس مثل ابن عباس الليبب النسابة الحاذق من ينسى كيف قرأ رسول الله ﷺ؟!

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٦٦ / ٩٥٩.

(٢) الكهف: ٧٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٦٧ / ٢٩٦٢. وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وفي التلخيص: على شرط البخاري.

وعن ابن سيرين، عن أنس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: (أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى) - بالباء - . وال الصحيح: (أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) <sup>(١)</sup> - بالياء - . وحاشا لرسول الله ﷺ أن يشتبه في القراءة!

### مروان يُشَقِّقُ القرآن

استَّ مروانُ بنُ الْحَكَمَ بِسْنَةِ عُثْمَانَ فِي عَدْوَانِهِ عَلَى الْقُرْآنِ. عَنْ أَبْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنْسُ قَالَ: مَا كَانَ مَرْوَانُ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ أَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ يَسِّعَهَا عَنِ الْمَصَاحِفِ لِيَمْزُقَهَا وَخَشِيَ أَنْ يُخَالِفَ الْكِتَابَ بَعْضُهُ بَعْضًاً، فَمَنْعَتْهَا إِيَّاهُ <sup>(٢)</sup>.

قال الزهري: فحدثني سالم قال: لما ثُوِّيَتْ حفصة أرسل مروان إلى ابن عمر بعزمٍ لِيُرِسلَنَّ بها، فساعَةً رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها ابن عمر، فشققها ومزقها مخافةً أن يكون في شيء من ذلك خلافٌ لما نَسَخَ عُثْمَانُ <sup>(٣)</sup>!

إشكالنا ليس على شخص مروان! فهو غَنِيٌّ عن الوصف. ولكن: كما قلنا في المُمهَد «عثمان بن عَفَّان» الأُموي في فعله الشنيع في هتك حرمة القرآن لكرمه تمزيقاً وحرقاً، والذريعة: مخافة أن يختلف الناس في القراءة. فما حجّة مروان وقد جمع سَلْفُه وشيخه الناس على مصحفٍ واحدٍ، وسبقه إلى فضيلة!

(١) الأنفال: ٦٧.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠٠٣، المصاحف، للسجستاني ٢٥.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ٣: ١٠٠٣ - ١٠٠٤.

حرق وتنزيق المصاحف.

وكان معاوية واحداً من انتهت إليه «الأريكة» ليحكم بالموى ويعطل السنة ويتجاوز أحكام القرآن الكريم، ومع ذلك فهو يلوذ باسم القرآن في تعطيل السنة الشريفة.

### معاوية يمنع الحديث

قال رجاء بن حيّة<sup>(١)</sup>: كان معاوية ينهى عن الحديث، يقول: لا تحدّثوا عن رسول الله ﷺ.

<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن عديّ، عن إسماعيل بن عبيد الله: أنّ معاوية نهى أن يُحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحديثٍ إلاّ حديث ذُكر على عهد عمر، فأقره عمر. إنّ عمر كان قد أخاف الناس في الحديث عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. ورواه ابن علية، عن رجاء بن أبي

(١) رجاء بن حيّة الكندي الشامي. روى عن جابر بن عبد الله، وخالد بن يزيد بن معاوية، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز، وأبي الدرداء ...  
روى عنه: هميد الطوبي، وأبو إسحاق السبئي، ومحمد بن عجلان، وقناة بن دعامة ... قال ابن سعد: كان ثقةً فاضلاً كثير العلم (طبقات ابن سعد ٧: ٤٥٤). وقال العجلاني: ثقة. (تاريخ أسماء الثقات ١٦٠ / ٤٣٩). وذكره ابن معين فقال: ثقة (تاريخ ابن معين ٢: ١٦٤).

توفي رجاء بن حيّة سنة اثنى عشرة ومائة (تاريخ خليفة ٣٤٣، وطبقاته ٣١٠ وطبقات ابن سعد).

(٢) الفقيه والمتفقه ١: ٧.

(٣) الكامل، لابن عديٍ ١: ٣٣ و ١: ١٨.

سلمة أَنَّهُ قَالَ: بِلْغَنِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ يَقُولُ ...<sup>(١)</sup>

وروى ابن عساكر: كان معاوية يقول على منبر دمشق: إِيَّاكُمْ وَالْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
**(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** إِلَّا حَدِيثًا ذُكِرَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عامر اليحصبي، قال: سمعت معاوية يقول: إِيَّاكُمْ وَالْأَحَادِيثُ، إِلَّا حَدِيثًا كَانَ  
فِي عَهْدِ عُمَرَ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُخْفِي النَّاسَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

وكتب يزيد بن معاوية إلى أبيه: أَنَّ جَبَيرَ بْنَ نُفَيْرَ<sup>(٤)</sup> قد نشر في مصر حديثاً، فقد تركوا  
القرآن.

بعث معاوية إلى جبير، فجاءه، فقرأ عليه كتاب يزيد، فعرف بعضه وأنكر بعضه. فقال  
معاوية: لَأَضْرِبَنَّكَ ضِرَبًا أَدْعُكَ مِنْ بَعْدِكَ نَكَالًا<sup>(٥)</sup>!

تركنا التعليق على الروايات الواردة عن معاوية في منعه الحديث عن

(١) حجية السنة ٤٦٧.

(٢) تاريخ دمشق ٣: ١٦٠.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٢٧.

(٤) قيل أسلم في حياة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولم يره وقد المدينة فأدرك أبا بكر (أسد الغابة ١: ٣٢٤ / ٧٠٠)، طبقات ابن سعد ٧: ٣٠٦ / ٣٨٠٧، تاريخ الثقات، للعجمي ٩٥ رقم ٢٠١، المعرفة والتاريخ ١: ٣٣٦ و ٣٢٨، مواضع أخرى، حلية الأولياء ٥: ١٣٣ - ١٣٨ رقم ٣١٥، سير أعلام النبلاء ٤: ٢٣ / ٧٦، شذرات الذهب ١: ٨٨، الواي بالوفيات ١١: ٥٩، تاريخ الإسلام ٥: ٣٨٢، الجرح والتعديل ٢: ٥١٢ رقم ٢١١٦، تاريخ خليفة ٢٨٠؛ وقد أجمعوا على توثيقه.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤: ٧٧، تاريخ الإسلام ٥: ٣٨٢.

رسول الله ﷺ ، فلفظها وعلتها واحدة مشتركة مع أسلافه! إلاّ أنّا لا نطيق قبل الرجوع لتحليل سبب الإصرار على المنع، دون أن نتكلّم عما جرى بين يزيد وجابر وأخيراً ذلك الوعيد الصارم والتهديد الواعد من معاوية جابر:

إنّ معاوية طليق ابن طليق ملعون هو وأبوه وأخوه يزيد بن أبي سفيان على لسان رسول الله ﷺ ، كما في حديث الراكب والسائق والقائد. ورسول الله ﷺ دعا إلى قتل معاوية إذا رأوه على منبره، وقد ذكرنا كلّ ذلك فيما مضى.

وأمّا الناقص «يزيد»، فلا يزيد على شرب الخمور والضرب بالطنبور ولماعبة الفهود والجمع بين الأختين وألوان الزندقة والفسق، وهو «أريكته» معارضًا شطر الإسلام الممثل بسنة رسول الله ﷺ ؛ ومتعلّلاً أنّ الناس قد «تركوا القرآن» وهي نفس مقوله القائل «يشتغلوا عن القرآن بغيره» أي بسنة رسول الله ﷺ .

ولما كان معاوية وابنه ليسا من أهل الإسلام، فلم يوجّه ابنه التوجيه الصحيح كأن يقول له: ادعو الناس وحثّهم على تعلّم القرآن وعلومه، وتعلّم سنن النبي ﷺ وحفظ أحاديثه لأنّها مفسترة للقرآن وفيها كثير مما ليس في كتاب الله المجيد.

إنّ «الملك!» المكترش، لم يعمل بجداً، وذهب بعيداً في طغيانه وقد غرّته «أريكته»، فتوعد حُبَّير بن ثُعَيْر بالضرب الموجع الذي يجعله عِرَةً لغيره فلا يقدم على فعله، ويحمله على الندم فلا يعيده ما فعل!!

ولا عجب هذا الكلام من مثل العاوية! فلقد دخل الإسلام بيتهم عام الفتح

وهم كارهون، وما حسن إسلامهم، فأبُو سفيان الذي قاد قريش في حروتها ضدّ الإسلام، وقد الأحزاب يهود أو مشركين ففشل ... ثمّ أدخل النبيُّ ﷺ الإسلام بيته كُرهاً؛ فإنَّ أبا سفيان يوم اليرموك إذا كانت الصَّوْلَة لِلْمُسْلِمِين شجعهم، وإذا كانت الصَّوْلَة لِلرُّوم قال: وبِهَا بَنِي الْأَصْفَر،  
يشجّعهم!

وتعاقبت الأحداث، فخرج القاسط معاوية بخارج الشام على سيد الوصيّين عليّ بن أبي طالب ظاهرًا، وقتل خيرة الصحابة والتبعين وسن سنته المقيدة في لعن عليٍّ ظاهرًا عقب كل صلاة مقابل سنة رسول الله ﷺ بأنَّ الصلاة لا تتم إلَّا بالصلاحة عليه وعلى أهل بيته!!

قد يُقال: إنَّ معاوية قد استَّنَّ بأسلافه في منع الحديث ونحن نوافقه على ذلك، إلَّا أنَّا ملزمين بالفحص عن السبب الذي لأجله شنَّ أولئك الغارة على الحديث، وإن كنَّا تحدَّثنا ملخصًا عن هذا الأمر الخطير وحسب ما اقتضي الكلام عن الأحاديث التي تمسَّك بها المانعون، وأيضاً عن الجبهة الرافضة للمنع والتي واصلت مسيرتها في كتابة السنة:

و قبل ذكر ذلك، نذكر بما مضى من تعليّهم بالخوف من اختلاط القرآن بغيره! وبذرعة أخرى هي الاكتفاء بالقرآن وعدم الاشتغال بغيره. وقد أبطلنا الذريعتين، فالقرآن معصوم قد تكفل الله تعالى بحفظه، وهو معجزٌ في لفظه لا يرقى إليه كلام بشر. هذا بشأن الاختلاط، وأماماً بشأن الاستغناء بالقرآن عن السنة فتكلّمنا عن ذلك بما فيه الكفاية، فالسنة شارحة للقرآن ومفسّرة لها ومفصّلة لما فيه من أحكام، بل في السنة ما ليس في القرآن الكريم، وإن إلغاء

السنة بأيّ صورة إلغاء للنبوة! ووخدنا فيما سبق أنّ الحديث قد دُونَ زمن رسول الله ﷺ، وأمر هو بتدوينه وتقييده.

ثمة مسألة: إنّ استمرار الخلاف في أمر التدوين، وعدم خضوع المُبيِّحين لإجراءات المنع، دليلٌ على أمرٍ:

١ - أنّ أحاديث النّيه عن التدوين، ليست صحيحةً؛ وإلاّ لم يكن أكثر الصحابة والتابعين على خلاف المنع، بل فيهم من قام بتدوين الحديث وجمعه في الصحف.

٢ - أنّ المنع، لم يكن شرعاً، بل كان رأياً ارتكاه المانعون، لأمورٍ خاصة ظهرت لهم، ولم يوافقهم عليها سائر الصحابة.

وإذا كان المنع على أساس ما يراه الصحابي مصلحةً، فإنّ للصحابي الآخرين حق الاعتراض عليه، فلا يكون ما يراه الصحابي حجّة على الصحابي الآخر، إلاّ إذا أقام له الدليل الشرعي المقنع، كما هو حال المجتهدين.

وبعد التأمل العميق في ما يناسب أن يكون مصلحة للمنع من قبل المانعين، علمنا أنّ المصلحة إنما كانت تدبيراً سياسياً من قبل الخلفاء وخاصةً في الصدر الأول بعد وفاة رسول الله ﷺ. ويُتّضح هذا مما أورده الخطيب البغدادي، بسنده عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، قال: جاء علقة بكتاب من مكة - أو اليمن - صحيفة فيها أحاديث، في أهل البيت - بيت النبي ﷺ -

فاستأذنا على عبد الله، فدخلنا عليه، قال: فدفعنا إليه الصحيفة.

قال: فدعا الجارية، ثم دعا بسطت فيها ماء.

فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن، انظر فيها، فإنّ فيها أحاديث حساناً فجعل يُمثّلها فيها، ويقول:  
**(نَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ)**<sup>(١)</sup>.

القلوبُ أوعيةٌ، فأشغلوها بالقرآن، ولا تُشغلوها بما سواه<sup>(٢)</sup>.

و قبل الكلام في أصل الموضوع الذي لأجله أباد ابن مسعود الصحيفة، نذكر بما قلناه: من أنّ ابن مسعود واحد من الذين خضعوا لدستور عمر في المنع من الحديث، قد مخى من قبل صحيفه أُحضرت إليه فيها «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبير»، وهي كلماتٌ أتى بها القرآن الكريم، فلم يحترمها، فكيف إذا صار الأمر إلى خلاف سياسي؟!  
إن الصحيفة المعروضة للإبادة في هذه الرواية، واضحة المحتوى، فإنّ فيها أحاديث حساناً كما يقول علامة.

كما أنّ موضوعها يرتبط بأهل البيت عليهم السلام، وكأنّ الراوي اعني بهذه المسألة، فاستعمل عطف البيان للتأكيد على المراد بأهل البيت، وليلفت نظر عبد الله بن مسعود إلى أئمّة أهل بيته عليهم السلام. لكنّ عبد الله لم يُعِزْ اهتماماً، وأباد الصحيفة.

و قبل الانتقال إلى إدانات أخرى لابن مسعود! نبقى عند كلامه واحتجاجه بالقرآن الكريم على أولئك الذين أحضروا إليه الصحيفة وفيها أحاديث في أهل البيت عليهم السلام فمحاها، فنقول له: ماذا تقول في آية التطهير الظاهرة في العصمة، ولو لا السنة لما علمنا أئمّة محمد رسول الله عليهم السلام، وأنجوه على، وبضعته فاطمة، وولدها

---

(١) يوسف: ٣.

(٢) تقييد العلم ٥٤.

الحسن والحسين عليهما السلام.

وما قولك في آية المباهلة، وفيمن نزلت؟ من كان نفس رسول الله عليهما السلام يومئذ، هل كان غير عليٍ عليهما السلام؟ ومن كانت نساءه غير فاطمة عليهما السلام؟ أو ليس الحسن والحسين أبناءه يومئذ؟ فكانوا معجزته التي قهر بهم وفدى نصارى نحران وأعجزهم. من أين علمنا هذا يا ابن مسعود؟ أو ليس هذا أحسن القصص الذي احتججت به؟!

لكن عبد الله لم يُعِزْ اهتماماً، وأباد الصحيفة. والتبريرات التي ذكرت لمنع التدوين، لا يجري شيء منها هنا. فلا اختلاط لما في الصحيفة، بالقرآن. وليس فيها ما يعارض القرآن وينافي. ولا فيها من خرافات «مشنأة» أهل الكتاب شيء. كما أن الاستغلال بها لا يؤدي إلى ترك القرآن، لأن مجرد أحاديث في صحيفة، لا تلهي عن القرآن.

ومع كل ذلك أباد عبد الله الصحيفة، محاولاً أن يُوهم أن القرآن يعني عمّا فيها! مع أنه كان خطئاً في فرضه أن الاشتغال بالحديث هو اشتغال بما سوى القرآن، لأن الحديث لا ينفصل عن القرآن، بل هو يعضده. ولو أمعنا النظر في هذا الحديث، وجدنا أن محتواه هو الذي كان يضُرُ السلطة الحاكمة وينافي سياستها القائمة، لأن الأحاديث الواردة في أهل البيت عليهما السلام، إنما تدل على فضلهم وتؤكّد على خلافتهم عن النبي عليهما السلام، و يجعلهم قرناً للقرآن، ليكونوا هم وهو خليفتين له، من بعده. وهذا ما يعرفه ابن مسعود جيداً، لما سنبين من علته. وأما سائر أحاديث رسول الله عليهما السلام، سواء في الأحكام والمراءض، أو الآداب والسنن، فهي

لَا تَمْسُّ كِيَانَ السُّلْطَةِ بَشِيءٍ.

ولذا لم يشملها المنع بنحوٍ شديد:

قال عمر: أَقْلُوا الرِّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَّا فِيمَا يُعْمَلُ بِهِ<sup>(١)</sup>.

قال الدارمي، في شرح منع عمر عن الحديث عن رسول الله ﷺ: معناه عندى الحديث عن أيام رسول الله ﷺ ليس السنن والفرائض<sup>(٢)</sup>.

وإن كانت أوامر المنع وإجراءاته عامة، فلأن التدبير السياسي يقتضي منع الحديث بالعموم، حتى يشمل الأحاديث المضرة بالسياسة.

وإنما لم يخص المنع بما دون غيره، فلأن تخصيصها بالمنع يؤدي إلى وضوح المدف من المنع، وانكشاف المصلحة الموضوعة له.

والإعلان عن تلك المصلحة غير ممكن، لأنّه يوجه الأنظار إليها بشكل أكثر تركيزاً، فيوجب نقض الغرض المتربّ من المنع، ويعكس المصلحة إلى مفسدة لا تُتدارك.

وإنما خُصّ أهل البيت ظاهر ذلك:

لأنّهم كانوا يعتبرون زعماء المعارضة السياسية الذين بقوا في الساحة، وكان المسلمون يتطلّعون فيهم الخلافة ويعتقدون لهم الإمامة.

وتحتّهم في ذلك الأعداد المتضافة من الأحاديث النبوية التي تبلغ اليوم،

---

(١) البداية والنهاية ٨: ١٠٧.

(٢) سنن الدارمي ١: ٧٣ ح ٢٨٦، جامع بيان العلم ٢: ١٢١.

رُغْمَ بُعدِ الزَّمْنِ، ورُغْمَ كُلِّ عَمَلَيَاتِ الْمَعْ وَالْإِبَادَةِ وَالتَّحْرِيفِ، تَبْلُغُ الْآلَافَ<sup>(١)</sup>.

فَكَيْفَ بِهَا تَلَكُ الْأَيَّامُ، وَهِيَ تَمَثُلُ لِرَوَاتِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ، بِمَنَازِلِهَا وَأَحَدَائِهَا وَمِنَاسِبَاهَا وَأَسْبَابَهَا؟

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَزَالُ حَيًّا فِي الْخَوَاطِرِ، يُجَدِّثُهُمْ بِمَا لَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ فَضْلٍ، وَمَا لَهُمْ مِنْ مَنْزِلَةٍ؟!

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ كَثِيرًا مِنْ تَلَكَ الْأَحَادِيثِ كَانَتْ تُشَيِّدُ بِعَلِيٍّ عليه السلام - زَعِيمِ أَهْلِ الْبَيْتِ -

وَتُنَصَّ عَلَيْهِ بِالْوَلَايَةِ وَالْإِمَامَةِ ...

فَلَوْ كَانَ مَسْمُوحاً لِلْأَمْمَةِ أَنْ يَتَداوِلُوهَا، وَيُجَدِّثُوْهَا، وَيَكْتُبُوهَا وَيَضْبِطُوهَا، لَارْتَسَمَتْ فِي  
الْأَذْهَانِ، وَتَعْلَقَتْ بِالْأَفْكَارِ، وَانْعَقَدَتْ عَلَيْهَا الْقُلُوبُ وَبُنِيتَ بِهَا قَوَاعِدُ الْعَقَائِدِ؛ فَيَكُونُ لِذَلِكَ تَأْثِيرٌ  
سِيَاسِيٌّ عَمِيقٌ عَلَى نَظَامِ الْحُكْمِ، بِلَا رِبٍّ. فَكَانَ الْمَنْعُ الرَّسْمِيُّ لِلْحَدِيثِ أَفْضَلَ تَدْبِيرٍ سِيَاسِيٌّ،  
لِلْوَقْوفِ فِي وِجْهِ ذَلِكَ.

وَإِلَّا، فَبِرِّئْكَ! مَاذَا يَعْنِي أَنْ يَأْتِي عُمُرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام بِأَحَادِيثٍ وَقَصَصٍ مِنْ أُخْرِ يَهُودِيِّ لَهُ  
مِنْ بَنِي فُرِيزَةَ، قَدْ أَعْجَبَهُ! فَيَغْضُبُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام وَتَحْبِطُ بِهِ الْأَنْصَارُ ثُمَّ يَقُولُ: «أَمْتَهَوْكُونَ أَنْتُمْ...»  
أَيْ فِي حَالِ شَكٍّ مِنْ نَبْوَتِي؟! وَقَدْ ذَكَرْنَا.

وَمَضَتْ سُنُونُ وَرَسُولُ اللَّهِ عليه السلام يُجَدِّثُ وَيَأْمُرُ بِنْقَلِ حَدِيثِهِ تَحْدِيدًا وَتَقْيِيدًا كَمَا ذَكَرْنَا وَسَنَذَكِرُ،  
فَأَيْنَ كَانَ الْمَانِعُونَ عَنْ مَجَلسِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام لِيَسْمَعُوا مَا سَمِعَهُ غَيْرُهُمْ؟!

هَلْ شَغَلُهُمُ الصَّدَقُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا قَالَ عُمَرُ - مَرَّ بَنَا -، وَالْأَنْشَغالُ بِالْمَرْأَةِ وَالْمَكْحُلَةِ، كَمَا قَالَ  
أَبُو هُرَيْرَةَ لِعَائِشَةَ مُحْتَاجًا عَلَيْهَا مَا أَنْكَرَتْ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ

---

(١) شرح نهج البلاغة، لأبي الحديث: ٤: ٧٣.

التي يرويها وقالت أَنَّهَا لَمْ تسمِعْهَا.

ومرّ بنا حديث «الأريكة»، وفيه قول رسول الله ﷺ: «يوشك رجل جالس على أريكته يقول: حسينا كتاب الله ...» منكراً ﷺ على صاحب الحكم من بعده، مانعاً لحديثه متذمراً لثلاً يختلط القرآن بشيء غيره! وقلنا: كلّ كلام أَيّا كان مصدره، لا يرقى في بلاغته إلى بلاغة القرآن، والستة مضطدة للقرآن شارحة له وفيها ما ليس فيه، فهدمها هدم للنصف الأكبر من الإسلام! إذن: فالمصلحة المنشودة من هذا التدبير، هي: إخفاء الأحاديث البوية التي تدلّ على خلافة أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام وإمامية أهل البيت عليهمما السلام بعد النبي ﷺ.

وهذه المصلحة تحتوي على العناصر المطلوبة، التي ذكرناها:

١ - فهي خطيرة للسلطة.

إذ لو نُشرت هذه الأحاديث وأذيعت، وتداولها الناس كما استقر الحكم، الذي اعتمد على أساليب أصدق ما يُقال فيها أَنَّهَا «فَلَتَّة»<sup>(٦)</sup>.

---

(٦) وقد روى البخاري في صحيحه، كتاب المتأربين، باب رجم الجبلى من الزنى، الحديث الوحيد في الباب - وهو طويل - من خطبة عمر يوم الجمعة وفيه قوله: بلغني أنّ قائلًا منكم يقول: (والله، لو مات عمر بايُّثْ فلاناً) فلا يغترّن أمرؤُ أن يقول: (إِنَّمَا كَانَتْ بِيَعْ أَبِي بَكْرٍ فَلَتَّهُ وَتَمَّتْ) ألا، وإنَّما كانت كذلك، ولكنَّ الله وقى شرها. وفي الحديث: مَنْ بَاعَ رِجْلًا عَلَى [أو: عن] غَيْرِ مُشَورَةٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَبَاعَ [أو: يَتَابَعْ] هُوَ وَلَا الَّذِي بَاعَهُ تَغْزِيَةً = أَنْ يُقْتَلَا.

فإذا تمكّن الإمام عليه السلام وأنصاره من إظهار النصوص الشرعية الكثيرة المسندة الدالة بوضوحاً على أنّ علياً عليه السلام:

هو ولي الأمر من بعد النبي عليهما السلام.

وهو الذي جعله النبي عليهما السلام منزلة هارون من موسى، في كلّ شيء إلاّ النبوة.

وهو الذي قال فيه النبي عليهما السلام: «من كُنْتُ مولاه فهذا علیٰ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واحذل من خذله».

فإذا ظهرت هذه النصوص للناس، لما بقي الوضع على قراره <sup>(١)</sup>.

٢ - إنّ هذا الإخفاء لم يقِبَّل من قبل الإمام عليه السلام وأنصاره.

---

= صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي - ٨ : ٢١٠ - ٢١١ . وقال الخطابي، في حديث عمر: أنه قال: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، وفى الله شرها، وبهذا اللفظ، ورد في مصادر كثيرة هذا بعضها.

المصنّف، لعبد الرزاق الصنعاني (٥: ٤٤١ و ٣٥٥)، مسنّ أحاديث ١: ٥٦، السيرة النبوية، لابن هشام ٤: ٣٠٨، تاريخ الطبرى ٣: ٢٠٠ - ٢٠٥ ، الملل والنحل، للشهرستاني ١: ٣٠ - ٣١، الرياض النضرة ١: ٢٢٢، شرح نجح البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٣، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٦، النهاية ٣: ١٧٥ و ٤٦٧ ، تاريخ الخلفاء ٥١.

والفلتة: فترتها أهل الغريب بالأمر الفجائي يحدث من غير روية ولا إحكام. انظر الفائق، للزمخشري ٣: ١٣٩، وغريب الحديث، لأبي عبيد ٢: ٢٢١ و ٣: ٣٥٦، والنهاية، لابن الأثير.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول عن بيعة الناس له: إنّ هذه بيعة عامّةٌ من ردّها رغب عن الإسلام، وإنّما لم تكن فلتة (الأخبار الطوال ١٤٠). وفي الخطبة (١٣٦) من نجح البلاغة قوله عليه السلام: لم تكن بيعتكم إتاي فلتة.

(١) تكلّمنا عن هذه الأحاديث وخردنا مصادرها في فصول قادمة.

بل تزعم الإمام القول بإباحة التدوين، ولم ينصح هو وأنصاره لأوامر المنع من التدوين، ولا منع نقل الحديث - كما سيأتي - فقاوموا ذلك بكل صلاة.

٣ - إن تلك الأحاديث فيها الكثير مما قرَنَ فيه النبي ﷺ بين عليٍّ وأهل بيته، وبين القرآن.

كما في حديث: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع عليٍّ» <sup>(١)</sup>.

وحيث أن الحديث الثقلين، الذي فيه: «إني مختلفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» <sup>(٢)</sup>.

٤ - إن الإخفاء قد أثَرَ أثره العميق في الأمة في صدر القرن الأول وامتداد المنع الرسمي إلى نهاية القرن الأول كان كافياً لطمس معلم تلك الأحاديث بشكل كافٍ، فلذلك لم يعد لإظهارها بعد ذلك أيُّ أثر معاكس على السلطات؛ فلذلك رُفع المنع المذكور.

إن وجود هذه العناصر في هذه المصلحة، وعدم تصور مصلحة أخرى، تؤكِّد صحة أن يكون السبب الأساس لمنع تدوين الحديث هو هذا التدبير السياسي.

وللمعلمي - من كبار علماء العامة المعاصرين - تعليق على مرسَل ابن أبي مليكة، المحتوى على منع أبي بكر للناس عن الحديث بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقال:

---

(١) ذكرناها مع مصادرها في فصول قادمة.

(٢) ذكرناها مع مصادرها في فصول قادمة.

«إِنْ كَانَ لِرُسُلٍ ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ أَصْلًا، فَكَوْنُهُ عَقْبَ الْوَفَاءِ النَّبُوَّيَّةِ يُشَعِّرُ بِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرٍ  
الْخَلَافَةِ».

كَأَنَّ النَّاسَ عَقْبَ الْبَيْعَةِ بَقُوا يَخْتَلِفُونَ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَبُو بَكْرٌ أَهْلُهَا، لَأَنَّ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَيْتُ وَكَيْتُ» فَيَقُولُ آخَرٌ: وَفَلَانُ! قَدْ قَالَ لِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْتُ وَكَيْتُ». فَأَحَبَّ  
أَبُوبَكْرَ صِرْفَهُمْ عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ، وَتَوجِيهُهُمْ إِلَى الْقُرْآنِ<sup>(٦)</sup>.

وَلَذَا لَا نُسْتَبِعُ أَنَّهُ كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنْ اشْتَهَارِ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَضْلِ عَلَيِّ  
وَأَبْنَائِهِ طَبَّالَاتِهِ.

وَيُوضَّحُ هَذَا الْمَدْفُ مَا رَوَاهُ عُرُوهَةُ بْنُ الزَّيْرِ (ت ٩٤ هـ)، بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ يَزِيدَ،  
قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجَّاً، سَنَةَ (٨٢)، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِهِ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ  
عَلَيْهِ النَّاسُ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَرَكِبَ إِلَى مَشَاهِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي صَلَّى فِيهَا، وَحِثَّ أَصْبِبَ أَصْحَابِهِ  
بِأَحَدٍ، وَمَعَهُ أَبْنَانَ بْنَ عُثْمَانَ، وَعُمَرَ بْنَ عُثْمَانَ، وَأَبُوبَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَئْتُوْهُ بِهِ قُبَّاءَ، وَمَسْجِدَ  
الْفَضِّيْخَ، وَمَشْرِبَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، وَكُلَّ ذَلِكَ يَسْأَلُهُمْ؟ وَيُخْبِرُونَهُ عَمَّاْ كَانَ.

ثُمَّ أَمَرَ أَبْنَانَ بْنَ عُثْمَانَ أَنْ يَكْتُبْ لِهِ سِيَّرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَازِيهِ.

فَقَالَ أَبْنَانُ: هِيَ عَنِّي، قَدْ أَخْدَدْتَنَا مَصْحَحَّةً، مَنْ أَئْتَنِي بِهِ؟ فَأَمَرَ بِنَسْخِهَا، وَأَلْقَى بِهَا إِلَى عَشَرَةِ  
مِنَ الْكُتُّبِ، فَكَتَبُوهَا فِي رَقٍّ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ نَظَرٌ، فَإِذَا فِيهَا ذِكْرُ الْأَنْصَارِ فِي الْعَقْبَتَيْنِ، وَذِكْرُ  
الْأَنْصَارِ فِي بَدْرٍ.

---

(١) الأُنُورُ الكَاشِفَةُ ٤٥.

قال: ما كنتُ أرى هؤلاء القوم هذا الفضل! فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم<sup>(١)</sup>، وإنما أن يكونوا ليس هكذا.

قال أبان بن عثمان: لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فخرّق، وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإنْ يوافقه فما أيسر نسخه.

فرجع سليمان بن عبد الملك، فأخبر أباه بالذى كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتابٍ ليس لنا فيه فضل؟ ثمَرَّفُ أهل الشام أموراً لا تُريد أن يعرفوها! قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريض ما كنت نسخته حتى أستطلع رأي أمير المؤمنين.

فصوب رأيه<sup>(٢)</sup>.

فإذا كانوا لا يتحملون ذكر فضل الأنصار، فكيف يتحملون ذكر فضائل أهل البيت عليهما السلام، وسيدهم أمير المؤمنين عليؑ؟!

واسمع ما روی عن خالد القسري - أحد ولاد بني أمية - وقد طلب من أحدهم أن يكتب له السيرة، فقال له الكاتب: فإنه يمرّ بي الشيء من سيرة عليؑ

(١) غمض عليه: عابه وطعن عليه، ومنه حديث توبة كعب «إلا مغموض عليه التفاصي» أي مطعون في دينه مُتهم بالتفاصي، ومغموض: محتقر، ليس بشيء. (النهاية: ٣: ٣٨٦).

(٢) مغاري رسول الله ﷺ، لعروة بن الزبير ٢٨، الموقتات، لزبير بن بكار ٢٢٢ - ٢٢٣.

ابن أبي طالب، أفاد ذكره؟

قال خالد: لا، إلا أن تراه في قعر جهنم !!<sup>(٦)</sup>

ولذلك، لا نشك في أن السبب الأساسي لمنع تدوين الحديث هو هذا الهدف، لما حققناه من عدم وجود سبب صحيح آخر له، غيره.

مع التذكير مرتّة أخرى، وربما تُعيد التذكير! لخطورة الموقف وجسامته، بل والواقحة التي أبداهما الرجال بحق رسول الله ﷺ، لما طلب أن يقدموا له قرطاً وقلماً ليكتب لهم كتاباً لا يضلّوا بعده أبداً! فأنيرى عمر قائلاً: «كفى بكتاب الله» ومنع بشدة، وتابعه آخرون، لم يكن فيهم على علّيٍّ. وكثُر اللّغط حتّى طردتهم رسول الله ﷺ.

وذكرنا في موضوعه: أن طاعة رسول الله من طاعة الله تعالى بأمر الله وصريح القرآن الذي يدعوه إليه عمر! ومخالفته مخالفلة الله تعالى ورد عليه!

وذكرنا هناك أن رد السنة وإنكارها، رد للنبيّة وهدم لركن عظيم لولاه لما صدقناه بالأركان الأخرى: التوحيد، والمعاد، وهي من وظائف النبي ﷺ في التبليغ. والتلازم واضح بين بين المرسل والرسالة والرسول.

فإنّ ما ذهبنا إليه من أن السبب السياسي هو الحاكم في حسم مسألة المنع من الحديث، تتجلى في ذلك الموقف العصيب «يوم الرزية»!

وأيّ عاقل لا يفسّر موقف الذين منعوا رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب، بعد أن تكلّم فأوصى بكتاب الله تعالى، وعترته، وهو أمر جرى منه ﷺ قبل هذا

---

(٦) الأغاني ٢٢: ٢٥.

الوقت والموقف أكثر من مرّة؛ فلا يفسره بأكمل علموا أنّه يريد أن يؤكّد تلك الوصيّة في كتاب مكتوب تداوله الأُمّة من بعده، فتفلت الزعامّة وتضيّع الأريكة! فكان ذلك الموقف، ثمّ تواصلت الحملة التي وجد فيها بنو أميّة وشيعتهم ضالّتهم وعيروا بها عن أحقادهم الموروثة فلم يقفوا عند حدّ المع من الحديث والمعاقبة عليه، وإنما صاروا إلى أمر أدهى ذلك هو الوضع في الحديث!

فعمدوا إلى احتلاق أحاديث في الفضائل ما كان أصحابها ليرضوا بذلك لو كان في عهدهم!

لعلّهم أنّ ذلك تنقيضاً لا تفضيلاً، ومداعأً للسخرية والاستخفاف بهم. إلا أنّ معاوية وقد ترّبى على «الأريكة»، قد جمع إليه رجالاً منْ عرّفوا بالخرافهم عن أمير المؤمنين عليٍ طليلاً وجعل لهم جعلاً يُرْغَبُ فيه. فكتبوا له ما يريد: من تعظيم الثلاثة وضمّوا إليهم كاتب الوحي وحال المؤمنين - كما - معاوية، وزّعوا الجنة على هؤلاء و...، ووضعوا قبال هذه ما يتّنّعّصون به أهل البيت طليلاً، حتّى بات الشامي لا يعرّف من هو على طليلاً فمهدوّاً لمن جاء بعد ليجد البيئة ناصيّة ملتهبةً ...

### الإسکافي یفضح أسباب الفرقـة عن علی طليلا

إنّ ابن تيمية، بحكم تربيته البيئية وما اشتربكت عليها الأعصُرُ وضررتها الفئُنْ بأجرانها..، فورث خلاصة ضلالها، وباءَ ببواقيِ فتنها، فهمّلَجْ بموازنَة باطلة ومعيارٍ مجحفٍ، إذ رمى الشيعة الذين سَاهُمُوا: الرَّوافض، بالضلالِ، وهو أولى به! إذ وازَّ بين علی طليلاً، وبين معاوية وابنه يزيد، والحجاج، والخوارج؛ وإنّ

الشّيعة لا تستطيع أن تثبت إيمانَ أهل البيت، فضلاً عن عدالتهم، ما لم تثبت مثل ذلك لأولئك!! وقد جاء من رفع عقيرته بأقوال ابن تيمية وتحمّس لها ونشرها بين الملائ، وظهرت جماعات شاكيّة السلاح تنشر الرُّعب وتغيث فساداً وتنقم ممن لم يأخذ بمبادئ ابن تيمية، وهذه الجماعات لها حذورٌ تاريخيّة قدرة وأصولٌ فاسدة في بيئتها معقدة لا تبعد عن بيئه ابن تيمية!

وللإسكافي كلامٌ جيدٌ مع مخالفيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَبَّالَاتُ، نذكر أكثره لما فيه من فائدة:

«باب سبب الخراف الناس عن عليٍّ هو الحقد والضّغينة، والعداوة الطائفية، والحمىّة الجاهليّة قال: ثم اعلموا - سلمكم الله من الملائكة وأيدكم بالاستقامة والصواب في المقالة - إنّ هذا باب قد كثُر قولُ القائلين فيه وطالَ اختلافُهم وتشعّبتُ أهواؤهم وتوغرَّتْ من أجله صُدورُهم..؛ وذلك لأنّ أولئك كان على الضغن والعداوة والعصبية والحمىّة، ولم يكن القول فيه على طريق الخطأ من أجلٍ شُبهٍ دخلتْ أو ليس حدثَ؛ فاتصلتْ أسبابه على ذلك، وانشعت فروعه على حسب ما ذكرناه من حدوث أصوله، فزرعت في القلوب المهوِي والميِّل، فتكلّم كلّ إنسان على قدر هواه وميِّله وما سبق إلى قلبه فنصر رأيه وناظر في تقوية قوله: فناهوا على طول الأيام وألفوا الخطأ والضلال، وتعدّى ذلك إلى العوام من النساء والرجال، فعظم فيهم الخطأ وكثُر القيل والقال وتوارثوا تلك الأضغان والأحقاد حتّى ظلَّ الزّاجع المبين لرُشدِه مشتوماً قد نبذوه بالألقاب

ورموه بالبدعة والضلال!...»<sup>(١)</sup>.

قال: وأما أهل الحشو<sup>(٢)</sup> من أصحاب الحديث وسائر العوام وعندهم من التعسُّف في هذا الباب، والعناية به والانكماش فيه على قدر جهلهم بأُولئِه وآخِرِه وعلى حسب ما عندهم من قلة المعرفة بالنظر والتمييز بين السنة والفرىضة والشرع، إلى التقليد والقول بما دعت إليه ملوك بني أمية. وإنّ ملوك بني أمية وإنْ كانت قد بادت، فإنّ عامتها وشيعتها فيما اليوم ظاهرة متعلقة بما ورثوه من ملوكهم وأسلافهم الباغية.

فبلغَ من عنایتهم بخطئهم في هذا الباب أن أخذوا معلمَهم بتعليم الصبيان في الكتاتيب لينشئوا عليه صغيرهم ولا يخرج من قلبِ كبارِهم وجعلوا لذلك رسالة يتدارسونها بينهم، ويكتب لهم مبتدأ الأئمّة: أبو بكر بن أبي حَافَّة، وعمر ابن الخطاب، وعثمان بن عَفَّان، ومعاوية بن أبي سفيان، حتّى أن أكثر العامة منهم ما يعرف علىَّ بن أبي طالب ولا نسبته، ولا يجري على لسان أحد منهم ذِكره!

وممّا يؤكّد هذا ما يُؤثّر عن محمد بن الحنفية يوم الجَمَل، قال: حملتُ على رجلي فلما غشّيَه برمحٍ، قال: أنا على دين عمر بن أبي طالب!! قال: فعلمتُ أنه يريد عليناً! فأمسكتُ عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسکافي محمد بن عبد الله المعزنی، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ، صفحة: ١٧.

(٢) الحشویة طائفة من المبتدةة.

(٣) المعيار والموازنة ١٨ - ١٩.

قال: ومما يدلّك على أنّ العامة مخدوعة متحيّرة بفقد العلم، مغروبة في هذا الباب: أكّم جميّعاً  
يشهدون أن أبو بكر أفضّل من عمر ويسندون تفضيل أبي بكر على عليٍ إلى حديث عبد الله بن  
عمر فيقلّدونه الخبر.

وقد جاءهم الإسناد في تفضيل عليٍ وتقديمه على كافة الناس عن محمد بن أبي بكر،  
وسلمان، وعمّار بن ياسر، وما كان من شهرة قيامهم مع عليٍ بن أبي طالب، فلم يلتفتوا إلى  
ذلك!

فإن كانوا مالوا إلى تصديق عبد الله بن عمر لأنّه أفضّل وأعبد وأخيّر - وإنْ لم يكن عندنا  
على ذلك - فتقلّيد عليٍ بن أبي طالب ومن ذكرناه أولى لأنّه خير من عبد الله بن عمر وأفضّل،  
لا يشكّون في ذلك ولا يمتنون. وإن كانوا مالوا إلى عبد الله بن عمر لأنّ أباه كان إماماً فاضلاً،  
فالملائكة إلى محمد بن أبي بكر أوجّب لتقديمه لأبي بكر على عمر وتفضيلهم إيماناً عليه<sup>(١)</sup>. ولا  
أجد لهم في ذلك علة يوجّها التميّز والنظر غير ما ذكرنا من الخدعة وتقلّيد الخبر.

وابيئ من هذا في جهل الأنعام الضالة والخمر المستفيرة: أنّ عائشة عدهم في أزواج  
عليه السلام النبي صلّى الله عليه، أشهر وهي عندهم أعظم وأفضل من بنت أبي سفيان، وأكثر في  
الشهرة والمعرفة. فإذا ذكر أحد معاوية بسوء، غضبوا وأنكروا ولعنوا من ذكره بسوء، وعلّتهم أنّه  
حال المؤمنين! وإذا ذُكر محمد بن أبي بكر

---

(١) نفسه. ولو كان غير عليٍ هو الأفضل لظهوره الله تعالى وزوجه وبنيه، وهي العصمة؛ ولباهر به وبزوجه وبولده  
ونصيّهم آية؛ ولأنزله منزلة هارون من موسى والتي احتضن بها عليٍ، ولنزل بولاته آية كما نزل في عليٍ لما تصدق بخاتمه،  
ولا كلام في سابقته ومؤاخاته ...

بسوءِ رضوا وأمسكوا ومالوا مع ذاكره، وخؤولته ظاهرةٌ بائنة.

وقد نفرت قلوبهم من عليّ بن أبي طالب لأنّه حارب معاوية وقاتلها، وسكنت قلوبهم عند قتل عمار و محمد بن أبي بكر، وله حرمة الخوّولة، وهو أفضّلُ من معاوية، وأيّوه خيرٌ من أبي معاوية. فتدبروا فيما ذكرناه لتعلموا أنّ علةَ القوم الخديعة والجهالة، وإلاًّ فما بالهم لا يستنكرون قتل محمد بن أبي بكر، ولا يذكرون خؤولته للمؤمنين؟ قاتلهم الله ألمّ يُوفّكون.

وقد مالوا عن إماماة عليّ بن أبي طالب وضعفوا، وبعضاهم نفاحا بما كان من خلاف عائشة وطلحة والزبير، وقعود ابن عمر و محمد بن مسلمة وأسامة بن زيد. وهؤلاء النّفر الذين أوجبوا الشّك في عليّ عندهم وضعفوا إمامته بقولهم؛ هم الذين طعنوا على عثمان وأبّوا عليه وذكرواه بالتبديل والاستئثار، وأوّلهم بادرةً عليه عائشة كانت تخرج إليه قميص رسول الله وهو على المنبر وتقول: يا عثمان هذا قميص رسول الله ﷺ لم يَبْلُغْ وقد أبليت سنته. فو الله ما قدح الشّاك في قلوبهم في عثمان بقولهم ولا قصرّوا عن تفضيله وتقديمه بطعنهم ولا أثر ذلك في صدورهم!

وعلّهم في استنكارهم على عثمان مأثورة مذكورة مشهورة.

فلما قعدوا عن عليّ جعلتم قعودهم حجّة وطعنهم علة في الشّاك والتنقيص وصرف الإمامة عنه، من غير أن يذكروا علةً تبديل ولا استئثار ولا تغيير أكثر من نكثهم وطعنهم.

وقد رویتم أنّ عثمان نفى أباذر، وقد عرفتم تقدّم أبي ذر وسابقته، وأقررت ما صنع عثمان بابن مسعود و غير من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ .

ولا تجدون أحداً مدّ عليّ بن أبي طالب إليه يده قبل أن يبدأ بالغى والخلاف، ولا ذكر عنه استئثار ولا خيانة ولا خطأ وجدوه عليه.

على أنا نوجدكم لكلّ من ذكرتم معارضين في دعواهم مخطئين لهم في خلافهم وقعودهم. أمّا عائشة فقد عارضتها أم سلامة بالخلاف عليها والتخطئة لها بحججٍ أوردهما لم تستطع إنكارها.

وأمّا عبد الله بن عمر فقد عارضه عبد الله بن عباس وهو أكبر منه علمًا وفضلاً. وأمّا طلحة والزبير فقد أقرّا بالبيعة، ونكثا وهم أول من بايع. وأمّا محمد بن سلمة، فأكبر منه: سلمان. فلِمَ ملتم مع من ذكرنا وقد عارضهم من وصفنا؟

وزاد عليهم سبعون بدريةً وبسبعين مائةً من المهاجرين والأنصار منهم المداد ابن الأسود، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبو أيوب الأننصاري، وأبو الهيثم ابن التيهان، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ .

وكيف تمّت بيعة أبي بكر عندكم بأبي عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب مع خلاف سعد [بن عبادة] وامتناعه من البيعة، وخلاف الأنصار، وأبو بكر هو الساعي إليها والداعي لها؟! ولم تتم بيعة عليّ بن أبي طالب بالمهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإيمان وهم الطالبون له وال المجتمعون عليه وليس له

نظيرٍ يشاكله ويعادله.

أفٌ لهذا من مقال! ما أبین تناقضه وأقل حياء الداين به! فخلافُ من لم يبایع أبا بكر حتى  
مات أكثر في تضليل الإمامة من خلاف من نكث البيعة وادعى بعد الإقرار.

فإن قلت: إنَّ الأنصار اتفقت بعد خلافها، لا يمكنكم ادعاء ذلك في سعد بن عبادة وما  
تروونه من قول سلمان.

ولا يمكنكم إنكار إقرار طلحة والزبير بالبيعة لأمير المؤمنين عليهما السلام ثم نكثهما بيعته بلا عذر  
مقبول في الدين بل ولا عند العقلاء المستقيمين ممن لا يتدين بدين. وإن كان رجوعهما عن  
بيعتهما يدلّ بزعمكم على خططائهما في بدأ الأمر.

وأكبر منه: بكاء عائشة وندامتها، وتلهف ابن عمر على ذلك، حتّى دعا ابن عمر ما استبان  
له من تقصيره إلى الغلو والإفراط في مبادرة الحجاج بن يوسف، واعتلّ بأنه مع النبي عليهما السلام يقول:  
«مَنْ ماتَ وَلَا إِمَامٌ لَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»! فهذا يدلّ على أنه قد اعتقد إماماً على بن أبي طالب  
عليهما السلام لأنّ من اعتقد إماماً للحجاج، لم يذهب عن إماماً على بن أبي طالب عليهما السلام. فما رأيُ  
خطأً أعظم ولا تقصيراً أبین من فعل ابن عمر المغفل. مع روایتكم عنه أنه قال: ما آسي إلا على  
ثلاث: منها أتي لم أكن قاتلُ هذه الفئة الباغية <sup>(٦)</sup>.

---

(٦) المعيار والموازنة ٢١ - ٢٤. (لم نخرج الأحاديث لاشتهرها وأيضاً تكلّمنا خصوصاً بشأن عائشة، ولكن نضيف هنا: أن بكاءها لعله بسبب خسارتها الحرب! وليس ذكرها بعض فضائل =

## ذكر أصناف المخالفين والمعاندين للإمام علي عليه السلام

وفي مقالة أخرى للإسکافي، كشف فيها المستور من سياسة ملوك بنى أمية فقال: «قد علمت أنّ أقوى الخطأ في هذا الباب - والذي أشكل على أهل النظر - من علماء المرجئة والمعزلة، فبعضهم قدّم أبا بكر على علي، وبعضهم أمسك ودان بالوقف. وأفضل من هذا خطأ! موازنة علي بطلحة والزبير، والوقوف عندهم، وهو ما تعلقت به خاصة العامة.

وأعظم من هذا جهلاً وعمى موازنة علي بمعاوية، وهو ما ذهب إليه بعض العامة المتحيرة وطعام الحشوية البائنة.

فإذا بدأنا بالقول الأول وبيننا باطله، وأوضحتنا خطأه وصح ما بعده وبيان.

ولعلي بن أبي طالب عند اختلاف الناس فيه مثلٌ من عيسى بن مريم عليهما السلام، فاختلت الأمة في علي أصنافاً، كما اختلفت أمّة عيسى عليهما السلام في أصنافاً، وأفرط فيه قوم فعبدوه؛ وقصر فيه قوم فشتموه وقدفوه.

منزلة النصارى في الإفراط، منزلة الروافض في الإفراط<sup>(١)</sup> ومنزلة المرجئة في النصب في عليي منزلة اليهود في التقصير وشتم عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وفي ذلك ما يؤثر عن النبي عليه السلام أنه قال لعلي: «يهلك فيك رجالن: محث

---

= أهل البيت كافٍ فقد ذكرت أحاديث كاذبة بحق غيرهم! وأما ابن عمر فسيرته معروفة في عدائه لأهل البيت عليهما السلام!).

(١) مراده من الروافض هم القائلون بريوبية علي عليه السلام بقرينة تنزيل منزلتهم منزلة النصارى.

مفرط، وبعضاً مفرط».

وأول ما يجب في هذا الباب من التنبية على الحق قبل التلخيص والتفسير: أنكم تعلمون أن بلدان التّصب والمتصرين عن فضل عليّ بن أبي طالب الشام والري والبصرة.

وليعلم أن أموره تنكشف على طول الأيام، وأن الحق يعلو عند النظر بما ترافق من قوارع الحجج، فيميل الناس الجهل والتعصب والخطأ.

وآخر أياضاً: أنك لم تر شيئاً قط رجع القهقرى بل يزداد في الإفراط، ويغلو في القول ولا يرجع إلى التقصير حتى يصير بالإفراط راضياً كبيراً!! ولذلك قال بعض الناس: أرني شيئاً صغيراً أريك راضياً كبيراً، وعلة ذلك: أنه إذا قال بالتشييع اتسعت عليه الفضائل وكثرت المناقب وترد عليه عند النظر من فضائل صاحبه، وتقدمه دلائل تبهر وتلوح كالقمر الأزهر وكالنجوم المضيئة، فيضيق عليه المخرج، فلا يكون عنده من الورع والتوقى ولطافة النظر والعلم بالخرج ما يمنعه من الغلوّ ويتعدّه من الإفراط، فعندها ترقص وأفرط قوم في بعضه فعلمه وشتم وكفر.

وقال قومٌ بنبوته. وقال آخرون فيه مثل مقالة النصارى في عيسى ابن مريم. ولا تجد أحداً قال ذلك في أبي بكر وعمر. بل قد نجد القائلين بتقدّس أبي بكر وعمر قد يرجعون إلى ترك المذهب، وينبئون إلى الاعتقاد الحسن والصواب في اعتقاد التشييع.

ولسنا بجعل إفراط من أفرط وشتم من شتم حجّة في تقديم عليّ بن أبي

طالب على أبي بكر وعمر، وإنما جعلنا ذلك تنبئهاً قبل النظر لتعلموا أن التمييز والمعرفة في تقديمها يخنان على الفحص والنظر، ولأن قوماً دعاهم التعصب والحقق إلى أن جعلوا إفراط مَنْ أفرط فيه، وخلاف من خالقه تنفعه لأبي الحسن صلوات الله عليه؛ فأربناهم أن ذلك في الفضل أولى من التنصيص، وعلى التقسيم أدل منه على التنصيص كما قلنا في عيسى ابن مرريم.

وبلغ التوهم إلى حدٍ حتى دعا قوماً إلى أن زعموا أن كثرة الخلاف عليه في عسكره وما حدث من نكث الناكثين عليه يدل على أنه لم يكن له نفاذ في التدبير ولا كان معه من حسن التأليف ورجاحة السياسة ما كان مع غيره، على ما زعموا.

وهذا غاية ما يكون من التعدي في القول والإفراط في ترك قلة الإنصاف وذلك بأئمّهم لم يوقفونا من سوء تدبيره وخطأ سياسته على أمر معروف ولا على حديث في ذلك مؤثر ومشهور، وإنما أرادوا أن يوجّهوا ذلك بالقياس قصدًا منهم إلى نصرة الخطأ وميلًا إلى العصبية والحما.

وهيئات أن ينالوا في علي ما قصدوا إليه، ولو كان ما ذهبوا إليه صواباً فلنـا: فارتداً العرب قاطبةً، واجتمعها على الردة في أيام أبي بكر أعظمُ وأدلى على الخطأ في الرأي، والغلط في السياسة، لأن الفتنة كانت أعظم في أيامه وكذلك فتنته أيام عثمان أشد، واحتلافهم عليه أكبر وأجل؛ مما قلتم على عثمان أوجب ومن أبي حسن أبعد لأن الخلاف عليه كان هو سببه وعلته وذلك مؤثر مشهور في كتب العامة، فكيف في كتب الخاصة! وذلك لأن القوم خالفوه لما ظهر

من عواره وضعفه، ولما حدث عندهم من نكّمته ودعوى من ادعى عليه تبديل السنن واستئثار الفيء، وإيواء الطريد<sup>(١)</sup>، ورجوعه عن رأيه مرّة بعد مرّة، ومن شيء بعد شيء، وإخراج أبي ذر<sup>رض</sup>.

فهذا عليكم في عثمان قد وجب، وفي علي قد بطل، فالحمد لله على تعريفه بحث من كفر، وقمع من عاند.

ومتى اعتلىَ أهل الحيرة في تقييص أبي حسن بما حدث في زمانه من الخلاف والفتنة، فذلك عليهم في أبي بكر أوجب لعثمان ألزم. ومتى صوّبوا رأي عثمان رأي في كفّه الحرب وخطّاؤا علياً في إقدامه على القتال؛ لم يزمهوا الضلال والخطأ، إذ زعم أنه يسفك الدماء ويقتل الأنفس من أجل عقال لو منعوه<sup>(٢)</sup>.

ومتى صوّبوا أبا بكر في رأيه، خطّاؤا عثمان في كفّه عن الدفع عن نفسه ودينه.

فأين المفتر والمذهب وقد أحاطت بكم الحجّ لـ لا المعاندة والتعصّب!

وابيَن من هذا أنَّ أسامة بن زيد لما سُئل عن علة قعوده عن نصرة أمير المؤمنين على أعدائه أنه قال: حلفت أيام النبي ﷺ أن لا أقاتل من قال: لا إله إلا الله. وذلك أنه كان في سرتية في بعض مغاربة المشركين فقتل رجلاً بعد أن قال:

(١) هو الحكم بن أبي العاص أبو مروان الذي كان يستهزئ برسول الله ﷺ.

(٢) أي أنه قاتل القبائل التي رفضت خلافته ولم ترها شرعية وهي قبائل واسعة فمنع إعطاءه الزكاة لذلك ... وقد تكلّمنا عن هذا الأمر فيما مضى من هذا الفصل، وفي وقعة الجمل - سيأتي --.

أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله: قتلته وهو يشهد أن لا إله إلا الله، فعاهد أسامة رسول الله عليه السلام أن لا يقاتل أحداً يشهد الشهادتين.

فأنخطأ أسامة في أول مرة في الحكم في قتل الكفارة، وغلط في حكم الله في محاربة أهل القبلة؛ لأنَّ الكافر إنما وجبت محاربته لإنكاره الشهادة، وأهل الصلاة لم يجب قتالهم لإقرارهم وإنما وجب قتالهم لبغيهم؛ فالحكم في أهل الصلاة أن يكف عن قتلهم إذا رجعوا عن بغيهم، وفاوإلى أمر ربِّهم كما أنَّ الحكم في أهل الكفر أن لا يقاتلو إذا رجعوا عن كفرهم.

فلم يسلم أسامة من الخطأ في إقدامه ولم يدرك الصواب في إمساكه، فغلط أسامة الضعيف في الحكمين جميعاً.

على أنَّ هذا القول من أسامة يدل على تخطئة أبي بكر في رأيه، لأنَّ أبا بكر قد رأى محاربة من أقر بالشهادة وصلَّى القبلة.

والعجب أنَّ الخلاف على أبي بكر كان في هذا الرأي أكثر، لأنَّ عامة أصحاب النبي عليه السلام أسلدوا رأيهم في خلاف أبي بكر إلى النبي عليه السلام، فقالوا: سمعنا النبي عليه السلام يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا مثي دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

فكان هذا من قولهم أكبر في الخلاف، وأعظم في الشبهة مما رواه محمد بن مسلمة أنه سمع النبي عليه السلام يقول: إذا رأيت فتنة فاتخذ سيفاً من خشب واضرب

سيفك الحائط <sup>(١)</sup>.

مع روایتكم الظاهرة أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «عَلَيَّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلَيِّ» <sup>(٢)</sup>.

فكيف تكون فتنة قائدتها ودليلها علىِّ بن أبي طالب؟!

وقول علىِّ <sup>عليه السلام</sup>: «إِنَّه لَعَهْدُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ أَنْ أَقْاتِلَ السَّاكِنَيْنِ وَالْقَاسِطِينِ وَالْمَارِقِينِ» <sup>(٣)</sup>.

وشهادة المهاجرين والأنصار له بما قال، وفيهم عمّار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري، وأهل الفضل والسابقة.

ولِمَّا قَدِّمَا هَذِهِ الْمَقْدِمَةَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ شَأْنَ مَنْ ذَهَبَ عَنْ فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ إِلَّا الْمَعَانِدَةُ وَابْتِاعُ الْمُهْوِى دُونَ الْحَجَّةِ <sup>(٤)</sup>.

### دستور معاوية في سب أمير المؤمنين علىِّ <sup>عليه السلام</sup> والبراءة منه

ذكر ابن أبي الحديد في ذلك، قال: إنَّ معاوية، أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علىِّ <sup>عليه السلام</sup> والبراءة منه.

وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز <sup>رضي الله عنه</sup> فأزاله. وذكر شيخُنا أبو عثمان الجاحظ أنَّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة:

اللَّهُمَّ إِنَّ أَبَا ثُرَابَ الْحَدِّ فِي دِينِكَ، وَصَدَّ عَنْ

(١) قول هذا، مصدق قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْدَنَ لِي وَلَا تَفْتَنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقُطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ  
بِالْكَافِرِينَ). (التوبه: ٤٩).

(٢) ذكرناه ومصادره في موضع آخر من كتابنا هذا.

(٣) ذكرناه ومصادره فيما تقدم من هذا الفضل وفي وقعة الجمل من كتابنا هذا.

(٤) المعيار والموازنة ٣١ - ٣٧.

سبيلك، فالعنـه لعـناً وبيـلاً، وعـدـبه عـذـابـاً أـلـيـماً.

وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز <sup>(١)</sup>.

وذكر المبرد في «الكامل» أنَّ خالد بن عبد الله القَسْرِيَّ، لما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر، فيقول: اللَّهُمَّ اعْنِ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشَمٍ، صَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام عَلَى ابْنِهِ، وَأَبَا الْحَسْنِ وَالْمُحْسِنِ! ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُ: هَلْ كَيْنَتِ <sup>(٢)</sup>؟!

وروى أبو عثمان أيضًا أنَّ قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: إنَّك قد بلغت ما أملَتَ، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله! حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً <sup>(٣)</sup>!

وروى أهل السيرة أنَّ الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام، فقال: لعنه «الله» بالجزر، كان لص بن لص.

فعجب الناس من لعنه فيما لا يلحن فيه أحد [إذ كان ينبغي أن يقول: الله، بالرفع، لا بالجزر كما فعل!]، ومن نسبته علياً عليه السلام إلى اللصوصية [وهذه لا تعلق لنا عليه] وقالوا: ما ندرى أيهما أعجب! وكان الوليد كان <sup>(٤)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٤: ٥٦ - ٥٧.

(٢) الكامل في الأدب، للمبرد - طبع أورتا - ٤١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٥٧.

(٤) نفسه: ٥٨.

وأمر المغيرة الأعور الزناء - وهو يومئذ أمير الكوفة من قيل معاوية - حُجْرَ بن عَدَيْ أَنْ يَقُولُ فِي النَّاسِ، فَيَلْعَنُ عَلَيْهِ الْمَغِيرَةُ، فَأَبَى ذَلِكَ، فَتَوَعَّدَهُ، فَقَالَ: أَتَيْهَا النَّاسُ، إِنَّ أَمِيرَكُمْ أَمْرِنِي أَنْ أَنْ عَلَيْهِ فَالْعُنُوهُ. فَقَالَ أَهْلُ الْكَوْفَةِ: لَعْنَهُ اللَّهُ! وَأَعْدَادُ الضَّمِيرِ إِلَى الْمَغِيرَةِ بِالنِّسَّةِ وَالْقَصْدِ<sup>(١)</sup>.

وأراد زيد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي عليه السلام ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك، ويخترب منزله، فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون، فمات - لا رحمه الله - بعد ثلاثة أيام، وذلك في أيام معاوية<sup>(٢)</sup>.

وكان الحجاج لعنه الله، يلعن عليه عليه السلام، ويأمر بلعنه وقال له متعرض به يوماً وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عقوبي فسموني عليه، فغير اسمي، وصلني بما أتبلي به، فإلي فقير. فقال: للطف ما توصلت به قد سميتك كذا، ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه<sup>(٣)</sup>.

وأسماء المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه عليه السلام، والمعرقين في عدائه وعداء أهل بيته عليه وشيعته، وأفعالهم الشنيعة لا يستوعبها هذا البحث.

روى أبو الحسن المدائني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخةً واحدةً إلى عمّاله بعد عام الجماعة - عام الصلح بين معاوية والإمام الحسن عليه - (أن برأت الذمة من ذكر شيئاً من فضل أبي ثراب وأهل بيته) فقامت الخطباء

---

(١) نفسه.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥٨.

(٣) نفسه.

في كلّ كُوره، وعلى كُلّ منبر، يلعنون علياً ويبرءون منه ويقعنون فيه وفي أهل بيته؛ وكان أشدّ الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة، لكثره مَنْ فيها من شيعة عليٍّ عاشِلاً، فاستعمل عليهم زياد بن سُميّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتسبّع شيعة عليٍّ وهو بجم عارف؛ لأنّه كان منهم أيام عليٍّ عاشِلاً؛ فقتلهم تحت كلّ حجَر ومَدَر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسُكِّل العيون وصَلَبُهم على جذوع النَّخل، وطردتهم وشَرَّدهم عن العراق؛ فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليٍّ وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: ان انظروا مَنْ قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولادته، والذين يرون فضائله ومناقبه؛ فأدُّوا مجالسَهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، باسمه واسم أبيه وعشيرته.

فعملوا ذلك حتّى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصّلات والكِسَاء والحباء والقطاع، ويفيضه في العرب والموالي منهم، فكثُر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشقيقه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة؛ فإنّ هذا أحبّ إلى وأقرّ لعني،

وأدحضُ لحجَّة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فُقرِئَت كُتبه على الناس، فرويَت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها! وجَّدَ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلمُوا غلماًهم وصبياًهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلَّمُوا كما يتعلَّمون القرآن، وحتى علمُوا بناتهم ونساءَهم وخدَّمُهم وحشَّمُهم، فلبيثوا بذلك ما شاء الله. ثمَّ كتب إلى عمَّاله نسخةً واحدةً إلى جميع البلدان: انظروا مَنْ قامَتْ عليه البيَّنةُ أَنَّه يُحبُّ عَلَيَا وأهله بيته، فاخموه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشَفَعَ ذلك بنسخة أخرى: مَنْ اهْمَمُوه بِموالاه هؤلاء القوم، فنكَّلُوا به، واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدَّ ولا أكثر منه بالعراق؛ ولا سيَّما بالكوفة، حتى أنَّ الرجلَ من شيعة عليٍ عليه السلام ليأتيه مَنْ يثق به، فيدخل بيته، فيلقِي إليه سرمه، ويختاف من خادمه ومملوكه، ولا يجدَّنه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتُمَّ عليه؛ ظهرَ حديثُ كثيرٍ موضوع، ومحْتَانٌ منتشرٌ! ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة؛ وكان أعظم الناس في ذلك بليَّ القراء المراءون، والمستضعفون، الذين يُظهرون الحشو والنشُّك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاهم، وبصيغوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الدِّيَانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنُّون أنها حقٌّ، ولو علموا أنها باطلة لَمَّا رأوها ولا تدرينا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام ، فازداد البلاء والفتنة،

فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه، أو طریدٌ في الأرض.  
 ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتدَّ على الشيعة! وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرَّب إليه أهلُ التُّشُّك والصلاح والدين ببعض عليٍّ وموالاة أعدائه...، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضب من عليٍّ عليه السلام وعَيْنه والطعن فيه والشنان له ...

وقد روى ابن عرفة المعروف بنقطويه، في تاريخه: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقرِّباً إليهم بما يظنون أكْحَمُوا إلَيْهم به أنوف بني هاشم <sup>(١)</sup>!

### مدرسة معاوية في وضع الحديث

جرى الكلام في المنع من الحديث والمعاقبة عليه، والتعلل في ذلك بذرعة أن لا يختلط القرآن بشيء من غيره، وكان الموقف الصارم من الحديث في هتك حرمة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحرق سيرته، وامتدَّت أياديهم إلى القرآن فهتكوا حرمته بحرق المصاحف مع المزاعم التي ذكرناها في ضياع نصوص منه، وأن الآية الفلاطية كانت على عهد النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا، وأضافوا إليها كلمات، وأنحى بلفظ آخر ...، مما ذكرناه. وفسرنا ذلك بأنَّه تمهد لإنقاصاء أهل البيت عليهم السلام عن مرتبهم التي ربَّها القرآن الكريم ورتبتها السنة المطهرة.

وذكرنا شيئاً مما فعله معاوية خاصة وبنو أمية وحاشياتهم مستفيدين من

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ - ٤٦.

سياسة التمهيد، والتمكين جهد إمكаниم في إفراغ عُقد النقص وطلب الشارات، فيالبدر وأحد ومحنин ... وذكر هنا عملاً فنياً شيطانياً مقتناً سلكه ابن هند في حقل الأحاديث الموضوعة في ذم أمير المؤمنين عليٰ عليه السلام نشأ عليها أجيالاً شامية توارث بعض عليٰ عليه السلام وينقل كل جيل إلى الذي يليه تلك الأحاديث الموضوعة.

ذكر أبو جعفر الإسکافی: أن معاویة وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبیحة في عليٰ عليه السلام، تقضي الطعن فيه والبراءة منه؛ وجعل لهم على ذلك جعلًا يرثب في مثله؛ فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هریرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة. ومن التابعين: عروة بن الزبیر<sup>(۱)</sup>.

روى الواقدي أن معاویة لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس إليه خطب فقال: أيها الناس؛ إن رسول الله ﷺ قال لي «إنك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدسة، فإن فيها الأبدال؛ وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب. فلعنوه. فلما كان من الغد كتب كتاباً، ثم جمعهم فقرأ عليهم؛ وفيه: هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاویة، صاحب وحي الله الذي بعث محمدًا نبياً، وكان أميناً لا يقرأ ولا يكتب، فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً، فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه؛ وهو لا يعلم ما أكتب، فلم يكن يبني وبين الله أحد من خلقه.

---

(۱) شرح نهج البلاغة ۴: ۶۳.

فقال له الحاضرون كلهم: صدقت يا أمير المؤمنين !<sup>(١)</sup>

أنصدق الله تعالى إذ نصب علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ ، ولیاً لأمر المسلمين؛ وقد تكلّمنا عن ذلك بما فيه كفاية في آية الولاية وتصدق أمير المؤمنين علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ بخاتمه في حال الرکوع في الصلاة، فكان الإجماع المتواتر أن الآية نزلت في علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ؛ ونصّت على حصر الولاية بالله تعالى، ثم برسوله عَلَيْهِ الْأَنْبَاءُ ، ومن ثم ب الخليفة رسوله علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ .

وتوج ذلك رسول الله عَلَيْهِ الْأَنْبَاءُ بأخذ البيعة العامة لأمير المؤمنين علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ في حجة الوداع في غدير خم، ولعن في أكثر من موطن من يناسب علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ أو يأبى خلافه ...، فكيف ينافق - حاشا له عَلَيْهِ الْأَنْبَاءُ - نفسه، ففسد ما أبرم وينصب خليفتين من بعده، ومن الثاني: معاوية؛ وكفى به تعرضا!

ثم انظر أي جهور انتتحت المدرسة الأموية، فإن الأمويين قد بثوا أحاديث كاذبة بشأن «الشام» وأئمها الأرض المقدسة! وأن أهلها هم الأبدال الذين يتصرّبون الله تعالى لدينهم ... وغير ذلك. وعلى هذا تابعوا سيدهم في لعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ ، حتى صار جلهم لا يعرف من هو «علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ»!

روى الإسکافي: وقد صح أنّ بنی أمیة منعوا من إظهار فضائل علياً عَلَيْهِ الْأَنْبَاءِ ، وعاقبوا ذلك الراوی له؛ حتى أن الرجل إذا روى حدیثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرائع الدين لا يتحاسّر على ذكر اسمه؛ فيقول: عن أبي زینب<sup>(٢)</sup>!

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٢.

(٢) المعيار والموازنة ١٣٧.

وروى عطاء، عن عبد الله بن شداد بن المداد، قال: ودِدْتُ أَنْ أَتَرَكَ فَأَحَدَّ بِفَضْلِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمًا إِلَى الْلَّيلِ؛ وَأَنْ عُنْقِي هَذِهِ ضُرِبَتْ بِالسِّيفِ<sup>(١)</sup>.

وقال: وقد روى أن معاوية بدأ لسمورة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب: (وَمِنَ التَّابِعِينَ مَنْ يُعَجِّبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهُدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا يَحْصُمْ \* وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيَهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) <sup>(٢)</sup>، وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: (وَمِنَ التَّابِعِينَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) <sup>(٣)</sup>، فلم يقبل منه، فبذل له مائة ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعين ألفاً فقبل، وروى ذلك <sup>(٤)</sup>.

ما أعظم إجرامك يا ابن هند! ما أن تفردت بالشام حتى بذلت جهداً كله لفتن أهل الشام وإبعادهم عن دينهم ونشر الجهل بينهم فراح يسوقهم حيث شاء؛ وقد ذكر هذه الحالة المأساوية «عمرو بن العاص» وزير معاوية في قصيدة طويلة تسمى المخلجية، هذا بعضها:

ولَمَّا عَصَيْتِ إِمَامَ الْمَهْدِيِّ      وَفِي جَيْشِهِ كُلُّ مُسْتَنْهَلٍ  
أَبَا الْبَقَرِ الْبُكْمِ أَهْلَ الشَّامِ      لِأَهْلِ التُّقَى وَالْحِجَارِ أَبْتَلَى؟

(١) نفسه.

(٢) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) المعيار والموازنة ٧٢ - ٧٣.

فَقُلْتَ: نَعَمْ، قَمْ فِي إِلَيْيِ أَرِي  
فِي حَارِبَا سَيِّدَ الْأَوْصَيَا  
وَعَلِمْتُهُمْ كَثْفَ سَوْءَاهُمْ  
وَحِيتَ رَفِعْنَاكَ فَوْقَ الرَّؤُوسِ  
وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ الْمَصْطَفَى  
وَفِي يَوْمِ «خَمْ» رَقَى مِنْ بَرَا  
وَفِي كَفَّهُ كَفْفَهُ مُعْلِنَا  
الْسَّلَّتُ بُكْمَ مَنْكُمْ فِي النَّفَوسِ  
فَأَنْجَلَهُ إِمَّرَةُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَقَالَ: مَنْ كَنْتُ مَوْلَى لَهُ  
فَوَالِ مُوَالِيَّهُ يَا ذَا الْجَلَّا  
وَلَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ مِنْ عِتْرَتِي

قَتَالَ الْمُفْضَلَ بِالْأَفْضَلِ  
بِقَوْلِي: دَمْ طُلَّ مِنْ نَعْشَلَ<sup>(١)</sup>  
لِرَدِّ الْعَضَنْفَرَةِ الْمُقْبَلِ<sup>(٢)</sup>  
نَزَنَا إِلَى أَسْفَلِ الْأَسْفَلِ!  
وَصَايَا مُخْصَصَةً فِي عَلَيِّ?  
يُلَّاخَ، وَالرَّكَبُ لَمْ يَرْجِلِ  
يُنَادِي بِأَمْرِ الْعَزِيزِ الْعُلَيِّ:  
بِأَوْلَى؟ فَقَالُوا: بَلِي فَافْعَلِ  
مِنَ اللَّهِ مُسْتَخْلَفُ الْمُسْكَلِ  
فَهَذَا لَهُ الْيَوْمُ نِعْمَ الْوَلِي  
لِوَعَادِ مُعَادِي أَخِ الْمُرْسَلِ  
فَقَاتَعُهُمْ يَيِّهِ لَمْ يُوصَلِ

(١) طلّ الدم: هُدِير ولم يُشار له. ونعتُل: اسم لعثمان سُقْته به عائشة.

(٢) ذلك أنّ عمرو بن العاص بز ليقاتل فبر إلهي أمير المؤمنين على عرشه فلما رأه أسقط نفسه عن فرسه ورفع رجليه

فبانت سوئته، فأشاح أمير المؤمنين بوجهه الكريم عنه وهرب ابن العاص.

و فعل مثل ذلك معاوية وبُسر مع الإمام !!

فَبَخْرَبَخْ شَيْخُكَ لَمَّا رَأَى  
 عُرَى عَقْدِ حِيدَرَ لَمْ تُخَلِّ  
 فَمَدْخُلَهُ فِي كُمْ مَدْخَلِي  
 وَإِنَّا وَمَا كَانَ مِنْ فَعْلَنَا  
 لَفِي النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ  
 وَمَا دُمْ عَثْمَانَ مَنْجَ لَنَا  
 مِنْ اللَّهِ فِي الْمَوْقِفِ الْمُخْجَلِ  
 وَإِنَّ عَلَيَّ أَغْدَادًا حَصَّ مَنَا  
 وَيَعْتَزُ بِاللَّهِ وَالْمَرْسَلِ  
 فَمَا عُذْرَنَا يَوْمَ كَشْفِ الغَطَّا؟!<sup>(٦)</sup>  
 لَكَ الْوَيْلُ مِنْهُ غَدَادًا، ثُمَّ لِي!

شهادة حق نطق بها ابن النابغة، لما حصل بينه وبين سيده ابن هند خلاف، تضمنت مقارنة موازنة بين العسكريين: عسكر أهل الكوفة اهل الثقى والعقول الذين يمضون على بيته، متبعين إمام هدى سيد الأوصياء أمير المؤمنين بأمر الله تعالى وتبلیغ رسوله ﷺ فاتّبعوه ولم ينكروا عهداً...؛ ولذا فمأسود لا يجبنون.

ثم وصف عسكر أهل الشام وأهّم بَقَرْ بُكْم استطاع ابن العاص أن يعلّمهم، بل ويعلم ملوكهم ابن هند، وابن أبي أرتاة كيف يدفعون عن أنفسهم بسوءاتهم ويصف نفسه وأهل الشام بالجهل إذ اتبعوا معاوية ورفعوه، فنزلوا بذلك إلى أسفل السافلين، وأنه معاوية ومن تبعهم في جهنّم!! وهذا الذي قلناه من قبل في أحاديث «الأريكة»، وتحذير رسول الله ﷺ من صاحب «الأريكة» الذي يتّخذ القرآن ذريعةً للمنع من حديث رسول الله ﷺ ، وقد

---

(٦) شرح نهج البلاغة ٢:٥٢٢.

استعمل عليه السلام لفظ «يوشك» التي تظهر في القريب زمنياً، وفعلاً وجدنا أبا بكر يحرق «٥٠٠» حديث، ثم ينهج عمر المنهج نفسه فيحرق نفسه فيحرق أحاديث رسول الله عليه السلام ويعاقب صحابة لأئمّهم يحدّثون ويحبس آخرين ...، فإذا جاء ابن هند ومن قبله سلفه عثمان الذي توسع في معاقبة خيار الصحابة والمنع من الحديث، فما كان منه إلا أن يمدّ يده إلى تحريف أسباب نزول القرآن بما يخدم أهدافه، فإن هذا التحريف لديه أسهل من حرق السنة ومنع تداولها، ومن حرق كتاب الله تعالى؛ كيف وهو معاوية الذي أعلن صراحة أنه ما قاتل من أجل الصلاة والصوم والحج والرّحمة؛ وإنما قاتل ليتأمر عليهم - مرّ بنا -؛ وما علمنا منه ولا من بيته إسلام وإنما هو فتح مكة وإرغام رسول الله عليه السلام لآل أبي سفيان أن يفتحوا بيتهم للإسلام المنتصر وأحسن إليهم فأطلقهم؛ فهم الطُّلقاء. ومرّ بنا لعن رسول الله عليه السلام لأبي سفيان ولولديه: يزيد ومعاوية ابني أبي سفيان، في أكثر من موطن ودعوة رسول الله عليه السلام إلى قتل معاوية إذا رأوه يخطب على المبر ... وقد كان جريئاً في أمر سُبِّق إليه ولكن في حدودٍ من ذلك ما يتعلّق بأمر فدك وادعاء النصّ على خلافة الأول وأمثال ذلك.

وأمّا معاوية بعد تشدّده في محاربة الحديث، وفتحه مدرسة لكتابه التاريخ والسيرة وفق ما يريد، وعلم أولئك رغبته وقد أعمتهم الأموال التي أغدقها عليهم معاوية، فحقّقوا له رغبته ومن ذلك وضع أحاديث تناول من أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام. فأمّا بشأن الآيتين المباركتين؛ حيث دخل معاوية في

معاملة تساومية مع سُرّة بن جُنْدَب بذل له فيها مائتي ألف درهم، فلم يقبل فزاده لم يقبل حتى صار أربعمائة ألف درهم، فقبل على أن يروي أن الآيتين نزلتا في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

عليه السلام !

ومن قصة الآيتين كما ذكر المفسرون:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، نزلت في الأحنف ابن شريق بن عمرو بن وهب بن أبي سلمة الثقفي ، كان يأتي النبي ﷺ فيخبره أنه يحبه ويختلف بالله على ذلك ، ويخبره أنه يتبعه على دينه ، فكان النبي ﷺ يعجبه ذلك ويدنيه في المجلس ، وفي قلبه - أي قلب الأحنف - غير ذلك ، فأنزل الله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (وَيُشَهِّدُ اللَّهُ عَلَىٰ) ما يقول ، يعني يمينه التي حلف بالله ، و (مَا فِي قَلْبِهِ) أن الذي يقول حق (وَهُوَ أَكْذَابٌ) يقول جدلاً بالباطل ...<sup>(٦)</sup>.

ونحن في غنى عن تفسير المفسرين ، ولكن قطعاً للذرعة وما شاء منهج البحث ، وإنما الآياتان معاوية أليق فهو حمض باطل سيرته التي مات عليها ثبت ذلك ، وعلى عليه السلام حبه لإيمان وبغضه نفاق . وأماما قوله: إن قول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) ، إنما نزلت في ابن ملجم ، فلا عجب ! فكلامها: ابن ملجم ، معاوية ، ناصييان خرجا على أمير المؤمنين عليه السلام فقاتلته معاوية ، وأجهز

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ١: ١٠٨ ، معاني القرآن ، للقراء ١: ١٢٤ ، الكشاف ١: ١٢٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٣: ١٧ ، جامع البيان ٤: ٢٤٣ ، إعراب القرآن ، للعكربى ١: ٥٢ ، البحر المحيط ٢: ١١٦ ، تفسير الفخر الرازي ٢: ١٩٠

عليه ابنُ ملجمٍ في محراب صلاته فضربه بالسيف فمضى عليه شهيداً.

أما بشأن الآية المباركة، فالإجماع منعقد على أنها نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وذلك لأنّ قريشاً تحالفوا على قتل رسول الله عليهما السلام، وأجمعوا أمرهم: أن يُتَدْبَ لذلِكَ من كل قبيلة شاب، فيكبسوه ضربة رجل واحد، فيضيع دمه ولا يأخذ بثأره أحد. فنزل جبريل عليهما السلام بأمر الله تعالى لنبيه عليهما السلام أن يترك مكة ويهاجر، وأن بيته ابن عمّه عليّ على فراشه، ففعل وبات الفدائي وقد وطّن نفسه للشهادة في سبيل الله وفي سبيل سلامه رسول الله عليهما السلام.

لقد عز الناصر الذي يؤدي وظيفة خطيرة مثل هذه، وما كان لجسده غير عليّ أن يتكرّم بماسته موضع جسد النبي عليهما السلام في فراشه. ثم ما كان لغير عليّ أن يقوم مقام النبي سواء في الدعوة والتبلیغ حيث اختصّه بتبلیغ «براءة»، أو تأدية أمانته وما كان يوصي إليه.

عن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن أبي رافع في هجرة النبي عليهما السلام، قال: وخلفه النبي عليهما السلام - يعني خلف علياً - يخرج إليه بأهله، وأمره أن يؤدّي عنه أمانته ووصيات مَنْ كان يوصي إليه، وما كان يُؤْمِنُ عليه من مال، فأدّى عليّ أمانته كلها. وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: إنّ قريشاً لم يفقدوني ما رأوك، فاضطجع على فراشه.

(٦) إن التأدية عن رسول الله عليهما السلام ليس أمراً يُذكر من غير وقفة وتأمل! وأحاديث النبي عليهما السلام في

---

(١) أسد الغابة ٤: ٩٦.

هذا الباب وفيرة وفي أكثر من مشهدٍ وموقف؛ يعزّزها ائتمانه أهلَه، ولا يجوز لنبيِ الله أن يأْتِي على أهله إلَّا رجلاً مثله في العصمة.

وقد خَلَفَه عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ عَلَى أهله غَيْرَ مَرْتَه، من ذلك: غزاة تبوك، فأظهر عَلَيْهِ حزنه لذلك فقال له النبي عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ: «يا علي، إِنَّمَا حَلْفَتُكَ عَلَى أهْلِي، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي مَنْزَلَةُ هارونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَ بَعْدِي؟»<sup>(١)</sup>.

ونذكر بعض الآثار الواردة في نزول الآية المباركة في أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ. ورد نزول الآية في أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ؛ عنه وعن ولديه الحسنين عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ؛ وكفى بهم صدقًا ووثيقًا!

\* عن أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ فيما خاطب به أهل الشّورى، محتاجًا عليهم بفضائله وما اختصه الله تعالى به، ومنه الآية المذكورة، برواية الصحابي أبي الطُّفْيل عاصم بن واثلة. (مناقب للخوارزمي ٣١٥، مناقب الإمام علي لابن

(١) المصطفى، لابن أبي شيبة حديث ١٢ من فضائل علي عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَزَّلَهُ، مسنون أبي داود حديث ٢٠٥، مسنون أحمد، مسنون أبي سعيد ح ١٠٨٧٩ ومواضع أخرى، مسنون أبي يعلى - مسنون سعد ٦٦:٢ - ١٣٢ وغيرها، الفضائل، لأحمد، حديث ١٤٢، تاريخ البخاري الكبير ٤٨/٣:١٧٩، صحيح مسلم ٤٤:٣، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي رقم ٣٠ - ٣٢، المعجم الكبير، للطبراني ٣٨٤/١٤٦/٢٤، طبقات ابن سعد ٢٤:٣، مسنون ابن حبان ٦٩٢٦/٣٦٩/١٥، مشكل الآثار ٢١٣/٢:١٩٠٣، الكامل، لابن عَدَى ٤١٦/٢ ترجمة حرب ابن شداد، ستن ابن ماجة ١:٤٢ حديث ١١٥، أنساب الأشراف ٣٤٦:١، تاريخ بغداد ١٣٧٦/٢٨٩:٣، حلية الأولياء ١٩٤:٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٤٣/١٧ - ٢٤٨، مناقب الخوارزمي ١٤٨/١٣٣، تحذيب الكمال ٢٦٣/٣٥ ...

المغازي ١٥٥، كنز العمال ٣: ١٥٦، غاية المرام ٥٦٤).

ورواه الصحابي أبو ذر الغفارى. (أمالى الطوسي ٢: ١٦٢).

ورواه ابن الكواء، عنه عائلا. (خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي ٢٦). وأبو مريم الأسدى، عنه عائلا. المستدرک على الصحيحين ٣: ٥.

\* الحسن بن علي بن أبي طالب عائلا. تذكرة الخواص ١٨٢.

\* علي بن الحسين بن علي عائلا، عن حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين عائلا، قال: إن من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب عائلا. وقال علي عائلا عند مبيته على فراش رسول الله عائلا:

وقيٌّ ثُبنفسي خَيْرٌ مَنْ وَطَأَ الْحَصِيرِ  
وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالْحِجْرِ  
رَسُولُ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ  
فَجَاهَ دُوَّالَ الطَّوْلِ إِلَهٍ، مِنَ الْمَكْرِ  
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ آمِنًا  
مُؤْفَقٌ وَفِي حَفْظِ إِلَهٍ وَفِي سِرْرٍ  
وَبِئْرٌ أَرَاعَيْهِمْ وَمَا يُتَسْوِنَى  
وَقَدْ وَطَّثَ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ

ورد في المناقب للخوارزمي ١٢٧ وينابيع المودة ٩٢، والمستدرک على الصحيحين. وورد بغير

الشعر المذكور في: أمالى الطوسي ٢: ٦١، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٦٤.

\* ابن عباس. مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣١٨، المناقب للخوارزمي ١٢٦، ينابيع المودة ٩٢.

وبرواية عمرو بن ميمون عنه، في مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٢٩.

ورواية أبي صالح عنه في تفسير الطبرى ١٤٩:٩، دلائل النبوة لأبي نعيم ٦٣

- ٦٥ -

والسُّدِّي عنه، في العمدة لابن البطريق ١٢٤، ينابيع المودة ٩٢.

ورواه أبو غطفان عن ابن عباس، في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٢٧:١، أمالى الطوسيٰ

٢:٦٠. وشعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون، في البداية والنهاية ٧:٣٢٨.

ولحديث ابن عباس طرُق كثيرة في شواهد التنزيل من ذلك ك رقم ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦،

. ١٣٨

ومن مصادر الحديث عن ابن عباس: أنساب الأشراف ٢:١٠٦، خصائص النسائيٰ ٦١ -

٦٢، مسنَد أحمد بن حنبل ١:٣٣٠ - ٣٣١، المعجم الكبير للطبرانيٰ ٣:١٥١، وتاريخ بغداد

١٣:١٩١ - ١٩٢ ن وكفاية الطالب ٢٤٠ - ٢٤١، وإحياء العلوم للغزالىٰ ٣:٢٥٢

التلخيص ٣:٤٢٦٣/٥، تفسير الشعليٰ ٢:١٢٦، تفسير النيشابوري بهامش تفسير الطبرىٰ ٢:

٢٩١، تفسير القرطبيٰ ٣:٢١، جمع الروايد ٩:١٩ - ٢٠، الرياض التضرة ٢:٢٦٩ - ٢٧٠

ذخائر العقبيٰ ٨٤ - ٨٨.

\* رواه الصحابي أبو سعيد الخدري. شواهد التنزيل حديث رقم ١٣٣.

\* وورد عن عائشة بنت قُدَّامة. الطبقات الكبرى ١:٢٢٧.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يبيت أمير المؤمنين عليهما السلام على فراش رسول الله عليهما السلام يفديه

بهجته ويدرأ عن نفسه؛ يشد أزره في ذلك أبو طالب، أبوه مؤمن قريش وناصر النبيٰ

عليهما السلام. جاء في «شعر أبي طالب وأخباره -

المستدرك ص ٧٣: «مَا أَنْشَدَهُ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَيَاتُ - أَيُّ الْغَدْرُ لِيَلَّا حِيثُ بَيْتٌ - إِذَا عُرِفَ مَضْجُعُهِ، فَكَانَ يُقِيمُهُ لِيَلَّا مِنْ مَنَامِهِ وَيُضْجِعُ ابْنَهُ عَلَيْهَا مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ لِيَلَّا: إِنِّي مَقْتُولٌ. فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ، شَعْرًا:

إِصِيرَنْ يَا بُنَيَّ فَالصَّبْرُ أَحْجَى  
كُلُّ حَيٍّ مَصِيرَةُ لِشَعُوبِ<sup>(١)</sup>  
فَلَدَّرَ اللَّهُ - وَالسَّبَلَاءُ شَدِيدٌ -  
إِنْ تُصْبِكَ الْمَسْنُونُ فَالْبَيْلَاءُ ثَبَرِي  
كُلُّ حَيٍّ - وَإِنْ تَمَلِّى بِعُمْرٍ -  
فَأَحَابَ عَلَيْهِ عَلَيَّلَّا، فَقَالَ:

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّبَرِ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ  
وَلَكَنِّي أَحِبُّتُ أَنْ تَرِي تُصْرِتِي  
سَأَسْعِي لِوَجْهِ اللَّهِ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ  
إِنَّ فِي سُلُوكِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيَّلَّا، فِي حِمَايَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفَدَاءِهِ بِابْنِهِ عَلَيْهِ عَلَيَّلَّا، وَطَاعَةِ  
عَلَيْهِ الْمُطْلَقَةِ لِأَبِيهِ؛ مَعَ وَعِيِّ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى؛

(١) شَعُوب: الْمَتَّيَّةُ، يُقَالُ أَشْعَبُ الرَّجُلِ، إِذَا ماتَ أَوْ فَارَقَ فِرَاقًا لَا يَرْجِعُ. تَحْذِيفُ الْأَلْفَاظِ، لَابْنِ السَّكِّيْتِ ٤٥٣.

(٢) المستدرك على شعر أبي طالب عَلَيَّلَّا، لأبي هُقَّانَ الْمَهْزُومِ (ت ٢٥٧ هـ). ٧٤.

وقد ترجمه في جوابه لأبيه شرعاً، مضافاً إلى ما لحقه هو وبني هاشم من أذى قريش التي فرضت عليهم مقاطعة أمدها ثلاثة سنين لا يشترون منهم ولا يبيعونهم، ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم... ومن ثم انعزل أبو طالب وبنو هاشم إلى شعبٍ وادٍ عرف فيما بعد باسم وادي أبي طالب؛ أقول: إنّ في سلوك أبي طالب هذا تحطيم للدعـاعة الـأـمويـة التي نشرت حديثاً مفترئاً وهو أنّ رسول الله ﷺ دعا أبا طالب إلى الإسلام فأبى؟! فلما مات، استأذن الله تعالى بالاستغفار له فلم يأذن له؟!! كل ذلك ناصيـة وبغضـاً وحرباً لـعلـيـ أمـيرـالمـؤـمـنـينـ عـائـلـاـ .

إنّ الحـمـاـيـةـ التيـ أـوـلـاـهـاـ أـبـوـ طـالـبـ عـائـلـاـ لـرسـولـ اللهـ ﷺ تـكـذـبـ الدـعـاعـةـ الـأـمـوـيـةـ وـتـلـقـيـ ظـلـالـ تـسـأـلـ عـلـىـ كـتـبـ الـحـدـيـثـ وـالـتـارـيـخـ الـتـيـ تـنـاقـلـتـ تـلـكـ الدـعـاعـةـ بـنـصـ وـاحـدـ!ـ مـنـ غـيرـ التـفـاتـ لـسـيـرـةـ شـيـخـ الـبـطـحـاءـ وـزـعـيمـهـ وـمـقـدـارـ الـأـذـىـ الـذـيـ تـحـمـلـهـ هـوـ وـبـنـوـ هـاـشـمـ وـفـقـدـانـهـ مـنـزـلـتـهـ بـيـنـ قـوـمـهـ.ـ فـإـذـاـ كـانـ ذـلـكـ عـاطـفـةـ مـحـضـةـ،ـ فـلـمـ حـرـمـ أـبـوـ هـلـبـ،ـ وـهـوـ عـمـ النـبـيـ ﷺ أـيـضاـ هـذـهـ الـعـاطـفـةـ؟ـ!ـ بـلـ كـانـ أـشـدـ النـاسـ عـدـاؤـاـ لـهـ،ـ وـكـانـ اـمـرـأـتـهـ ثـعـيـنـهـ فـيـ مـهـمـتـهـ الـقـدـرـهـ هـذـهـ فـكـانـ تـحـمـلـ الشـوـكـ وـالـحـطـبـ يـضـعـانـهـ فـيـ الطـرـيقـ الـذـيـ يـمـرـ بـهـ رـسـولـ اللهـ ﷺ؛ـ وـقـدـ أـنـزـلـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـهـمـاـ سـوـرـةـ كـامـلـةـ:ـ «ـسـوـرـةـ تـبـتـ»ـ.

إنّ للـعـاطـفـةـ حدـودـاـ،ـ وـمـنـ حـدـودـهـ أـنـ يـطـلـبـ أـبـوـ طـالـبـ مـنـ اـبـنـ أـخـيهـ يـكـفـ عنـ الدـعـوـةـ صـوـنـاـ لـهـ مـنـ خـطـرـ قـرـيـشـ وـإـبـقاءـ عـلـىـ مـكـانـتـهـ هـوـ فـيـ قـرـيـشـ..ـ؛ـ إـلـاـ أـنـ مـوـقـفـهـ وـشـعـرـهـ وـشـعـرـ وـلـدـهـ عـائـلـاـ،ـ وـمـوـاقـفـ وـأـشـعـارـ تـرـجـمـ حـقـيـقـةـ أـبـيـ طـالـبـ وـأـتـهـ عـاـشـ وـمـاتـ مـسـلـمـاـ مـنـاضـلـاـ بـرـبـيـهــ.ـ وـهـذـهـ بـعـضـ أـشـعـارـهـ:

## حديث بحيرا الراهب

ذكر ذلك ابن إسحاق في سيرته؛ فبسند عن يونس بن بكر عن محمد بن إسحاق، قال: إنّ أبا طالب خرج تاجراً إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، فلما نزلوا ببحيرا وكانوا كثيراً مما يمرّون به قبل ذلك لا يكلّهم ولا يعرض لهم، حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا قريباً من صومعته، فصنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رأه وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا وغماماً تظله - أي تظلّ النبي ﷺ - من بين القوم، حتّى نزلوا تحت شجرة قریباً منه، فنظر إلى العمامة قد أظلّت الشجرة، وتدلّت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتّى استظلّ تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا، نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فصنّع، ثمّ أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معاشر قريش، وأنا أحبّ أن تحضوروا كلّكم ...، فحضرّوا وتخلّف رسول الله ﷺ لحادثة سنه، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده؛ قال: يا معاشر قريش لا يتخلّف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلّف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلاّ غلام هو أحدث القوم سنّاً، تخلّف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ... فأحضروه، فلما رأه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفتة، حتّى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلاّ أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال بحيرا له ذلك لأنّه سمع

قومه يختلفون بحما، فزعموا أنّ رسول قال له: لا تسلني باللّات والعزى شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قطّ بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عمّا أسألك عنه، قال: سلني عمّا بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من قومه، وهيئته، وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفتة، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النّبوة بين كتفيه على موضعه من صفتة التي عنده، فلما فرغ منه أقبل على عمّه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا، ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّا، قال: فإنه ابن أخي وقد مات أبوه وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلدك واحذر عليه من اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليغنه شرّاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسْبِعْ به إلى بلاده، فخرج به عمّه حتّى أقدمه مكة حين فرغ من تجارتة بالشام.

فرزعموا أنّ نفراً من أهل الكتاب «يهود» قد كانوا رأوا رسول الله ﷺ في ذلك السفر هم: زبیر، وتمّام ن ودریس؛ ورأوا منه أشياء فأرادوه، فرددّهم عنه بحيرا، وذّكرهم الله عزّ وجلّ، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ...<sup>(١)</sup>.

ولأبي طالب شعر في ذلك:

إِنَّ ابْنَ آمِنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّداً  
عَنِّي دِيْمُثَلٌ مِنْ مَا زَلَّ الْأَوْلَادُ  
لَمَّا تَعَلَّقَ الزَّمَامُ رَحْمَتَه  
وَالْعَيْسُ قَدْ قَلَّصَنْ بِالْأَزْوَادَ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٧٣ - ٧٦.

فأرض من عيني دمع ذارف مثل الجمان مُفرّق الأفراد  
إلى آخر الشعر. فأنت ترى أنه قد آمن وأعلنها صريحةً (٤) بنبؤة محمد عليهما السلام وهو ما زال علاماً،  
وذلك لشهادة حَبْرٍ؛ مما يدلّ على رجحان عقل أبي طالب دون غيره من الشيخوخ الذين ماتوا  
كفاراً أو قتلوا مشكين فكان الحسد لأمير المؤمنين علي عليهما السلام: كيف تجتمع النبوة والإمامية في بيت  
واحد، والسيادة لابن عمّه سيد الرسل وله سيد العرب والزوجه سيدة نساء أهل الجنة ولو لديه  
سيدي شباب أهل الجنة وأبوه شيخ الطحاء حامي النبي عليهما السلام مؤمن قريش؟! ومن شعر أبي  
طالب بن الخطيب، وذلك لما اجتمعت بنو هاشم وبني المطلب معه ورأى أن قد امتنع بهم وأن قريشاً لن  
يعادوه، وتجدد في الشعر أنه انتصر لرسول الله عليهما السلام، وفيه تصريح منه برسالة النبي:

٧٦ نفسم (١)

(٢) الخنفقيق: أي الداهية. اللسان.

(٣) سیرہ ابن إسحاق ١٤٩.

يمدحهم ويذكر قدتهم، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشتدّ لهم رأيهم فيه،  
وليحدبوا معه أمرهم، فقال أبوطالب:

فبعد مناف سرها وصميها  
ففي هاشم أشرفها وقدتها  
هو المصطفى من سرها وكريها  
 علينا فلم تظفر وطاشت حلومها  
إذا ما شروا صعر الخدوش نقيتها  
ونخمي حماها كل يوم كريها  
إن أبي طالب عليه السلام يحكم لعبد مناف على قريش بالفخر؛ وإذا صار السباق في حلقة الشرف؛  
فهاشم عوده المونق؛ وذروة هاشم وسنانها: محمد رسول الله عليه السلام. هكذا يصنف أبوطالب  
مواضع الفخر، فكيف انساقت كتب الحديث والتاريخ خلف العداء الأموي وأعرضت عن هذه  
السيرة العطرة لهذا الرجل النبيل الذي كان سندًا للنبي عليه السلام يفديه بنفسه وبابنه وعشيرته عن إيمان  
برسالته؛ فصار مشركاً؛ وسيجمع الله بينهم وحينها يخسر المبطلون.  
ومن شعر مؤمن قريش وشيخ البطحاء أبي طالب يُظهر فيه مَنْعَتَه وإيمانه بالنبي عليه السلام، ويختمه  
بالتوحيد لا بالشرك! قال:

ما إن جئنا من قريش عظيمة سوى أن منعنا خيرَ مَنْ وطىءَ التُّربا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ١٤٩.

أخائفة للنائبات موراً<sup>(١)</sup> كعماً  
 فيا أخويما عبد شمس ونوفلا  
 وإن تصبحوا من بعد ود ولفةٍ  
 ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ  
 فوالله لو لا الله لا شيء غيره  
 فهو يبدأ مدح ابن أخيه الذي ينافع عنه وأنه خير من وطئ التربا ويختتمها بالقسم لا باللات  
 والعزى ... التي يحلف بها أهل الجاهلية وإنما بالله تعالى، ثم يتزهّه أن يكون شيء غيره، فمثل أبي طالب يقال عنه مشرك؟! والذي يحمل معه الأذلام يوم «تبوك» فإذا ظهرت الروم قال: ويه بني الأصفر مشجعاً لهم، ذلك هو أبو سفيان.

واسمع أبا طالب كيف يشدّ من عزيمة ابن أخيه رسول الله ﷺ ليواصل مسيرته وأنه يمنع عنه أعداءه ولن يصلوا إليه بأذى حتى يهلك دونه، ومصرّحاً بأنّ دين محمد ﷺ خير الأديان، فماذا بعد المدى إلا الضلال؟! قال عليه السلام:

والله لن يصلوا إليه بجمعهم  
 إمض لأمرك ما عليك عصاضةٌ  
 ودعوتني وعلمتُ أنك ناصحٌ

(١) أي: سبع الأحاجة.

(٢) سيرة ابن إسحاق . ١٥٠ .

وعرضت دينا قد عرفت <sup>(١)</sup> بأنّه من خير أديان البريّة دينا  
وأشعار أبي طالب وموافقه الجهادية وشرحها يطول، نأخذ بعض الشواهد التي تُبطل الدعاية  
الوضعية الأمويّة المعادية لهذا البيت الشريف ولأنّه يعطي تفسيراً موضوعياً للوضع الذي مارسه  
الأمويون بحقّ أسباب نزول آيات القرآن الكريم، و موقفهم من السنة منعاً ووضعاً!! ومن شعره لما  
كتبت قريش كتابها فيبني هاشم:

ألا أبلغأ عيّ على ذات نائي  
ألم تعلّموا أنّا وجدنا محمداً  
أفيفوا أفيقوا قبل أن تُحفر الشري  
ولسنا وربّ البيت نُسلِّم أهّمداً

لؤيّاً وخصّا من لؤيّبني كعب  
نبيّاً كموسى خطّ في أول الكتب  
ويُصبح من لم يجني ذنباً كذبي الذنب!  
على الحال من عضّ الزمان ولا كرب <sup>(٢)</sup>

والشعر أطول من هذا، يبحث على مناصرة النبي ﷺ وبني هاشم مقابل الذين فرضا عليهم  
المقاطعة، ويقيم عليهم الحجّة بأنّ محمداً ﷺ نبي مذكور في التوراة؛ ويختلف بربّ البيت أهّم لـ  
يخلدوا النبي ﷺ على أيّ حالٍ من الأحوال.

ولو كان أبو طالب مشركاً - حاشا أن ننطق بما! - للجأ إلى اللات والعزى ... وغيرها مما  
كان أبوسفيان ومشايخ قريش عاكفين على عبادتها وتقديسها والتحري

(١) سيرة ابن إسحاق ١٥٥.

(٢) نفسه ١٥٧.

لها، وطلب النّصر منها؟! إلّا أنَّ المُوحَّد كان يلْجأ إلى الوَاحِد الْوَاحِد:

«يُونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال: لما سمعت قريش بذلك - أي بشعره وصلابته - ورأوا منه الجدّ وأيسوا منه، فأبدوا لبني عبد المطلب الجفاء، فانطلق بجم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة، فدعوا الله على ظُلْمِ قومهم لهم، وفي قطيعة أرحامهم واجتمعهم على محاربتهم، وبتأوّلهم سفك دمائهم، فقال أبو طالب: اللَّهُمَّ إِنْ أَبِي قَوْمِنَا إِلَّا النَّصْرُ عَلَيْنَا، فعَجَّلَ نَصْرَنَا، وَحَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَتْلِ ابْنِ أَخِي»<sup>(١)</sup>.

ثم أقبل أبو طالب إلى جمّ قريش وهو ينظرون إليه وإلى أصحابه، فقال أبو طالب: ندعوه برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم، والله لنتنه عن الذي تريدون، أو لينزلن الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون، فأجابوه: إنّكم يا بني عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا قتل هذا الصبي السفه<sup>(٢)</sup>.

هذا النضال الشديد مع تعريضه نفسه وبنيه وعشيرته لكل المخاطر هو محمد عاطفة؟! ولما رأى من القوم إصراراً انتهى بالمقاطعة عاطفة كذلك؟! وتبقى مسألة الإيمان بالله تعالى، فلم يسحل التاريخ أن لأبي طالب صنماً تمسك به، إنما وجدنا يُقسم بالله وحده ويتوعد المشركين بصلابة أن ربه الله سيحاسبهم وقد فعل؛ إذ قُطعت رؤوس العتاة من آل أمية وغيرهم وأكثراهم حصدتهم سيف ذي الفقار بيد الفتى علي<sup>ع</sup>؛ فلا غرو أن يضعوا الأحاديث التي تنال منه ومن أبيه،

(١) سيرة ابن إسحاق ١٥٨.

(٢) نفسه ١٥٩ - ١٥٨.

مع التشدد في منع رواية الحديث إلا مشروطاً: ما كان على عهد عمر.

### المقاطعة ودخول الشعب

قال ابن إسحاق: ثم عم أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أخيه ومن اتبعهم من بين مؤمن، دخل لنصرة الله، ونصرة رسول الله ﷺ ومن بين مشرك يحمي، فدخلوا شعبهم، وهو شعب في ناحية من مكة...؛ وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً، فكان رسول الله ﷺ إذا أخذ مصححه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه ...<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي أشرنا إليه سابقاً، وهنا تجد أبا طالب يعرض نفسه وبنيه لخطر القتل فداءً لرسول الله ﷺ؛ فهل فعله هذا إلا عن إيمان راسخ بنبوة محمد المصطفى ﷺ؟ ولذا لا نعجب أن يكون جوابه لأمير المؤمنين علي عليه السلام كما مرّ بنا حين مبيته على فراش النبي ﷺ ليلة هجرته المباركة. ولأبي طالب رض شعر فيما حرى في الشعب:

ألا من لهم آخر الليل مُعْتم	طوابي وأخرى النجم لم يتقدّم
طوابي وقد نامت عيون كثيرة	وسائل أخرى ساهر لم يُنوم
لأحلام أقوام أرادوا مهـداً	بسـوء وـمن لا يـتقـي الظلـم يـظلـم
سعـوا سـقـهاً واقتـادـهم سـوء رـأـ	ـيـهم عـلـى قـائـل مـن رـأـيـهم غـير مـحـكـمـ
رجـوا أـمـورـاً لـم يـنـالـوا نـظـامـهـا	وـإـن حـشـدوا فـي كـلـ نـفـر وـموـسـمـ

(١) سيرة ابن إسحاق ١٥٩ - ١٦٠.

يرجون أن نسخا بقتلِ محمد  
 يرجون منّا خطّة دون نيلها  
 كذبتم وبيت الله لا تقتلونه  
 وتقطع أرحام وتنسى حليلة  
 ومن قصيدة له لما أخبره رسول الله ﷺ أنَّ الله أعلمَه أنَّه أرسلَ الأرضَ على صحيفَةٍ قريش  
 فلم تدع فيها اسم هو لله عز وجل إلَّا أكلته، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فانطلق أبو طالب حتى دخل المسجد، والمشركون من قريش في ظل الكعبة ...، فلما انتهى إليهم قالوا: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتك! وفي حياته فرقتكم وفسادكم! فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله فيه صلاح وجماعة فاقبلوا، هلموا صحيفتكم التي فيه تظاهركم علينا، فجاءوا بها ...، فلما جاءوا بصحيفتهم قال: صحيفتكم بيدي وبينك، وإنَّ ابن أخي خبرني - ولم يكذبني - أنَّ الله عز وجل بعث على صحيفتكم الأرضَ، فلم تدع الله فيها إسماً إلَّا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فإنَّ كان كاذباً فلهم عليَّ أن أدفعه إليكم تقتلونه، وإنَّ كان صادقاً، فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم الموثيق، وأخذوا عليه، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، وكانوا هم بالغدر أولى منهم، واستبشر أبو طالب وأصحابه، وقالوا: أتينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان فقال المطعم بن

---

(١) نفسه.

عَدِيٌّ بْنُ نَوْفُلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ، وَهَشَامٌ بْنُ عُمَرَ، أَخُو عَامِرٍ بْنِ لُؤْيَيِّ بْنِ حَارِثَةَ، فَقَالُوا: نَحْنُ بُرَاءٌ<sup>(١)</sup>  
مِنْ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الْقَاطِعَةِ الْعَادِيَةِ الظَّالِمَةِ، وَلَنْ نَمَالِئَ أَحَدًا فِي فَسَادِ أَنفُسِنَا وَأَشْرَافِنَا، وَتَابَعَ عَلَى  
ذَلِكَ نَاسٌ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ، فَخَرَجَ نَاسٌ مِنْ شَعْبِهِمْ وَقَدْ أَصَابُوهُمْ جَهَدٌ الشَّدِيدُ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ

فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَرَادُوا مِنْ قَتْلِهِ:

وَدَمَعَ كَسَحَ السِّقَاءِ السَّرْبِ	طَسَاوِلَ لِيلَيِّ بَهَمَ وَصَبَّ
وَهَلْ يَرْجِعُ الْحَلْمُ بَعْدَ الْعَبِ	لِلْعَبِ قَصَّيِّ بِأَحْلَامِهِ
خَلْوَفَ الْحَدِيثِ ضَعِيفُ النَّسْبِ	وَقَوْلُ لِأَحْمَدَ أَنْتَ أَمْرُؤُ
بِحَقِّ وَلَمْ يَأْتُوكُمْ بِالْكَذْبِ <sup>(٢)</sup>	وَإِنْ كَانَ أَحْمَدُ قدْ جَاءَهُمْ

وَالشِّعْرُ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا كَلْهُ عَلَى صَدْقِ إِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَّهُ لَنْ يَخْذُلَ النَّبِيَّ ﷺ مَهْمَا  
كَانَ التَّحْدِيُّ!

وَقَالَ ﷺ بِشَأْنِ الصَّحِيفَةِ مَا رَأَى قَوْمٌ لَا يَتَنَاهُونَ وَقَدْ رَأَوْا فِيهَا الْعِلْمَ مَا فِيهَا:	وَمَا ذَنَبُوا مَنْ يَدْعُوا إِلَى الْبِرِّ وَالْثُّقَى
وَلَمْ يُسْتَطِعُ أَنْ يَا رَبَّ الشَّعْبِ يَأْرِبَ	وَقَدْ جَرَّبُوا فِيمَا مَضَى غَبَّ أَمْرُهُمْ
وَمَا عَالَمَ أَمْرًا كَمَنْ لَمْ يَجْرِبْ	وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيفَةِ عِرْبَةً
مَتَى مَا يُخْبِرُ غَائِبُ الْقَوْمِ يَعْجِبُ	مُحَى اللَّهُ مِنْهَا كَفَرُهُمْ وَعَقْوَهُمْ
وَمَا نَقَمُوا مِنْ بَاطِلِ الْحَقِّ مَعْرِبَ	

(١) سيرة ابن إسحاق ١٦١ - ١٦٣.

على سُخط من قومنا غير معتب  
لذى عربة منا ولا متغرب  
ستمنعه منا يد هاشمٰية  
مركبها في الناس حيُّ مركب<sup>(١)</sup>  
أيَّ يُمان هذا، وكيف يُقال عنه مشرك وهو يصف دعوة النبي ﷺ بالير والتقوى، ومذكراً  
بصدق نبوته بأمر الصحيفة وأنَّه ﷺ يخبر عن الغيب؛ ولذا فهو ماضٍ على نحجه ومعه في ذلك  
حواسم بني هاشم.  
ولما هاجر المسلمون إلى الحبشة، قال أبو طالب شرعاً يحضر فيه النجاشي على حسن جوارهم  
والدفع عنهم:

كريم فلا يشقى لديك المجانب  
وأسباب خير كلها بك لازب  
ينال الأعادى نفعها والأقارب<sup>(٢)</sup>  
تعلم - أبىت اللعن - أنك ماجد  
تعلم بآن الله زادك بسطة  
فإنك فيض ذو سجال غزيرة  
وقال أيضاً:

وزير موسى وال المسيح ابن مرئ  
وكلى بأمر الله يهدي ويعصم  
بصدق حديث لا حديث الترجم  
تعلم خيار الناس أنَّ محمدًا  
أتى بهدى مثل الذي أتيا به  
وأنكم تتلونه في كتابكم

(١) سيرة ابن إسحاق ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) نفسه ٢٢١ - ٢٢٢.

وَأَنْكَ مَا يَأْتِيَكَ مِنَّا عَصَابَةٌ لِفَضْلِكَ إِلَّا أَرْجِعُوا بِالنَّكَرِ<sup>(١)</sup>  
 فَأَبُو طَالِبٍ يَخَاطِبُ النَّجَاشِيَّ مَلِكَ الْجَبَشَةِ وَهُوَ نَصَارَىٰ وَيَذَكُّرُهُ بِأَنَّ نَبِيَّ مُحَمَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوْجَوْدَةٌ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَأَنَّهَا تَصْفُهُ بِالصَّادِقِ ...  
 رَوَى الزَّهْرِيُّ أَنَّ عُرُوْفَةَ بْنَ الْزَّبِيرِ حَدَّثَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ أَقْبَلَ الْعَبَّاسُ وَعَلَيْهِ، قَالَ: يَا عَائِشَةَ، إِنَّ هَذِينَ يَمْوَلُونَ عَلَى غَيْرِ مَلِيَّتِي - أَوْ قَالَ: دِينِي<sup>(٢)</sup>.  
 وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَاقِ عَنْ مُعْمَرٍ، قَالَ: كَانَ عِنْدَ الزَّهْرِيِّ حَدِيثَانِ عَنْ عُرُوْفَةِ عَنْ عَائِشَةِ فِي عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَسَأَلَتُهُ عَنْهُمَا يَوْمًا، فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهِمَا وَبِحَدِيثِهِمَا! اللَّهُ أَعْلَمُ؛ إِنِّي لَأَنْهَمُهُمَا فِي بَنِي هَاشِمٍ.

قَالَ: فَأَمَّا الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ؛ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ؛ وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ أَنَّ عُرُوْفَةَ زَعَمَ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ قَالَتْ: كَنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ أَقْبَلَ الْعَبَّاسُ وَعَلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةَ؛ إِنَّ سَرِّكَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَانْظُرِي إِلَى هَذِينَ قَدْ طَلَعَا»، فَنَظَرَتْ، فَإِذَا الْعَبَّاسُ وَعَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ<sup>(٣)</sup> !!  
 وَأَمَّا عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ، فَرَوَى عَنْهُ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيفِهِمَا مُسْنَدًا مُتَّصِلًا بِعُمَرُو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ:

(١) سيرة ابن إسحاق ٢٢٢.

(٢) نفسه ٤: ٦٣ - ٦٤.

(٣) نفسه ٦٤.

«إِنَّ آلَ أَبِي طَالِبٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءِ إِنَّمَا وَلِيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

الإمام الباقر عليه السلام يحدّث عن مخنة أهل البيت عليهما السلام وشيعتهم.

وبعد ذكر مفتريات صاحب المرة! نذكر قول الإمام محمد الباقر عليه السلام لنقف على مخنة أهل بيته النبوة عليهما السلام، ومخنة أوليائهم وشيعتهم معهم، بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، من تصفياتٍ وقتلٍ ومصادرةٍ أموالٍ ومحاربةٍ فكريّةٍ ...

قال عليه السلام لبعض أصحابه: ما لقينا من ظلم قريش حتى أخرجت الأمر عن معدهِ، واحتخت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثم تداولتها قريش، واحدٌ بعد واحدٍ، حتى رجعت إلينا، فنكشت بيّتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحبُ الأمر في صعودٍ كثودٍ، حتى قُتل، فُجُوعَ الحسن ابنه وعُوهَدَ ثم عُذِّرَ به ... «ثم تكلّم عن مخنة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وكيف كان حال شيعة أهل البيت عليهما السلام، من اقصاء وامتهان وحرمان وقتل، لا يأمنون على دمائهم».

قال: ووجد الكاذبون الجاحدون لكتابهم وجحودهم موضعًا يتقدّرون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وأولياء السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الم موضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، ليغضّضونا إلى الناس، وكان عظيم ذلك وكُبره زمان معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتل شيعتنا بكل بلدة، وقطع الأيدي والأرجل على الطلاق، وكان مَنْ يُذَكَّر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن أو هُبَّ ماله، أو هُدِّمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد! إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم

---

(١) نفسه.

بكلّ ظنة وتحمة، حتى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبُّ إليه من أن قال له: شيعة علىّ، وحّى صار الرّجل الذي يُذكّر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً - يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سَلَفَ من الولادة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أَنَّا حُقُّ لكتةٍ مَّن قد رَوَاهَا مِنْ لَمْ يُعْرَفْ بِكَذْبٍ وَلَا بِقَلْةٍ وَرَعٍ<sup>(٤)</sup>.

من هنا تعرف عظم السوء الذي ألحّقه الأوائل من أصحاب «الأريكة» بالسيرة، ثم عدوا على القرآن الكريم فهتكوا حرمته، مهدّين لبني أميّة وعظيمهم معاوية، فيهجاووا منهج السَّلَف في شأن السيرة ويزيدوا عليها بالتصريح ما أبطنه السَّلَف من دواعي محاربة الحديث؛ فيعلنوا صراحةً أنّه بغضّ أهل البيت عليهما السلام وحسدهم ومحاولتهم طمس حقّهم، وقد مرّ بنا كتاب معاوية إلى عماله يدعوهם إلى الرواية واحتلاط الفضائل في حقّ الثلاثة! مع اختلاف أحاديث ذمّ شديدة بشأن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام تصل حدّ كفره وأنّه رجل من أهل النار!! ثم سيرة معاوية وبني أميّة في إعلان البراءة من نفس رسول الله عليهما السلام: عليّ بن أبي طالب، عقب كلّ صلاة، وتتبّعه وعماله لشيعة أهل البيت قتلاً ونهاً وعلى ذلك سار الحاكمون من بني أميّة وولاقهم، إلاّ ما كان من «عمر بن عبد العزيز» لما أراد الله تعالى به من خير، إذ أبطل سنة الكفر التي ستّها معاوية في لعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام والبراءة منه؛ وأحسن السيرة مع بني هاشم؛ ولذلك قصّة:

قال عمر بن عبد العزيز: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن

---

(٤) شرح نهج البلاغة ١١:٤٣ - ٤٤.

مسعود، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحْن نلعنُ علياً! فكِّرَ ذلك ودخل المسجد، فتركَ الصبيان ودخلتُ المسجد لأدرس عليه وزدي، فلما رأي قام فصلّى وأطّالَ في الصلاة، شبهَ المعِرض عَيْنِي، حتَّى أحسستُ ذلك منه، فلما انتهى من صلاتِه كَلَحَ في وجهِي، فقلَّت له: ما بالُ الشِّيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعنُ علىاً منذ اليوم! قلت: نعم، قال: فمنذ متى علمتَ أنَّ الله سخِطَ على أهل بَدْرٍ بعدَ أن رضيَ عنهم؟ فقلَّت: يا أنتِ، وهل كان علىِي من أهل بَدْر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بَدْرٌ كَلَّها إِلَّا لَه؟! فقلَّت: لا أعودُ، فقال: الله أَنْكَ لا تعودُ! قلت لك نعم. فلم ألعنه بعدها. ثمَّ كنَّتُ أحضرَ تحت مِنْبَرِ المدينة، وأبَيَ يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذُ أميرِ المدينة، فكنتُ أسمعُ أبي يمِّرُ في خُطْبَةِ تَهْدُرْ شقاشه، حتَّى يأتي إلى لعنِ علىِي طائلاً فيجمِّجمُ<sup>(١)</sup>، وبعرض له من الفَهَاهَة<sup>(٢)</sup> والخَصَر<sup>(٣)</sup> ما الله عالم به، فكنتُ أعجبُ من ذلك، فقلَّت له يوماً: يا أبَتِ، أنت أَفْصَحُ النَّاسِ وأَخْطَبُهُمْ، فما بالي أراكَ أَفْصَحَ خطيبَ يوم حَفْلِكَ، حتَّى إذا مررتُ بِلَعْنِ هذا الرجل، صِرْتُ أَلْكَنَ عَيْنِي<sup>(٤)</sup>؟! فقال: يا بني، إنَّ مَنْ ترى تحت مِنْبَرِنا من أهلِ الشَّامِ وغيرِهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم أحد. فوَقَرَّتْ<sup>(٥)</sup> كَلْمَتُهُ في

(١) تَجْمِعُ الْكَلَامَ: لم يبيّنه، وتحمِّمُ عن الأمر، أي لم يقدِّمْ عليه.

(٢) الفَهَاهَة: الوهن والنسيان والغفلة والسقطة.

(٣) الخَصَر: الضيق والعي في المِنْطَقَةِ.

(٤) أَلْكَنْ: ثقيـل اللسان، ومن في لسانه عُجْمة. وعَيْيَا: عاجزاً.

(٥) وَقَرَّتْ: استقرَّتْ وثبَتْ.

صدرى، مع ما كان لي معلمى أيام صغرى، فأعطيت الله عهداً، لمن كان في هذا الأمر نصيب لأنفسي، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) <sup>(١)</sup>، وكتبته إلى الآفاق فصار سنة <sup>(٢)</sup>.

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر بن عبد العزيز ويذكر قطعه السب:

وليتَ فلم تشتتم علياً ولم تخفْ  
برئاً ولم تقبل إساءة مجرم <sup>(٣)</sup>  
وكفرت بالعفو الذنب مع الذي  
أتىت فأضحي راضياً كل مسلم  
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيفه  
من الأود الباقي ثقاف المقصوم <sup>(٤)</sup>  
ومازلت تواقاً إلى كل غاية  
بلغت بها أعلى العلاء المقدم <sup>(٥)</sup>  
فلما أتاك الأمر عفواً ولم يكن  
لطالب دنيا بعده من تكلم <sup>(٦)</sup>  
تركت الذي يفني لأن كان ضروراً  
وآثرت ما يبقى برأي مصمم <sup>(٧)</sup>  
وفيها أبيات يتكلم فيها عن إقبال الدنيا على عمر بن عبد العزيز من خلال المثلث؛ إلا إنه  
زهد بها ولم ينخدع، من ذلك:

(١) النحل: ٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤:٥٨ - ٥٩.

(٣) في الأغاني ٩:٢٥٨: ... ولم تتبع مقالة مجرم.

(٤) في الأغاني: وما زلت سباقاً إلى غاية صعدت بها أعلى البناء المقدم.

(٥) في الأغاني: تركت الذي يفني وإن كان مونقاً وآثرت ما يبقى برأي مصمم.

(٦) شرح نهج البلاغة ٤:٥٩ - ٦٠، الأغاني ٩:٢٥٨.

فأعرضت عنها مشمئزاً كائناً سقتك مَدْعُوفاً من يمامٍ وعلقِ  
وقد كنت من أجيالها في مُنْتَعٍ (١) ومن بحراً في مُزِيدِ الموجِ مُفْعِمٍ  
والشعر أطول مما ذكرنا، أكفينا بما أوردناه حجّة على الخصم.

### أبو هريرة

واحدٌ من زمرة معاوية مِنْ أوكل إليهم وظيفة تقليل الحديث ووضعه مقابل ما جعل لهم من  
عطاءٍ اشتري به بقية دينهم!

فقد ذكر الإسکافی رواية عن الأعمش، قال: لما قدم أبو هريرة مع معاوية عام الجمعة - بعد  
الصلح بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام -، جاء إلى المسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله  
من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذب على  
الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار! والله لقد سمعت رسول الله (عليه السلام) يقول: «إن لكل نبيٍّ  
حرماً، وإن حرمي بالمدينة، ما بين عيْرٍ إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة  
والناس أجمعين»، وأشار بالله أن علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة  
المدينة.

قلت - والقول لابن أبي الحديد -: أما قوله «ما بين عيْرٍ إلى ثور» فالظاهر أنه غلط من  
الراوي، لأن ثوراً بمكة وهو جبل يقال له: ثور أطحل، وفيه الغار

(١) الأغاني.

الذي دخله النبي ﷺ وأبو بكر؛ وإنما قيل أطحل لأنّ أطحل بن عبد مناف بن أذ .. بن عدنان كان يسكنه، وقيل اسم الجبل أطحل، فأضيف «ثور» إليه والصواب: «ما ين عير إلى أحد» <sup>(١)</sup>.

وزاد في معجم البلدان في القول: إلى - التي ذكرها أبو هريرة عير إلى ثور - بمعنى مع، كأنّه جعل المدينة مضافة إلى مكة في التحرير <sup>(٢)</sup>.

فأمّا قول أبي هريرة: «إنّ علياً عليه أحدث في المدينة» فحاش لله! كان عليه أتقى الله من ذلك؛ والله لقد نصر عثمان نصراً لو كان المخصوص جعفر بن أبي طالب لم يبذل إلا مثله <sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر - الإسکافي - : وأبو هريرة مدحول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر بالدّرة، وقال: قد أكثرت من الرواية وأخر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ <sup>(٤)</sup>.

وروى سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم التيمي، قال: كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان من ذِكر جنة أو نار <sup>(٥)</sup>.

وروى أبوأسامة عن الأعمش، قال: كان إبراهيم صحيحاً الحديث، فكثُر

(١) شرح نهج البلاغة ٤:٦٧، معجم البلدان ٢:٨٦ - ٨٧.

(٢) معجم البلدان ٢:٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤:٦٧.

(٤) نفسه ٦٨.

(٥) شرح نهج البلاغة ٤:٦٧.

إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة،  
قال: دعني من أبي هريرة، إنّهم كانوا يتذمرون كثيراً من حديثه <sup>(١)</sup>.

وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: ألا أنّ أكذب الناس على رسول الله عليه وآله أبو هريرة  
<sup>(٢)</sup> اللّوسي.

وروى أبو يوسف، قال: قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيء عن رسول الله عليه وآله؛ يخالف قياسنا ما  
نصنع به؟ قال: إذا جاءت به الرواية الثقائلاً عمنا به وتركنا الرأي، فقلت: ما تقول في رواية أبي  
بكر وعمر؟ فقال: ناهيك بجما! فقلت: علي وعثمان؟ قال: كذلك، فلما رأي أعدّ الصحابة  
قال: والصحابة كلّهم عدول ما عدا رجالاً، ثمّ عدّ منهم أبو هريرة وأنس بن مالك <sup>(٣)</sup>.

وروى سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن عمر بن عبد العفار، أنّ أبو هريرة لما  
قيل في الكوفة مع معاوية، كان يجلس العشيّات بباب كُنْدَة، ويجلس الناس إليه، فجاء شابٌّ من  
الكوفة، فجلس إليه، فقال: يا أبو هريرة، أنسدُك الله، أسمعت رسول الله عليه وآله يقول على بن أبي  
طالب: «اللّهُمَّ والِي مَنْ وَالَّهُ عَادِ مَنْ عَادَهُ»؟! فقال: اللّهُمَّ نعم؛ قال: فأشهد بالله ن لقد  
واليت عدوه، وعاديت

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

وليه! ثم قام عنه <sup>(١)</sup>.

وروى أن عمرو بن ثابت، كان عثمانياً، من أعداء أمير المؤمنين علي عليه السلام ومحضيه.

روى أنه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجتمع أهلها، ويقول: أيها الناس، إن علياً كان رجلاً منافقاً؛ أراد أن يبخس برسول الله عليه السلام ليلة العقبة، فالعنوه، فيلعنه أهل تلك القرية؛ ثم يسير إلى القرية الأخرى، فيأمرهم بمثل ذلك. وكان في أيام معاوية <sup>(٢)</sup>. مما أحرى هؤلاء أن يكونوا مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام: روى حماد بن صالح، عن أتىوب، عن كهمس؛ أن علياً عليه السلام قال: يهلك في ثلاثة: اللاعن والمستمع المقرن وحامل الوزر، وهو الملك المترف، الذي يُغَرِّب إلَيْهِ بلعني، ويُبَرِّأ عنده من ديني، ويُتَقْصَّ عنده حسيبي؛ وإنما حسيبي حَسَبُ رسول الله عليه السلام، وديني دينه. وينحو في ثلاثة: من أحببني، ومن أحب عدوبي؛ فمن أُشَرِّب قلبه بغضي أو أَلَبَّ على بغضي؛ أو انتقصني؛ فليعلم أن الله عدوه وخصمه؛ والله عدو للكافرين <sup>(٣)</sup>.  
فأين مستقر كل من عادي وألب وحارب وزوي حق أمير المؤمنين عليه السلام وكذب على الله ورسوله بوضع الحديث واحتلاقه، وأي حديث مفتر؟! إنه تنقيص وسب لنفس رسول الله عليه السلام بصريح القرآن الذي هو عدلهولي أمير

(١) شرح نهج البلاغة ٤:٦٧.

(٢) نفسه ٢٣.

(٣) نفسه ١٠٥.

المسلمين بعد الله تعالى ورسوله بنص القرآن وبيعة الغدير وغير ذلك سيد العرب وأبو سبطي سيد البشر اللذين هما سيدا شباب أهل الجنة، وزوج سيدة نساء العالمين التي رد رسول الله عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ رحالات كانوا يعدون أنفسهم سادة ف قال لهم: إن زواجهها بيد الله؛ فزوجها عليهأ عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ صاحب الفتوحات حتى هتف ملك السماء باسمه مرتين: يوم بدر، وأحد ...  
ومن ثم هو رسول الله عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ من شجرة واحدة والناس من أشجار شتى؛ فهما في الذروة إذ عدّ النسب؛ فبأي وجه يُقدح أبو الحسين؟!

أيّهم أولى بالنقيصة وعذاب الحلد؟؛ روى صاحب كتاب «الغارات» عن الأعمش، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ يقول: «سيظهر على الناس رجل من أمتي، عظيم السُّرُّم، واسع البُلْعُوم، يأكل ولا يُشبع، يحمل وزر الشَّقَّلين، يطلب الإمارة يوماً، فإذا أدركتموه فاقبروا بطنه، قال: وكان في يد رسول الله عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ قضيب، قد وضع طرفه في بطن معاويه» <sup>(١)</sup>.  
عن عمرو بن مرة، عن أبي عبد الله بن سلمة، عن علي عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ، قال: رأيت الليلة رسول الله عَلَيْهِمُ اللَّهُ كَوْنَتْ، فشكوت إليه، فقال: هذه جهنم فانظر من فيها، فإذا معاوية وعمرو بن العاص معلقين بأرجلهما منكسين، تُرْضَخ رؤوسهما بالحجارة <sup>(٢)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٨.

(٢) نفسه ١٠٩.

## سَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ

لم أجده له ذكراً حميداً في كتب الرجال، بل إن بعضها أهملت ذكره فلم تُترجم له بشيء مثل:  
تاریخ الثقات للعجلي، وتاریخ ابن معین ... ومن ذكره؛ فقد ذكره بسوء.

وكان سمرة من شرطة زياد بن أبيه؛ روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن، قال: جاء رجلٌ من  
أهل خراسان إلى البصرة، فترك مالاً كان معه في بيته، وأخذ براءة، ثم دخل المسجد فصلّى  
ركعتين، فأخذ سمرة بن جندب، وآتاهه برأي الخوارج، فقدمه فضرب عنقه! وهو يومئذ على شرطة  
زياد، فنظروا فيما معه فإذا البراءة بخطٍ بيته المال، فقال أبو بكرة: يا سمرة، أما سمعت الله تعالى  
يقول: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) <sup>(١)</sup>! فقال: أخوك أمرني بذلك <sup>(٢)</sup>.

بئس الأمير والمؤمر! ولكن النص يدل على أن سمرة قد أخذ الرجل وآتاهه برأي الخوارج، من  
غير ذكر لزياد! فلعل الطمع بمال الرجل المسكين هو سبب ذلك؟!

وروى الأعمش، عن أبي صالح، قال: قيل لنا: قد قديم رجل من أصحاب رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ، فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب، وإذا عند إحدى رجلية حمر، وعنده الأخرى تلنج! فقلنا:  
ما هذا؟ قالوا: به النُّفُوس؛ وإذا قوم أتواه فقالوا: يا

(١) الأعلى: ١٤، ١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤: ٧٧.

سَمْرَةُ: مَا تقول لِرِّبِّكَ غَدًا؟ تُؤْتِي بالرِّجْلِ فَيُقَالُ لَكَ: هُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ فَتَأْمِرُ بِقَتْلِهِ، ثُمَّ تُؤْتِي بِآخْرِ  
فِيَقَالُ لَكَ: لِيَسَ الَّذِي قَتَلَهُ بَخَارِجِيِّ، ذَاكَ فَتِي وَجَدَنَاهُ ماضِيًّا فِي حَاجَتِهِ، فَشَبَّهَ عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا  
الْخَارِجِيِّ هَذَا، فَتَأْمِرُ بِقَتْلِ الشَّابِيِّ! فَقَالَ سَمْرَةُ: وَأَيْ بَأْسٌ فِي ذَلِكِ؟ إِنْ كَانَ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَضِي  
إِلَى الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ مَضِي إِلَى النَّارِ <sup>(١)</sup>!

وَرَوَى وَاصِلُ مَوْلَى أَبِي عَيْنَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ، قَالَ: كَانَ سَمْرَةُ  
بْنَ جُنْدَبَ نَخْلًا فِي بَسْطَانِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَكَانَ يُؤْذِيهِ، فَشَكَّا ذَلِكَ الْأَنْصَارِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعُثَ إِلَى سَمْرَةَ، فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: بَعْ نَخْلَكَ مِنْ هَذَا وَخْدَثَنْهُ، قَالَ: لَا أَفْعُلُ؛ قَالَ: فَخَذْ  
نَخْلًا مَكَانَ نَخْلَكَ، قَالَ: لَا أَفْعُلُ؛ قَالَ فَاشْتَرَ مِنْهُ بَسْطَانَهُ، قَالَ لَا أَفْعُلُ؛ قَالَ: فَاتْرَكْ لِي هَذَا النَّخْلَ  
وَلَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا أَفْعُلُ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْأَنْصَارِيِّ: «اَذْهَبْ فَاقْطِعْ نَخْلَهُ، فَإِنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ فِيهِ» <sup>(٢)</sup>.  
وَرَوَى شَرِيكُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ عَنْ حُبْرِيْرَ بْنِ عَدَيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَجَلَسْتُ  
إِلَى أَبِي هَرِيرَةَ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَلَّتْ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ، قَالَ: مَا فَعَلَ سَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبَ؟ قَلَّتْ: هُوَ  
حَيٌّ، قَالَ: مَا أَحَدُ أَحَبُّ إِلَيَّ طَوْلَ حَيَاةِ مَنْهُ، قَلَّتْ: وَمَذَاكِ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي  
وَلَهُ وَلْحَدِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: «آخْرِكُمْ مُوتًا فِي النَّارِ»، فَسَبَّقَنَا حَدِيفَةُ؛ وَأَنَا الآنُ أَتَمَّنِي أَنْ أَسِيقَهُ؛ قَالَ:  
فَبَقَى سَمْرَةُ بْنُ

(١) نَفْسَهُ ٧٧ - ٧٨.

(٢) شَرْحُ نَحْجِ الْبَلَاغَةِ ٤: ٧٨.

جُنْدَبُ حَتَّى شَهَدَ مَقْتُلَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

وروى أحمد بن بشير عن مسurer بن كدام، قال: كان سُمِّرة بن جنديب أيام مسیر الحسین علیه السلام إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد، وكان يحرّض الناس على الخروج إلى الحسین علیه السلام وقتاله<sup>(٢)</sup>.

وكانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين، وقيل: إنه مات في آخر أيام معاوية، آخر سنة تسع وخمسين أو أول سنة ستين سقط في قدر مملوءٍ ماءً حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كراز شديد أصابه فسقط في القدر فمات فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله علیه السلام له ولأبي هريرة، وثالث معهما «آحركم موتاً في النار»<sup>(٣)</sup>.

هذه هي سيرة الصحابي - كذا! - سُمِّرة بن جنديب: جندي مأمور في جيش معاوية، مبتداً خسيس يُباع ويُشتري بدرهم معدودات! قد خسر الدنيا والآخرة، في الدنيا كراز، فماء مغلّ، فعذاب البرزخ، في يوم المحرّ؟! ألم تناه شفاعة ابن هند، وابن سُمية، وابن مرحانة؟ فتمتنعه من سقر؟ ثمّ أين حقوق الأبراء الذين غصبهم أموالهم وقطع رؤوسهم؟ وما مصير شهادته الزور بحق أمير المؤمنين علیه السلام؟ وتحريفه للقرآن مقابل دراهم ابن هند؟! وماذا عن تحريضه وحرمه لسيد شباب أهل الجنة الإمام السبط الحسين علیه السلام، الذي حرمه

(١) نفسه.

(٢) نفسه - ٧٨ - ٧٩.

(٣) تهذيب الكمال ١٢٣: ١٢.

حرب لرسول الله ﷺ؛ بسنده عن السدي عن صبيح مولى أم سلامة، عن زيد بن أرقم: أن النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهما السلام: «أنا حرب لكم حاربكم، سلم لكم سالمكم»<sup>(١)</sup>. وعن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: أبصر النبي ﷺ علياً وحسناً وحسيناً، فقال: «أنا حرب لكم حاربتم، سلم لكم سالمتم»<sup>(٢)</sup>. وإن معاوية حارب علياً أمير المؤمنين في سوح القتال بصفين كما حاربه فكراً بالاجتراء على السنة الشريفة من خلال وضع أحاديث في تنفيص شخصه عليهما السلام - ويأتي الله! - وأعد لذلك رجالاً ضعاف النفوس اشتري ذممهم كما مرت علينا. ولم يسلم القرآن الكريم من هذه المحاولات الدنيئة، فلما عجز عن تحريف نصه وقد كفاه سلفه بالملائم التي أشرنا إليها في القراءات الشاذة! ومزاعم سقوط آيات بل سورة ...، اكتفى هو بتفسير القرآن الكريم بغير ما أراد الله تعالى، كما وجدنا في قصة البائس المحترق في الدنيا قبل الآخرة: سمرة بن جندب ...

(١) المجمع الصغير، للطبراني: ٢: ٣، صحيح الترمذى: ٢: ٣١٩، المستدرک على الصحيحين: ٣: ١٤٩، مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٤٤٢، تاريخ بغداد: ٧: ١٢٦، سنن ابن ماجة: ٢: ١٤، ذخائر العقبي: ٢٥، الرياض النضرة: ٢: ١٩٩، الصواعق المحرقة: ١١٢، كنز العمال: ٦: ٢١٦، مجمع الزوائد: ٩: ١٦٩، الكامل، ابن عدي: ٢/١٤٧، مسند الحميدي: ٥٨، المصنف، ابن أبي شيبة: ٧/٥٠٥، صحيح مسلم: ٢: ٦٤، تفسير الطبرى: ٣٠: ١٧١، أنساب الأشراف: ١: ٣٨٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٤٤٢، تاريخ بغداد: ٧: ١٣٧، المستدرک على الصحيحين: ٣: ١٤٩، البداية والنهاية: ٨: ٢٠٥، مناقب الإمام علي، ابن المغازى: ٦٤، كفاية الطالب: ٢٣١، ينایع المؤودة: ٢٦١، مسند أبي يعلى: ١/٢٥١، شرح السنة، للبغوي: ١٤/١٤، ٣٩٠٩.

فلم تذق دمشق آنذاك حلاوة الإيمان رغم وجود عدد من الصحابة الأسبق إسلاماً، والأعمق إيماناً والأكثر وعيًّا للإسلام وأشد حماساً له؛ فإن قيوداً تحدّ من حركتهم وتسلّ نشاطهم التربوي والتعليمي والتوعوي هناك؛ منها ما يعود إلى الوالي - وذلك قبل أن يتفرد بالأريكة والملوكيّة - نفسه الذي لا يسمح بنشر ما يخالف سياساته ولو كان ذلك نصوصاً من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة! ومن الأدلة على ذلك قصته مع الصحابي الجليل خاتم الأنبياء صادق اللهجة أبي ذر الغفاري، وتسبيبه من الشام إلى المدينة، ثم يُنفي من هناك إلى صحراء الرَّبَّذَة ليموت هناك وحيداً في أرضٍ لا يسكنها بشر غيره.

ومن تلك القيود ما كان مصدره عاصمة الخلافة، فحين كانت العاصمة توجّه الصحابة إلى الأمصار، كان يؤخذ عليهم العهود والميثيق ألا يحدّثوا بشيءٍ من حديث النبي ﷺ . وقد تحدّثنا عن هذه المسألة بتوسيع فيما مضى.

فكان للعامل الثاني أثر كبير في تمادي معاوية في طغيانه وبلغت به الجرأة وهو الوالي المطلق على الشام أن يترك بخارية الخمر حرّاً ولم يكن في أهلها من يُذكر عليه! ولا حتى من بعض من يدعون صحابة ممن حوله؛ ولذا عُذّ فعل الصحابي البَذْرِي العقبي النقيب عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِت شاذًا، لينال جزاءه من عاصمة الخلافة، ذلك أنه عليه السلام كان في الشام فمررت قطاره من الإبل تحمل خمراً، فقال: ما هذه، أزيست؟ قيل: لا، بل خمراً يُباع لمعاوية! فأخذ شفرةً من السوق، فقام إليها وأراق ما فيها.

فأرسل معاوية إلى أبي هريرة، وكان هناك، فقال له: ألا تمسك عنا أخاك

عبدة! فأتأه أبو هريرة فقال: يا عبدة، ما لك ولعاوية! ذرة وما حمل.

فقال عبدة: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وألا يأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة. فكتب معاوية إلى عثمان بن عفان: أن عبدة بن الصامت قد أفسد علي الشام!

فكان قرار العاصمة على الأثر بإجلاء عبدة من دمشق إلى المدينة، حفاظاً على (صلاح

الشام) <sup>(٦)</sup>!

وهكذا كلّما ظهر من يُنكر فساد وإلي الشام، هرع الوالي حفاظاً على ولايته وإبقاء لرعايته على الصورة التي شرحها وزيره عمرو بن العاص - مرّانا - ليتمكن من التسلّط عليهم وإدارتهم كيف شاء! وبالحالة التي تيسّر له الخروج على الإمام الحق المفترض الطاعة الذي عُقدت له البيعة، فلا مانع من ذلك، وليسلك أيّ سبييل يفي له بالمقصد، فليس في من حوله من يعرف أحاديث النبي عليه السلام التي عدّت الخروج على الإمام العادل كفراً وخروجًا عن الإسلام، وليس فيهم من يعرف من هو علي بن أبي طالب فيتردد في الخروج عليه.

فمن كلام معاوية حين قدم من الشام إلى المدينة وكانت مضطربة على عثمان، مخاطباً عمّار بن ياسر في مجلسٍ ضمّ جمّاً من الصحابة قال: يا عمّار، إنّ بالشام مائة ألف فارس كلّ يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم وعبدائهم، لا يعرفون عليناً ولا قرابته، ولا عمّاراً ولا سابقته، ولا الزبير ولا صحبته، ولا

---

(٦) الرياض النضرة ٣: ٨٤، سير أعلام النبلاء ٢: ٩ - ١٠.

طلحة ولا هجرته، ولا يهابون ابن عوفٍ ولا ماله، ولا يتّقون سعداً ولا دعوته <sup>(١)</sup>.

هذا كله وهو ما زال والياً فكيف حال الشام وبعد الذي كان من صفين وما بعدها وما رافق ذلك من حملات التضليل وقلب الحقائق زادت في بعد مسلمي الشام آنذاك عن هدى القرآن والسنة «فتشاؤ على النصب» <sup>(٢)</sup> - وقد ذكرنا أنّ مراكز النصب ثلاثة منها الشام، والبصرة، ومرو - لا يعرفون إلا معاوية رمزاً للإسلام! وأنّ الباطل والضلال في خلافه.

وازداد الأمر ظلماً بعد معاوية، فالحاكم الجديد يزيد بن معاوية أشدّ بعدها من الدين وأهدافه وضروراته وأحكامه؛ فبعد كونه ابن معاوية، المولود في الشام، كان قد نشأ وترعرع بين النصارى مع أمّه النصرانية ميسون، إذ كان معاوية قد طلقها بعد ما أسمعته أبياتاً تفضّل فيها عيش البدية وزوجاً من بني عمّها على عيش القصور معه، تقول في أولها:

للبس عباءة وتقرب عيني أحب إلى من لبس الشفوف

وآخرها:

وخرق من بني عمّي ثقيفٍ أحب إلى من علّج عنيف من هناك جاء يزيد إلى قصر الحكم، ورغم أنه عُرف جهاراً بيزيد الخمور واللهو والطهور وملاعبة القرد على «الأريكة» غير أنه لم يجد من أهل دمشق إلا

---

(١) الإمامة والسياسة .٤٦

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ١٢٨ ترجمة معاوية بن أبي سفيان والنصب هو البعض والعداء لعلي وأهل البيت عليهما السلام.

السمع والطاعة في الخروج لقتال ابن رسول الله ﷺ ، سيد شباب أهل الجنة، ذكر ابن أعشم أنَّ عدد تجاوز الأربعة آلاف فارساً، (٤) وذكر رقماً آخر: عشرون ألفاً. ولما عادوا بالرؤوس مرفوعةً على الرماح يتقدّمها رأس السبط الشهيد الحسين عليهما السلام ، خرج أهل دمشق بالزينة يتبدلون التبريك والتهنئة للفتح على ملتهم.

وحينما اندبّهم ابن ميسون للإيقاع بأهل مدينة الرسول ﷺ وأباها لهم ثلاثة أيام يفعلون ما يشاورون، لم يتخلف أحد، فكانت وقعة الحرّة المنكرة، قتلاً من غير تمييز بين رجل وامرأة، وشيخ و طفل، ونحو الأثاث «فهم لصوص»، وقعوا على النساء حتى جلت ألف امرأة من غير زوج؛ ولم يكن من شفيع لأحد إلا أن يشهد على نفسه أنه عبد قَنْ لأمير ... يزيد يفعل به ما يشاء!! فإن أبي قُتل ...

وفعلته الثالثة حيث جاؤ ابن الزبير إلى بيت الله وبه نفسه العائد، وكان ممكناً لجيش دمشق اليريدي أن يصبر عليه ويضيق الخناق حتى يجبره على الاستسلام، إلا أن جند الشام هتكوا حرمة بيت الله، فنصبوا المخانق ورموه بالحجارة والنار فنهارت الكعبة واحتقرت أستارها ... وجند الشام يرقصون لفعلهم ذاك.

وآل الأمر إلى مروان بن الحكم وبنيه، فلم يكن أحدهم أقلّ نصباً من سلفه، خلا عمر بن عبد العزيز الذي أظهر عدلاً واجتهد في تصحيح المسار، غير

---

(٤) الفتوح : ٥ : ١٥٨ .

أن مدة حكمه القصيرة، وعودة السياسة الأموية بعده إلى نجها الأول، قد أجهز على تلك الإصلاحات وبدد آثارها. فعاشت دمشق أموية أكثر من قرنٍ من الزمن، من توقيع معاوية سنة ٢٠ هـ، و ١٣٢ هـ سنة مقتل مروان الحمار على أيدي العباسيين، تعاقب عليها أمويون قد وصفهم ابن كثير في أرجوزته، فيقول:

وَكُلُّهُمْ قَدْ كَانَ نَاصِبِيَاً إِلَّا إِمَامٌ عَمِّرَ التَّقِيَّاً<sup>(١)</sup>

فشاء على أيديهم جيلٌ يصفه أبو سلمة الأنباري على لسان صاحب له، قال: كنت بالشام، فجعلت لا أسمع أحداً يسمى علياً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنما أسمع: معاوية ويزيد والوليد. فمررت برجلٍ جالس على باب داره، فاستستقيطه، فقال: يا حسن! اسقه. فقلت له: أسميت حسناً؟

فقال: إني والله، إن لي أولاداً أسماؤهم: حسن و حسين وحعفر، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداء الله، فإن لعنتم فإنما أعن أعداء الله<sup>(٢)</sup>!

أي ناصبية هذه، وأي جهل مركب هو: فهو يخاف إن سماهم معاوية الملعون على لسان رسول الله ﷺ؛ ويزيد الذنب والخطايا، والوليد المتهتك المتقييء في محراب الصلاة خمراً، عنده مقدسون لا يقع عليهم لعن. وأما سيده شباب أهل الجنة وولدا رسول الله ﷺ، وجعفر الشهيد الذي أبدله الله تعالى

(١) البداية والنهاية ١٣: ٢٢٢.

(٢) معجم الأدباء ١٤: ١٢٨، سير أعلام النبلاء ١: ٤٠٢.

جناحين بعد أن قُطعت يداه دفاعاً عن الإسلام، فهو يطير بحما في الجنة، فهؤلاء موضع لعن وسباب؛ متى شاء هذا الشامي أن يشتمهم نادى واحداً من أبنائه فشتمنه !!

ودخل دمشق الحافظ النسائي في سنة ٣٠٢ هـ فوجد أهلها مغالين في بني أمية، مُفرطين في النصب، فأثاره ذلك فكتب كتاباً في فضائل أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ الْكَفَافُ وأذاعه بينهم، فشاروا عليه يطالبونه أن يكتب نظيره في معاوية، فأجابهم بقوله: لا أحد له فضيلة إلا «لا أشع الله بطنك»! فضربوه وسحقوه بأقدامهم سحقاً عنيفاً كان سبباً في وفاته.

وقع هذا مع الحافظ الكبير النسائي بعد ١٧٠ سنةً من سقوط الدولة الأموية!

فدمشق لم تستقم للقيادة العباسية، بل ظلت مضطربة عليهم طوال عهدهم، وقامت بها حركات فصلتها عن بغداد العاصمة العباسية فجاء أحمد بن طولون من مصر ليخمد ها فوجد الفرصة مناسبة له لأن يستقل بها هو الآخر وينشئ المملكة الطولونية في الشام ومصر سنة ٢٦٦ هـ حتى أزاحه القرامطة من دمشق سنة ٢٩٠ هـ، ثم هُزموا بعد عام واحد على يد (طغج التركي)، ثم انفصلت دمشق مرتة أخرى على يد (كافور الإخشيدى) العبد الذي حكم مصر وسوريا حكم الجبارين، وخلفه ابنه أبو الفوارس الغلام ابن الحادية عشرة الذي هُزم سنة ٢٩٦ هـ على يد (جوهر) القائد الفاطمي القادم من المغرب لتدخل دمشق تحت الحكم الفاطمي حتى سقوطه سنة ٥٦٧ هـ.

غير أن ذلك كله لم يغيّر من ولاء دمشق الأموي، فنجد من يصرّح بأنّ

النَّيْلُ مِنْ مَرْوَانَ أَوْ بَنِيهِ غَلَوْ فِي التَّشِيعِ!

تلك كانت صورة دمشق. وأمّا تفصيل حالها في العهود اللاحقة فيأتي خلال الحديث عن سمات عصر ابن تيمية.

و قبل الحديث عن عصر ابن تيمية وسماته، ينبغي لنا أن نتحدث عن أمرٍ قد وعدنا الكتابة فيه ولو بما يقتضيه الحال، وهو الجبهة المعارضة لجبهة المنع من كتابة الحديث.

### الجبهة المعارضة للمنع

وإذا كانت جبهة الرافضة لكتاب السنة الشريفة محدودة في الأشخاص الذين ذكرناهم، وتمسك بها رجال الشجرة الملعونة أشدّ التمسك، بل وزادوا في الأمر أن فتحوا باباً واسعاً للوضع في الحديث؛ فإنّا وجدنا جبهةً أوسع امتازت في جملة من شخصيتها بالعصمة والطهارة، وفي جملة بالصدق والثقة والعدالة، هذه الجبهة أجمعـت على التدوين من غير التفات إلى دستور المخالفين، وقد ضمـتـ بلـ كانـ فيـ طليعتهاـ رسولـ اللهـ ﷺـ ،ـ وقدـ نصـ القرآنـ الكـريمـ عـلـىـ حـسـنـ الـاقـتـداءـ بـهـ،ـ واتـبـاعـ أـوـامـرـ وـنـوـاهـيـهـ،ـ فـقـالـ تـعـالـىـ:ـ (لـقـدـ كـانـ لـكـمـ فـيـ رـسـولـ اللهـ أـسـوـةـ حـسـنـةـ)ـ (١)ـ وـقـالـ جـلـ وـعـلـاـ:ـ (وـمـاـ آـتـاـكـمـ الرـسـوـلـ فـخـدـوـهـ وـمـاـ نـهـاـكـمـ عـنـهـ فـأـنـتـهـوـاـ)ـ (٢)ـ .ـ وـجـعـلـ طـاعـةـ الرـسـوـلـ مـنـ طـاعـةـ اللهـ تـعـالـىـ وـقـرـئـهـماـ فـيـ مـحـلـ وـاحـدـ،ـ وـأـمـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ بـهـماـ،ـ

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الحشر: ٧.

فقال تعالى: (...مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) <sup>(١)</sup>.

ثم جعل ما ينطق به الرسول وحياً، وإن لم يكن قرآنًا، في قوله تبارك اسمه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) <sup>(٢)</sup>.

وقد قام الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأداء المهمة الرسالية خير قيام، فدعوا إلى كل ما يرفع من قيمة الإنسان ويسمو به إلى المكارم؛ ومن ذلك الدعوة إلى نبذ الأممية، وإلى تعليم الناس الكتابة والقراءة. وتمثلت جهوده في هذا الصدد بأشكال منها:

#### ١ - السنة التقريرية

كان في عصره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الكتاب، يمارسون الكتابة في المدينة، منهم: سعد ابن أبي الربيع الخزرجي <sup>(٣)</sup>. وبشير بن سعد بن ثعلبة <sup>(٤)</sup>.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحاجة ماسة إلى الكتابة، حيث يوجه رسائل الدعوة إلى الأطراف، ويرسل الملوك والرؤساء، ويكتب العقود والمعاهدات، فكان من الضروري وجود كتاب مجيدين لدى حضرته المئيفة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بالإضافة إلى أن كتابة القرآن المجيد، كانت تستدعي وجود كتاب محسنين.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزاول الكتابة بنفسه - الكتابة

(١) النساء: ٨٠.

(٢) النجم: ٣ و ٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٥٢٢: ٣.

(٤) نفسه: ٥٣١، وتحذيب التهذيب ٤٦٤: ١.

والقراءة - بشكل ظهر معه إعجاز القرآن جلياً واضحاً حتى أطلق عليه «الأمي» في القرآن <sup>(١)</sup>  
وإن كان معنى «الأمية» والمقصود منها في القرآن أمراً مختلفاً فيه إلى حد بعيد <sup>(٢)</sup>.  
علِّمنَا أَنَّ وُجُودَ مَنْ يَمْارِسُ الْكِتَابَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَمْسَى الْحَاجَاتِ.  
وبالنسبة إلى الحديث الشريف

عن عبد الله بن عمر قال: كان عند رسول الله ﷺ أناسٌ من أصحابه، وأنا معهم، وأنا  
أصغر القوم، فقال النبي ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَةً مِنَ النَّارِ».  
فلمَّا خرج القوم قلْثُ لهم: كيف تُحدِّثُونَ عن رسول الله، وقد سمعْتُمْ ما قالَ، وأنتم تَنْهِمُونَ  
في الحديث عن رسول الله؟

قال: فضِّحُوكوا، فقالوا: يا ابن أخينا، إنَّ كُلَّ مَا سِعْنَا مِنْهُ فَهُوَ عِنْدُنَا فِي كِتَابٍ <sup>(٣)</sup>.  
فكانوا يكتبون الحديثَ من دون تخرج، ولو لا معرفتهم إباحته لم يكونوا يفعلون ذلك، مع أنَّ  
جميع ذلك كان بمرأى من الرسول ﷺ، ومسمعه، بل كان بعضها بأمرٍ منه وتوجيهٍ، فسُكُونُه  
عليها، وعدم منعه عنها، يدلُّ على رضاه

(١) الأعراف: ١٥٧ و ١٥٨.

(٢) لاحظ تفسير القرطبي ١٣: ١ - ٣٥٣، وكتاب (محمد وعليه، وأبناؤه الأوصياء) للشيخ نجم الدين العسكري، ففيه  
بحث مشبِّع عن ذلك.

(٣) الكامل، لابن عديٍ ١: ٣٦، تقريب العلم ٩٨ (عن عبد الله بن عمرو).

بعملهم.

وهذا ما يسميه علماء الأصول «السُّنَّة التقريرية».

## ٢ - السُّنَّة الفعلية

لقد واجه النبي ﷺ موضوع الكتابة بشكل إيجابي منذ بداية الإسلام، فقام بأعمال تدل بوضوح على رغبته الأكيدة في تعليمها، وقد تناقل أهل العلم مواقف عديدة له نذكر منها:

- أنه ﷺ أدخل الكتابة في قضية سياسية عسكرية، حيث جعل فداء الأسرى من المشركين، من كان يعرف منهم الكتابة القراءة، أن يعلم كلّ منهم عشرةً من أولاد المسلمين، فيكون فداه ذلك <sup>(١)</sup>.

روى الماوردي عن عكرمة أنه قال: بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف، حتى إن الرجل ليفادى على أنه يعلم الخط.

قال الماوردي: لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره، وجلالة قدره، وظهور نفعه وأثره.

- وأمر ﷺ ببعض أصحابه، بتعليم الخط في المدينة، منهم عبد الله بن سعيد ابن العاص، وكان كاتباً محسيناً <sup>(٢)</sup>.

- وأمر النبي ﷺ بعض الصحابة بكتاب الأحاديث الشريفة المسنودة منه، أو سائر أخبار المسلمين وحوادث عصر النبوة، وخاصة الأحكام الشرعية

---

(١) طبقات ابن سعد .٢٢:٢٠

(٢) الاستيعاب .٣٧٤:٢

والأنقاضية الصادرة منه عَلَيْهِ الْكَفَافُ.

- وكذلك أملأ عَلَيْهِ الْكَفَافُ على بعض أصحابه ما كتبوه من أحاديثه وأقواله. يمكن أن يعتبر ذلك النواة الأولى لكتاب الحديث.

ودلالة هذه السنة على جواز التدوين، وإياحته منذ البداية، أقوى من غيرها:

١ - لأنّ النبي عَلَيْهِ الْكَفَافُ هو القائم بحثاً، وقد تمت على يده وتحت إشرافه المباشر.

وهذه أوضح دلالة ممّا تم كتابته في عصره، وسكتونه عليه، وتقريره له.

٢ - إنّ السنة الفعلية، أقوى دلالةً من القولية، لعدم قبولها التأويل، أو التفسير المختلف فيه.

وقد تحقّقت في الأعمال التالية:

١ - صحيفة النبي عَلَيْهِ الْكَفَافُ التي كانت عند الإمام علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ المعروفة عند العامة بـ «صحيفة علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ». قالوا عنها: خبر صحيفة علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ مشهور <sup>(١)</sup>.

وهي صحيفة صغيرة تشمل على العقل - مقادير الديات - وعلى أحكام فكاك الأسير <sup>(٢)</sup>.

وقد وقفت على روايات عديدة ذكرت بها هذه الصحيفة، منها:

\* أخرج البخاري، وغيره، عن أبي جحيفة، قال:

قلت لعلي عَلَيْهِ الْكَفَافُ هل عندكم كتاب؟

(١) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب ١٣٧ و ٣٤٥.

(٢) منهج النقد ٤٦.

قال: لا، إلّا كتاب الله، أو فَهُمْ أُعْطِيهِ رَجُلٌ، أو ما في هذه.

قال: قلتُ: فما في هذه الصحيفة؟

قال: العَقْلُ، وفِكاكُ الأُسُرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ<sup>(١)</sup>.

\* وروى أبو حسان الأعرج: أَنَّ عَلَيْهِ كَانَ يَأْمُرُ بِالْأَمْرِ، فَيَقُولُ: قَدْ فَعَلْنَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: صدق الله رسوله.

فَقِيلَ لَهُ: أَشَيْءُ عَهْدَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

قال: فَقَالَ: مَا عَاهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا خَاصَّةً دُونَ النَّاسِ، إِلَّا شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ فِي صَحِيفَةٍ فِي قِرَابِ سَيْفِي. قَالَ: فَلَمَّا نَزَّلَ بِهِ حَتَّى أَخْرَجَ الصَّحِيفَةَ، فَإِذَا فِيهَا: مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ. وَإِذَا فِيهَا: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَمَ مَكَّةَ، وَإِنَّ أَحْرَمَ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ حَرَبَيْهَا وَحْمَاهَا، لَا يُخْتَلِي خَلَاهَا، وَلَا يُبَغَّرُ صِدْرُهَا، وَلَا يُلْتَقِطُ لُقْطَتُهَا، إِلَّا لِمَنْ أَشَادَ بِهَا - يَعْنِي مُنْشَدًا - وَلَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا، إِلَّا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بِعِيرًا، وَلَا يُخْمَلُ فِيهَا سَلاَحٌ لِقَتَالٍ. وَإِذَا فِيهَا: الْمُؤْمِنُونَ يَكَافِئُونَ دَمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذَمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدْعُونَ مِنْ سَواهُمْ، أَلَا، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي

---

(١) صحيح البخاري، باب كتاب العلم من كتاب العلم (٣٨/١) كتاب الديات، باب الديمة على العاقلة (١٣/٩)، سنن ابن ماجة ٢٦٥٨ ح ٨٨٧/٢، جامع بيان العلم ٧١/١.

عهده <sup>(١)</sup>.

\* وعن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبيه، قال: خطبنا علياً [عليها السلام]، فقال: من زعم أنّ عندنا شيئاً نقرؤه، ليس في كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة - قال: صحيفه معلقة في سيفه، فيها: أسنان الإبل، وشيء من الجراحات - فقد كذب.

وفيها: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم، ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أختر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» <sup>(٢)</sup>.

\* وعن طارق، قال: رأيت علياً [عليها السلام] على المنبر، وهو يقول: ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم، إلا كتاب الله عز وجل، وهذه الصحيفة. وصحيفه معلقة في سيف عليه حلقة حديد، وبكتره حديد، فيها فرائض الصدقة، قد أخذها عن رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup>.  
وورد بها هذه الصحيفة في مؤلفات أخرى للعلامة.

(١) دلائل النبوة، للبيهقي ٧/٢٢٨، وأخرجه أبو داود، في المنسك (٢١٦/٤ - ٢٠٣٥). وانظر السنن الكبرى، للبيهقي ٨/٣٠، وسنن الدارقطني ٣٤٣ ومناقب الشافعي، للبيهقي ١:٤.

(٢) دلائل النبوة، للبيهقي ٧/٢٢٧ - ٢٢٨، صحيح البخاري ١/٥٨ باب ذمة المسلمين ٤/١٢٦، مسند أحمد ١/٨١، أبو داود في المنسك ٢١٦/٢، تقييد العلم ٨ - ٨٩، جامع بيان العلم ١/٧١، إرشاد الساري ١/١٦٦، عمدة القاري ١/٥٦١، فتح الباري ١/١٨٢، و ٧/٨٣، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ٢/٩٩٥، ومسند أحمد (ط شاكر) ٢/٤٥/٦١٥.

(٣) تقييد العلم ٨٩.

لفت نظر: إنّ الرواية الأخيرة تُصرّح بأنّ الإمام عاشِلًا أخذ الصحيفة عن رسول الله

عَلَيْهِ السَّلَامُ •

وكلمة «عن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ» وإنْ كان يحتمل الرواية عنه، لاأخذ الصحيفة عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما هو ظاهر الروايتين الأولتين. إلا أن النصوص المتضمنة لذكر الصحيفة هذه، والمنقوله بطريق أئمّة أهل البيت عاشِلًا تُصرّح بأن تلك الصحيفة كانت عند رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي ذُوابة سيفه، وهذه بعض الصوّص.

١ - عن أبي جعفر محمد بن علي الباقي عاشِلًا، قال:

وُجِدَ في قائم سيف رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ صحيفة فيها مكتوب: ملعونٌ مَنْ سرَقَ ثُخُومَ الأرض، ملعونٌ مَنْ تولَّ غَيْرَ مواليه، أو قال: ملعونٌ مَنْ جَحَدَ نعْمَةً مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ (١).

٢ - وعن أبي عبد الله، جعفر بن محمد الصادق عاشِلًا قال: وُجِدَ في ذُوابة سيف رسول الله

عَلَيْهِ السَّلَامُ صحيفَةً، فَإِذَا فِيهَا:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّ أَعْتَى النَّاسَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قُتِلَ غَيْرَ قاتِلِهِ، وَالضَّارِبُ غَيْرَ ضارِبِهِ، وَمَنْ تَوَلَّ غَيْرَ مَوَالِيهِ - وَمَنْ ادْعَى لِغَيْرِ أَيْهِ - فَهُوَ كَافِرٌ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ؛ وَمَنْ أَحَدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحَدَّثًا لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صِرْفًا وَلَا عَدْلًا» (٢).

٣ - وعن أيوب بن عطية الحذاء، قال: سمعت أبا عبد الله عاشِلًا يقول: إنّ

(١) جامع بيان العلم، للقرطبي ٧١/١.

(٢) الكافي/ح ١ .

عليّاً عليه السلام وجد كتاباً في قراب سيف رسول الله عليه السلام ، مثل الإصبع، فيه: إنّ أعمى الناس ...  
وأورد مثل ما مضى، إلاّ أنه زاد فيه: ولا يحل لمسلم أن يشفع في حدٍ <sup>(١)</sup>.

٤ - وروى الدولابي بسنده عن الإمام الباقر عن أبيه عن حدّه قال: وحدث في قائم سيف رسول الله عليه السلام صحيفة مربوطة: أشد الناس عذاباً القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن ححد نعمة مواليه فقد برئ مما أنزل الله عزّ وجلّ <sup>(٢)</sup>.

وهذه النصوص تدل على أن الصحيفة المحتوية على المطالب المذكورة إنما كانت لرسول الله عليه السلام ، وفي سيفه.

والنص التالي، يدل على أنّ الرسول عليه السلام ورث هذه الصحيفة لعلي عليه السلام :

٥ - في مسند الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بسنده عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قال: ورثت من رسول الله عليه السلام كتابين: كتاب الله عزّ وجلّ، وكتاباً في قراب سيفي.

فقيل: يا أمير المؤمنين، وما الكتاب الذي في قراب سيفك؟ قال: من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه، فعليه لعنة الله <sup>(٣)</sup>. ويصرح الدكتور أبو شهبة بأنّ

(١) الحاسن، للبرقي - كتاب القرائن - ١٨/١ ح ٤٩ باب وصايا النبي عليه السلام .

(٢) الدرة الظاهرة، للدولابي ١٢٦ ح ١٤٦ .

(٣) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ، الحديث (١٣٩)، وانظر عيون أخبار الرضا عليه السلام ، للصدوق ٤٠/٢ ح ١٢٢ .

الصحيفة كانت عند رسول الله ﷺ، فأعطها لعليٍّ عليه السلام، خاصةً<sup>(١)</sup>.

ولعل من هذه الصحيفة ما جاء ذكره عند ابن حزم في الأحكام من أن عثمان حمل إليه محمد بن عليٍّ بن أبي طالب من عند أبيه عليهما السلام كتاب حكم النبي ﷺ في الزكاة!

فقال: أعنها عني - عنا -، فرجع إلى أبيه فقال عليه السلام: ضع الصحيفة حيث وجدتها<sup>(٢)</sup>.

ونقل آخرون أن هذه الصحيفة كانت موجودة عند أبي بكر، أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر بقصد هذه الصحيفة: والجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة، وكان جميع ذلك مكتوباً فيها، ونقل كلّ واحد من الرواية ما حفظه عنها<sup>(٤)</sup>.

والمهم ذكره: أن وجود هذه الصحيفة وأخبارها دليلٌ حاسمٌ على جواز كتابة العلم، وخاصةً الحديث عن رسول الله ﷺ، وأن ذلك قد تم في حياته، وبعلمٍ وإشرافٍ تامٍ منه، بل كان هو عليه السلام يحافظ على هذه الكتابة في «ذئابة سيفه».

قال الدكتور رفعت: قد روى البخاري حديثاً من أحاديث الصحيفة في

(١) صحيفة عليٍّ بن أبي طالب عليهما السلام، جمع وتأليف الدكتور رفعت فوزي ٤١.

(٢) الأحكام، لابن حزم ١: ٢٤٠ و ٢٥٣، توجيه النظر، لطاهر الجزائري ١٦.

(٣) فتح الباري ٣١٨/٣، صحيح البخاري ٤٦/٢، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، السنن الكبرى، للبيهقي ٨٨/٤، سنن أبي داود ٩٧/٢، سنن التسائي ١٨/٥ - ٢٣، الفقيه والمتفقه، للخطيب ١٢٠/١ و ١٣٥، السنة قبل التدوين، للدكتور عجاج ٣٤٥/١.

(٤) فتح الباري ١: ١٨٣.

كتاب العلم، وترجم له بـ «باب كتابة العلم» دلالةً على جواز كتابة الحديث، ردًا على من كرهوا ذلك، وفيه دلالةً - كذلك - على أن الحديث قد كُتب - فعلاً - برأي وسمعٍ من رسول الله

عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ولا بد أن تكون هذه الصحيفة، غير «كتاب علي عليه السلام» الذي سذكره بعد هذا، فإن هذه الصحيفة مختصرةً ومقتصرةً على الجمل المذكورة، بينما ذلك الكتاب، واسعٌ ومفصلٌ جدًا، إلا أن يكون هذا جزءاً من ذاك!

واعترف بعض العامة بأن هناك خبر صحيفةً أخرى عند أمير المؤمنين عليه السلام غير تلك الصحيفة <sup>(٢)</sup>.

## ٢ - كتاب الإمام علي عليه السلام

انتشر نسخة هذا الكتاب انتشاراً واسعاً، وأجمع أهل الحديث - خاصةً - على وجوده، فتناقل خبره علماء المسلمين على اختلافهم.

لكنّ أئمّة أهل البيت الأطهار عليهما السلام؛ وهم أدرى بما في البيت؛ أفضحوا عن سعة هذا الكتاب واحتوائه على علمٍ كثیر، فقالوا: إنّها صحيفةٌ طوّها سبعون ذراعاً، وأنّ رسول الله عليه السلام قد أملأها على الإمام علي عليه السلام، فكتبها الإمام بخطّه وأنّه «أول كتاب جمع فيه العلم» على عهد رسول الله عليه السلام، وأنّ الأئمّة الائتين عشر

(١) صحيفة علي بن أبي طالب عليهما السلام، جمع وتأليف الدكتور رفعت فوزي ٤١.

(٢) انظر: رد الدارمي على پشر المرسي، واصول الحديث، للخطيب محمد عجاج ١٩٠، ولا حظ توجيه النظر للجزائي ١٦، عن الأحكام، لابن حزم.

من ذريته طبیعته ، يتوارثون ذلك الكتاب <sup>(١)</sup> وقد وصفوه بكونه كتاباً مدرجاً عظيماً .

واعترف العامة بأهميته وسعنته:

فقال بعضهم - محتملاً أن تكون هي الصحيفة التي أمر رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة بكتابتها -: فكانت أشبه شيء بدستور الدولة الناشئة - آنذاك - في المدينة، وعنوانها «هذا كتاب محمد النبي، رسول الله، بين المؤمنين وال المسلمين من قريش، وأهل يشرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاحد معهم: أهؤم أمّة واحدة، من دون الناس ...». وقد بلغ من أمرها أنها أصبحت ثقراً - وحدها - بكتاب الله، لتواثرها وكثرة ما فيها من أحكام الإسلام، وكلياته الكبرى <sup>(٢)</sup>.

وقال آخر: إنه جمع فيها عدة أحكام <sup>(٣)</sup>.

وقال آخر: إن هذه الصحيفة فيها أمور كثيرة، وموضوعات متعددة <sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر عن هذا الكتاب: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للطهراني ٣٠٦/٢ بعنوان (أموال رسول الله ﷺ). وأعيان الشيعة ٣٣٠/١ - ٣٣٨.

(٢) رجال النجاشي ٣٦٠، الترجمة ٩٦٦.

(٣) علوم الحديث، لصبحي الصالح ٣٠، السنة قبل التدوين ٣٤٤، أصول الحديث، للعجاج ١٨٨ - ١٨٩، دلائل التوثيق المبكر ٣٨٣ - ٣٨٤؛ بعنوان (دستور المدينة) عن صحيفة هام، الأموال، لأبي عبيد ٢٠٢، جمهرة رسائل العرب ١: ٢٥، تقدير العلم ٧٢، مستند أحمد ١/٧٩ و ١١٩ و ١٢٢ و ٢٧١ و غيرها، صحيح البخاري ٢٧٤/٢ و ٤/٤٢٨، صحيح مسلم ٢/٧٠، سنن أبي داود ٤/٢٥٢ رقم ٤٥٣، الترمذى ١/١٨٠، المسانى ٨/٢٣، ابن ماجة ٢/١٤٥.

(٤) الأنوار الكاشفة ٣٧.

(٥) علي بن أبي طالب عائشة ٤١.

والأنمة الأطهار عليهم السلام الذين ورثوا هذا الكتاب وكان موجوداً عندهم يرجعون إليه، أفصحوا عنه بشكلٍ أدق، هذه بعض رواياته:

١ - قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: إن العلم فينا، ونحن أهله، وهو عندنا، مجموع عندنا كلُّه بحذافيره، وأنه لا يجدرُ شيء إلى يوم القيمة حتى أرش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب؛ بإملاء رسول الله عليه السلام، وخط على عليه السلام بيده <sup>(١)</sup>.

وكان الكتاب عند الإمام السجّاد عليه السلام. فكان إذا أخذ كتاب «علي عليه السلام» قال: «من يُطيقُ هذا؟!» <sup>(٢)</sup>. ظاهراً متعجباً مما فيه من قسم العبادات - والله أعلم.

ثم كان عند الإمام أبي جعفر، محمد الباقر عليه السلام:

٢ - قال عذاف الصيرفي: كنت مع الحَكَمَ بن عُتَيْبَةَ عند الإمام أبي جعفر عليه السلام، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر له مُكِرِّماً، فاختلفا في شيء! فقال أبو جعفر: يا بُنْيَّ: قُمْ، فأخرج كتاب علي. فأخرج كتاباً عظيماً، وفتحه، وجعل ينظر، حتى أخرج المسألة فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خط على عليه السلام، وإملاء رسول الله عليه السلام.

وأقبل على الحَكَمَ، وقال: يا أبا محمد، إذهب أنت وأبو سَلَمَةَ وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فو الله لا تجدون العلم، أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم بجيريل عليه السلام <sup>(٣)</sup>.  
والروايات كثيرة للغاية مع كثرة مصادرها في وجود كتاب علي أمير

(١) الاحتجاج، ١٥٥، بحار الأنوار ٤٤/٤٠٠.

(٢) الكافي، الروضة ٨/٦٣/١٧٢.

(٣) رجال النجاشي ٣٦٠ رقم ٩٦٦.

المؤمنين عَلَيْهِمُ الْحَسَنَاتُ وَأَنَّهُ بِخَطْهِ وَبِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖهُ وَسَلَامٍ نَكْتُفِي بِمَا يَلِي :

- حدث أبو دعامة، قال: أتيت عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى [الإمام الهادي عَلَيْهِمُ الْحَسَنَاتُ] عائداً في علته التي كانت وفاته فيها في هذه السنة، فلما هممت بالانصراف قال لي: يا أبو دعامة، قد وجب حُقُّك، أفلأ أحذّك بحديثٍ تسرّ به؟

فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله!

قال: حدثني محمد بن عليّ، قال: حدثني أبي عليّ بن موسى، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد ابن عليّ، قال: حدثني أبي عليّ بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدثني أبي عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِمُ الْحَسَنَاتُ، قال: قال رسول الله عَلَيْهِ وَاٰلِهٖهُ وَسَلَامٍ : أكتب يا عليّ.

فقلت: ما أكتب؟ قال: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقرته القلوب، وصدقته الأعمال؛ والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناجح.

قال أبو دعامة: فقلت يا ابن رسول الله، ما أدرى - والله - أيهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد؟!

فقال: إنّا لَصَحِيفَةٌ بَخْطٌ عَلَيْهِ بَنْ أَبِي طَالِبٍ، بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖهُ وَسَلَامٍ نَتَوَارَثُهَا صَاغِرًا عَنْ كَابِرٍ

(٦)

وأطلق الرواية على هذا الكتاب أسماء منها: «الصحيفة» و«كتاب عليّ عَلَيْهِمُ الْحَسَنَاتُ» و«الجُفْر» و«الجامعة». ونقلوا عنه في كتبهم كما في: الكافي، وتحذيب الأحكام، وبصائر الدرجات، والإرشاد والاستبصار، والوسائل، والذرية، ومن

(١) مروج الذهب ٥: ٨٢ - ٣٠٧٩/٨٣.

لا يحضره الفقيه ...

باب: ما كتبه النبي ﷺ إلى عماله وغيرهم فيما يتعلق بأمور الدين:

استدل بعضهم على جواز كتابة الحديث بما ورد عن النبي ﷺ من كتبه تلك.

قال الدكتور عتر: هي كتب كثيرة، تشمل على مهام أحكام الإسلام وعقائده وخطوطه العريضة، وبيان الأنصبة والمقادير الشرعية للزكاة والديات والحدود والحرمات وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

من ذلك: كتابه إلى عمرو بن حزم الأنباري، عامله على اليمين<sup>(٢)</sup>.

وكتابه إلى وائل بن حجر الخضرمي، وقومه، في حضرموت<sup>(٣)</sup>.

وكتاب في الزكاة، والديات، كان عند أبي بكر<sup>(٤)</sup>.

ونقول: الاستدلال بهذه الكتب، بلحاظ أنه كان للنبي ﷺ إشرافٌ تامٌ على كتابتها، وإن لم يكن هو المبادر لذلك، لكن امتناعه عن الكتابة - لسبِّ؟ - لا ينافي أن يُنسب ذلك إلى فعله ﷺ، باعتبار تعلق إرادته بالفعل، وإشرافه عليه، ووقوعه لديه، وتعلق غرضه به.

(١) منهج النقد في علوم الحديث .٤٧

(٢) الفقيه والمتفقه ١٢٠/١ و ١٣٥ ، الأموال، لأبي عبيدة ٣٥٧ ، تنوير الحوالك، للسيوطى ٧/١ - ١٥٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/٢٧٨ و ٣٤٩ و ٣٥١ .

(٤) فتح الباري ٣١٨/٣ ، صحيح البخاري، كتاب الزكاة ١٤٦/٢ ، السنن الكبرى للبيهقي ٤/٨٨ ، الفقيه والمتفقه ١٢٠/١ ، السنة قبل التدوين ٣٤٥ ، سنن أبي داود ٩٧/٢ ، سنن النسائي ٥/١٨٥ .

وهذا، كما يكتب **الكتاب** الرسائل والخطابات لمن يأمرهم بذلك، فإنهما تُنسب إلى الأمرين، دون الكاتبين، وإن كان هؤلاء هم المباشرين. مع وضوح اختلاف هذه السنة عن التقرير لما فعله الغير، وكذلك عن الأمر بـ**مطلق التدوين والكتابة**، فلا يكون إلا من السنة العملية الفعلية.

### وأحياناً

وفي نهاية المطاف، والرسول **الأعظم** عليه السلام مسجى على فراش المرض يتضرر الموت الحق، إذ طلب ممن عنده «قِرطاساً ودواء» ليكتب لهم «كتاباً» لا يضليلوا بهاده أبداً. وكان طلبه جدياً، ومهمماً، إذ علق عليه أمراً مهمّاً وهو هداية الأمة وعدم ضلالتهم إلى الأبد. فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع! وعندنا كتاب الله حسبنا. ولا نطيل في الأمر فقد تكلّمنا فيما مضى عنه بما فيه كفاية، وتحذّثنا عنه كدليل على كتابة السنة من لدنه عليه السلام.

### السنة القولية

والمراد بها الأحاديث القولية، المرفوعة إلى النبي عليه السلام، والتي تدلّ على إياحته لكتابة الحديث خاصة، أو ترغيبه وحثّه على **مطلق الكتابة**، وكذلك ما ورد عنه عليه السلام في ذكر الخط، والقلم، والدواة، والكتاب، من أدوات الكتابة، مما يدلّ على رغبته التامة في ذلك، وهي كثيرة جداً، وتكتفي للدلالة على جواز كتابة

ال الحديث بطريق أولى.

فإذا كان ﷺ مُبيحاً للكتابة، ومرغباً فيها فالحديث أولى بأن يكتب وينقى.

والآحاديث الواردة مرفوعة عن النبي ﷺ في هذا المجال كثيرة.

قال القاضي عياض. قد روی كتابة العلم عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا من قبل بعض الأحاديث في هذا الشأن؛ ونذكر بعضاً آخر هنا:

- عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «اكتبوا هذا العلم»<sup>(٢)</sup>.

وأنت جد خبير بقصد النبي ﷺ بالعلم الذي ندب إلى كتابته وهو حديثه ﷺ لا غير!

- عن رافع بن خديج، قال: مر علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتحدث، فقال: ما تحدّثون؟

فقلنا: ما سمعنا منك يا رسول الله.

قال: تحدّثوا، وليتبعوا مقعدَه - من كذب علىي - من جهنّم. ومضى حاجته، وسكتَ القومُ،

فقال: ما شأتم لا يتحدّثون؟

قالوا: الذي سمعناه منك يا رسول الله!

قال: إني لم أرِد ذلك، إنما أردتَ مَنْ تعمَدَ ذلك، فتحدّثنا قال: قلت: يا رسول الله، إنّا نسمع

منك أشياء، أفنكُبُها؟!

قال: «اكتبوا، ولا حرج»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإلماع في أصول السمع ١٤٧.

(٢) كنز العمال ٢٦٢/١٠ رقم ٢٩٣٨٩.

- وحديث كتاب أبي شاه من الشهرة في أهمية كتابة الحديث، ومن شأنه ما رواه أبو هريرة، قال: لما فتح الله على رسوله مكّة، قام في الناس فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله تبارك وتعالى حبس عن مكّة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنّما لم تخل لأحدٍ كان قبله، وإنّما أحلّت لي ساعةً من نهارٍ، وإنّما لن تخل لأحدٍ بعدي فلا ينفع صيدها ولا يختلي شوّها، ولا تخل ساقطتها إلا منشدٌ، ومن قُتل له قتيل فهو بخيار الناظرين: إنما أن يغدو، وإنما أن يقتل».

فقام أبو شاه - رجلٌ من أهل اليمن - فقال: اكتبوا لي، يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ : «اكتبوا لأبي شاه» <sup>(١)</sup>.

وقد اتفقوا على صحة هذا الحديث، كما أذعنوا للدلالة على الجواز: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: ليس يروى في كتابه الحديث شيء أصح من هذا الحديث، لأن النبي ﷺ قال: «اكتبوا لأبي شاه» <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الصلاح: ومن صحيح حديث رسول الله ﷺ الدال على جواز ذلك حديث أبي شاه اليمني <sup>(٣)</sup>.

(١) تقيد العلم /٢٧٣، الكامل، لابن عدرة /١٣٦، محسن الاصطلاح .٣٠٠

(٢) تقيد العلم /٨٦، البخاري /١٤٠ - ٤٤١، الباب /٣٦، إرشاد الساري /١٦٨، عمدة القاري /٥٦٧، فتح الباري /١٨٤، صحيح الترمذى /٥٣٩ رقم ٢٦٦٧، معالم الشّئون، للخطابي /٤١٨٤، الفقيه والمتفقّه /٩١، تيسير الوصول /١٧٦، جامع بيان العلم /١٧٠، الحدث الفاصل /٣٦٣ رقم ٣١٤، الاستيعاب /٤١٠٦، أسد الغابة /٥٢٤، منهج النقد .٤٨

(٣) مسند أحمد - ط شاكر - ١٢/٥٢٣٥.

(٤) مقدمة ابن الصلاح .٣٠٠

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، وأريد حفظه، فهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله يشرّب يتكلّم في الرضا والغضب؟!

قال: فأمسكت، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق» وأشار بيده إلى فيه <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما دل على الأمر بالكتابة بلفاظ أخرى:

روى الترمذى، في صحيحه: كتاب العلم، باب «١٢» الرخصة في كتابة العلم، ستده عن أبي هريرة، قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع من النبي الحديث، فيعجبه، ولا يحفظه، فشكى إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، إنّي لأسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه؟!

فقال رسول الله ﷺ : «استعن بيمنيك» وأشار بيده إلى الخط <sup>(٢)</sup>.

ولقد جعل ﷺ من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة؛ قال ﷺ : «من حق الولد على الوالد أن يعلمهاه الكتابة، وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ» <sup>(٣)</sup>.

وحيث ﷺ بقرن الكتابة بالصلوة عليه، ولا غرابة بعد أن ذكره الله تعالى في

(١) تقيد العلم، ٦٩، الحديث الفاصل ٣١٨/٣٦٥، محسن الاصطلاح ٢٩٨، تحف العقول ٣٦، المستدرک على الصحيحين ١٠٦/٥، مسند أحمد ١٦٢/٢.

(٢) سنن الترمذى ٣٩/٥ رقم ٢٦٦، الكامل، لابن عدي ٣٦/١، تقيد العلم ٦٦ - ٦٨، محسن الاصطلاح ٣٠١، العقد الفريد ٤١٩/٢، فيض القدير، للمناوي ٤٩١/١، الفتح الكبير، للسيوطى ١٧٩/١.

(٣) تاريخ الخط، للكردى ٩، نشأة وتطور الكتابة، لغوزى سالم ٨٣.

كتابه الجيد مصريحاً أنَّ الله وملائكته يصلون على النبي! ثم عقب بأمر المؤمنين أن يُصلوا عليه ويسلموا تسلیماً.

وعن أبي بكر، قال: قال رسول الله ﷺ : «مَنْ كَتَبَ عَنِّي عِلْمًا، وَكَتَبَ مَعَهُ صَلَاةً عَلَيَّ، لَمْ يَرُلْ فِي أَجْرٍ مَا قُرِئَ ذَلِكَ الْكِتَابُ» <sup>(١)</sup>.

وروى الخوارزمي مسنداً عن الإمام الصادق عن آبائه عليهما السلام: قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِأَخِي عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَضَائِلَ لَا يُحْصَى عَدَدُهَا غَيْرُهُ.

فَمَنْ ذَكَرَ فَضْيَلَةً مِنْ فَضَائِلِهِ، مُقْرَأً بِهَا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ.

وَمَنْ كَتَبَ فَضْيَلَةً مِنْ فَضَائِلِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَمْ تَزُلِّ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقَيَ لِنَلْكِ الْكِتَابَ رَسْمًّا.

وَمَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابَةِ فَضَائِلِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ الذَّنْبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالنَّظَرِ» <sup>(٢)</sup>.

وقد أكد رسول الله ﷺ على سند الحديث وبين علته، فإن فيه صدق الحديث من كذبه، ونجاة الرواية من المسائلة!

أسند الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عليهما السلام: قال: قال رسول الله ﷺ : «إِذَا كَتَبْتُمُ الْحَدِيثَ فَاكْتُبُوهُ فِي سَنَادِهِ، فَإِنْ يَأْتِ حَقًا كَتَمْ شَرَكَاءَ فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ يَأْتِ

(١) شرف أصحاب الحديث ٣٥ ح ٦٤، الكامل، ابن عدي ١١٠٠/٣، ٣٠٧، محسن الاصطلاح ٧٣ ح ٨٩، النص والاجتهد ١٤٦ - المورد ١٤ - .

(٢) المناقب، للخوارزمي ٢، أمالى الصدوق ١١٩ ح ٩، المجلس ٢٨.

باطلاً كان وزرته عليه»<sup>(١)</sup>.

وعن عطاء بن يسار، كتب رجل عند النبي ﷺ، فقال له: كتبت؟ قال: نعم.

قال: لم تكتب، حتى تعرض فيصح<sup>(٢)</sup>.

وأماماً ما في القرآن الكريم من ذكر للصحف، والكتاب، والكتب ... فكثير للغاية، فنقتصر على:

السمعاني بسنده عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله القلم،

ثم خلق النون، وهي الدواه، قال: وذلك قول الله عز وجل: (نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ)<sup>(٣)</sup>.

ثم قال: أكتب، قال: وما أكتب؟

قال: أكتب مقادير كل شيء من عمل، أو أجمل، أو أثراً، أو رزقاً.

قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة.

قال: ثم ختم على في القلم، فلم ينطِقْ، ولا ينطُقْ إلى يوم القيمة»<sup>(٤)</sup>.

نكتفي بهذا والأحاديث كثيرة في منزلة العلماء حملة الحديث وأن مدادهم يرجح دماء الشهداء

وغير ذلك ...، لتحول ونوصل الكلام بإجماع أهل

(١) أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني ٤ - ٥، ميزان الاعتدال ٤/٩٨، محسن الاصطلاح ٣٠١.

(٢) محسن الاصطلاح ٣١٠.

(٣) القلم: ١.

(٤) الكامل، لابن عدي ٦/٢٢٧٣، تاريخ بغداد ٤٠/١٢، أدب الإملاء والاستملاء ١٥٨.

البيت عليه السلام على التدوين، لوحدة الموضوع.

## إجماع أهل البيت عليه السلام على التدوين

أجمع أهل البيت عليه السلام على إباحة تدوين العلم، ومنه الحديث الشريف، ولم يعهد من أحدٍ منهم منع عنه، على طول الخط.

ومن المعلوم لدى كافة المسلمين أن إجماع أهل البيت عليه السلام حجّة شرعية يجب اتباعها.

أما ثبوت الإجماع منهم عليه السلام: فمع أنه محسوس بالعيان، حيث إنّا لم نجد قولاً لأحدٍ منهم عليه السلام بالمنع، على كثرة تتبعنا في المصادر، ومتابعتنا لأقوالهم. فهو ثابت بالنقل والبيان - أيضاً - حيث إن رواياتهم وأقوالهم متضارفة بـالإباحة، وأعمالهم ومؤلفاتهم متكررة مشهورة.

وأمّا أن إجماع أهل البيت عليه السلام حجّة شرعية: فلتواتر الأحاديث المرفوعة الناصحة على أن رسول الله عليه السلام قد نصّبهم مراجع للأمة تلّاجأ إليهم للخروج من الشبهات، وتتمسّك بمحبّتهم للنجاة من الضلال، وقرّبهم بالقرآن، وجعلهم وإياه، سبّلين للهداية، وجعل التحالف عنهما هو الردّ والغواية.

مثل حديث «النقلين» عند الشيعة والعامّة، وقد رواه بعض وعشرون صحابيًّا ونذكر بعض الروايات من غير سند، ثم نذكر جموع المصادر المتّحصلة لنا؛ إذ أفضنا في ذكر ذلك في موضوع آخر من بحثنا هذا.

في رواية مسلم في صحيحه: «ألا أيّها الناس، فإنما أنا بشرٌ يُوشك أن

أدعى فأحِبُّ، وإلَيْ تارِكٍ فِيكُمُ التَّقْلِينَ وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْمَهْدِيُّ وَالنُّورُ ...، وَأَهْلُ بَيْتِيْ أَدْكَرُكُمُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِيْ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ».

وفي رواية أحمد، والطبراني: «إِلَيْ تارِكٍ فِيكُمُ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابُ اللَّهِ حِبْلٌ مَدْوُدٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَتْرَتِيْ أَهْلُ بَيْتِيْ. وَإِنَّ الْلَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَهْمَّاً لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانظُرُوا مَاذَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا». وفي رواية أخرى للطبراني: «فَلَا تَقْدِمُوهُمَا فَتَهْلِكُوكُمَا، وَلَا تُقْصِرُوهُمَا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوكُمَا، وَلَا تَعْلَمُوهُمَا فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ».

وفِيمَا أورَدَهُ ابْنُ حَمْرَةَ: «أَيَّهَا النَّاسُ يُوشَكُ أَنْ أَقْبِضَ قَبْضًا سَرِيعًا، وَقَدْ قَدِمْتُ إِلَيْكُمُ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ، أَلَا إِلَيْيِ خَلَفٌ فِيكُمُ التَّقْلِينَ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَتْرَتِيْ أَهْلُ بَيْتِيْ ثُمَّ أَحْذِنُ بِيْدِي عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: هَذَا عَلَيَّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنِ مَعَ عَلَيِّ، لَا يَفْتَرَقُنِي حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَسْأَلُهُمَا: مَا أَخْلَفْتُمُ فِيهِمَا؟!».

مصادر الحديث - بِأَلْفَاظِهِ وَطُرُقِهِ الْمُتَعَدِّدةِ -: الإسْكَافِيُّ فِي الْمَعيَارِ وَالْمَوازِنةِ، ٣٥، الطبقاتِ الْكَبِيرِ لِابْنِ سَعْدٍ ١٩٤/٢، مَسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حِبْلٍ ١٤/٣ وَ ١٧ وَ ٢٦ وَ ٥٩ وَ ٣٦٦/٤ - ٣٦٧، وَ ١٨٢ وَ ١٨٩ وَ ١٩٠ - ١٨٩/٥، وَ فِي الْفَضَائِلِ، لَهُ بِالْأَرْقَامِ ١٧٠، ٩٦٨، ٩٩٠ وَ ١٠٣٢ وَ ١٣٨٢ وَ ١٣٨٣ وَ ١٤٠٣ وَ ١٤٠٨ وَ ١٨٧٣/٤، وَ الْمَعْجمُ الْكَبِيرُ، لِلْطَّبَرَانِيِّ ٦٢/٣ وَ ٦٣ وَ ٢٠١، وَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ ١٣١ وَ ١٣٥ وَ ٢٥٥، وَ خَصَائِصُ الْإِمَامِ عَلَيِّ، لِلنَّسَائِيِّ ٩٦ وَ الْمَسْتَدِرُكُ عَلَى الصَّحِيحِيْنِ ٣: ١٢٤ وَ ١٠٩ وَ ١٤٨ وَ ٣٠٧، وَ الْسَّنَنُ الْكَبِيرُ؛ لِلْبَيْهَقِيِّ ١٤٨/٢

و ٣٠/٧ و ١١٤/١٠ ، والترمذى في صحيحه ٥/٦٦٣، ٣٧٨٨/٦٦٣، وسنن الدارمى ٢، ٣١٠/٢  
ومشكل الآثار، للطحاوى ٢/٣٠٧، وحلية الأولياء ١/٣٥٥، وتاريخ بغداد ٨/٤٨، وكفاية  
الطالب ب ١/١١، وبجمع الزوائد ٩/١٦٣، والصواعق المحرقة ٧٥، ومناقب الإمام علي، لابن  
المغازى ٦/٢٣٦، وأسد الغابة ٤/٢٧٩، وفرائد السقطين ١: ٧٦....

وأىما الحديث عند الشيعة من الإمامية والزيدية والإسماعيلية فهو من المسلمين، إن لم تبلغ  
أسانيدُه الكثيرة حدَّ التواتر، مع أنه قد صرَّح بتواتره كثير.

وتوضيح دلالة الحديث على حججية إجماع أهل البيت عليهم السلام يتوقف على ما يلي:  
الأول: إن الخطاب في الحديث موجه إلى جميع الأمة.

لقوله عليه السلام فيه: «أيها الناس...» وقوله: «فيكم» ويعُمُّ من كان في عصر النبوة من  
المشافهين، ومن يأتي بعدهم، وذلك:

١ - لأن الخطابات الشرعية والأحكام الدينية تعمّهم جميعاً، وذلك ثابت في علم أصول  
الفقه.

٢ - لأن الشريعة الإسلامية هي ناسخة الشرائع السماوية، ورسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء،  
فالناس إلى يوم القيمة مكلَّفون بما كُلِّفُوا به المخاطبون في عصره صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا ثبت في موضعه من  
علم الكلام.

٣ - تصريح الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في متن الحديث بعدم افتراق العترة عن الكتاب إلى يوم القيمة،  
فجميع الناس في هذه المدة داخلون في تعلُّق غرضه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

كلامه.

الثاني: إن الحكم المذكور في الحديث، والمسؤولية الملقة على عاتق الأمة تجاه الكتاب والعترة  
أهل البيت عليهما السلام، إنما هو حكم إلزامي واجب، لا يجوز التخلف عنه، والتقصير فيه، ويحرم تركه،  
وذلك:

١ - وذلك لأنّ الرسول ﷺ قد رتب المداية على اتّباع الكتاب والعترة، ورتب الضلاله  
والهلاك على مخالفتهما ومفارقتهما. ومن الواضح أنّ طلب المداية واجب عيني على كلّ مسلم،  
كما إنّ اجتناب الضلاله والابتعاد عنها أمرٌ واجب عيني على المسلمين، والمسلمون يتطلّبون المداية  
والابتعاد عن الضلاله في كلّ يوم عشر مرات على أقلّ تقدير - في صلواتهم الخمس، في قراءة  
سورة الفاتحة - وهذا الطلب ليس استحباباً أو تخيراً، بل هو لزومي واجب؛ بحكم العقل وضرورة  
الشرع.

وإذا تم ذلك، كان اتّباع أهل البيت عليهما السلام المؤدي إلى المداية والبعد عن الضلاله، بنصّ  
الحديث الشريف، واجباً إلزامياً على الأمة، وجوباً عقلياً، شرعاً، كما هو مسلمٌ عندهم من اتّباع  
القرآن.

٢ - لأنّ الرسول ﷺ قد جهدَ في إبلاغ هذا الحديث في ظروف حساسة - مكانية وزمانية  
- تكشفُ بلا ريب عن أهمية ما تضمنه كلامه، بالإضافة إلى تكرر ذكره.  
فمن حيث المكان، قال ابن حجر: إنّ الحديث التمسّك طرقاً كثيرة وردت عن ثيفٍ وعشرين  
صحابياً، وفي بعض تلك الطرق أَنَّه قال ذلك بعرفة، وفي آخر:

أنّه قال ذلك بعدير حُمّ، وفي آخر: أنّه قال ذلك في المدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصابعه، وفي آخر: أنّه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف.

وأضاف ابن حجر: ولا تنسى، إذ لا مانع أنّه كرّر عليهم في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بالكتاب العزيز والعترة الطاهرة<sup>(١)</sup>.

فهل يمكن أن يتصور أن كل ذلك كان لأمر غير ضروري ولا واجب على الأمة؟!

الثالث: الحديث يدل على وجود أهل البيت عليهم السلام إلى يوم القيمة، مع القرآن، حتى يردا عليه الحوض:

لإحباره بعدم إفتراقهما.

الرابع: يدل الحديث على عصمة الثقلين المذكورين فيه: أمّا القرآن، فعصਮته واضحة لأنّه الوحي الإلهي الذي (لا يُأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِه)<sup>(٢)</sup>.

وأمّا العترة، أهل البيت، فلما يأتي:

١ - لأنّ الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه أرجع الأمة إليها للبعد عن الضلال والنجاة من الهلاك، ومن الواضح أنّ غير المعصوم لا يؤمن على مثل هذه المهمة.

٢ - لأنّه جعلهم في الحديث عدلاً للقرآن، ومؤذن دُوره، وقائمين بأمره، والقرآن كما قلنا معصوم، فهم كذلك، وإلا لم يصح أن يجعلهم القرآن بمنزلة

(١) الصواعق المحرقة ٨٩.

(٢) فضilit: ٤٢.

واحدةٍ.

الخامس: والحديث يدلّ على أعلمية الثقلين من جميع الأمة: أمّا القرآن، فواضح كذلك، لأنّه الكتاب الذي نزل (تَبَيَّنَ لِّـ شَيْءٍ) <sup>(١)</sup> وأمّا أهل البيت عليهم السلام ، فلما يأتي:

١ - لتصريح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في متن الحديث:

بقوله: «وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فِإِنَّمَا أَعْلَمُ بِمَا يَنْهَاكُمْ».

٢ - لاقتراهم بالقرآن، الذي عرّفنا كونه الأعلم من الجميع، وكوّنهم بديلاً عنه في مهمّة المداية والبعد عن الصالحة.

٣ - لإرجاع الأمة إليهم، مطلقاً، ولو كان في الأمة من هو أعلم من أهل البيت عليهم السلام لقبح إرجاعه إليهم.

٤ - لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الحديث «وَلَا تَقْدِمُوهُمْ فَتَهَلُّكُوا» حيث رتب الملاك على التقدّم عليهم. وليس المراد بالتقدّم عليهم في المكان والمسير، وإنّما المراد بالتقدّم عليهم بالحكم والرأي والإفتاء والتكلّم في أمور الدين والشريعة.

وهذا النهي مطلق، وعامٌ لجميع أفراد الأمة، ولو لم يكن أهل البيت عليهم السلام أعلم من غيرهم لم يستحقّوا مثل هذا المقام، ولم يحُّم على غيرهم التقدّم عليهم.

السادس: وأخيراً، مَنْ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام؟

إنّ المراد من أهل البيت المذكورين في الحديث لا بدّ أن يكون معيناً

---

(١) النحل: ٨٩.

ومُشَخّصاً، بلا تردید، وذلك:

- ١ - لأن إرجاع الأمة - في أمرٍ مهمٍ كالهداية - إلى أشخاصٍ غير معينين، هو من التكليف بما لا يطاق، وتعليق على المجهول، وهو أشبه بالإغراء بالجهل، وذلك كله خلاف الحكمة المعهودة في أحکم الناس وأعقل البشر، هادي الأمة المبouth رحمة لها، رسول الله ﷺ.
- ٢ - أن الجهل بالمراد من أهل البيت، يؤدي إلى قصور الحديث عن أداء الغرض المنشود منه، وهو منافٍ لأهمية الغرض المذكور الذي أثبتنا أنه هو السبب في بذل أكبر الجهود لإبلاغ الحديث، وبالتالي فيكون ذلك كله لغوًّا وعثثًا، نزأ بالرسول ﷺ أن يتصدّى له. فالغرض المقصود للرسول ﷺ من جعل الثقلين خليفتين له في الأمة، هي الهداية والابتعاد عن الضلال، ومثل هذا المقام لا يقبل التسامح، والتفريط فيه، فلو ورد فيه نصٌّ فلابد أن يكون واضحًا مضبوطاً، ودقيقاً، لا يدخله شكٌ أو ريب، وإلا لانتقض الغرض.
- ٣ - جعل أهل البيت، قريناً للقرآن، في سق واحد، بعنوان الثقلين، يدلُّ على أنهما سواءٌ في المعروفة والمحدودة بالتعيين، فكما أن القرآن كتاب الله، نصٌ محدود، مكتوبٌ، معروفٌ؛ فكذلك المراد من أهل البيت.
- ٤ - لم يُنقل من أحدٍ أن عدَّ حديث الثقلين من الأحاديث المجملة إذ ليس فيه من المفردات ما يُعدُّ من الغريب المشكّل، ولا يحتوي كذلك على جملة معقدة غامضة، فلا بدّ أن يكون المراد من «أهل البيت» الوارد في الحديث بعنوان «الثقل الثاني» القرین للقرآن، واضحًا معيناً عند السامعين، والرواة الناقلين الأوائل

على الأقل.

## فَمَنْ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ؟

١ - قد حصر رسول الله ﷺ إطلاق اسم «أهل البيت» على الخمسة الطيبة: نفسه المقدّسة، وابنته الزهراء فاطمة، وصنيوّه على أمير المؤمنين، وسبطيه الحسن والحسين علیهم السلام، حينما أدخلهم تحت الكساء معه؛ وهبط الأمين جبريل بآية التطهير: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) <sup>(١)</sup>.

فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهُّرْهُمْ تَطْهِيرًا».

فكانَت آيَةً خاصَّةً بِهِمْ، فَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الْمَعْصُومُونَ علیهم السلام.

وقد تكلّمنا عن طرق نزول الآية فيهم علیهم السلام مع مصادر ذلك في موضع آخر.

وقد نصَّ الإمام الحسين علیه السلام على ولده علی أنَّه الإمام من بعده، وكلُّ إمام نصَّ على الذي يليه، إلى الإمام المهدي الثاني عشر علیه السلام.

والنصوص على الأئمَّة علیهم السلام في مصادرنا الحديثية متضادَّةٌ بما لم يقُلْ لها مجال للريب <sup>(٢)</sup>.

وَجَهَّلُ غَيْرُ الشِّعْعَةِ بِتَلْكَ النُّصُوصِ لَمْ يُضُرُّ بِحْجِيَّتِهَا، وَذَلِكُ:

أَوَّلًا: لو كانَ جَهَّلَ كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا عَنْدَ الْأَخْرَى مِنْ تَارِيخٍ وَحَدِيثٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، دَلِيلًا، واستندوا إلى هذا الجهل، لما كانَ لأحدٍ الاعتماد على ما عنده، إِنَّمَا

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) أجمع مصدر لذلك كتاب (إثبات المُهْدَأ)، للشيخ الحر العاملـيـ.

الحجّة تتمُّ بما يُعرَضُ من الأدلة حسب الموازين المقررة للاستدلال، وإقامة الحجّة، وعلم الشيعة بتلك النصوص ثابت، والجاهل لا بدّ له أن يرجع إلى العالم.

وثانياً: إن تلك النصوص إنما ثبتت بطرق الرواية الثقات المعترف بوثاقتهم وحجّيتهم عند العامة أيضاً؛ وإن قدحوا فيهم فإنما هو للتطرف المذهبي، والعصبية الطائفية، ومن المعلوم أنّ الملائكة في حُجّيّة الرواية هي الوثاقة والاطمئنان بالصدور، لا سوء الظن والتهم. والحاصل: أنّضم المقدمة الأولى، وهي قطعية صدق أهل البيت على أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، إلى المقدمة الثانية وهي نصّ كل إمام من الأئمة الاثني عشر على الإمام الذي يليه، تثبت النتيجة التالية: أنّ أهل البيت الذين نصبهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه خلفاً له من بعده، وفُرِناء لكتاب إلى يوم القيمة، إنما هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام.

٢ - النصوص النبوية الدالة على أنّ الأئمة بعد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إنما هم اثنا عشر خليفة:

ومن تلك: أنّ الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كُلُّهم من قريش. وقد أخرجه العامة عن عبد الله ابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأكثر طرقه عن جابر بن سمرة.

ورواه من الأعلام:

أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذى، وأبو داود، والحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي

وغيرهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) مصادر حديث (اثنا عشر خليفة):

وقد اختلف أهل المذاهب المختلفة في تفسير المراد بالثاني عشر، وطبقه كلٌّ على مَن يراه للخلافة من الخلفاء، وسكت بعضُهم عن تفسيره، لكنَّ أحداً لم يوفق إلى تفسيره بما لا يرُد عليه شيء.

وأمام القول بأنَّ هذا الحديث يحملُ غيرَ مبين، فباطلٌ، وذلك:

- ١ - لأنَّ موضوع الحديث وهو الإمامة والخلافة عن الرسول ﷺ منصبٌ مهمٌ جدًا، لا يتحمّل التسامُح فيه بإيادٍ نصٌّ يحملُ لا يُفهِّم منه شيءٌ، وإلا، فمن الممكِّن أنْ يُقال: ما فائدة هذا الكلام، ولماذا يتصدّى الرسُولُ الكريم إلى إلقائه إذا لم يكن له معنىًّا مفهوم، أو ثرةً بيته.
- ٢ - لأنَّ هذا الحديث لا يحتوي على مفردة غريبة توجّب الإجمال في معنى الكلام، وليست الجملة بكمالها معقدةٌ حتَّى يتوَقَّفُ في فهم المراد منها.  
بل - على العكس - فإنَّ المراد والمدلول واضحٌ جدًا، يقول: إنَّ الخلفاء الذين يلْئُون أمرَ إمامَة الإسلام هم اثنا عشر، في الفترة بين وفاته ﷺ وحَتَّى يوم القيمة.  
وإذا لم ينطبق هذا المدلولُ، الثابتُ الحقُّ، إلَّا على ما يقوله الشيعة الإمامية،

---

= صحيح البخاري ١٠١/٩، كتاب ٢٣ - الأحكام، باب ٥١ - الاستخلاف، صحيح مسلم ١٤٥١/٣ - كتاب الإمارة، باب (١) الناس تبع لقريش. صحيح الترمذى ٤٥/٢ ط المندى ١٣٤٢، باب ما جاء في الخلفاء، دلائل النبوة، للبيهقي ٦٥١٩/٦، المستدرك على الصحيحين ٦١٨/٣ كتاب معرفة الصحابة، مسنَدُ أحمد ٣٩٨/١ و ٨٦/٥ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ - ١٠٦ و ١٠١ - ١٠٨ في مسنَد جابر بن سمرة. ويسير الوصول ٢٤/٢، منتخب كنز العمال بجامش مسنَدُ أحمد ٣١٢/٥، تاريخ الخلفاء ٧، تاريخ بغداد ١٢٦/٢، كشف الظنون (١٥٤٨).

وكان الأئمّة الائـثـا عـشـر من أهـلـ الـبـيـت هـمـ الـذـينـ يـصـدـقـ فـيـهـمـ حـدـيـثـ الثـقـلـيـنـ، فـأـيـ مـانـعـ مـنـ الـالـزـامـ بـأـحـمـ المـقـصـودـونـ بـحـدـيـثـ الـأـئـمـةـ الـائـثـيـ عـشـرـ مـنـ قـرـيشـ؟ـ ماـ دـامـ هـذـاـ الـالـزـامـ يـؤـدـيـ إـلـىـ الـعـمـلـ بـكـلـ ماـ قـالـهـ الرـسـوـلـ ﷺـ،ـ وـعـدـمـ نـسـبـةـ الـإـجـمـالـ إـلـيـهـ؟ـ مـضـافـاـ إـلـىـ أـنـ أـيـاـ مـنـ الـمـذاـهـبـ لـمـ يـقـدـمـ اـعـتـقـادـ فـيـ أـنـاسـ تـنـطـبـقـ عـلـيـهـمـ الصـفـاتـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ حـدـيـثـ الثـقـلـيـنـ،ـ وـيـنـطـبـقـ عـلـيـهـمـ الـعـدـدـ الـمـذـكـورـ فـيـ حـدـيـثـ الـخـلـفـاءـ الـائـثـيـ عـشـرـ.

٣ - مع أنّ هؤلاء الأئمّة الائـثـيـ عـشـرـ طـاهـيـلـ قدـ جـعـواـ إـلـىـ كـرـمـ النـسـبـ شـرـفـ الـحـسـبـ،ـ وـحـازـواـ قـصـبـ السـيـقـ فـيـ كـلـ فـضـيـلـةـ،ـ وـجـعـواـ طـارـفـ الـجـهـدـ وـأـيـلـهـ.

فـهـمـ بـيـنـ الـأـمـةـ كـالـنـجـومـ السـواـطـعـ،ـ قـدـ اـعـتـرـفـ بـفـضـلـهـمـ كـلـ عـدـوـ وـصـدـيقـ،ـ وـأـذـعـنـ لـعـلـمـهـمـ كـلـ عـالـمـ ضـالـيـعـ،ـ وـأـقـرـ بـمـجـدـهـمـ وـسـؤـدـدـهـمـ الـأـوـلـوـنـ وـالـآخـرـوـنـ.

وـأـجـمـعـتـ كـتـبـ الـرـجـالـ لـلـعـاـمـةـ فـيـ تـرـاجـمـهـمـ عـلـىـ القـوـلـ فـيـ نـعـتـ آـحـادـهـمـ:ـ ثـقـةـ ثـقـةـ ثـبـتـ صـدـوقـ لـاـ يـسـأـلـ عـنـ مـثـلـهـ،ـ قـدـ أـنـحـكـتـهـ الـعـبـادـةـ،ـ سـيـدـ عـصـرـهـ فـيـ الـعـلـمـ،ـ إـمـامـ اـبـنـ إـمـامـ وـحـقـ لـمـلـهـ أـنـ يـكـونـ خـلـيـفـةـ ...ـ

وهـذـاـ الـذـهـيـ الـخـبـلـيـ -ـ وـهـوـ مـنـ كـبـارـ مـؤـرـخـيـ الـإـسـلـامـ،ـ وـمـتـرـجـيـ الـأـعـلـامـ -ـ نـرـاهـ يـتـرـجـمـ لـلـإـلـمـامـ الـمـنـتـظـرـ الـمـهـديـ طـاهـيـلـ،ـ فـيـقـولـ:ـ خـاتـمـ الـائـثـيـ عـشـرـ سـيـدـاـ الـذـيـ تـدـعـيـ الـإـمـامـيـةـ عـصـمـتـهـمـ ...ـ وـمـحـمـدـ هـذـاـ هـوـ الـذـيـ يـزـعـمـونـ أـنـهـ الـخـلـفـ الـحـجـةـ،ـ وـأـنـهـ صـاحـبـ الـزـمـانـ،ـ وـأـنـهـ حـيـ لـاـ يـمـوتـ حـتـىـ يـخـرـجـ فـيـمـاـ الـأـرـضـ عـدـلـاـ وـقـسـطـاـ،ـ كـمـاـ مـلـيـتـ ظـلـمـاـ وـجـوـرـاـ.

فـوـدـدـنـاـ ذـلـكـ،ـ وـالـلـهـ ...ـ

فمولانا عليٰ: من الخلفاء الراشدين ...

وابناء: الحسن والحسين، فسبطا رسول الله ﷺ، سيّدا شباب أهل الجنة، لو استُخْلِفَا لكانا أهلاً لذلك.

وزين العابدين، كَبِيرُ الْقَدْرِ، ومن سادة العلماء العاملين، يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ! ... وكذلك ابْنُه أبو جعفر الباقر: سَيِّدُ، إِمَامٌ، فقيهٌ، يَصْلُحُ لِلخِلَافَةِ!

وكذا ولُدُّه جعفر الصادق: كَبِيرُ الشَّأْنِ، مِنْ أئِمَّةِ الْعِلْمِ، كَانَ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْ أَبِيهِ جعفر المنصور.

وكان ولُدُّه موسى كَبِيرُ الْقَدْرِ، حَيِيدُ الْعِلْمِ، وَأَوْلَى بِالخِلَافَةِ مِنْ هارون.

وابنُه عليٰ بن موسى الرضا: كَبِيرُ الشَّأْنِ، لَهُ عِلْمٌ وَبِيَانٌ، وَوَقْعٌ فِي النُّفُوسِ؛ صَيَّرَهُ الْمَأْمُونُ وَلِيَ عَهْدِهِ، بِجَلَالِتِهِ.

وابنه محمد الجواد: من سادة قومه.

وكذلك ولُدُّه الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابْنُه الحسن بن عليٰ العسكري رحمهم الله تعالى. فلو لَرَمَ اتّباعَ أحدٍ، لكانوا هُمُ الأُولَوْنَ، ولو استحقَ غَيْرُهُمْ شَيْئاً فَهُمُ الْآخِرُونَ.

وممّا لا ريب فيه أنّ إجماعهم على شيء يقدّم على إجماع غيرهم لو خالفه، ومخالفتهم لغيرهم تزعزع كيان مخالفهم.

وتذوين الحديث مما قد اتفق جميع أهل البيت على إباحته وجوازه، وعدم منعه، فهم في جواز التذوين على منهاج واحد. فقد أباحوه حيث منع المانعون، ودأبوا على تبليغه وأدائيه منذ عهد الرسالة المبكر، فضبيطوه في مؤلّفاتهم، وسَعَوا

في حفظه وأودعوه كلّ ثقةٍ أمين؛ ولذلك حفظ الحديث الشريف عندهم وعند أصحابهم وأتباعهم مسجلاً، مكتوباً، محفوظاً من الدسّ والتزوير والتحريف والتصحيف.

### ما وردَ عن الإمام أميرالمؤمنين عليٰ عَلَيْهِ الْأَمْرُ

كان الإمام علياً في طليعة المُبيحين للتدوين<sup>(١)</sup>.

وقد علِمنا أنَّه كتب بخطه بإملاء رسول الله عَلَيْهِ الْكَبِيرُ، كتابة الكبير، الذي تحدَّثنا عنه فيما مضى.

وقد قيل في ذلك الكتاب إِنَّه «أول كتاب في الإسلام»<sup>(٢)</sup>. كما روى الإمام علياً كثيراً من النصوص المرفوعة، الدالة على إباحة التدوين، وقد سبقت كذلك.

لكن الإمام علياً قد أظهرَ التزامه بإباحة التدوين، بالقول والفعل، وتضافرت النصوص الموقوفة عليه في ذلك، وسنذكرها في مجموعتين:

- ١ - في مجال التصنيف والتأليف.
- ٢ - الأقوال المروية عنه، والموقوفة عليه.

#### في مجال التصنيف:

(١) الإماماع، ١٤٧، علوم الحديث، لابن الصلاح، ١٨١، تدريب الراوي ٢٨٥، وانظر: معالم العلماء، لابن شهر آشوب

٢، ومؤلفوا الشيعة، لشرف الدين ١٣.

(٢) انظر الدررية ٣٠٦/٢.

روى البحرياني بسنده عن عبد الملك بن أعين، قال: أرأي أبو جعفر عليه السلام بعض كتب علي عليه السلام، ثم قال لي: لأي شيء كتب هذا الكتاب؟ قلت: ما أبين الرأي فيها!. قال: هات.

قلت: علِمَ أَنْ قَائِمَكُمْ يَقُولُ يَوْمًا فَأَحَبَّ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا فِيهَا. قال: صدقت<sup>(١)</sup>.

وروى الرازبي عن شعبة (ت ١٦٠ هـ): أَنَّ رَوَيَّيَ التَّابِعِيَّينَ - عامر الشعبي عن علي، وعطاء بن أبي رباح عن علي - إِنَّمَا هِيَ مِنْ كِتَابٍ<sup>(٢)</sup>.

وقال: كان عند أبي هارون العبدلي (ت ١٣٤ هـ) كتاب عن علي عليه السلام<sup>(٣)</sup>. وقال أحمد: خلاس بن عمرو البحري، روايته عن علي عليه السلام، من كتاب، ويقال: وقعت عنده صحف عن علي عليه السلام.

وأَنَّمَا الْكُتُبُ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِنَادِيهَا الْخَاصَّةِ، فَهِيَ:

١ - كتاب في علوم القرآن:

أَمْلَاهُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَذُكِرَ فِيهِ سَتِينُ نَوْعًا مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ؛ رِوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو العَبَاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ، ابْنُ عُقْدَةَ الْكُوفِيِّ (ت ٣٣٣ هـ) بِسَنَدِهِ

(١) تدوين السنة ١٣٦؛ عن عوالم العلوم والمعارف، للبحرياني.

(٢) الجرح والتعديل، التقدمة، لابن أبي حاتم ١٣٠/١.

(٣) سؤالات الحاكم للدارقطني ٢٠٣ رقم ٣١٤. والراسيل، للرازي: ٤١، جامع التحصل للعلائي ١٧٣ رقم ١٧٥.

عن الإمام جعفر الصادق عائلاً<sup>(١)</sup>.

ورواه جمّع من كبار الطائفـة فنسبـ إليهم:

منهم: المحدث أبو القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري الثئي المتوفـ (سنة ٣٠١ - أو ٢٩٩ هـ) بعنوان (تفسير سعد) و (ناسخ القرآن ومنسوخه)<sup>(٢)</sup>.

ومنهم المحدث محمد بن إبراهيم بن أبي زينب الكاتـ البغدادـ صاحـ «الغيبة» تلمـذ الـكـلـيـني؛ فقد نسبـ إليه بـ عنوان (تفسير النـعمـانـ)<sup>(٣)</sup>.

ومنهم السيد الشريف المرتضـ علىـ بن الحـسين المـوسـوي (ت ٤٣٦ هـ) فقد نسبـ إليه باـسم (الـحـكمـ والمـتشـابـهـ فـيـ القرآنـ)<sup>(٤)</sup>.

وقد أورد المـحدثـ المـحلـسيـ نـصـهـ بالـكـاملـ فـيـ كتابـ (ـبحـارـ الـأـنـوارـ)<sup>(٥)</sup>.

٢ - كتاب السنـنـ والـقـضـاـيـاـ والأـحـدـودـ،

كتـابـ كـبـيرـ حـوـىـ أـبـوابـ الـعـلـمـ، وـفـقـهـ الشـرـيعـةـ الـمـقـدـسـةـ، وـمـنـهـ ماـ قـضـىـ بـهـ الإـلـامـ عـلـيـ عـائـلـةـ فيـ الـحـوـادـثـ الـخـاصـةـ. وـكـمـاـ يـبـدوـ مـنـ اـسـمـهـ فـيـ السـنـنـ وـالـآـدـابـ الـشـرـعـيـةـ، وـالـعـبـادـاتـ مـنـ الـطـهـارـةـ وـالـصـلـاـةـ وـالـصـومـ . . . ، وـالـأـقـضـيـةـ، وـالـحدـودـ،

(١) لـاحـظـ أـعـيـانـ الشـيـعـةـ جـ ١ـ قـ ١ـ ٣٢١ـ ٣٩٣ـ، بـحـارـ الـأـنـوارـ.

(٢) سـؤـالـاتـ الـحاـكـمـ لـلـدـارـ قـطـنـيـ ٢٠٣ـ ٣١٤ـ، وـلـمـاسـيلـ، لـلـراـزـيـ ٤١ـ، وـجـامـعـ التـحـصـيلـ، لـلـعـلـائـيـ ١٧٣ـ ١٧٥ـ.

(٣) بـحـارـ الـأـنـوارـ ٣ـ ٩٣ـ، مـسـتـدـرـكـ الـوـسـائـلـ ٣ـ ٣٦٥ـ.

(٤) الذـرـيـعـةـ ٢٠ـ ١٥٤ـ - ١٥٥ـ. وـقـدـ طـبـعـ بـهـذـاـ العـنـوانـ أـيـضاـ.

(٥) رـاجـعـ بـحـارـ الـأـنـوارـ - الـطـبـعـةـ الـحـدـيـثـةـ ١ـ ٩٣ـ، ٩٧ـ - ٧٢ـ - ٧١ـ ٨٤ـ، وـأـعـيـانـ الشـيـعـةـ (ـجـ ١ـ قـ ١ـ ٣١٨ـ) وـتـأـسـيسـ الشـيـعـةـ، لـلـصـدرـ ٣١٨ـ.

والدّيّات، وأبواب المعاملات من البيوع، وغيرها. وقد روى هذا الكتاب جمّعٌ من أصحاب الإمام علي عليهما السلام، تارةً بعنوانه العام، وأخرى بعنوان باب من أبوابه. ونورد هنا قائمة بأسماء من روواه، أو روى قسماً منه:

١ - عمرُ ابْنُ الْإِمَامِ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، روى عن أبيه هذا الكتاب كاماً<sup>(١)</sup>.

٢ - أبو رافع مولى النبي عليهما السلام، وصاحب بيت مال الإمام علي عليهما السلام. روى الكتاب عن أمير المؤمنين كاماً<sup>(٢)</sup> ورواه عنه ابنه:

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، كاتبُ الْإِمَامِ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَرْجِمَةِ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ<sup>(٣)</sup>.

وعلي بن أبي رافع، كاتب الإمام علي عليهما السلام:

روى الكتاب عن أبيه كاماً<sup>(٤)</sup>.

٣ - ربيعة بن سعيد: روى قسم الزكاة عن أمير المؤمنين عليهما السلام في كتاب كتبه له بخطه لما بعثه على الصدقات<sup>(٥)</sup>.

٤ - محمد بن قيس البخاري:

(١) رجال التحاشى ٧، ذيل رقم ٢.

(٢) نفسه ٦، رقم (١)، تأسيس الشيعة ٢٨٠، تاريخ بغداد ٤٤٩/٨.

(٣) رجال التحاشى ٦، رقم (١) و ٧، رقم (٢)، معرفة علوم الحديث، للحاكم ١١٨.

(٤) رجال التحاشى ٦، رقم (٦).

(٥) رجال التحاشى ٧ - ٨ رقم ٣. وانظر الكافي (كتاب الزكاة، باب أدب التصدق) ٣/٥٣٩ وفيه (زمعة بن سعيد) وهو تصحيف، والجامع في الرجال، للزنخاني ١/٧٧٠.

روى قسم القضايا، وقد عُرض كتابه على الإمام الباقر عليه السلام فصدق أنه كتاب أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

٥ - يَعْلَى بْنُ مُرْةِ النَّقْفِيِّ:

له نسخة عن الإمام عليه السلام <sup>(٢)</sup>.

٦ - الحارث بن عبد الله المُمْدَانِي:

روى الكتاب كاملاً عن أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(٣)</sup>.

٧ - الأصبهن بن ثابتة المُجاشعي:

روى قسم القضاء عن الإمام عليه السلام <sup>(٤)</sup>!

٨ - عبد الله بن عباس:

كان يَتَّخِذُ صُحْفًا فِيهَا قَضَاءً عَلَيْهِ عليه السلام <sup>(٥)</sup>.

٩ - مِيسَمَ بن يَحْيَى التَّمَارِ:

له كتاب، كان متداولاً حتى القرن السابع الهجري، حيث نقل عنه مباشرةً الطبراني صاحب كتاب (بشارة المصطفى) <sup>(٦)</sup>.

١٠ - عَبْدُ اللهِ بْنِ الحَسَنِ الْكَوْفِيِّ، الشاعر، الجعفري:

(١) تأسيس الشيعة ٢٨٤ وانظر رجال النجاشي رقم ٣٢٣ ٢٨١.

(٢) رجال النجاشي ٢٨٦ رقم ٧٦٢، ترجمة عمر بن يَعْلَى بْنُ مُرْة، تأسيس الشيعة ٢٨٤.

(٣) رجال النجاشي ٧ ذيل الرقم ٢، الفهرست، للطوسوي ٦٢ رقم ١١٩.

(٤) رجال النجاشي ٨ رقم ٥.

(٥) تقدير العلم - التصدير ١٩، توجيه النظر ٨، مقدمة صحيح مسلم ١٤/١.

(٦) تأسيس الشيعة ٢٨٣.

روى عن الإمام علي عليه السلام نسخة<sup>(١)</sup>.

١١ - ومن أجزاء هذا الكتاب هو (كتاب الديات) الذي اشتهر باسم راويه ظريف بن ناصح<sup>(٢)</sup>.

فقد عرضه الرواية على الأئمة: جعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا عليه السلام، فأقرّوا أنه من إملاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه كتبه لعماله وأمراء الأجناد<sup>(٣)</sup>.

ونصّه الكامل موجودٌ: فرقه الكليني في جامعه (الكافي) وسمّاه (كتاب الفرائض عن علي عليه السلام)<sup>(٤)</sup>.

وأوردته بتمامه الشيخ الصدوق في (كتاب الفقيه)<sup>(٥)</sup>.

والذي يظهر من المصادر أنَّ كلاًً من هؤلاء الرواية قد ألف ما يخصُّه، وجمع روایات كتابه عن الإمام علي عليه السلام، إلا أنَّنا نعتقد بأنَّ الكتاب ليس إلا مجموعة كبيرةً واحدةً من تأليف الإمام وإملائه عليه السلام، وذلك لما يلي:

١ - انتهاء الأسانيد في تلك الكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، بعنوان أنَّ كلاًً منها نسخة منه، أو إملائه.

(١) رجال النجاشي ٩ رقم ٦.

(٢) نفسه ٢٠٩ رقم ٥٥٣، الذريعة ١٥٩/٢ - ١٦١ بعنوان: أصل ظريف.

(٣) الجامع للشرايع ٦٠٨، الكافي ٣٢٠/٧.

(٤) الكافي ٣٢٠/٧ - ٣٦٣.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٤/٥٤ - ٦٦ وهو تمام الباب (١٨) دية جوارح الإنسان.

٢ - لوجود نفس العناوين ضمن ما تُسب إلى غير الرواية المذكورة، الذين اعتبروا كمؤلفين للكتاب.

فذلك يؤكد أن الكتاب المذكور كان مجموعة كبيرةً من تأليف الإمام نفسه عليه السلام، رواه بعض أصحابه كاملاً، وروى بعضهم أبواياً منه<sup>(١)</sup>. وقد وردت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رواياتٌ حول ما ورد في هذا الكتاب بطرق الرواية المذكورة وغيرهم، في كتب العامة، جمعٌ لأحمد بن حنبل مجموعة كبيرة منها في مسنده<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - عَهْدُ الإمام عليه السلام للأشرة:

وهو العَهْدُ الطويل المهم الذي كتبه الإمام علي عليه السلام الأشتر التخعي، لما ولأه مصر، وتضمن أصول إدارة البلاد، وترتيب النظم السياسية لأمور العباد.

ونصه معروفٌ، ومطبوعٌ متداولٌ، وهو في نهج البلاغة وقد رواه الأصبغ بن ثابتة<sup>(٣)</sup>.

### ٤ - التعليقة النحوية:

التي ألقاها الإمام عليه السلام إلى أبي الأسود الدؤلي.

نقل خبرها السيوطي عن ابن عساكر أن بعض النحويين كان يذكر أن عنده

(١) مرآة الكتب، لعلي بن موسى التبريزي الشهيد (١٣٢٠): ٩.

(٢) مسندي أحمد بن حنبل ٧٥/١ - ١٦٠، وانظر حول رواة آخرين لحديث الإمام علي عليه السلام بشكل مكتوب في دلائل التوثيق المبكر ٤٢٠، معرفة النسخ ٢٠٧.

(٣) نهج البلاغة، بشرح صبحي الصالح ٤٢٧ - ٤٤٥.

تعليق أبي الأسود التي ألقاها إليه علي عليهما السلام .<sup>(١)</sup>

## ٢ - في مجال العلم والآثار:

لقد نُقل عن أمير المؤمنين عليهما السلام الكثير في مجال التأكيد على الكتابة والتدوين، وفيه ما هو صريح في الأمر به، كما أنّ فيه ما هو دال على الملازمة العُرفية، وهذا بعضها:

- عن الحارث عن علي عليهما السلام قال: «قَيْدُوا الْعِلْمَ، قَيْدُوا الْعِلْمَ» هكذا مرتين .<sup>(٢)</sup>

٢ - عن علباء، عن علي عليهما السلام: أنه خطب الناس، فقال: «مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهَمٍ» .<sup>(٣)</sup>

قال أبو خيثمة رَهْبَنْ بْنُ حَرْبَ - مفسراً لهذا الحديث: يشتري صحيفَة بدرهم ويكتب فيها العِلْم .<sup>(٤)</sup>

وفي بعض نصوص الحديث: أنّ الحارث الأعور اشتري صُحْفَاً بدرهم، ثم جاء بها علينا عليهما السلام ، فكتب له علمًا كثيراً، ثم إن الإمام عليهما السلام خطب الناس بعد، فقال:

(١) تقدير العلم، إنباه الرواية، للقفطي، ٨٥/٣٩، وقال: رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين (جزءاً) فيه أبواب من النحو، يجمعون على أنها (مقدمة علي بن أبي طالب) التي أحذها عنه أبو الأسود الدؤلي. وانظر سير أعلام النبلاء (٤/٨٤). الأشباه والنظائر، للسيوطى ١٤/١٢ - ١٤، تاريخ الخلفاء له ١٤٣، طبقات النحوين، للزبيدي ٢١.

(٢) تقدير العلم ٨٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/١١٦ من طبعة ليدن، تقدير العلم ٩٠، تاريخ بغداد ٨/٣٥٧ كتب العمال ٥/٢٦١ ٢٩٣٨٥.

(٤) تقدير العلم ٩٠.

يا أهل الكوفة غلبكم نصفُ رجلٍ <sup>(١)</sup>.

\* عن الحارث، عن عليٍ عليه السلام، قال: قراءتك على العالم وقراءة العالم عليك سواءً، إذا أقرَّ لك به <sup>(٢)</sup>.

وروى نحوه أبو طبيان، عنه عليه السلام <sup>(٣)</sup>.

\* عن هبيرة بن يريم، عن عليٍ عليه السلام، قال: القراءة عليه منزلة السمع منه <sup>(٤)</sup>.

وهذا يدلُّ على وجود الكتاب في عهد الإمام عليه السلام، حيث إنَّ قراءة الراوي على الشيخ لا تكون إلَّا من كتابٍ وبواسطة نصٍ مكتوب، يقرأ منه الراوي على الشيخ.

ونقول أيضًا: قد يكون فيه بعثٌ على كتابة النصّ، ليكون الراوي مكتفيًا بقراءته على الشيخ، لتحصيل عنصر الضبط والإشراف من الشيخ عليه.

\* وقال عليه السلام لكاتبه عبد الله بن أبي رافع: «ألقْ دوائرك، وأطلِنْ جُلْفةَ قلمِك، وفرجْ بين السطور، وقَرمطْ بين الحروف، فإنَّ ذلك أَجْدَرُ بصياغة الخط» <sup>(٥)</sup>.

\* وكتب عليه السلام إلى عماله: «أدْفُوا أَقْلامَكُمْ، وقارِبُوا بَيْنَ سُطُورِكُمْ، واحذِفُوا عَنِّي فُضُولَكُمْ، واصدِدوا قَصْدَ المَعْانِي، وإِتَاكُمْ وَالإِكْثَارَ، فإنَّ أَموالَ الْمُسْلِمِينَ

(١) طبقات ابن سعد ١٦٨/٦، السنة قبل التدوين ٣٩٧، العلم، لزهير بن حرب ١٩٣.

(٢) الكفاية في علوم الرواية، للخطيب ٣٨٣.

(٣) نفسه ٣٩٩.

(٤) نفسه ٣٨٣.

(٥) نوح البلاغة، قسم الحكم، الحكم رقم ٣١٥؛ تاج العروس (قِرْمَط).

لا تُحتمل الإضرار»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: «عقل الكاتب قلمه»<sup>(٢)</sup>.

\* وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يُروي شعر أبي طالب، وأن يُؤون<sup>(٣)</sup>.

وأخبار أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا الميدان تطول، فنقتصر على ما ذكرناه، لنذكر شيئاً عن أئمة المدح عليهم السلام، في هذا الأمر.

### ما ورد عن الإمام الحسن السبط عليه السلام (استشهد سنة ٤٩ هـ).

١ - عن شرحبيل بن سعيد، قال: دعا الحسن بن علي عليهما السلام بنيه وبني أخيه، قال: «يا بني، وبني أخي، إنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يُروي فليكتب، ولি�ضعه في بيته»<sup>(٤)</sup>.

### ما ورد عن الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام (٦١ هـ).

قال عليه السلام، في خطبة له في منى، في جم عظيم من الشيعة وبني هاشم والصحابة والتابعين:  
«أما بعد، فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيّعنا ما قدرأيت

(١) الخصال ٣١٠/١.

(٢) نور الحقيقة، حسين بن عبد الصمد الحارثي ١٠٨.

(٣) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، فخار بن معاد العلوى ٢٥.

(٤) تاريخ يعقوبي ٢٢٧/٢، سنن الدارمي ٥١٧/١ ح ١٠٧١، الكفاية، للخطيب، جامع بيان العلم، ٨٢/١، كنز العمال ٢٢٩/٥، بحار الأنوار ١٥٢/٢ ح ٣٧.

وعلّمتم وشهدتُم، وإني أريد أن أسألكم عن شيءٍ، فإنْ صدقتُ فصدقوني... اسمعوا مقالِي،  
واكتُبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمَنْ أمنتم من الناس ووثقُتم به فادعوه إلى ما  
تعلّمون من حقّنا، فإني أخوّفُ أن يدرُس هذا الأمرُ، ويذهب الحقُّ»<sup>(١)</sup>.

والشاهد في هذا الكلام، قوله عليه السلام: «اكتُبوا قولي» حيث أَنَّه أمرَ بكتابَةِ كلامِه عليه السلام ، ودلالُه  
على تدوين الحديث من جهات:

١ - لأنّا نحن الشيعة الإمامية نؤمن أنّ ما يُحَدَّثُ به الإمام عليه السلام فإنّما هو من السنة التي يجب  
اتّباعها، لما ثبت عندنا من الأدلة على أنّ الأئمة عليهما السلام إنما هُمُ الحجج المنصوبة من رسول الله  
عليه السلام ، على الأُمّة؛ حيث أمرُها بالتمسّك بهم والأخذُ منهم، وقد أسلفنا بعض ذلك في  
الاستدلال بحديث الشفلين.

٢ - أنّ الأئمة عليهما السلام قد صرّحوا بأنّ حديثهم إنما هو حديث جدهم رسول الله  
عليه السلام ، فهو بحكمه في الحجّية.

٣ - أنّ قوله الذي أمرَ بكتابته لا يخلو من ذكر حقّهم عليهما السلام الذي أشار إليه، ولا يخفى أنّ  
حقّهم إنما يثبت بما أثبته لهم رسول الله عليه السلام ، فقولُه الذي أمرَ بكتابته حاوٍ لحديث رسول الله  
عليه السلام لا محالة.

٤ - أنّ قوله «اكتُبوا قولي» يكشف عن رضاه بكتابَةِ سنة رسول الله عليه السلام لا محالة وبالأولوية  
المعلومة، خاصةً إذا كان الحديث يرتبط بأمر الدين.

---

(١) كتاب سليم بن قيس ١٦٥.

## ما ورد عن الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام (ت ٩٥ هـ).

قد أثّر عنه المؤلفات التالية:

### ١ - الصحيفة:

الكتاب العظيم، الذي جمع عيون أدعيته عليه السلام، ومناجاته التي أنشأها بمناسبات شئّي وأغراضٍ متنوعةٍ، وكان عليه السلام يبدأ على تلاوتها وهي تحتوي على مضامين عالية رفيعة، من لباب المعارف الإسلامية العالية وقد تواتر الإسناد إليه، وهو مما أجمع علماء الإسلام على قوله. أملاه الإمام عليه السلام على ولديه الإمام محمد الباقر عليه السلام، والشهيد زيد، وقد أملاه الإمام الباقر على ولده الإمام الصادق عليه السلام، وأملاه الإمام الصادق على الرواية<sup>(١)</sup>.

### ٢ - رسالة الحقوق:

الجامعة لآداب الدين والدنيا، مما يجب على الفرد في معاملته لنفسه، والآخرين مما حوله من الناس، وسائر الموجودات، من حقوق والتزامات من حقوق والتزامات، فهو أهم كتاب يحتوي على أسس الأخلاق الفاضلة، ومبادئ السلوك الاجتماعي في الإسلام. ونسخها متوفّرة، شرحها عدّة من العلماء.

### ٣ - مناسك الحجّ:

رسالة حاوية لجميع أحكام الحج الشرعية، في ثلاثة باباً، رواها عن

---

(١) الصحيفة الكاملة، بتقدیم محمد المشکاہ، کفایة الأثر، للحجزار ٢ - ٣٠٢، الفهرست للطوسی ١٩٩ و ٧٦٨، رجال الطوسی ٤٨٥ رقم ٥٣، رجال النجاشی ٤٢٦ رقم ١١٤٤، معالم العلماء، لابن شهر آشوب ١، الفوائد الطوسية ٢٤٦.

الإمام عليه السلام كل من أبنائه: الإمام محمد الباقر، وزيد الشهيد، والحسين الأصغر عليه السلام. (مطبوعة).

٤ - صحيفـة في الزهد:

قال أبو حمزة الشعـلي ثابت بن أبي المقدام، قرأـت صحيفـة فيها كلام رـهـدـيـنـ، من كلام عليـ بن الحسين عليهـ ، وكتبـت ما فيها، ثم أتيـت عليـ بن الحسين صلوات الله عليهـ فعرضـت ما فيها عليهـ، فعرفـه، وصـحـحـه <sup>(١)</sup>.

٥ - الجامـع في الفقهـ:

رواه أبو حمزة الشـعـليـ، عن الإمام السـجـاد عليهـ <sup>(٢)</sup>.

٦ - كتاب حـديـثـه عليهـ <sup>(٣)</sup>:

جمعـه داودـ بن يـحيـيـ بن بشـيرـ، أبو سـليمـانـ الـدهـقـانـ، الـكـوـفـيـ <sup>(٤)</sup>.

٧ - نسـخـة روـاهـا عبدـ اللهـ بنـ إـبرـاهـيمـ بنـ الحـسـينـ الأـصـغرـ بنـ الإـمامـ السـجـادـ عليهـ <sup>(٥)</sup>، عنـ آـبـائـهـ

<sup>(٦)</sup>.

ما وردـ عنـ الإـمامـ أبيـ جـعـفرـ مـحـمـدـ بنـ عـلـيـ الـبـاقـرـ عليهـ <sup>(٧)</sup> (تـ ١١٤ـ هـ)

١ - في الأقوالـ:

١ - عنـ جـابرـ الجـعـفـيـ، قالـ: قـلتـ لـأـبـيـ جـعـفرـ عليهـ <sup>(٨)</sup>: أـقـيـدـ الـحـدـيـثـ، إـذـ سـمـعـتـ؟

(١) الكافي ١٤/٨ - ١٧، الفهرست ٦٧ رقم ١٣٨.

(٢) رجال التحاشـي ١١٦ رقم ٢٩٨، تأسـيسـ الشـيـعـةـ . ٣٠٠.

(٣) رجال التـحـاشـيـ ٧ - ١٥٨ـ رقمـ ٤١٥ـ .

(٤) نفسهـ ٢٢٤ـ رقمـ ٥٨٧ـ .

قال: «إذا سِمعتَ حديثاً من فقهِ خيرٍ مَا في الأرض من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ»<sup>(١)</sup>. وقد أشار الإمام عليثلا في هذا الجواب إلى صورة التدوين ولزوم الكتابة بنحوٍ دقيق، وبلاعنة فائقة إذ جعل الكتابة خيراً من الذهب والفضة؛ فإذا كان الإنسان بطبيعته يحافظ على الذهب والفضة بالإحرار والضبط، ولا يعرضهما للتلف والضياع، فإن ما هو خيرٌ منها - أعني الحديث - يكون أولى بالإحرار والحفظ، ومن الواضح أن أفضل طرق ضبط الحديث وإحراره كتابته وتدوينه.

٢ - عن داود بن عطاء المديني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليثلا ، قال: «عرْضُ الكتاب، والحديث سواء»<sup>(٢)</sup>. المراد بالعرض هنا هو قراءة الراوي الروايات على الشيخ، والمراد بالحديث هنا هو تحديد الشيخ وإلقاء الروايات على الراوي.

والمراد بالعرض هنا هو ما يسمى في علم المصطلح ودراسة الحديث بالقراءة على الشيخ، والحديث هنا هو ما يسمى في ذلك العلم بالسمع من الشيخ. ومعنى هذا الخبر: أن القراءة على الشيخ، تساوي في الحجية والاعتبار السماع منه.

٤ - عن خالد بن طهمان، عن أبي جعفر عليثلا قال:

(١) أدب الإملاء، للسمعاني ٥٥.

(٢) سنن الدارمي ١: ١٢٣، الكفاية، للخطيب ٣٨٦.

«لَا تُعِدَّ لَهُمْ سِفَرًا، وَلَا تُخْطِطُ لَهُمْ بِقَلْمٍ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث وإن كان نحيًا عن إعداد السفر - وهو الكتاب - والخط بالقلم، لكن من الواضح أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه اشتغل بكتابات لؤلؤة الظالمين كما يظهر من الحديث الذي أورده ابن أبي شيبة قبل هذا الحديث وفيه: النهي عن التوقي للسلطان.

وهو يدل بالإيماء على شرافة إعداد الكتب والخط بالقلم والرغبة فيهما للأخير.

## ٢ - في الكتب والمؤلفات:

وقد نقلت عن الإمام أبي حعفر عليه السلام مؤلفات عديدة:

قال محمد عجاج الخطيب: كان عند الإمام محمد بن علي بن الحسين، أبي جعفر الباقر عليه السلام (٥٦ - ١١٤) كتب كثيرة، سبع بعضها منه ابنه جعفر الصادق عليه السلام وقرأ بعضها<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: كنت أختلف إلى حابر بن عبد الله، أنا، وأبو جعفر، معنا ألوان، نكتب فيها.

وفي بعض تصوّصه: فسأله عن سنن رسول الله عليه السلام، وعن صلاته، فنكتب عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) المصطفى، لأبي شيبة ٢٣٦/٥.

(٢) السنة قبل التدوين ٤/٣٥٥.

(٣) تقدير العلم ٤٠١، المحدث الفاصل ٣٧٠ رقم ٣٣٥، وعنه في محسن الاصطلاح ٢٩٧.

والمنقول من أسماء كتبه:

- ١ - تفسير القرآن: رواه زياد بن المنذر أبو الجارود العبدى <sup>(١)</sup>.
- ٢ - نسخة أحاديث: رواها خالد بن أبي كريمة <sup>(٢)</sup>.
- ٣ - نسخة: رواها خالد بن طهمان <sup>(٣)</sup>.
- ٤ - كتاب: رواه عبد المؤمن بن القاسم الأنباري الكوفي <sup>(٤)</sup>.
- ٥ - كتاب: رواه زراة بن أعين الشيباني الكوفي <sup>(٥)</sup>.
- ٦ - رسالته إلى سعد الإسکاف: رواها سعد بن طريف، الإسکاف الحنظلي <sup>(٦)</sup>.
- ٧ - رسالته إلى سعد الخير: وهو سعد بن عبد الملك الأموي نسباً، وهو صاحب نهر سعد بربحة الكوفة، وقد رواها الكليني بسندين <sup>(٧)</sup>.  
ما ورد عن الشهيد زيد بن علي <sup>(٨)</sup> (ت ١٢٢ هـ). نقلت عنه مؤلفات عديدة:  
١ - المجموع: سمعه منه أبو خالد الواسطي، وهو مطبوع بروايته باسم «مسند زيد» وله شروح كثيرة، منها المطبوع باسم (الرؤض النصیر).

(١) الفهرست، للنديم، ٣٦، تأسيس الشيعة ٣٢٧.

(٢) رجال النجاشي ١٥١ رقم ٣٩٦.

(٣) نفسه رقم ٣٩٧.

(٤) تأسيس الشيعة ٢٨٥.

(٥) نفسه رقم ٢٨٦.

(٦) رجال النجاشي ١٧٨ رقم ٤٦٨.

(٧) الكافي ٥٢/٨ و ٥٥.

وتذكر بعض المصادر أن للشهيد زيد مجموعين فقهى وآخر حديثى.<sup>(١)</sup> وهو من جمْع عبد العزيز البغدادي، طُبع بالقاهرة سنة (١٣٤٠ هـ) قال محمد عجاج الخطيب: المجموع من أجل الوثائق التاريخية التي ثبّتت ابتداء التصنيف والتأليف في أوائل القرن الثاني الهجري بعد أن استنبطنا هذا من خلال عرضنا لمصنفات ومحاجيم العلماء، من غير أن نرى نموذجاً مادياً يمثل أولى تلك المصنفات، اللهم، إلا موطأ مالك الذي انتهى من تأليفه قبل منتصف القرن الهجري الثاني، فيكون المجموع قد صُنِّف قبله بنحو ثلاثة سنين.<sup>(٢)</sup>

## ٢ - الاحتجاج في القلة والكثرة:

ذكر ابن صفوان أن لزيد كتاباً في القلة والجماعة. كان يستعمله في محاججة خصومه ويُلْجأ إلىه.<sup>(٣)</sup>

٣ - الصَّفْوة: رسالة كلامية صغيرة، تبحث عن الإمامة وأحقية أهل البيت عليهما، معتمداً على آيات القرآن الكريم في بيان ذلك، مطبوعة.

## ٤ - قراءة علي عليهما السلام:

نسبة إلى زيد بن علي في تأسيس الشيعة<sup>(٤)</sup> وقد ذكروا أن لزيد قراءة

(١) الروض النضير ٨٢/١، السنة قبل التدوين ٣٦٩ و ٣٧١.

(٢) السنة قبل التدوين ٣٧١. وللمزيد عن المجموع انظر: تاريخ الفقه الجعفري، للسيد الحسني ٣٠٣ - ٣٠٦.

(٣) التحف شرح الرأف ٣٠.

(٤) تأسيس الشيعة ٤/٢٨٥.

## ٤٠ خاصّة

٥ - غريب القرآن:

تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وسمّاه بعض المؤلفين بـ(غريب معاني القرآن) (٢).

وذكر له السيد المؤيدى مجدى الدين تسعة مؤلفات في علوم شتى<sup>(٢)</sup>.

ما ورد عن الإمام جعفر بن محمد أبي عبد الله الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ):

في الأحاديث:

\* قال عَلَيْهِ الْمَفْضُلُ بْنُ عُمَرَ الْجَعْفِيُّ: «أَكْتُبْ، وَبُثْ عِلْمَكْ فِي إِخْوَانِكْ، فَإِنْ مُثْ فَأُورْثْ كُتُبُكْ بِنِيكْ، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيِ النَّاسِ زَمَانٌ هَرْجُونٌ، لَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ» (٤).

\* وفي كتاب عاصم بن حميد الحنّاط، عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «دخل على أنس من أهل البصرة، فسألوني عن أحاديث، فكتبها، مما يعنكم من الكتاب؟.

أَمَا إِنْكُمْ لَنْ تَحْفَظُوا حَتَّىٰ تَكْتُبُوا»<sup>(٥)</sup>.

(١) ثورة زيد بن علي، الأستاذ ناجي حسن ٣٤.

(٢) التُّحَفَ شِرْحُ الْزُّلْفِ . ٣٠

(٣) نفسه.

(٤) الكافي ٢/١ كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب، الحديث ١١.

(٥) الكافي ٤٢ / حديث ٩، البحار ١٥٣ / ٢

وعن حسين الأحسسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:  
«القلب يتكل على الكتاب»<sup>(١)</sup>.

وعن عبيد بن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها»<sup>(٢)</sup>.

\* قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر في كتاب التوحيد: «تأمل يا مفضل - ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على إنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، ونتيجة فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه.

وكذلك الكتابة، التي لها ثقيلاً أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحسابات ولو لاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطائهم، وذرست العلوم...»<sup>(٣)</sup>.

\* وروي عنه عليه السلام - موقعاً عليه - أنه قال: «إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بإسناده». وهو الحديث الذي مرّ مرفوعاً مسندأً بطريق أهل البيت عليه السلام.

\* ومن حديث أبي بصير - لما استخار الإمام الصادق عليه السلام عن أصحاب المهدي عليه السلام - فقال عليه السلام: «إنك لا تحفظ، فأين صاحبك الذي كان يكتب

(١) الكافي ٤٢/١ حدث ١٠، البحار ١٥٢/٢ ح ٤٠.

(٢) الكافي ٥٢م، حدث ١٠.

(٣) توحيد المفضل ٧٩ - ٨٠، بحار الأنوار ٨٢/٣.

لَكْ؟».

فقلتُ: أظنُ شعْه شاغِلٌ، وكرهْتُ أن أتأخَّرَ عن وقت حاجتي. فقال عائِلاً لرجلٍ في مجلسه:

«اكتب له» ...<sup>(١)</sup>.

ويلاحظُ في قوله عائِلاً «إِنَّكَ لَا تَحْفَظُ» أَنَّه عائِلاً جعل الكتابة أمرًا احتياطيًا عند عدم التمكّن من الحفظ، فهو يُؤكّد عليها عمليًّا في هذه الحالة.

والمراد بقوله «لَا تَحْفَظُ» أَنَّ الحديث طويلاً ويشتمل على أسماء البلدان وأكثُرُها غريبةٌ غير متداولة، فمن البعيد أن يحفظها أبو بصير بِاللقاءِ واحدٍ وسُمِاعٍ مرتَّةً.

وهذا يدلّ على أنَّ مثل هذا الحديث - في الطول، والاشتمال على ألفاظ غريبة - كانوا يأخذون له مزيدًا من الاحتياط بالضبط، والتسجيل، والكتابة، والتدوين!

كما أنَّ قوله عائِلاً: «أَيْنَ صاحبُكَ الَّذِي يَكْتُبُ لَكَ؟» يدلّ على أنَّ أبو بصير، الذي كان فاقد البصر، كما هو المعروف، كان قد اخْتَذَ له كاتبًا يكتب له الحديث.

ودلالة هذا الخبر على جواز كتابة الحديث، واهتمام الإمام عائِلاً بذلك واضحةً جدًّا.

### في المؤلفات:

لقد كان الإمام الصادق عائِلاً كثير الاهتمام بأمر الكُتب وتدوينها، يُفصح عن ذلك في كل زمانٍ ومكانٍ و موقفٍ، مستغلاً الفرصة المتاحة لمثل هذا الأمر.

(١) دلائل الإمامة ن للطبراني ٣٠٨.

قال محمد عجاج: كان عند جعفر الصادق بن محمد الباقي عليه السلام رسائل، وأحاديث، ونسخ

(١)

وقد أثار هذا الجانب حفيظة بعضهم، فكان يُشير إلى الإمام الصادق عليه السلام بأنه «صحفي»  
أي يأخذ علمه من الكتب!

وكان الإمام عليه السلام يفتح بذلك فلما بلغه كلام أبي حنيفة هذا، ضحك وقال: ...، أمّا في  
قوله «أنا رجل صحفي» فقد صدق! قرأ ث صحف آبائي، وإبراهيم، وموسى ...  
ما تُسبِّب إليه عليه السلام من المؤلفات:

١ - التوحيد:

كتاب أملاه عليه السلام لي المفضل بن عمر الجعفري الكوفي يحتوي على بيان عقيدة التوحيد، بالنظر  
والتفكير، ويسمى بكتاب «فَكْرٌ» لأن الإمام عليه السلام يقول فيه المفضل مكرراً: «فَكْرٌ مُفَضَّلٌ»<sup>(٢)</sup>.  
وهو مشهور متداول، ويعد من أفضل الكتب المؤلفة في باب التوحيد المرشدة إلى وحدانية  
الباري عز وجل.

وقد طبع أكثر من مرّة باسم «توحيد المفضل» وأدرجه المجلسي في البحار مع الشرح والبيان

(٣)

(١) السنة قبل التدوين ٣٥٨، تهذيب التهذيب ٢/٤٠.

(٢) روضات الجنات، للخواصاري ٨/٦٩، قاموس الرجال ٨/٣٤٣.

(٣) بحار الأنوار ٢/٥١ - ٥٧.

٢ - الإهليلجة في التوحيد:

رسالة كتبها الإمام الصادق عليه السلام، ردًا على الملحدين المنكرين للريوبية، احتجاجاً عليهم، وأرسلها إلى المفضل بن عمر، المذكور <sup>(١)</sup>.

٣ - الأهوازية:

رسالة مفصلة كتبها الإمام عليه السلام جواباً لأسئلة عبد الله النجاشي والي الأهواز، تحتوي على جملة من التعاليم الأخلاقية. أوردها السيد محبي الدين ابن زهرة في أربعينه <sup>(٢)</sup>.

٤ - رسالة إلى أصحابه عليه السلام:

كتبها لهم في الإرشاد إلى السيرة الحسنة، والسلوك الديني. أوردها الكليني في الكافي <sup>(٣)</sup>.

(٥) الجعفريات:

مجموعة من أحاديث الأحكام، مرتبة على أبواب الفقه، رواها عن الإمام الصادق عليه السلام، ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وأحاديثه كلّها مسندة عن آبائه، أو مرفوعة إلى رسول الله عليه السلام.

ولأنّ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام هو مجمع الأحاديث كلّها، فإنّ الكتاب

(١) الدرية ٤٨٤/٢، بحار الأنوار ٣/١٥٢، ١٩٦.

(٢) الأربعون حديثاً، لابن زهرة ٤٦ - ٤٧ ح ٦ وعنه الشهيد في كشف الريمة ١٢٢؛ بحار الأنوار ٧٧/١٨٩، الدرية ٤٨٥/٢.

(٣) الكافي، قسم الروضة ٢/٨ - ١٤.

سُمِّيَ بِ (الجعفريات) <sup>(١)</sup>.

وهناك مجموعة من الكتب نسبها إلى الرواية منها.

١ - وصيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ: ذكرها الإشبيلي في فهرست ما رواه، وأورد طريقه إلى جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهَا مَوْلَانَا <sup>(٢)</sup>. وذكره الطبي في الخلاصة <sup>(٣)</sup>.

وذكره من أعلامنا، أحمد بن محمد، أبو غالب الزُّراري (ت ٣٦٨) في فهرست ما رواه، قال: عن أبي العباس ابن عُقْدَةَ، وعلى ظهره إجازُه لِجَمِيعِ حَدِيثِه لِي، بخطه <sup>(٤)</sup>.

وقد أسنَدَ الصدوقُ إلى ما سماه (وصيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لعليٍّ عَلَيْهِ مَوْلَانَا <sup>(٥)</sup>) من طريق أهل البيت عَلَيْهِمَا السَّلَامُ <sup>(٦)</sup>.

## ٢ - كتاب الحجّ:

رواہ أبا بن عبد الملك الثقفي <sup>(٧)</sup>.

٣ - مناسكُ الحجَّ وفَرَائضُه، وما هو مسنونٌ في ذلك:

سمعه كله من الإمام عَلَيْهَا مَوْلَانَا رواية عمر بن محمد أبو الأسود، بياع السايري،

(١) الدرية ١٠٩/٢ رقم ٤٣٦.

(٢) الفهرسة، لأبي خَيْرِ الأنْدَلُسِيِّ ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٣) الخلاصة في علم الحديث، للطبي ١٠.

(٤) رسالة أبي غالب الزُّراري في آل أعين ١٨١ رقم ١٠٧.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٤/١٣٤.

(٦) رجال النجاشي ١٤ رقم ٩.

ذكره النجاشي، ورواه بثلاثة أسانيد<sup>(١)</sup>.

٤ - كتاب مبوب في الحلال والحرام.

رواه إبراهيم بن محمد، أبو إسحاق المديني<sup>(٢)</sup>.

٥ - كتاب نوادر: رواه داود بن عطاء المديني<sup>(٣)</sup>.

وعدد ما يندرج تحت عنوان «كتاب» و «نسخة» وكلها للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام  
كثير غير ما ذكرنا.

ولقد بلغت حركة التأليف قوتها في عهد الإمام الصادق عليه السلام ببركة توجيهاته وإرشاداته القيمة،  
فكان في تلامذته الكثيرون من ألغوا الكتب، ودونوا الحديث في المصنفات والمسانيد<sup>(٤)</sup>.

### ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (ت ١٨٣ هـ)

#### ١ - الأقوال:

عن زيد النهشلي، قال: كان جماعة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرن مجلسه،  
ومعهم في أكمامهم أواح أنبوس لطاف وأميال، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام، بكلمة أو أفتى في  
نازلة؛ أثبتَ القوم ما سمعوا منه في ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه ٢٨٣ رقم ٧٥١.

(٢) نفسه ١٥ رقم ١٢.

(٣) نفسه ١٥٧ رقم ٤١٢.

(٤) المصطلح الرجالي، ١٢٢، ١١٢٥ رقم .

(٥) مهنج الدعوات، لابن طاووس ٢١٩ - ٢٢٠.

وقد أثرت عنه عليهما المؤلفات التالية:

١ - مسند الإمام موسى بن جعفر عليهما:

مجموعة من الروايات المسندة المرفوعة إلى النبي عليهما، التي أسندها الإمام الكاظم عليهما بطريق آبائه عليهما. رواها عنه موسى بن إبراهيم، أبو عمران المروزي، البغدادي؛ قال: إنه سمعها من الإمام عليهما عندما كان الإمام في سجن هارون العباسى. ذكره الطوسي <sup>(١)</sup> والنجاشى <sup>(٢)</sup>. وقد طبع الكتاب عدة طبعات في: النجف الأشرف، وبطهران، وفي أمريكا وفي بيروت. وللإمام الكاظم عليهما مسائل وكتب ورسائل؛ رواها أصحابه (انظر رجال النجاشى والكافى...).

ما ورد عن الإمام علي بن موسى أبي الحسن الرضا عليهما (ت ٢٠٢ هـ).

١ - الأقوال:

١ - قال الراوى: كتب على ظهر قطاس: «إن الدنيا ممثلاً للإمام كفالة الحوزة» فدفعه إلى أبي الحسن عليهما، وقلت: جعلت فداك، إن أصحابنا روا حديثاً ما أنكرته، غير أبي أحبيت أن أسمعه منك!.

قال: فنظر فيه، ثم طواه... ثم قال: هو حقٌّ فحوّله في أديم. وفي نقل آخر،

---

(١) الفهرست، للطوسي ١٩١ رقم ٧٢١.

(٢) رجال النجاشى ٤٠٧ رقم ١٠٨٢.

قال: وهو حق، فانقلوه إلى أسم <sup>(١)</sup>.

٢ - وفي تفسير قوله تعالى: (وَكَانَ تَحْتَهُ كُلُّهُمَا) <sup>(٢)</sup>.

قال علي بن أسباط: قلت له <sup>عليه السلام</sup>: حُلِّيْتُ فداك، أريد أن أكتب.

قال: فضرب يده إلى الدواة، فتناولت يده، فتناولتها، وأخذت الدواة، فكتبتها <sup>(٣)</sup>.

٣ - عن أحمد بن عمر الحلال، قال: قلت لأبي الحسن الرضا <sup>عليه السلام</sup>: الرجل من أصحابنا يعصي الكتاب، ولا يقول: إِرْهَهْ عَنِّي؛ يجُوز لي أن أرويه عنه؟

قال: فقال: «إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكِتَابَ لَهُ، فَارْوُهْ عَنْهُ» <sup>(٤)</sup>.

وقد نسبت إلى الإمام الرضا <sup>عليه السلام</sup>:

١ - صحيفه الرضا <sup>عليه السلام</sup>:

وينسب أيضاً: (مسند الإمام الرضا <sup>عليه السلام</sup>).<sup>(٥)</sup>

وهو مجموع ما أنسنه الإمام <sup>عليه السلام</sup> عن آبائه <sup>عليهم السلام</sup> عن النبي <sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup>، برواية العديد من أصحابه، وأشهرهم أحمد بن عامر بن سليمان الطائي.

وهذه الصحيفة مشهورة متواترة النقل عنه <sup>عليه السلام</sup>، لدى كافة الطوائف الإسلامية، فلها طرق كثيرة عند الشيعة الإمامية، والزيدية، كما هو عند العامة.

(١) الاختصاص، للمفید ٢١٧، بحار الأنوار ١٤٥/٢ ح ١١ و ١٢.

(٢) الكهف: ٨٢.

(٣) بحار الأنوار ٢: ١٤٦.

(٤) الكافي ١/٥٢ ح ٦، روضة المتقيين، للمحلسي ١/٢٦.

وذكرها أرباب الفهارس، والمعاجم<sup>(١)</sup>.

وقد طُبعت عدّة طبعات ...

## ٢ - الرسالة الذهبية:

رسالة في بعض النصائح الطبية، كتبها الإمام علي بن أبي طالب للمامون العباسى فأمر هذا بكتابتها جماء الذهب؛ فسميت بالذهبية. وهي مطبوعة.

## ٣ - أمالى الإمام الرضا

رواه أبو الحسن علي بن علي الخزاعي، أخوه عبد الشاعر، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، بطوطس، إملاءً، في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر ... أورد ذلك الشيخ الطوسي، ونقل عنه أحاديث عديدة<sup>(٢)</sup>. ولعل هذا الكتاب هو الذي ذكره النجاشي، وأن الخزاعي رواه عن الإمام<sup>(٣)</sup>.

## ٤ - كتاب الإهليجة:

نسب إليه عليه السلام.

قال السيد الأمين، فيه حجج بالغة ومطالب جليلة في علم الكلام.  
وله عليه السلام مجالس وكتب ومسائل ونسخ، مذكورة في كتب الرجال.

(١) رجال النجاشي ١٠٠ رقم ٢٥٠، الدررية ١٥/١٧ و ٢٤/٢٦ و ٤٩/٢١. أعيان الشيعة ١ ق ٣٧٤/١.

(٢) أمالى الطوسي ٣٧٠ - ٣٨٢.

(٣) رجال النجاشي ٢٧٧ رقم ٧٣٧.

## ما ورد عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام (ت ٢٢٠ هـ).

عن محمد بن الحسن بن أبي خالد، شيبونلة، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: مجعلت فداك، إن مشايخنا رواوا عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، وكانت التقى شديدة، فكتموا كتبهم، فلم تُرَأْ عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا؟  
 فقال: «حدثوا بها، فإنها حق» .<sup>(١)</sup>

## ما ورد عن الإمام علي بن محمد أبي الحسن الهادي عليه السلام (ت ٢٥٤ هـ).

نُقلت عنه الكتب التالية:

- ١ - رسالة الرد على أهل الخبر والتفويض .<sup>(٢)</sup>
- ٢ - كتاب في أحكام الدين .  
ذكره السيد العاملی .<sup>(٣)</sup>
- ٣ - نسخة: رواها أبو طاهر، ابن حمزة بن اليسع، أخوه أحمد .<sup>(٤)</sup>
- ٤ - نسخة: رواها عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور، السرّ من رأي .<sup>(٥)</sup>
- ٥ - نسخة: رواها علي بن الريان بن الصسل الأشعري الثعومي .<sup>(٦)</sup>

(١) الكافي ١/٥٣ ح ١٥ وعنه في بحار الأنوار ١٦٧٧/٢.

(٢) أعيان الشيعة ٣/٣٨٠ رقم .

(٣) نفسه.

(٤) رجال النجاشي ٤٦٠ رقم ١٢٥٦ .

(٥) نفسه ٢٩٧ رقم ٨٠٦ .

٦ - مسائل: رواها عليّ بن جعفر المُمامي البرمكي. <sup>(٢)</sup>

ما ورد عن الإمام الحسن بن عليّ أبي محمد العسكري طليلاً (ت ٢٦٠ هـ).

١ - عن داود بن القاسم الجعفري، قال: عرضت على أبي محمد صاحب العَسْكَرِ عَلَيْهِ الْمَيْلَةُ (كتاب يوم وليلة) ليوُسُنَّ، فقال لي: «تصنيفُ مَنْ هذَا؟». فقلتُ: تصنيفُ يوُسُنَ مولى آل يقطين.

فقال: «أعطاه الله بكل حرفٍ نوراً يوم القيمة» <sup>(٣)</sup>.

والتأثير عنه من الكتب:

١ - كتاب المنقبة:

قال الشيخ الطهراني: المشتمل على أكثر الأحكام، ومسائل الحلال والحرام <sup>(٤)</sup>.

٢ - نسخة: رواها عبد الله بن محمد، أبو معاد الحويبي <sup>(٥)</sup>.

٣ - مسائل: رواها محمد بن سليمان الزراي، جد أبي غالب <sup>(٦)</sup>.

٤ - مسائل: رواها محمد بن الریان بن الصَّلْت الأشعري القميّ <sup>(٧)</sup>.

---

(١) نفسه رقم ٢٧٨ رقم ٧٣١.

(٢) رجال التحاشي ٢٨٠ رقم ٧٤٠.

(٣) نفسه ٤٤٧ رقم ١٢٠٨، بحار الأنوار ٢/١٥٠ ح ٢٥.

(٤) الذريعة ٢٣: ١٤٩.

(٥) نفسه/١٥٢.

(٦) رجال التحاشي ٣٤٧ رقم ٩٣٧.

## ما ورد عن الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام

فقد خرجت من ناحيته المقدّسة أجوبة المسائل مكتوبة بشكل «توقيعات» على الأسئلة الموجّهة إلى ناحيته المقدّسة. وقد جمعها عدّة من العلماء منهم: أبو العباس الحميري، عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع، القمي - من أصحاب الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام - المتوفّ سنة ٢٩٩ هـ<sup>(١)</sup> ومن خلال العرض السريع لروايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام وجدها إجماعهم جميعاً مع جواز التدوين قولًا وعملاً.

## عصره السياسي

امتدّت حياة ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) في العصر المملوكي الأول، عصر المماليك البحريّة الذي ابتدأ بسيطرتهم على مصر سنة ٦٤٨ هـ، ثمّ بلاد الشام سنة ٦٥٨ هـ حتى كانت نهايتهم في سنة ٧٨٤ هـ ليتبدّى عهد المماليك البرجية، وحتى عام ٩٢٣ هـ حيث نهاية دولتهم على أيدي العثمانيين.

قام العصر المملوكي الأول على أنقاض الدولة الأيوبية التي حكمت مصر والشام منذ عام ٥٦٧ هـ، حيث كانت نهاية العهد الفاطمي الذي امتدّ قرابة ثلاثة قرون (٢٩٦ - ٥٦٧ هـ) حتّى أنهكته الحروب المتّالية، وبعد السلالقة الذين بسطوا سلطانهم على بغداد سنة ٤٥١ هـ، ثمّ اندفعوا نحو الشام ينazuون الدولة

(١) نفسه ٣٧٠ رقم ١٠٠٩.

(٢) رجال التحاشي ٢٢٠ رقم ٥٧٣.

الفاطمية ...، بعد ذلك كانت الحروب الصليبية التي ابتدأت في سنة ٤٨٨ هـ بِهاجمة الشغور الشامية في آسيا الوسطى، ثم انحدر الصليبيون نحو الرُّبْحَانَة التي أصبحت ولايتهم الثانية، كل ذلك انتزعوه من السلاجقة، ثم انحدروا جنوباً فانتزعوا من الفاطميين مدن الساحل ووادي نهر العاصي، وحاصروا القدس أربعين يوماً حتى تمكّنوا منها في شهر رجب من سنة ٤٩٢ هـ، فأشاعوا فيها الذبح الذريع دون تمييزٍ في سنٍ أو جنس - شيءٌ ذلك وقعة الحزنة! -

ومن الطريف أن صلاح الدين الأيوبي الذي خطط مبكراً لإنهاء الحكم الفاطمي؛ تردد كثيراً في قطع الخطبة الفاطمية، حتى انبرى لها أعمامي يدعى نجم الدين الخيشاني، فخطب للمستضيء العباسى الذي لا يعدو كونه رمزاً ضعيفاً مقيداً في بغداد بعيداً عن كل ما يجري. فانفرد صلاح الدين بملك مصر موجهاً أنظاره نحو الشام حتى ضمّها إليه بموت نور الدين سنة ٥٦٩ هـ ليؤسس الدولة الأيوبيّة في مصر والشام.

ثم توجه صوب الصليبيين فأفلح في طردتهم من معظم المدن التي احتلوها، ولم يبق في أيديهم من المدن الكبرى سوى صور وطرابلس وأنطاكية. ولكن بعد مضي صلاح الدين بدأ النزاع بين بنيه وأخيه العادل وأبناء أخيه، واشتتد النزاع بين خلفهم، وكلما أحسن أحدهم بالضعف استعان بالصليبيين على أخيه أو ابن عمّه ومنهم ما لا يملكون من المدن، حتى استعادوا أغلب ما انتزعه منهم صلاح الدين، وحتى القدس، تخلى لهم عنها الملك الكامل ابن العادل على أن ينصروه على أللّ خصومه، أخيه! صاحب دمشق.

فلما اشتد النزاع بين بنى أئوب عمد ملوكهم إلى شراء مالياً من الأتراك يقومون على حراستهم، واستكثر منهم الملك الصالح في سنة ٦٤٧ هـ وأقطعهم الأرضي ومنهم جزيرة بحر النيل (روضة نهر النيل)، فمن أجل ذلك سُمّوا بالمالياك البحريّة. وازداد نفوذهم حتّى تمكّنوا بعد موت الملك الصالح في سنة ٦٤٧ هـ بأشهر فقط من قتل ابنه طوران شاه سنة ٦٤٨ هـ ليؤول ملك الأيوبيين إلى الإمارة شحرة الدرّ زوجة الملك الصالح، فكانت آخر رموز الأيوبيين، أول ملكة في تاريخ الإسلام.

ولأجل أن تحظى بتأييد الخليفة العباسي الرمز! في بغداد؛ اخْتَذَت عز الدين أبيك المملوكي زوجاً وجعلت منه وجهاً صورياً للحكم، حتّى دسّت له مَن قتله في الحمام، فهاج عليها الماليك فقتلوها ونصبوا سيف الدين قطز المظفر المملوكي، وخطبوا له بالسلطنة كأول سلطان فعلّي للمماليك في سنة ٦٥٧ هـ، بعد عام واحد على سقوط العاصمة العباسيّة بغداد بأيدي التتار المغول واحتياحهم مدن الشام والإجهاز على بقايا الدولة الأيوبية هناك.

وفي أقلّ من سنة مرت على سلطنته استطاع قطز أن يهزم التتار في معركة عين جالوت الشهيرّة. ولم يمض على ملكه غير أحد عشر شهراً حتّى قتله الظاهر بيبرس، ليجلس على كرسيّ السلطنة سنة ٦٥٨ هـ وكان بيبرس أقوى سلاطين المماليك على الإطلاق وأحسنهم سيرةً، وقد حاول أن يعيد الرمز العباسي حين عشر على رجل جاءه بعض الأعراب فزعموا أنه من البيت العباسي نجا بنفسه فاراً من بغداد إثر الغزو التتاري، فباعه بالخلافه وأرسله على

رأس جيش إلى بغداد ليجدد عهد آبائه، غير أن التتار قتلوا غربي بغداد وأفسوا جنده. وواصل الظاهر بيبرس مطاردة التتار في بلاد الشام، كما أفلح في دحر الصليبيين واسترجاع معظم ما احتلوه، حتى استعاد منهم أنطاكية التي عجز عن استعادتها صلاح الدين، وكادت تستوي له جميع بلاد الشام، حتى كانت وفاته سنة ٦٧٦ هـ؛ ليبدأ بعد عهده عهد من الفتن وتعدد الملوك وشيوخ القتل بينهم وكانوا على الترتيب:

السعيد برقة ابن الظاهر بيبرس: خلعه أمراء العسكر سنة ٦٧٨ هـ.

سلامش بن بيبرس: كان عمره سبع سنين، وخلع بعد أربعة أشهر.

قلاؤون المنصور: كان سلطاناً قوياً انتظم على عهده أمر البلاد حتى وفاته سنة ٦٨٩ هـ، وهو ثانٍ من مات على السلطنة بعد الظاهر بيبرس، في حين توزّع الآخرون بين مقتول ومحظوظ.

الملك الأشرف ابن قلاوون: انتزع عكّا من الإفرنج واستعاد كامل البلاد الساحلية، وُقتل في سنة ٦٩٣ هـ على أيدي ماليك أبيه.

بيدرة القاهر: ملك أقلّ من أسبوعين فقتله ماليك أبيه.

الملك الناصر ابن المنصور قلاوون: وفي عهده هذا غزا التتار البلاد سنة ٦٩٩ هـ؛ واحتلّوا حلب وحماه ودمشق وغزة والقدس والكرك وهزموا الملك الناصر إلى مصر، فأعاد عليهم الكورة في العام التالي في جيش قاده سالاًر وزميله بيبرس، فاستعادوا البلاد وهزموا التتار.

بيبرس: القائد، وزميله سالاًر انفقا على خلع الناصر سنة ٧٠٨ هـ واستقلاً

في الحكم عاماً واحداً.

الملك الناصر: عاد إلى السلطنة سنة ٧٠٩ هـ وأقصى بيرس، وصَحْبِه سالار هذه المرة من جديد، واستوت له البلاد، وعلم المناسفين؛ فكان آخر سلطان يعاصره ابن تيمية.

تمَّيز هذا العهدُ بغلبة السيف على الوراثة في الحكم، وتجدد التجزئة السياسية بغياب الرمز العباسي إلى الأبد، تلك التجزئة التي كانت قد ابتدأت في الواقع منذ فقد البيت العباسي هيمنته، حيث كان أحمد الراضي - المتوفى سنة ٣٢٩ هـ - آخر خليفة عباسي ينفرد بتدبير الجيوش والأموال والسياسة، وآخر من خطب على المنبر يوم الجمعة من بنى العباس<sup>(١)</sup>.

إنَّ ابن تيمية الذي ورث التأسيسية الخارجية التي تحدَّثنا عنها، ولم تُسعفه أُسرةٌ بالتربية الصالحة؛ فقد وجدناها مفككةً لا تعرف لها انتماءاً قبلياً تعترض به، وإنما هي تنتهي إلى امرأة واعظة اسمها: تيمية؛ مع تشكيك جدهم الذي وضع لهم شحرة نسبهم المقطوعة! هل أنَّ تيمية هي الجد الرابع أو دونه؟ ثم لم يكن لهم حظٌ من العلم: فجده حسودٌ وإن كان واعظاً، متى حلَّ بحران واعظٌ ما زال وراءه حتَّى أخرجه منها! وجده آخر أقلَّ شرَّاً وإن لم يكن يعرف بعلم، وأما أخوه، فلا له ولا عليه، وهو القائم على شؤون أخيه المعاشية لأنَّ الأخير مشتغل بالفتنة والخروب الكلامية...، ثم وهو صبي حامت الشكوك حوله في ارتياح الأماكن السرية للصادقة وماذا كانوا يفعلون بالصبيان مما يؤثِّر على عقولهم سلباً.

---

(١) باختصار شديد عن تاريخ ابن الوردي ج ٢: ٩٧ - ٢٤٧.

وقلنا هناك أنّ المشار إلىه أمضى في حربان التي كانت أشدّ الأقطار ناصبيّة حتّى أكّا لم تخضع لدستور عمر بن عبد العزيز في رفع السبّ عن أمير المؤمنين على طليلاً.

فتأزرت عوامل الوراثة مع عامل البيئة المصطبغة بألوان الديانات من يهوديّة ونصرانيّة وصابئة وكانت الأخيرة أكثر انتشاراً، مع عامل الأسرة وروح التمرّد لدى الصبيّ، في عمر أكثر ما يكون فيه الإنسان قابلاً على التلقّي والأخذ، وعامل آخر قد ذكرناه في جملة هذه العوامل سابقاً - ولكن للتذكير - هو عدم زواجه الذي لا نعلم سببه؟! فلعله لو تزوج لخفّت حدّته وانشغل عن الناس قليلاً؛ والله أعلم.

وما رأه من هجوم المغول على حربان، ففرّت أُسرته تحمله وحطّت رحالها في دمشق. ولم تدق أُسرة ابن تيمية طعم الأمان في دمشق بسبب الحروب والتقلبات السياسيّة، فتارة الصولة للصلبيّين، وأخرى للنّصارى، ومرة للفاطميين، وأخرى للمماليك، ثمّ عودة للرمز العباسيّ، مضافاً إلى السلاجقة ... وينتصر أحد بالصلبيّين على ابن عمّه ويعطيهم مقابل النّصرة مدنًا شاميّة، وهكذا.

إنما نذكر هذه الأمور لتأثيرها السلبيّ في العائلة التي فرت من الحروب لتجد أشدّ منها مما حملها على أن ترحل إلى مصر، فلم تكن الأخيرة بعيدة عن تلك المؤثّرات فعادت إلى دمشق. وكان تأثير تلك الأحداث أكثر في النفس المضطربة لابن تيمية والذي

يهمنا من هذه المسألة أن الرجل المزدوج الشخصية المضطرب بجموع الأسباب التي ذكرناها؛ قد دخل حروباً كلامية مع الفرق الإسلامية على نهج الخارج! والغريب في الأمر أنه اختص بالقسط الأول منها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وعلمائهم الجليل: العلامة الحلي مع بعد الشفقة بينه وبينه، فابن تيمية، والحلي في العراق! وقبل الولوج في هذا الأمر الذي هو الباعث الواقعي لهذه الدراسة، نتكلّم موجزاً عن الحالة الاجتماعية لدمشق في عصر ابن تيمية:

### عصره الاجتماعي والثقافي

ما زال ينتظر مجتمعاً ضريته الفتنة بأجرائها وتعاقبت عليه العصور لا يرى فيها من الاستقرار إلا كطيف الوستان المسهد ح وتعاقبت عليه ملوك وأمراء لا يرون له حفاً ولا يرعون له ذمةً ولا يفهمون للأمان معنى إلا ما حاط قصورهم!.

أمراء وسلطانين لا يعرفون حداً من حدود الله تعالى؛ يتزاعون الملك تنازع الصبيان على لعيمهم، ولا فرق عندهم أن تُراق الخمرة على موائدهم أو تُسفك الدماء تحت حوافر خيولهم!. فماذا ينتظر المجتمع إذن وحاكموه هكذا؛ غير الفقر والجهل والبلاء؟ ففي سنة ٦٥٦ هـ اشتد الوباء بالشام وخاصةً بدمشق حتى عزّ مغسلوا الموتى.

وفي سنة ٦٨٠ هـ غرقت دمشق.

وفي سنة ٦٩٤ هـ جفت مصر جفافاً هائلاً تبعه غلاءً فاحش حتى أكلت الميادة.

وفي سنة ٧١٨ هـ وقعت مجاعة في شمالي بلاد الشام والموصل كانت سبباً لجحاء الناس وموت الكثير منهم، وغلاء فاحش حتى باائع الأمهات أولادها للنصارى! فإذا امتنع من شراء الأولاد جعلت المرأة نفسها نصرانيةً ليُرَغَّب في الشراء!.

وفي سنة ٧٢٠ هـ زلزلت مصر والشام.

وفي سنة ٧٢٤ غرقت مصر.

واستشرى الجهل، الوليُّد الطبيعيُّ للفقر، وشاعت أساليب جديدة من التكسيب، فتكسّبوا بالشعر، وبالخرافات والأباطيل، كما تكسّبوا بالمنكرات كالخمرة والخشيشة، وصارت الحشيشة جزءاً من ثقافة الأدباء والشعراء، وفاضلوا بينها وبين الخمرة وأكثروا من ذلك حتى سقط في شراكها ذوو وجاهةٍ، كعلم الدين أحمد بن يوسف (٦٨٨ هـ) الذي عُرف فيما بعد بالشيخ الماجن ومن قوله فيها:

يَا نَفْسِي مِيلِي إِلَى التَّصَابِي      فَاللَّهُو مِنْهُ الْفَتَى يَعِيشُ  
وَلَا تَمْلِي مِنْ سُكْرِيَّوْم      إِنْ أَعْوَزَ الْحَمَرُ فَالْحَشَيشُ<sup>(١)</sup>

ومع ذلك فإنَّ السواد الأعظم من المسلمين كان يستنكِر تلك المظاهر ويتأذى منها ... ففي سنة ٦٩١ هـ رفع أهل معرة النعمان دعاوى إلى الملك الأشرف مطالبين بإبطال الختارة، فأُبطلت وخُربت من ساعتها.

---

(١) البداية والنهاية : ١٣ : ٣٣٣.

وفي سنة ٧٢٠ هـ أُريقت الحمور في خندق قلة المدينة السلطانية وأحرقت الظروف، وذلك أنه وقع بَرَد كبار أهلك المواشي وأعقبه سيلٌ مخوف، فسأل السلطان الفقهاء عن سببه، فقالوا: من الظلم والفواحش. فأبطل الحانات في مملكته، وأبطل مكس - ضريبة - الغلة الذي كان يُنْفَعُ كاهم الناس.

وبين الفقر والجهل تجد المخرافات والأباطيل أرضها الخصبة لتسمو، والناس حيشد أشدّ تعليقاً بها من تعليقهم بالحقائق وبضورات الدين المُسندة، ففتح بذلك بابٌ جديد للتكسب كان ضحيته السُّدُج على الدوام. وتواترت أخبار العوام بروية المنامات، وكثرة الظواهر، وتحدىوا بقيام المرضي والرَّمي وفتح أعين الأضراء عند قبور اكتشفوها في المنامات، ونقل بعض عن بعض أشياء لا أصل لها ... وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك ...<sup>(٦)</sup>.

وتُرقى الخيال بعض المتكلسين، فادعوا علم النجوم، ورسموا تقاويم كتبوا عليها أحكاماً بحسب الأبراج، فمنعهم السلطان من ذلك سنة ٧١٨ هـ وشاء الله أن يثير تجارتكم فأشارعوا أن الشمس ستكشف في دمشق في الساعة السابعة بعد الظهر من يوم الخميس الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٢٦ هـ، وذكروا أن ذلك ثابت في جميع التقاويم وأنه حساب لا يُنْجِزُ. فتهيأ الناس للصلاة فلم

---

(٦) الحوادث الجامعية، لابن الفوطى، ١٩٤. (وقد أفردنا فصلاً كاملاً في كتاب منهاج السالكين، في الرد على ابن القيم، فيه كثير من عظام تلك المخرافات فهذا يجيء عظام دجاجة فيردها سالمة، وآخر من كرامته أن الله تعالى ينزل لزيارته في قبره !! ...).

تنكسف الشمس، بل انكسف المنجمون<sup>(٦)</sup>!

وفي أجواء الفقر والبلبة يكثر اللصوص وقطاع الطريق، وهذا ما حصل في تلك السنين إذ قطع طريق الحاج عدّة مرات.

وإلى جانب ذلك كانت طبقات منعمة أولهم السلطان والمقربون إليه، ثم الولاة والأمراء ونوابهم وحرسهم.

ثم طبقة القضاة وكثير من الفقهاء الذين كانوا يحظون بعناية السلطان والولاة، وعدد من رجال الدين أطلق عليهم طبقة (المعممين).

### عصره العلمي والأدبي

نشط التأليف في هذا العصر نشاطاً ملماساً. ومن أبرز ما ظهر فيه التأليف الموسعي الذي كان رائده نصير الدين الطوسي (٦٧٢ هـ) الذي ألف في الفقه وفي الفلسفة والرياضيات والفيزياء والفلك والطب وعلم المعادن؛ وكان صاحب أكبر مرصد فلكي أنشأه بنفسه في ذلك العصر. وظهر علماء آخرون كتبوا في علوم متعددة، منهم: زكريا بن محمد القزويني (٦٨٢ هـ) و جمال الدين الوطواط (٧١٨ هـ) وأبو حيّان الأندلسـي (٧٥٤ هـ).

وبعد في الطب: ابن النفيس (٦٨٧ هـ) مكتشف الدورة الدموية الصغرى.

وفي الفيزياء: العالمان الكبيران: قطب الدين الشيرازي (٧١٠ هـ)، وتلميذه كمال الدين الفارسي (٧٢٠ هـ).

---

(٦) تاريخ ابن الوردي ٢: ٢٧٠.

وفي الرياضيات: سعيد بن محمد الصفدي (٧١٢ هـ).

وفي علم الاجتماع وفلسفة التاريخ: ابن الطقطقي (٧٠٩ هـ) في كتابه (الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وكان سابقاً لابن خلدون.

وفي اللغة: بعد أبي حيّان الأندلسي كان ابن منظور (٧١١ هـ)، ثم ابن هشام الأنباري (٧٦١ هـ).

وبيز من المؤرّخين عدد كبير، كأبي شامة (٦٦٥ هـ)، وابن العدم (٦٦٦ هـ)، وابن حلكان (٦٨١ هـ)، وابن الفوطى (٧٢٣ هـ) ن والمرتي (٧٤٢ هـ)، والذهبي (٧٤٨ هـ)، وآخرون.

وأمّا أوسع الناس تصنيفاً في العلوم الدينية خاصة كالفقه والأصول والتفسير والحديث فكان: العالّمة ابن المطهر الحلّي (٧٢٦ هـ) وله تأليفُ أخرى كالمقىء والرياضيات والفلسفة، شرح فيها كثيراً من كتب شيخه نصیر الدین الطوسي حَقَّ قيل: لو لا شرح ابن المطهر لم يفهم أحد كلام نصیر الدین.

وإمام الزيدية يحيى بن حمزة المؤيد بالله (٦٦٩ - ٧٤٩ هـ) والشيخ عليّ بن عبد الكافي السُّبْكِي (٦٨٦ - ٧٥٦ هـ) إمام الشافعية، وله نح من مائة وخمسين مصنفاً في العلوم الدينية.

### عصره الديني

الحالة الدينية في هذا العصر مليئة بكلّ ما هو مثير.

فالعصر الذي شهد سقوط عاصمة الخلافة على أيدي التتار المغول وما تبعه

من دمار وخراب، شهد أيضاً تدفق هؤلاء التار سلاطين وجندواً إلى اعتناق الإسلام وتطبيق شيء من أحكامه.

والعلاقة بين الديانات السماوية الثلاث كانت علىأسئها، لما شهد اليهود والنصارى من دعم وحماية من قبل الصليبيين ثم التار - قبل إسلامهم فخلف ذلك فتناً كثيرة، ومذاهب إسلامية منحرفة نشطت أهمها:

١ - الإسماعيلية: وهي فرقة شيعية قديمة نسبياً شددت بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكان لها شوكة ونفوذ، ومركزها في سلمية من نواحي حماه، والمذهب الإسماعيلي هو مذهب الدولة الفاطمية التي حكمت قرابة ثلاثة قرون، وعرفوا بالباطنية لاغراقهم في الباطن.

٢ - الكرامية: فرقة من العامة تقول بالتجسيم والتшибيع، تسرّبت عقائدهم حتى إلى بعض خصومهم، ومن ذلك قولهم باستقرار الله تعالى على العرش مماساً له من جهةه العليا، وجوّزوا عليه الانتقال والتحول والنزول. تعالى الله عما يصفون.

٣ - النصيرية: فرقة من غلاة الشيعة، رعمت أن الروح الإلهية حلّت في الإمام علي عليه السلام، ثم اعتقدوا أن ابن ملجم هو أفضل أهل الأرض لأنّه خاص روح الآلهوت من ظلمة الجسد، وكان لهم في هذا العصر قوة أزعجت السلطان فوجه إليهم جيشين لمقاتلتهم، مرتّة سنة ٧٠٥ هـ) ومرة سنة ٧١٧ هـ.

٤ - اليزيدية: أو العَاوِيَّة، نسبة إلى الشيخ عَدِيٌّ بن مسافر المرواني الأموي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ وكان صوفياً استوطن أرض الأكراد في الجزيرة الشامية

(الحدود العراقية السورية). وكان يعتقد في يزيد بن معاوية أنه إمام حقٌّ وابن إمام، فغلا فيه أتباعه من بعده وكان لهم انتشار وفتن في تلك الديار، وديار بكر وببلاد الأرمن من آسيا الوسطى. وانتشر التصوّف انتشاراً هائلاً، ساعده على ذلك الجهل العام بفحوى الدين وأهدافه الكبرى، في أجواءٍ من اليأس والقنوط والخمول، مع تأييد السلاطين لذلك خدمةً لحكمهم. وهذا لا يعني أنَّ التصوّف كان منسجماً على الدوام مع السلطة، فمن شيوخهم من أوذى وسُجن، كالشيخ السهوردي (٥٨٧ هـ) والشيخ محبي الدين بن عربي (٦٣٨ هـ) والشيخ حضر العدوبي (٦٧١ هـ) ... ومهما يكن فإنَّ انتشار التصوّف يُعدُّ من أبرز الظواهر الدينية في ذلك العصر.

### المذاهب الكبرى

شهدت دمشق في هذا العصر حدثاً جديداً، فقد أنشأ الظاهر بيبرس نظاماً جديداً يقضي بتعيين أربعة قضاة موزعين على المذاهب الأربع، وطبق هذا النظام في القاهرة سنة ٦٦٣ هـ، ثم في دمشق سنة ٦٦٤ هـ، بعد أن كان القضاء محصوراً بالشافعية.

قال السُّبْكِي الشافعي: لم يكن يلي قضاء الشام، والخطابة والإمامية بجامع بنى أمية إلا من يكون على مذهب الأوزاعي، إلى أن انتشر مذهب الشافعي فصار لا يلي ذلك إلا الشافعية. وأرَّخ ذلك السُّبْكِي بسنة ٣٠٢ هـ منذ عهد القاضي

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨: ٣٢٠.

أبي زرعة محمد بن عثمان الدمشقي<sup>(٦)</sup>.

وإذا قرار بيبرس هذا يُعد انتصاراً للمذاهب الثلاثة حيث أشركهم في القضاء، فإنّه كان قراراً قاسياً على الشافعية الذين لم يعتادوا رؤية مشارك لهم في القرار، رغم أنّ بيبرس قد احتفظ لهم ببعض المزايا، كاختصاص القاضي الشافعي بالأوقاف وتقديمه في الأيام الرسمية، إلا أن ذلك لم يحدّ من سخطهم الذي بلغ إلى حد اعتقادهم أنّ هذا النظام قد أوجب على فاعله الظاهر بيبرس دخول النار والعقاب الشديد، كما أوجب ضياع ملكه!. يقول السُّبْكِي: حُكَيَّ أَنَّ الظَّاهِرَ بَيْبرَسَ رَأَى الشَّافِعِيَّ فِي النَّوْمِ لَمَا ضَمَّ إِلَى مَذْهَبِهِ بَقِيَّةَ الْمَذَاهِبِ، فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: هُنَّ مَذَهِبِيُّ الْبَلَادِ لِي، أَوْ لَكُ؟! أَنَا قَدْ عَزَّلْتُكَ وَعَزَّلْتُ ذَرِّيَّتَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قال: فلم يمكث إلا قليلاً ومات، ولم يمكث ولده السعيد إلا يسيراً وزالت دولته، وذرّيته إلى الآن فقراء!.

بحده البساطة يروي العلامة السُّبْكِيُّ أحلام البسطاء فيقول بعكس ما تراه عيناه، فهو يعلم أنّ بيبرس قد بقي في السلطنة ثلاثة عشرة سنةً بعد قراره بضمّ القضاة، وأنه أحسن السلاطين سيرّة، فعطل الخمرة والمحشيشة في كلّ البلاد ولم يفعل ذلك أحد غيره، وهزم المغول والصلبيّين وحقق ما عجز عنه صلاح الدين حتّى توفي سنة ٦٧٦هـ! ولكن ذلك لم يكن شافعاً له، فالسُّبْكِيُّ يقول: حُكَيَّ أَنَّهُ رُؤِيَ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقَيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: عَذَّبَنِي عَذَابًا شَدِيدًا بِجَعْلِ

القضاء أربعة<sup>(١)</sup>.

ولم يكن ذلك شأن الشافعية وحدهم، فما تناقله أصحاب المذهب الأخرى كثير، فمثلاً ما رواه الذهبي الحنبلي وأثبته العماد الحنبلي في أحداث سنة ٧٢٥ هـ: كان غرق بغداد المهول، وساوى الماء الأسوار، وغرق أُمُّ لاثْخُصي، ودام خمس ليالٍ، قال الذهبي: ومن الآيات أن مقدمة الإمام أحمد بن حنبل غرقت سوى البيت الذي ضريحه فيه، فإن الماء دخل في الدهلiz علو ذراع ووقف بإذن الله وبقيت البواري عليها غبار حول القبر<sup>(٢)</sup>!.

ذكر ذلك عن قبر أحمد، ولم يُخبر بمصير قبر أبي حنيفة أو الشيخ عبد القادر الجيلاني وكلاهما في بغداد، ولعله رأى أن ذلك من مسؤولية الأحناف والصوفية!.

وثم أحداث كبيرة كان سببها التعصب المذهب، فمحجّر الملك الأشرف الأيوبي على العزّ بن عبد السلام شيخ الشافعية، إنما كان جراء خلاف بينه وبين الخانيلة الذين استعملوا الملك الأشرف وأقنعواه أن قولهم قول السَّلَف وأنذ عبد السلام زانع عن الصراط المستقيم<sup>(٣)</sup>. وفي قضية أحمد بن إسماعيل التبريري الشافعي الذي قضى عليه القاضي الحنفي بالجلد ثمانين ضربة، ثم بنفيه وإخراجه من التدريس بسبب شتمه أحد

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨: ٣٢١.

(٢) شدرات الذهب ٦: ٦٦. والبواري: الحضر من قصب.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٨: ٨١٨ وما بعدها.

ذرية الإمام أبي حنيفة. يقول الشوكاني:

قد لطفَ الله به بمرافعته إلى حاكم حنفيٍّ، فلو رُفِعَ إلى حاكم مالكيٍّ حُكْمٌ بضرب عنقه!  
وَقَبَحَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَجَازَاتُ وَالْاسْتَحْلَالُ لِلَّدَمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ بِحَرَدِ أَشْيَاءٍ لَمْ يَوْجِبْ اللَّهُ فِيهَا إِرَاقَةَ دِمٍ وَلَا  
هَنْكَ عِرْضٌ<sup>(١)</sup>. هَذَا كَلَّهُ لَا يَعْنِي أَنَّ هَنَاكَ تَحْافِيًّا تَامًا وَقَطْعِيًّا بَيْنَ أَصْحَابِ الْمَذاهِبِ، بَلْ عَلَى  
الْعَكْسِ كَانَتْ إِفَادَةُ بَعْضِهِمْ مِنَ الْبَعْضِ مَأْلُوفَةً جَدًّا فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْحُوَارِ، وَرَبِّمَا كَانَ الْحُوَارُ  
يَنْتَهِي بِإِنْتِقَالٍ فَقِيهٍ مِنْ مَذَهَبٍ إِلَى مَذَهَبٍ وَقَدْ حَصَلَ كَثِيرًا.  
كَمَا كَانَ جُوًّا مِنَ التَّفَاهِمِ بَيْنَ أَتَبَاعِ الْمَذاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَالصَّوْفِيَّةِ، فَالْمَدْرِسَةُ الَّتِي تُنْشَأُ لِتَدْرِيسِ  
الْمَذاهِبِ الْأَرْبَعَةِ يُنْصَصُ فِيهِ رِبَاطٌ لِلصَّوْفِيَّةِ.

وفي سنة ٧١٦ هـ وقع اختيار الصوفية على قاضي القضاة الشافعيٍّ نجم الدين ابن صضرى  
ليتولى مشيخة الشيوخ عند الصوفية بدمشق<sup>(٢)</sup>.

الشيعة الإمامية: ومع أن الشيعة تجمعهم مع المذاهب الكبرى جامعة لا ينكرونها تلك هي  
حب أهل البيت عليهما السلام ، وكتبهم مشحونة بأحاديث منزلتهم الخاصة! وتقاسيرهم كذلك؛ إلا أنه  
شَتَّانَ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ، وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي مِيزَ الشِّعْيَةَ الْإِمامَيَّةَ كَخَطٌّ مُقَابِلٌ جَمِيعِ الْفَرَقِ إِنَّا إِذَا مَا  
كَتَبُوا عَنْ أَحَدِ رَجَالِهِمْ قَالُوا عَنْهُ: ثَقَةٌ صَدُوقٌ وَاسِعُ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ يَتَشَيَّعُ! وَفِي حَالٍ مَنْاقِشَةٌ حَدِيثٌ  
فَأَرَادُوا إِبْطَالَهِ قَالُوا فِي سَنَدِهِ فَلَمْ يَتَشَيَّعْ أَوْ شَيِّعِيٌّ، وَلَمْ يَنْظُرُوا فِيمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، إِذْ غَالِبًا مَا

---

(١) البدر الطالع : ٤٠ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٥٣٤٥ .

يكونوا (حنفي وشافعى وحنبلى وربما مالكى) مع ورود الحديث أو الخبر في الصحاح والمسانيد والسنن والتاريخ، إلا أن كلمة شيعي على الأقل تبرز أمامك!

وعلى صعيد آخر: فعلى الرغم مما تركه الوزير الإمامي أحمد بن بدر الجمالي من أثرٍ شكره الجميع، ثم ما أبداه طلائع بن رزيك الإمامي من سيرة أثني عليها المؤاف والمخالف حتى جمعت مدائنه في كتاب سُمي (الدر النظيم)<sup>(١)</sup>.

ورغم أن هذين الحاكمين الإماميين قد قُتلا على أيدي الإسماعيلية، فيما كانت كتب العامة تكتنّ لهما كل التقدير.

وبالرغم من أن موقف الإمامية من غلاة الشيعة - كالإسماعيلية والنصيرية - لا يختلف عن موقف العامة، إلا أن كل ذلك لم يصحح المسار لوقف أولئك من الشيعة الإمامية وبقي الحديث عنهم كالحديث عن أي فرقة من الغلاة بدون تمييز، فحصلت أخطاء كبيرة تعتمدها الكبار، وتلقّاها التابعون تلقّي المقلّد الذي سلم لشيخه بكل ما يقول.

هذا هو عصر ابن تيمية بأهم ملامحه، وذاك مكانه الذي أشرفنا عليه، وتلك أسرته التي عرفناها من قبل. وتلك بيته الأولى: حَرَان وهذه بيته الثانية التي ترعرع فيها وتعلّم وفيها مات دمشق.

---

(١) النجوم الراحلة ٥: ٣٤٥.

### دراساته:

ابتدأ درسه على أبيه في دمشق، ثم تنقل بين عدد من مشايخها، رجالاً ونساءً منهم:

- أحمد بن عبد الدائم المقدسي (٥٧٥ - ٦٦٨ هـ) الحنفي. ومن تاريخ وفاته يظهر أن ابن تيمية قد باشر التعلم عليه مبكراً ولما يجاوز السابعة من عمره.
- أبو زكرياء، سيف الدين يحيى بن عبد الرحمن الحنفي (ت ٦٦٩ هـ).
- ابن أبي اليسر التنوخي (ت ٦٧٢ هـ).
- أبو زكرياء، كمال الدين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح الحنفي الحنفي (ت ٦٧٨ هـ).
- عبد الرحمن بن أبي عمر، ابن قدامة المقدسي الحنفي (ت ٦٨٢ هـ).

أم العرب، فاطمة بنت أبي القاسم بن علي - المعروفة بابن عساكر مؤرخ الشام - (ت ٦٨٣ هـ).

- أم الخير، سنت العرب بنت يحيى بن قaimاز (ت ٦٨٤ هـ).

- زينب بنت أحمد المقدسي (ت ٦٨٧ هـ).

- زينب بنت مكي الحنفية (ت ٦٨٨ هـ).

وآخر من ذُكر في شيوخه موتاً: أحمد بن نعمة المقدسي (٦٩٤ هـ).

وهو القائل: أنا الذي أذنت لابن تيمية في الإفتاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) عقد الجuman ٣: ٢٨٥.

- وأمّا الشّيخ: عبد السّيّد، اليهوديُّ، الذي أسلّم وتوّفيَ سنة ٧١٥ هـ فمّنهم مّن عدّه في شيوخه، ومنهم مّن عدّه في رُفّقته وأصحابه<sup>(١)</sup>.

عودته، ممّا أدى إلى الحكم عليه بالزنقة والكفر وانتقاله من سجن آخر ... وكان من دواعي ذلك فتواه في الزيارة مبثوثة في كتاباته على غير النحو الذي ذكره ابن كثير، وسنعرض له في محله. وما سنذكره من ردود علماء عصره عليه، أو ممّن جاء بعدهم كفاية في إظهار حقيقة ابن تيمية، ومن ثم دحض أباطيله والرد على ممّن ينتصر له.

سمع المسند مرات، والكتب ستة، ونسخ سنن أبي داود، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم وأحكام أصول الفقه والفرائض ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وردد على رؤسائهم وأكابرهم، ونظر في الرجال والعلل، وصار عجباً في سرعة الاستحضار والتّوسيع في المقول والمعقول ...»<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت عائلته حنبليّة المذهب؛ كان طبيعياً أن ينهل ابن تيمية من دروسها: «وكان للحنابلة بين المدارس الفقهية والاعتقادية مدارس خاصة بهم، مثل المدرسة الجوزية والمدرسة السكريّة، كما كان لهم المدرسة العمرية التي أنشأها أبو عمر بن قدامة، بناها بسفح قيسون للفقراء والمشتغلين بالقرآن والفقه.

(١) انظر في شيوخه: العقود الدرية، لأبي عبد الهادي (٧٤٤ هـ)، الدرر الكامنة ١: ٤٤، تاريخ ابن الوردي ٢: ٢٧٦، الواي بالوفيات ٧: ٢٧٥ - ٢٧٦، علم الحديث لأبي تيمية، المقدمة.

(٢) الدرر الكامنة ١: ١٤٤.

وفي هذه المدارس الحنبلية تخرج ابن ثييميه، ودرس في كتف أبيه ورعايته وتوجيهه، وكان لا بدّ قد رأى الأشاعرة، وهم يهاجرون الحنابلة، ويرموّنهم بالتجسيم والتشبيه ...، فتدبّ نفسه للجدل مع الأشاعرة»<sup>(٦)</sup>.

إلا أنَّ كون عائلته حنبلية، وأنَّ درس يافعاً في مدارسهم ...، فكلُّ ذلك لم يخلق من ابنَ يَمِيمَيْه شخصية حنبلية؛ وإنْ تركت بصماتها في تكوينِ فكريٍ يجعلُ منه شخصاً هو أقربُ إلى المذهب الحنبلِيِّ منه إلى غيره من المذاهب الأخرى.

إلاّ أنه كانت له اجتهاداتٍ الفقهيةُ الخاصةُ، فلم يكن مقلّداً. قال تلميذه «الذهبي»: «شيخنا وشیخ الإسلام وفريد العصر علمًاً ومعرفةً وشجاعةً... وأمراً بالمعروف ونھيًّا عن المنكر. وبرع في تفسير القرآن، وبرع في الحديث، وفاق النّاسَ في معرفةِ الفقه بحيث إنّه إذا أُفني لم يلتزم بمذهب؛ بل بما يقوم دليله عنده»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو زهرة: «وبعقله العميق النافذ وصل إلى ما وصل إليه من اختيارات ليست في المذاهب الأربع أو منها، كاعتبار الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث، والطلاق المتتابع طلقه واحدة ...»<sup>(٢)</sup>.  
لقد جرت سيرة البشر على أن يرث الخالف السلف في الموقع الاجتماعي

(١) ابن تيمية، حياته وعصره: ٢٦.

(٢) علم الحديث: ٤٣، البداية والنهاية، لابن كثير ١٤: ٦٧.

<sup>(۳)</sup> ابن تیمیه، حیاته و عصره: ۲۸.

والمنصب الديني. وقد كان لأبي المترجم له - ابن تيمية - مشيخة الحديث في بعض مدارس الجامع الكبير في دمشق، وكان له كرسى فيه. فتوفي سنة ٦٨٢ هـ ، وابنه أحمد في الحادية والعشرين من عمره؛ وبعد وفاة أبيه بسنة، حل محله، وجلس مجلسه.

وكان الشائع آنذاك في العقائد هو مذهب أبي الحسن الأشعري، وكان الأشاعرة يتهمون في العقائد منهج الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي؛ فقد كانت نشأة أبي الحسن الأشعري؛ نشأة اعتزالية، فطبع بطريقتهم في الاستدلال، ولكن حالفهم بعد في النتائج من غير أن يتحول عن طريقتهم في الاستدلال.

ومذهب الأشعري في العقائد هو مذهب أهل العامة، وكان الأيوبيون قد بالغوا في نشره؛ فكان أتباعه من الكثرة في الشرق والغرب. وقد حالفهم الحنابلة، ليس فقط في منهج البحث في العقائد؛ وإنما في الفقه أيضاً: «كان الحنابلة يسلكون في دراسة عقائدهم مسلكهم في دراسة الفقه. يستخرجون العقائد من النصوص، كما يستخرجون الأحكام الفرعية من النصوص، لأن الدين جموع الأمرين، فما يُسلك في تعرّف أحدهما يُسلك لا حالة لاستخراج الثاني، وكانت في القرآن آيات فيها وصف الله سبحانه وتعالى بما يُفيد في ظاهره التشبيه بالحوادث، وفي الأحاديث ما يشبه ذلك؛ فكانوا يفسّرونها على مقتضى ما تؤديه اللغة بحقيقةها ومجازها»<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن تيمية، حياته وعصره: ٢٥. [من غير تأويل بما يناسب ذات الله تعالى وينتهي عن التجسيم والتشبيه وغيرها من صفات المخلوقات].

من هنا احتملت الحرب الكلامية بين الحنابلة وخصومهم، وكانت التّهمة الموجّهة إلى الحنابلة هي رميهم بالتجسيم ، وتشبيه الله تعالى وعدم تأويمهم النّصوص والألفاظ بما يناسب الله تعالى من التّنزية. وقد حمل ابن تيمية لواء المعركة الجدلية فخاضها بعنفٍ؛ ليس مع الحنابلة وحسب، وإنما مع فرق الإسلام ومذاهبها جميعاً وتسرّع لظاها بعد خوضه في حديث المساجد الثلاث، وإفتائه بحرمة زيارة قبر رسول الله ﷺ والتّمسّح به رجاء البركة، ومنعه من التّوسل بالنبي إلى الله تعالى. وقد نال الحنابلة بسبّه بعض الأذى، حتى اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم أَهْمَّ على معتقد الشافعي - على ما سنرى - .

وقد أعاد على التأليب عليه إضافة لما تقدّم، ما عرف منه من حدّ فيطبع نقرت أقرب تلامذته ومحبّيه، وله ردودٌ عليه - سنعرض لهما في فصل أصحاب الردود على ابن تيمية - فالذهبي قال: «ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التّقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التّغالي فيه، وقد أوديتك من الفريقيين من أصحابه وأصداده، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان مع سعة علمه، وفطر شجاعته ...، تعترىه حدّ في البحث، وغضب وصمدة للخصوم تزرع له عداوة في النفوس ...»<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن تيمية، حياته وعصره: ٣١.

## بداية المعركة

قلنا: إنّ ابتداء المعركة الطويلة الّتي خاضها ابن تيمية، كانت مع فقهاء المذاهب في عصره، وذلك حينما وحّه إليه أهل حماة مجموعة أسئلة تتعلق بالله تعالى، وصفاته المذكورة في القرآن الكريم، من الاستواء على العرش، وإضافة الكرسي لله سبحانه؛ ومسألة اليد، والوجه ... وغير ذلك مما عرف بالعقيدة الحمويّة؛ نسبةً إلى أصحاب تلك الأسئلة من أهل حماة، فأجاب ابن تيمية عليها وقال إنّها صفات حقيقة للباري عزّ وجلّ، من غير تأويل لتلك الألفاظ.

ذكر تلميذه ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٨ هـ:

«قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي فلم يحضر، فنودي في البلد في العقيدة الّتي كان قد سأله أهل حماة المسماة بالحمويّة، وأرسل فطلب الذين قاموا عنده. فاختفى كثير، وضرب جماعة مّن نادوا على العقيدة، فسكت الباقيون ...»<sup>(١)</sup>.

وذكر الحادثة ابن حجر العسقلاني، قال:

«وأول ما أنكروا عليه من مقالاته سنة (٦٩٨)، قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحمويّة، وبخوا معه؛ ومنع من الكلام ...»<sup>(٢)</sup>.

إنّ ما حلّ بساحة ابن تيمية، والحنابلة، لم يكن من العامة، بل من الخاصة «الفقهاء» وعلى رأسهم الحنفي يناصرهم في ذلك بعض الأرباء.

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير ٤: ١٤.

(٢) الدرر الكامنة ١: ١٤٥.

بعد تلك الحادثة، عاش ابن تيمية سبع سنوات بعيداً عن ملاحقة القضاء والمحاكمات؛ وسبب ذلك أنَّ التتار ألحقوه هزيمةً بالجيوش المصرية والشامية وباتوا يهددون دمشق. فانشغل العلماء عنه في مواجهة الحنة، وانشغل هو بأمورٍ أخرى، إذ فتح نار قلمه مختصاً به الشيعة، والصوفية.

ولعل أحد الأسرار التي حملت ابن تيمية على أن لا يوضّب قلمه للنيل من علماء المذاهب الذين هاججوه وحكموا عليه بالسجن، وإنما يشحد همته لشنِّ الغارة على فرقاء من المسلمين؛ هو أنَّ نائب السلطنة تلقى كتاباً فيه أنَّ ابن تيمية ومعه أفراد يناصحون التتار ويكتابونهم، ويعيّدون مَنْ يماثُمُه<sup>(١)</sup>. فراح يطعن في معتقداتهم، كما حملته سُورَةُ الغضب وما عُهد عنه من الحدة على العودة إلى إثارة موضوع الزيارة وما يتفرّع منها من التوسل والتقرُّب إلى الله تعالى بالنبي ﷺ ، وبالأولياء.

كما استخدم ابن تيمية نفس السلاح؛ فاَنْهَمُ الرفاعيَّةُ الأحمديةُ أتباعُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرَّفَاعِيِّ  
بالدجلش والشعوذة ومَالَةُ التتار<sup>(٢)</sup>.

مهاجمة الشيعة: ولقد وجد ابن تيمية الفرصة ساخنة للطعن في الشيعة ومتّعقتداهم وأسقط عليهم نفس التّهمة؛ أي مَالَةُ التتار، وكتب إلى الناصر يحرّضه عليهم ويتهّمهم بمناصرة الصليبيين، وأَهَمُّ قد حملوا راية الصليب، ولما جاء التتار فرحاً بهم وأعانوهم على المسلمين، وأَهَمُّ كانوا السبب في خروج

(١) انظر (ابن تيمية، حياته وعصره: ٤٢)، والبداية والنهاية ١٤: ٢٢.

(٢) ابن تيمية، حياته وعصره: ٤٧.

جنكيزخان، وفي استيلاء هولاكو على بغداد ...

وأكثر من الواقعة في الشيعة لدى السلطان الناصر حتى تمكّن أن يضمّ إليه كتيبة قادها ابن تيميه بنفسه، وهاجم الشيعة في الجبل السوري بكلّ شدّة وعنف وقتل الكثير، وحرق أشجارهم وهو «يبرر قطعه لأشجارهم بقوله: اقطعوا أشجارهم لأنّ النبي ﷺ لما حاصر بنى النضير قطع أصحابه خلّهم وحرقوه <sup>(٩)</sup>».

في هذه المرحلة الصعبة التي كان يمرّ بها المجتمع المسلم، كتب ابن تيميه أفكاره ومعتقداته، وسمّى كتابه الذي ضمنه ذلك «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، فكان هجوماً عنيفاً على أبرز علماء عصره من الشيعة هو العلامة الحليّ وعلى كتابه «منهاج الكرامة» وكان كتابه هذا وصلة ووسيلة لإفراغ ما في نفسه من مفهوم للشيعة ما أنساه مرارة ما عاناه من علماء المذاهب السنية.

وقد عُرف عن الحليّ من النباهة والعلم ما هيأ له أن يحتلّ من نفس «خُدابَدا» <sup>(١٠)</sup> ن حميد هولاكو» ذرة السمam حتى تمكّن من إقناعه بالمذهب الشيعي؛ فأظهر التشريع مما أثار حفيظة ابن تيميه ورجال المقابلة؛ فشنّوا العار على الحليّ والشيعة.

ونال ابن تيميه من نصير الدين الطوسي أستاذ الحليّ، وأحد كبار علماء الشيعة، ومن ابن العلقمي وزير آخر حاكم عباسي وحملهما مسؤولية سقوط

(١) البداية والنهاية ١٤ : ٣٥

(٢) وهو الصحيح وتعني بالفارسية (عبد الله) إلا أحجم حرقوها فجعلوها: خربتنا! و (خر) بالفارسية تعني: حمار! فانظر أدب الناسبة الجاهلية، ثم احكم!

بغداد ومقتل حاكمها «المستعصم» من غير أن ينظر في محمل الظروف والأسباب المتعددة التي أفضت إلى النتيجة المأساة.

ولما كان ابن كثير حنبلياً وتلميذاً لابن تيمية؛ كان لا بد أن يشاعر في آرائه، إذ كان موهباً به يرفع من مقامه ويحطّ من الذين قاصدوه وسخنوه، ولا يخرج عن منهجه في مهاجمة الشيعة ورجاتهم. ذكر في تاريخه في أحداث سنة ست عشرة وسبعمائة، قال: «وفي هذا الشهر، أعني ذا القعدة وصلت الأخبار بموتِ ملك التتر خربندا محمد بن أرغون بن بغـا بن هولاـكو قـان؛ مـلك العـراق وخـراسـان وـعـراقـ الـعـجمـ والـرـومـ وأـذـريـجانـ وـالـبـلـادـ الـأـرـمـنـيـةـ وـديـارـ بـكـرـ».

توفي في السابع والعشرين من رمضان، ودُفن بترته بالمدينة التي أنشأها التي يُقال لها السلطانية، وقد حاوز الثلاثين من العمر. وكان موصوفاً بالكرم ومحبّاً للله وللّعب والعمائر، وأظهر الرفض. أقام سنة على السنة ثم تحول إلى الرفض. أقام شعائره في بلاده وحظى عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلبي، تلميذ نصير الدين الطوسي، وأقطعه عدّة بلاد، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أيامه في هذه السنة.

وقد جرت في أيامه فتنٌ كبيرة ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلاد، وقام في الملك بعده ولده أبو سعيد؛ وله إحدى عشرة سنة، ومدير الجيوش والممالك له الأمير جوبان، واستمر في الوزارة علي شاه التبريزى، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن احتمهم بقتل أبيه مسموماً، ولعب كثير من الناس به في أول دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة، فأمر بإقامة الخطبة

بالتراضي عن الشيوخين أولاً ثم عثمان ثم علي...»<sup>(٦)</sup>.

لقد شق على ابن كثير رواج المذهب الشيعي، فسلوك منهجه شيخه ابن تيمية في محاددة الشيعة والطعن في شيوخهم: الطوسي، والحلبي...، ورمى المذهب الشيعي بالفساد؛ كل ذلك لأنّ السلطان «خُدا بندًا» تشيع وأخذ مذهب أهل البيت عليهم السلام، وعظم رجاله؛ فوصف أيامه بالفتن والمصائب. إلا أنّه غفر مرحلة ما بعد خُدابنده، حيث خلفه ابنه الصبي، وما فعله من قتل الأعيان على الشبهة والتّهمة في اغتيال أبيه، ومصادرهه أموال الناس، مع كونه موضع سخرية الآخرين. وذرعاته في ذلك: أنّ خُدابنده قد خرج عن السنة بتقاديمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام؛ فلما خلف ابنه عاد إلى السنة في تأخير الوصي علي! . وبعد أن شفى بعض ما في نفسه - وهو دمشقي حنبلي - بالحديث كما شاء له الموى عن مذهب أهل بيته عليهم السلام، احتضن العلامة الحلبي بحديثٍ خاصٍ، فرماه بالتحasse ودنس الأخلاق...؛ شأنه في ذلك شأن شيخه «ابن تيمية» إلا أنّ عصبيته أعمته حتى عن تسمية الكتاب الذي تصدّى ابن تيمية للافتراء عليه؛ وهو «منهاج الكرامة» للعلامة الحلبي، فسمّاه «منهاج الاستقامة». ففي موضع آخر من حديثه عمن توفي من الأعيان سنة ست وعشرين وسبعين، قال: «ومن توفي فيها من الأعيان: أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبي العراقي الشيعي، شيخ الروافض بتلك النواحي، وله التصانيف الكثيرة، يقال: تزيد على مائة وعشرين مجلدًا، وعدّتها خمسة وخمسون مصنفًا، في الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض، وغير ذلك من

---

(٦) البداية والنهاية ٤ : ٧٧.

كبار وصغار، وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب في أصول الفقه، وليس بذلك الفائق، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة الحصول والأحكام، فلا بأس بها فإنّما مشتملة على نقلٍ كثير وتوجيهٍ جيدٍ، وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة، خطط فيه في المعقول والمنقول، ولم يدرك كيف يتوجه، إذ خرج عن الاستقامة. وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة ... ولد ابن المطهر الذي لم تظهر خلائقه ولم يتطهّر من دنس الرفض ليلة الجمعة سادع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة، وتوفي ليلة الجمعة عشرين من محرم من هذه السنة - أي سنة ٧٢٦ - وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد، واشتغل على نصير الدين الطوسي، وعلى غيره، ولما ترّضخ خدابندا حظي عنده ابن المطهر وساد جدًا وأقطعه بلادًا كثيرة»<sup>(١)</sup>.

ابن تيمية في مجلس القضاء: ومن جديد مثل ابن تيمية أمام القضاة، وذلك سنة ٧٠٥ هـ، حيث عُقدت له ثلاث مجالس. قال ابن حجر العسقلاني: «وكان السبب في هذه المخنة أنّ مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما وقع إليه من أمور تذكر في ذلك فُعقد له مجلس في سابع رجب وسئل عن عقيدته فأمألاً منها شيئاً ثمّ أحضروا العقيدة التي تُعرف بالواسطية - للشيخ ابن تيمية - فقرئ منها وبحثوا في مواضع ثمّ اجتمعوا في ثاني عشرة وقرروا صفي الدين الهندي يبحث معه ثمّ أخرّوه وقدّموا الكمال الزملكي، ثمّ انفصل الأمر

---

(١) البداية والنهاية ١٤ : ١٢٥ .

على أنه شهد علت نفسه أنه شافعي المعتقد. فأشار أتباعه أنه انتصر؛ فغضب خصومه ورفعوا واحداً من أتباعه إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعدلية فعززه، وكذا فعل الحنفي باثنين منهم، وأمر النائب مَنْ ينادي أنَّ مَنْ تكلَّم في العقائد فُعلَّ كذا به، وقدد بذلك تسكين الفتنة<sup>(٦)</sup>.

المجلس الثاني: ثم عقد لهم مجلس في سلخ رجب، وجرى فيه بين ابن الزملکانی وابن الوکیل مباحثة...؛ وذكر ابن حجر أنَّ ثمة خلاف وقع بينهم.

قال: ثم وصل في خامس رمضان بطلب القاضي والشيخ وأن يرسلوا بصورة ما جرى للشيخ في سنة ٦٩٨، ثم وصل ملوك النائب وأخبر أنَّ الجاشنكير والقاضي المالكي قد قاما في الإنكار على الشيخ وأنَّ الأمر اشتَدَّ على الخنابلة حتَّى صُفع بعضهم.

المجلس الثالث: توجه القاضي والشيخ إلى القاهرة ومعهما جماعة فوصلوا في العشر الأخير من رمضان، وعقد مجلس في ثالث عشر منه بعد صلاة الجمعة، فحكم المالكي بحبسه وحبس في برج، ثمَّ بلغ المالكي أنَّ الناس يتربَّدون إليه فقال: يجب التضييق عليه إنْ لم يُقتل وإلا فقد ثبت كفره. فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجُبَّ، وعاد القاضي الشافعي إلى ولايته، ونودي بدمشق: مَنْ اعتقاد عقيدة ابن تَمِيمِيه حلَّ دُمه ومآلُه خصوصاً الخنابلة. وفُرِئَ المرسوم، قرأ ابن الشهاب محمود في الجامع. ثمَّ جمعوا الخنابلة من الصالحة وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أَكْمَ على معتقد الشافعي. واتفق أنَّ قاضي الخنابلة شرف الدين الحرازي

---

(١) الدرر الكامنة ١٤٥ - ١٤٦.

كان قليل البضاعة في العلم، فبادر إلى إعجابهم في المعتقد واستكتبوه خطه بذلك<sup>(١)</sup>.

كلمة إجماع: لقد كانت كلمة الجميع واحدة في مناهضة ابن تيمية، نلمس هذا من كتاب بعث به ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري لبعض معارفه بدمشق، فقد ذكر فيه أن جميع من بمصر من القضاة والشيوخ والفقراء والعلماء والعوام يخطون على ابن تيمية<sup>(٢)</sup> ...

شروط التخلية: بذل البعض مساعي بغية تخلية سبيل ابن تيمية وذلك سنة ٧٠٦ هـ، وجرى الحديث بذلك مع القضاة الثلاثة: الشافعي، والمالكى، والحنفى؛ فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطاً، وأن يرجع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه فامتنع من الحضور، فلم يزل في الجب إلى أن شفع فيه أمير آل فضل؛ فأخرج في ربيع الأول في الثالث وعشرين منه وأحضر إلى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء، فكتب عليه محضر بأنه قال أنا أشعري. ثم وجد خطه بما نصّه: الذي أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله على العرش استوى؛ ليس على ظاهره ولا أعلم كنه المراد؛ بل لا يعلمه إلا الله؛ والقول في النزول كالقول في الاستواء».

وكتبه أحمد بن تيمية، ثم اشهدوا عليه أنه تاب، وذلك في خامس عشر

---

(١) الدرر الكامنة ١: ١٤٧، والبداية والنهاية ١٤: ٣٨.

(٢) نفسه.

ربيع الأول سنة ٧٠٧ هـ وشهد عليه بذلك جمع جمّ من العلماء وغيرهم<sup>(١)</sup> ...

إن الشروط المذكورة، والحضر الذي كتبه ابن تيمية بخطه وبشهادة الشهود من علماء مختلف المذاهب، يشير إلى تراجع ابن تيمية عن كثير من عقیدته؛ ومن قبل كان قد شهد على نفسه بأنه أشعري، رغم بعضه لعقيدة الأشعري. وعلى أثرشهادته وكتابته الحضر؛ أُفرج عنه وسكن القاهرة وسكن الحال لذلك.

لم تدم الأمور على حالها، فقد هاجّها ابن تيمية من خلال عودته للخوض في الحديث عن «الاستغاثة» مما أثار عليه الصوفية «ثم اجتمع جمّ من الصوفية عند تاج الدين بن عطاء، فطلعوا في العشر الأوسط من شوال إلى القلعة وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلّم في حق مشايخ الطريق وأنه قال لا يستاغث بالنبي ﷺ؛ فاقتضى الحال أنّ أمر بتسييره إلى الشام فتوجّه على خيل البريد، وكل ذلك والقاضي زين الدين بن مخلوف - المالكي - مستغلّ بنفسه بالمرض وقد أشرف على الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب، فرده من بلبيس وادعى عليه عند ابن جماعة، وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني؛ فاعتُقل بسجن بحارة الدليم في ثامن عشر شوال إلى سلح صفر سنة ٧٠٩، فُنقل عنه أنّ جماعة يتربّدون إليه وأنه يتكلّم عليهم في نحو ما تقدّم، فُنقل إلى الإسكندرية في سلح صفر ومحبس برج شرقى<sup>(٢)</sup>.

أمضى ابن تيمية أكثر من سبع سنين بعيداً عن دمشق، أمضاها بين محاكمة

---

(١) الدرر الكامنة ١: ١٤٨.

(٢) الدرر الكامنة ١: ١٤٨ - ١٤٩.

وفي سنة ٧١٢ واتت الفرصة ابن تيمية ليتحرّر من السجن بسبب ما وقع من حرب مع التتر وانشغال الجميع بهذا الأمر، فشفعوا له عند القاضي المالكي «فاشترط القاضي أن لا يعود ابن تيمية فقيل له: إنّه قد تاب، فأفرج عنه ووصل دمشق مستهل ذي القعدة سنة ٧١٢»<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٧١٨ عُقد له مجلس، إذ أنكر عليه القضاة فتواه في مسألة الحلف بالطلاق، وتم الاتفاق على عدم عودته إلى تلك الفتيا. وفي شهر رمضان سنة ٧١٩ قاموا عليه من جديد بسبب عودته إلى الفتوى، فأكّد عليه المنع من الفتيا وقرئ في البلد مرسوم السلطان الذي يتضمّن ذلك، ثمّ حُبس بالقلعة بعد أن عقدوا له مجلساً في رجب سنة عشرين، وأفرج عنه في عاشوراء سنة ٧٢١<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذه الحقبة الزمنيّة شهدت نشاطاً لابن تيمية يكاد أن ينحصر في الفقه بعد أن أمضى على نفسه كتاباً برجوعه عن بعض عقائده والكلام فيها، وأجله حقوق سجن على فتاواه.

وفي عام ٧٢٥ وقع للشيخ شهاب الدين البعلبكي من الحساب بسبب متابعته لابن تيمية في بعض آرائه: «وفيها منع شهاب الدين بن مرى البعلبكي من الكلام على الناس بمصر، على طريقة الشيخ تقى الدين بن تيمية، ثمّ سُفر إلى

---

(١) نفسه : ١٤٩ .

(٢) نفسه، والبداية وال نهاية : ١٤ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨ .

الشام بأهله ...»<sup>(١)</sup>.

نهاية المطاف: وانتهى المطاف بابن تيميه أن أودع السجن في شعبان سنة ٧٢٦ بسبب عودته إلى الكلام، فكان ذلك خاتمة حياته حيث مات في معتقل القلعة في ليلة الإثنين، العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ. قال البرزالي: «يوم الإثنين السادس عشر شعبان اعتقل ابن تيميه بقلعة دمشق حيث ورد مرسوم السلطان بذلك. وفي يوم الجمعةعاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا، وهذه الواقعة سببها فتيا وجدت بخطه في السفر وإعمال المطي على زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقبور الصالحين»<sup>(٢)</sup>.

«وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضي القضاة في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقى الدين في سجن الحكم، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم، وعذر جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أطلقوا، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، فإنه حُبس بالقلعة، وسكتت القضية»<sup>(٣)</sup>.

إن الإبقاء على ابن الجوزية في المعتقل يرجع إلى ما عرف عنه من اندకاكه في البوقة الفكرية لابن تيميه، فكان يحذوه في المعتقد والآراء، - وهو شديد

---

(١) البداية والنهاية ١٤: ١١٧.

(٢) نفسه: ١٢٣.

(٣) نفسه: ١٤: ١٢٣.

مثله على الشيعة ورجالهم - .

تعصّب مقيت: أن التعصّب صفة مذمومة، إذ تحمل صاحبها على العناد والإصرار على الباطل مع وضوح البرهان. والغريب من ابن كثير الحنبلي أنّ تعصّبه لابن تيمية لم يحمله على تمجيده وإطرائه بأفضل النعوت وتخريج آرائه وتوجيهها لتكون مقبولة؛ وإنما ذهب أبعد من ذلك حيث أنكر بعض آرائه التي حقوق عليها فسُجن لأجلها من قبيل مسألة الزيارة، وهو ما لم ينكّره ابن تيمية وإنما أصرّ عليه ومؤلّفاته حافلة به! .

قال: «ثمّ يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة، وناصر الدين مشيد الأوقاف، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق: قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خطّ ابن تيمية إلى أن قال: وإنما المحرّ جعله زيارة قبر النبي ﷺ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع مقطوعاً بها. قال ابن كثير: فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام، فإنّ جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة، وشد الرحل بمجرد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبّها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرّض إلى هذه الزيارة في هذا الوجه في الفتيا، ولا قال إنّها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، ولا هو جاهل قول الرسول ﷺ «زوروا القبور فإنّها تذكركم

الآخرة» والله سبحانه لا يخفى عليه شيء...»<sup>(٦)</sup>.

وما ذكره ابن كثير في محاولة منه لبرئته ساحة ابن تيمية مما وُجهَ إليه من التّهم، لا معنى لم ذلك لإقرار ابن تيمية بها وتوبته ثم عودته إلى أفكاره ...

---

(١) البداية والنهاية ٤ : ١٢٤ .



## الفهرس

٣	إهداء .....
٣	مقدمة .....
٩	تمهيد .....
١٧	تعريف بـ (ابن تيمية) ٦٦١ - ٧٢٨ هـ .....
١٩	تسمية تيمية .....
٢٠	وقفة تأمل .....
٢١	عوْدُ على تَيْمِيَّة .....
٢٢	والدُّتُّه .....
٢٢	تعليق .....
٢٣	قبيلُه .....
٢٤	خلاصة .....
٢٤	صفاته البدنية .....
٢٦	بيئته .....
٣١	ابن تيمية خارجي، الجزيرة تستضيف الخوارج .....
٣٢	وقفة قصيرة .....

لقت نظر... ٣٣	
ملاحظة جديرة بالاهتمام ٤٢	.....
موقف طلحة والزبير من عثمان ٤٣	.....
ثلاثة من أهل الشورى... ٤٦	.....
موقف أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ الْكَرَمُون	.....
نفاق طلحة! ٤٩	.....
البيعة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَرَمُون	.....
مقتل مالك بن نُوَيْرَة ٥٦	.....
بين دستورين ٦١	.....
دستور عليّ بن أبي طالب في القتال ٦٢	.....
تسخير عائشة إلى المدينة ٦٢	.....
الخوارج في السنة ٦٨	.....
إمام الخوارج وشيخها ٧١	.....
ابن تَيْمِيَّة يُصَرِّح بخارجيته ٧٣	.....
خطبة ابن الزبير فيهم ٨٣	.....
كتاب ابن الأزرق إلى ابن الزبير ٨٤	.....
عليّ عَلَيْهِ الْكَرَمُون في وصف الخارجي: ابن الأزرق؛ والخارجي ابن تَيْمِيَّة ٨٥	.....
معاوية يدحض دعوى باطلة بحق عليّ عَلَيْهِ الْكَرَمُون ٨٦	.....
عائشة تبكي قاتلها عليّاً ٩٢	.....
الإسلام يبسط سلطانه على حَرَان ١٠٥	.....
رواية الطبرى الثانية ١٠٨	.....
النفوذ الأُموي في الشام وانطباع الجزيرة بأثر ذلك ١٠٩	.....
وقعة أحنادين ١١٢	.....

113 .....	وقعة مرج الصُّفرَ
114 .....	يوم فِحْلٍ .....
115 .....	وقعة اليرموك .....
117 .....	فتح دمشق .....
119 .....	فتح مصر .....
120 .....	ال الخليفة يعرّي أبا سفيان.
121 .....	ال الخليفة يتوعّد الشورى بمعاوية: .....
127 .....	السياسة الأُمُوَّة وآثارها الاجتماعيَّة في الشام .....
131 .....	معاوية يصدق بحقيقةه .....
135 .....	آفة معاوية تسري إلى يزيد .....
137 .....	معاوية يمنع من نشر حديث رسول الله ﷺ .....
137 .....	أبوبكر يحرق أحاديث رسول الله ﷺ .....
143 .....	فائدة .....
146 .....	أحاديث الأُرِيكَة .....
147 .....	لقتُ نظر .....
149 .....	مزيدٌ من النصوص النبوية في وجوب رواية الحديث .....
150 .....	توجيهٌ غيرٌ مقبول من الذهبيِّ .....
160 .....	حديث رسول الله؛ وردَّ عمر بلفظ آخر .....
162 .....	أحاديث النبيِّ في الرِّدَّة .....
166 .....	أصحاب الصخرة .....
168 .....	بسالة أمير المؤمنين يوم أُحد .....
171 .....	عمر يقتفي سنة أبي بكر .....
177 .....	أحمد، وابن الجوزيِّ يُنكران دفن الكتب .....

١٧٨ .....	مواقف عمر في رأيه و فعله .....
١٨١ .....	أساليب عمر في المنع .....
١٨٤ .....	مصحف عمر بن الخطاب .....
١٨٧ .....	آية أخرى .....
١٨٩ .....	تحريف كتاب الله عز وجل .....
١٩١ .....	أمهات المؤمنين يُكْرَفُن آية .....
١٩٢ .....	أحاديث التهوك .....
١٩٥ .....	نقد التبرير .....
٢٠٥ .....	منهج عمر في المنع من حديث رسول الله ﷺ .....
٢٠٧ .....	وقفة قصيرة مع خطبة عمر .....
٢٢٣ .....	عثمان ورواية الحديث .....
٢٢٩ .....	أحب السُّور إلى رسول الله ﷺ .....
٢٣٢ .....	ثورة ابن مسعود على زيد .....
٢٣٥ .....	أبي بن كعب .....
٢٤٢ .....	عثمان يُشَقِّق المصاحف .....
٢٤٣ .....	اختلاف وزيادة ونقصان ! .....
٢٤٥ .....	ترتيب عثمان لسور القرآن .....
٢٤٨ .....	كذب على رسول الله ﷺ ، في القراءة .....
٢٥١ .....	مروان يُشَقِّق القرآن .....
٢٥٢ .....	معاوية يمنع الحديث .....
٢٦٧ .....	الإسكافي يفضح أسباب الفرقـة عن عليؑ .....
٢٧٤ .....	ذكر أصناف المخالفين والمعاندين للإمام عليؑ .....
٢٧٩ .....	دستور معاوية في سب أمير المؤمنين عليؑ والبراءة منه .....

مدرسة معاوية في وضع الحديث .....	٢٨٤
Hadith Bihira the hermit .....	٢٩٨
المقاطعة ودخول الشعب.....	٣٠٥
أبو هريرة.....	٣١٤
Sمرة بن جندب .....	٣١٩
الجبهة المارضة للمنع .....	٣٢٩
وأحياناً .....	٣٤٤
السنة القولية .....	٣٤٤
<b>إجماع أهل البيت عليهما السلام على التدوين .....</b>	<b>٣٥٠</b>
فمن هم أهل البيت؟ .....	٣٥٧
ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام .....	٣٦٢
ما ورد عن الإمام الحسن السبط عليهما السلام (استشهد سنة ٤٩ هـ) .....	٣٧١
ما ورد عن الإمام الحسين السبط الشهيد عليهما السلام (٦١ هـ) .....	٣٧١
ما ورد عن الإمام علي زين العابدين عليهما السلام (ت ٩٥ هـ) .....	٣٧٣
ما ورد عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام (ت ١١٤ هـ) .....	٣٧٤
ما ورد عن الإمام جعفر بن محمد أبي عبد الله الصادق عليهما السلام (ت ١٤٨ هـ) .....	٣٧٩
ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (ت ١٨٣ هـ) .....	٣٨٥
ما ورد عن الإمام علي بن موسى أبي الحسن الرضا عليهما السلام (ت ٢٠٢ هـ) .....	٣٨٦
ما ورد عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليهما السلام (ت ٢٢٠ هـ) .....	٣٨٩
ما ورد عن الإمام علي بن محمد أبي الحسن الهادي عليهما السلام (ت ٢٥٤ هـ) .....	٣٨٩
ما ورد عن الإمام الحسن بن علي أبي محمد العسكري عليهما السلام (ت ٢٦٠ هـ) .....	٣٩٠
ما ورد عن الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليهما السلام .....	٣٩١
عصره السياسي .....	٣٩١

عصره الاجتماعي والثقافي .....	٣٩٧
عصره العلمي والأدبي .....	٤٠٠
عصره الديني .....	٤٠١
المذاهب الكبرى .....	٤٠٣
دراسته: .....	٤٠٨
بداية المعركة .....	٤١٣
<b>الفهرس .....</b>	<b>٤٢٧</b>